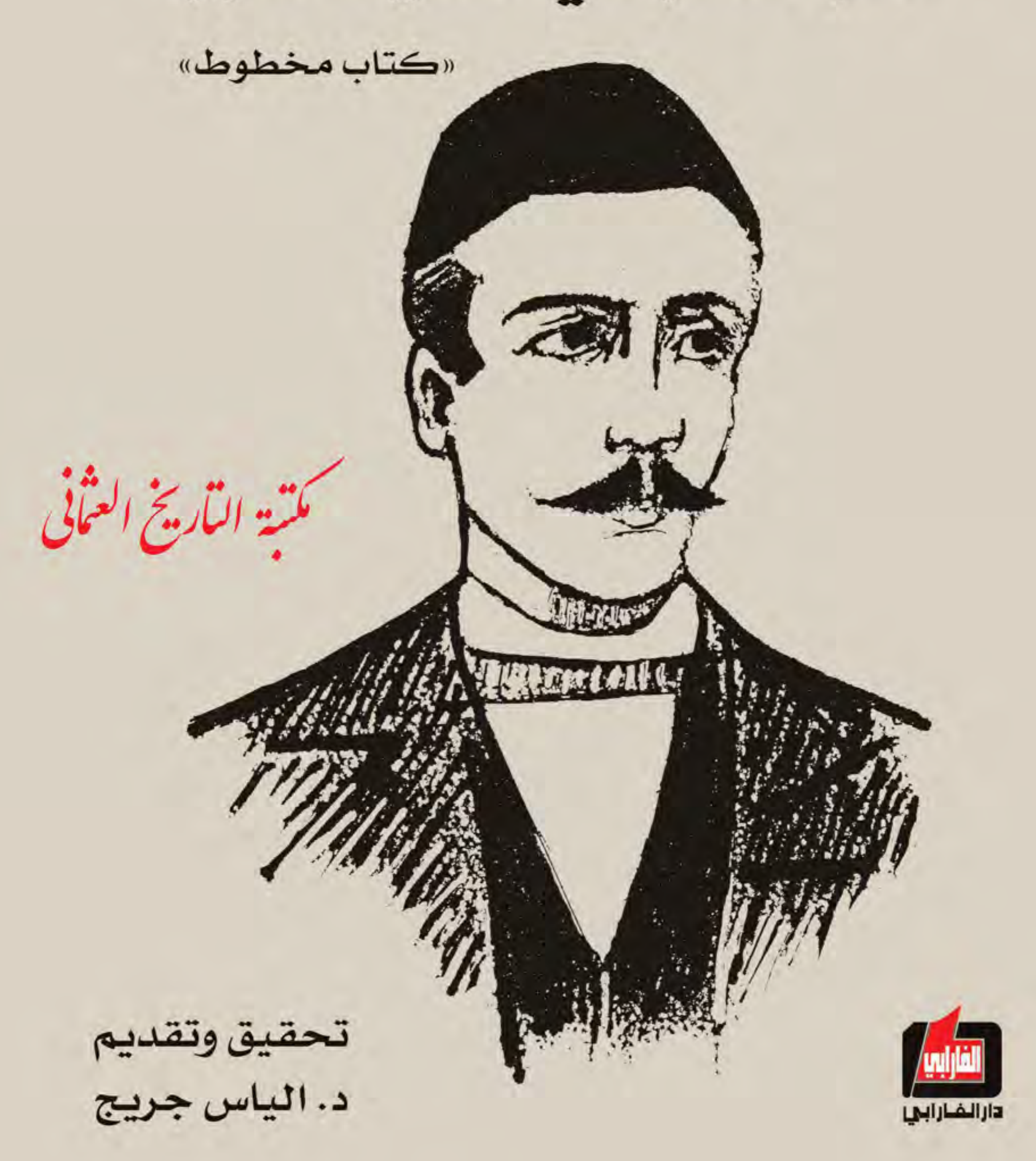
الياس صالح اللاذقي

آثار الحقب في لاذقية العرب

«كتاب مخطوط»



تحقيق وتقديم

د. الياس جريج

دار الفارابي

آثار الحقب في لاذقية العرب

مكتبة التاريخ العثماني

الياس صالح اللاذقي

آثار الحقب في لاذقية العرب

كتاب مخطوط

حقّقه وقدّم له وأعدّ ملاحقه وخرائطه

د. الياس جريج

دار الفارابي

الكتاب: آثار الحقب في لاذقية العرب (مخطوط)

المؤلف: الياس صالح اللاذقي

لوحة الغلاف: صورة المؤلف (1839-1885)

قدّم له وحققه وأعدّ ملاحقه وخرائطه: د. الياس جريج

الناشر: دار الفارابي ـ بيروت - لبنان

ت: 301461(01) - فاكس: 307775(01)

ص.ب: 3181/11 - الرمز البريدي: 2130 1107

e-mail: info@dar-alfarabi.com

www.dar-alfarabi.com

الطبعة الأولى: كانون الثاني 2013

ملاحظات لا بد منها

«آثار الحقب في لاذقية العرب»، مخطوط جديد يقع في جزئين لمؤلفه «العلامة الياس صالح اللاذقي»[1]، تنشره «دار الفارابي»، إيماناً منها بأن العلم الذي يحفظ على القراطيس المخبأة، يبقى النفع منه مقتصراً على قلة قليلة جداً ويبقى مهدداً بالضياع في أية لحظة. والدار بعملها هذا، تخرجه إلى النور العذب الجميل، فتغني المكتبة العربية عامة، والتاريخية منها خاصة، وينتفع جميع القراء بما يحتويه من علم.

يتناول مؤلف هذا المخطوط، تاريخ مدينة اللاذقية، بالارتباط مع لوائها من جهة، ومع ما حولهما من جهة أخرى، منذ أقدم العصور إلى أواخر القرن التاسع عشر، وما يحتويه له أهمية بالغة لاعتبارات كثيرة، أهمها:

1 ـ إن المؤلف هو ابن اللاذقية، والمنطقة التي يكتب عنها حدد بنفسه إطارها. فهي تمتد من شمال طرطوس جنوباً، إلى حدود الجبل الأقرع شمالاً، ما يبلغ طوله سبعين ميلاً؛ ومن الغرب إلى الشرق نحو خمسة وعشرين ميلاً، أي ما مساحته 1750 ميلاً مربعاً[2]. وهذا التحديد ليس أمراً شكلياً، فتحديد المكان واحد من مستلزمات البحث العلمي الرصين.

2 ـ إن المنطقة المشار إليها، هي جزء من الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وقد شكل عبر التاريخ ـ في مختلف مراحله ـ ممراً طبيعياً، يصل قارات العالم القديم بعضها ببعض.

---

(1) «العلامة الياس صالح اللاذقي»، هو عنوان اعطاه سامر عوض للمقالة التي كتبها عن الياس صالح اللاذقي، في مجلة «العربية»، العدد الثالث من السنة العاشرة عام 2010. والعربية، هي نشرة غير دورية، تصدر عن مطرانية بصرى حوران وجبل العرب الجولان للروم الارثوذكس؛ صدر العدد الأول منها عام 2001. ولمزيد من الايضاح يراجع عدد المجلة المشار إليه اعلاه، ص 33-38.

(2) لمزيد من الايضاح حول حدود وموقع هذا اللواء، تراجع الخريطة رقم 1 المرفقة ربطاً بهذا البحث.

ومـن هـذا السـاحل وممـا هـو حولـه فـي جهاتـه الأربـع، نشـأت امبراطوريـات كبـرى، فـي التاريـخ القديـم والوسـيط والحديـث. فهـذا السـاحل، كان ومـا زال وسـيبقى ممـراً للتجـارة الدوليـة فـي كل اتجـاه. كمـا أنـه سـيبقى مـن أهـم ممـرات العالـم إلـى مختلـف أنحـاء هـذا العالـم علـى الإطـلاق. ومـن أجـل السـيطرة عليـه، أو لإبقائـه حـراً محايـداً سـيتزايد عليـه الصـراع أكثـر فأكثـر، بيـن أهلـه مـن جهـة، ودول العالـم مـن جهـة أخـرى، وفيمـا بيـن هـذه الـدول مـن ناحيـة ثالثـة. ولا سيما عندمـا يقـرر أبنـاؤه أن تكـون مقدراتـه بيـن أيديهـم بـدون منـازع. خاصـة بعـد الكشـف عـن أن سـواحله غنيـة بالبتـرول والغـاز الطبيعـي والميـاه العذبـة.

3 ـ إنّ صاحـب المخطـوط، قـد حـدد الزمـان الـذي يكتـب فيـه عـن هـذا اللـواء. وهـذا أيضـاً واحـد مـن مسـتلزمات البحـث العلمـي. وفـي صياغتـه لهـذا التاريـخ، فقـد جمـع بيـن مـا هـو مطلـوب منـه ـ علـى حـد تعبيـره ـ كمـؤرخ مـن جهـة، وبيـن إحساسـه كمواطـن عـادي بمـا يحتـاج إليـه مـن معـارف تاريخيـة عـن مدينتـه ووطنـه ومـا هـو حولـه مـن جهـة أخـرى. هـذا الشـعور، قـد عبـر عنـه بشـكل واضـح فـي مقدمـة مؤلفـه. وهـو بشـعوره هـذا لا يمكـن أن يكـون إلّا صادقـاً، لسـبب بسـيط، وهـو أن المعـارف التـي سـعى وراءهـا وسـاقها لمواطنـه، كان هـو بحاجـة إليهـا قبـل غيـره. علمـاً أن مـا كتبـه، لـم يكـن هدفـاً بحـد ذاتـه، بقـدر مـا هـو محاولـة لصياغـة ذاكـرة مواطنـه وتزويدهـا بالمعـارف الصحيحـة عـن المنطقـة التـي يعيـش فيهـا.

4 ـ إنّ اليـاس صالـح اللاذقـي، لـم يكـن ذلـك الإنسـان العـادي، عندمـا كان يكتـب هـذا التاريـخ. فهـو أكثـر مـن شـخصية فـي رجـل واحـد، بحكـم مـا كان يتقنـه مـن لغـات ومـا شـغله مـن مناصـب، ومـا قـام بـه مـن مهـام. هـذا بالإضافـة إلـى مـا كان يتمتـع بـه مـن حضـور سياسـي واجتماعـي ورسـمي فـي الوسـط الـذي كان يعيـش فيـه.

5 ـ إنّ القسـم الأكبـر مـن المخطـوط، يتعلـق بفتـرة الحكـم العثمانـي. وتتميـز كتابتـه عـن هـذه الفتـرة بدقـة اسـتثنائية لسـببين: الأول، لأن المؤلـف يتقـن اللغـة التركيـة. هـذا مـن جهـة، ومـن جهـة أخـرى، كان عضـواً فـي محكمتهـا الابتدائيـة، وبحكـم موقعـه هـذا، كان مطلعـاً عـن كثـب، علـى مـا كان يـرد إليـه مـن الإدارات الرسـمية مـن تعليمـات وأوامـر عليّـة؛ ومـا كان يصـدر عـن

هـذه الإدارات مـن مقـررات واستفسـارات، ومـا كان يفعلـه الـولاة والموظفـون مـن أجـل الحفـاظ علـى مصالحهـم الخاصـة. والثانـي، وهـو أن المؤلـف قـد ولـد فـي مرحلـة تداعيـات النظـام العـام للسـلطنة؛ وعـاش فـي قلـب مرحلـة المحـاولات، التـي قامـت بهـا مـن أجـل إصـلاح ذاتهـا؛ كمـا أنـه شـهد بعـض الحـروب التـي شـنت عليهـا مـن قبـل الـروس، وبعضهـا الآخـر الـذي شـنته هـي علـى رعاياهـا فـي لـواء اللاذقيـة؛ كمـا أنـه كان فـي قلـب مرحلـة انتقالهـا مـن «نظـام الايالـت» المتداعـي، إلـى «نظـام الولايـة»، الـذي شـارك فـي تطبيقـه مـن موقعـه الوظيفـي.

6 ـ إنّ الفتـرة التـي كان اليـاس صالـح اللاذقـي، يكتـب فيهـا تاريـخ لـواء اللاذقيـة، كان الـروس يعملـون علـى تضمينـه جـزءاً مـن خطتهـم العاملـة لوصولهـم إلـى الميـاه الدافئـة، بالاسـتيلاء علـى القـدس، والعبـور منهـا باتجـاه الشـمال، نحـو اللاذقيـة عبـر وادي البقـاع وجبـل لبنـان فحمـص؛ معتمديـن فـي ذلـك أسـلوب اسـتمالة وجـذب أبنـاء الطائفـة الأرثوذكسـية إلـى جانبهـم وادعـاء حمايتهـم. ويبـدو أن هـذه الخطـة، لـم تكـن حتـى ذلـك الوقـت قـد تبلـورت بشـكل واضـح. بدليـل أنـه لـم يشـر إلـى هـذه المسـألة بسـوى أن للـروس ـ كغيرهـم مـن الـدول ـ وكالـة قنصليـة فـي اللاذقيـة[1].

سيرة الياس صالح اللاذقي 1839 - 1885

كتـب صاحـب هـذه السـيرة اسـمه وتاريـخ ولادتـه بخـط ريشـته علـى صفحـات مخطوطـة. فهـو «اليـاس بـن موسـى بـن سـمعان صالـح»، ولـد فـي 26 كانـون الثانـي مـن العـام 1839. أمـا بالنسـبة لتاريـخ وفاتـه، فهـو 15 أيلـول 1885، دوّنـه ابنـه رفيـق، تحـت الصـورة التـي أعدهـا لوالـده، بمناسـبة مـرور ربـع قـرن علـى وفاتـه[2]. ومـع ذلـك، هنـاك مـن أشـار ـ بـدون أي سـند ـ إلـى تواريـخ أخـرى

(1) لمزيد من الايضاح حول الخطة الروسية، يراجع: الياس جريج، ولاية بيروت التاريخ السياسي والاقتصادي 1887-1914، مكتبة عكار، حلبا بدون تاريخ طبع، ص 76 ـ 77.

(2) ترك الياس صالح اللاذقي مجموعة كبرى من القصائد الشعرية. وبمناسبة مرور ربع قرن على وفاته، جمعها ابنه رفيق في ديوان اسماه: «مراثي وديوان المرحوم الياس صالح» وطبعه على نفقته عام 1910، في المطبعة الوطنية باللاذقية. وقد وضع صورة والده في صدر الديوان وكتب فوقها: «المرحوم الياس صالح صاحب الديوان» ولد في 26 كانون الثاني 1839 وتوفي في 15 أيلول 1885.

=

مختلفة لولادته ووفاته، غير تلك التي أشرنا إليها[1]. لاذقي[2] المولد (نسبة إلى اللاذقية)

= أما تحت الصورة، فقد كتب ثلاثة أبيات من نظمه، وهي:

اذا ما نظرنا إلى رسم | بكينا الأجل الأعز الاحب

اذا ما اطلعنا على نظمه | نثرنا دموعاً لرثي الأدبْ

اذا ما سألناه رحمة | اجاب السميع الرحيم الطلبْ.

وبالإضافة إلى قصائد الديوان، فقد ضمنه الكلمات التي القيت يوم تشييع جنازته، وما كتب عنه من مقالات وقصائد وأشعار، وما كتبته عنه بمناسبة وفاته جريدة «الأهرام» و «المحروسة».

ولمزيد من الايضاح حول تاريخ الولادة والوفاة، وما تضمنه هذا الديوان، يراجع: الياس صالح صاحب الديوان، مراثي وديوان المرحوم الياس صالح اللاذقي، المطبعة الوطنية، اللاذقية 1910. الديوان موجود في المكتبة الشرقية، بيروت.

(1) حول هذه التواريخ، لا بد من ابداء ملاحظتين: الأولى، وهي أن اسعد داغر، الذي قدم لديوان الياس صالح اللاذقي، أشار إلى أن الوفاة كانت نهار الثلاثاء 3 ـ 15 ايلول 1885 (الديوان ص 6). وهنا يمكن القول بأن صاحب السيرة قد دخل إلى المستشفى وهو فاقد الوعي وتوفي بدون أن يستفيق من غيبوبته. الثانية: وهي أن لويس شيخو اليسوعي، قد أشار ـ بدون أي سند ـ إلى أنه ولد في اللاذقية في عام 1829، أي قبل عشر سنوات من التاريخ الذي حدده صاحب السيرة بنفسه، وانه توفي في أواخر تشرين الأول 1885، أي بعد شهر ونصف من التاريخ الذي ذكره ابنه رفيق. ولمزيد من الايضاح، يراجع: لويس شيخو اليسوعي، الآداب العربية في القرن التاسع عشر، الجزء الثاني، ص 118؛ وأشار في مكان آخر إلى أنه توفي في تشرين الأول 1885. لويس شيخو اليسوعي، المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، منشورات دار المشرق، بيروت طبعة ثانية 2000، ص 130؛ وفي هذا المجال أيضاً، وبالاستناد إلى لويس شيخو، أشار عمر رضى كمال، إلى أن الياس صالح اللاذقي، قد ولد في عام 1245 هـ وتوفي في عام 1302 هـ الموافقين لعامي 1829 و1885 م. عمر رضى كمال، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة بيروت 1993، ص 829.

(2) اللاذقي، نسبة اضافها صاحب هذه السيرة إلى اسمه بخط ريشته لاحقاً. أي عندما بدأ بكتابة الجزء الثاني من مخطوطه «آثار الحقب في لاذقية العرب». بدليل أنه كتب اسمه على هذا المخطوط مرتين: الأولى، على الصفحة الأولى من الجزء الأول وهو كما يلي: «الفقير الياس صالح عُفي عنه؛ أما على الجزء الثاني فهو «الياس صالح اللاذقي عفي عنه»، أي باضافة «اللاذقي». وهنا لا بد من الإشارة، إلى أن لويس شيخو اليسوعي قد أوضح أن هذه النسبة هي من أجل التمييز بينه وبين سمي له يحمل أيضاً نفس الاسم الياس صالح؛ وهو من نفس ملته الارثوذكسية ومن أقربائه واشتهر بعده بقليل؛ وهو من مواليد بيروت 1869 وقيل 1870؛ وأنه كان شاعراً أيضاً وله قصائد كثيرة؛ وقد قصفته المنية غصناً رطباً في 2 حزيران 1895. ولمزيد من الايضاح حول هذه المسألة، يراجع: لويس شيخو اليسوعي، الآداب العربية في القرن التاسع عشر، الجزء الثاني 1870-1900، طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين 1910، ص 119-120.

والمنشأ والرقاد، «غزاوي» (نسبة إلى غزة في فلسطين) الأصل والفرع. سليل أسرة وجيهة، خدمت السلطنة العثمانية وولاتها في سلك الوظيفة العامة في غزة، ويافا، واللاذقية. لكنها لم تسلم من أذية وكيد وبلص ولاتها.

صالح، كبير العائلة من غزة بفلسطين، ولد وترعرع فيها (1730-1790)، عمل في سلك رجال الحكومة ووصل إلى مكانة مرموقة ولقب «بالمعلم صالح»؛ وبوصفه كبير العائلة أعطى اسمه كنية لها[1].

سمعان بن صالح، اقتفى خطى والده فقد عمل في غزة، ثم انتقل إلى يافا ليصبح رئيساً للكتّاب فيها، وهو ما سمح له بإعلاء كلمته ومكانته. غير أنه قتل عام 1825 [2]. وبذلك كان مصيره كمصير حميه «حنا كبه» في اللاذقية، فقد صودرت أمواله وضبطت موجوداته[3].

(1) لمزيد من الايضاح حول هذه المسألة، يراجع: اسعد داغر، مقدمة ديوان الياس صالح اللاذقي، ص 1؛ وسامر عوض، العلامة الياس صالح اللاذقي، العربية، مرجع سابق، ص 33.

(2) سمعان صالح 1760-1825، ولد في غزه، استقدمه محمد أبو مرق إلى يافا ليكون رئيساً لكتّابها. وشاء القدر أن تتوفى زوجته، وأن يعقد قراناً ثانياً ـ بطلب من محمد ابي مرق ـ على «ايرين» ابنة «حنا كبه» عندما كانت مع والدتها تنزلان عنده أثناء زيارتهما للقدس؛ علماً أنه لم يكن راغباً بالزواج منها. ولمزيد من الايضاح حول هذه المسألة، يراجع: اسعد داغر، ديوان الياس صالح اللاذقي ص 2-3، وحول شصخية سمعان، أشار صاحب كتاب «بربر آغا» أن اليهودي «حاييم فارحي»، كان يدير شؤون أيالت عكا كلها في عهد الجزار، ثم في عهد خليفة هذا الأخير سليمان باشا. وأن سمعان هذا كان عميلاً لحاييم في ديوان «أبي نبوت» متسلم يافا بشخص امين خزانة، في الوقت الذي كان بين «ابي نبوت» و «فارحي» عداوة وبغضاء. فهل كانت هذه الحالة بين الرجلين هي السبب الذي ادى إلى قتل سمعان؟ ولمزيد من الايضاح حول هذه المسألة، يراجع: عبد اللطيف كريم، بربر آغا، الطبعة الأولى، طرابلس 2004، ص 272 ـ 275. سنشير إلى هذا المرجع لاحقاً: عبداللطيف كريم، المرجع السابق، ص...

(3) حنا كبه، والد ايرين زوجة سمعان، كان رئيس الكتّاب في اللاذقية وملتزماً أموال اللواء، حنق عليه أحمد باشا الجزار لاستقباله في بيته باللاذقية محمد أبو مرق، عندما كان الجزار غاضباً عليه. وعندما رفض حنا كبه ان يسلمه للجزار غضب منه وحرّض عليه عدره آغا، صاحب المرقب. وانتهت مؤامرة الجزار على حنا كبه بقتله عام 1803. اسعد داغر، مقدمة الديوان، ص 2. وقد أشار إلى هذه المسألة الياس صالح اللاذقي، في الجزء الأول من مخطوطه.

أمـا موسـى، فعندمـا رأى مـا حـلّ بوالـده، غـادر بصحبـة والدتـه وخالـه إلـى اللاذقيـة عـام 1831، حيـث تـزوج. وكان اليـاس بـن موسـى بـن سـمعان صالـح ثمـرة مـن ثمـار هـذا الـزواج، وكبيـر ثلاثـة أخوة مـن أصـل خمسـة رزق بهـم والـده[1]، الـذي تركهـم مـع زوجتـه فـي اللاذقيـة وعـاد إلـى فلسـطين، حيـث توفـي[2]. ولذلـك، انكبـت الزوجـة علـى تربيتهـم، واضطـر اليـاس، كبيـر الأبنـاء، أن يعمـل باتجاهيـن: انكبابـه علـى العلـم والمطالعـة مـن جهـة، وإلـى تعلـم صنعـة تقيـه وعائلتـه مـن الفقـر وذل السـؤال. وبـات فـي سـن المراهقـة يعـرف شـيئاً مـن مبـادىء القـراءة فـي كل مـن العربيـة والايطاليـة والفرنسـية ويتقـن كتابـة الخـط، وفـي هـذا المجـال بلـغ شـأواً يقصّـر عنـه أمهـر الخطاطيـن. وبهـذه الصنعـة، دخـل باحـة الكسـب، ليسـعف أخوتـه ويشـد مـن أزر أمـه.

فـي عـام 1859، انشـأ المرسـلون الأميـركان مدرسـة للعلـوم فـي اللاذقيـة وبذلـك، انفتـح أمامـه بـاب لتعلـم اللغـة الإنكليزيـة وقواعـد اللغـة العربيـة. وفـي عـام 1866 عيّـن ترجمانـاً لقنصليـة أميـركا فـي اللاذقيـة. عندهـا تـرك كتابـة الخـط وتشـارك مـع اليـاس وجبـران صوايـا فـي عمـل تجـاري، لكـن الحـظ لـم يحالفـه بالنجـاح. وكان فـي أثنـاء ذلـك، قـد التـزم أعشـار قضائـي جبلـه واللاذقيـة ولقـي فـي هـذا المجـال نجاحـاً، كان مـن جرائـه تحسـين أوضاعـه ومسـتوى معيشـته. وفـي عـام 1869، سـأله المرسـلون الأميـركان فـي اللاذقيـة أن ينظـم لهـم المزاميـر فأجـاب طلبهـم. وفـي عـام 1871 تـزوج باحتفـال عظيـم[3].

---

(1) بعد وصول موسى ووالدته «ايرين» وخاله جرجس كبه إلى اللاذقية، تزوج مرتين: الأولى، كانت ابنة مخائيل جرجي. وقد توفيت بعد اربعين يوماً من زواجها؛ المرة الثانية كانت من «مناشه»، ابنة المقدسي الياس نعمة، رزق منها بخمسة أولاد ذكور، خطف الموت منهم اثنين؛ أما الباقون فهم الياس موسى صالح صاحب هذا المخطوط، الذي أشرنا إلى تاريخ ولادته ووفاته؛ وسليم موسى صالح، الذي ولد بتاريخ 29 كانون الأول 1844؛ ويوسف موسى صالح، الذي ولد في 23 أيلول 1847. ولمزيد من الايضاح، يراجع صاحب هذا المخطوط في الجزء الأول.

(2) توفي موسى صالح في عام 1867. صاحب المخطوط، الجزء الأول.

(3) عقد الياس صالح اللاذقي قرانه، على «لوكيا»، ابنة «تيودوري سبتروفتحش» اليوناني الإسلامبولي في اللاذقية. وقد أتى بها من عند عديله في بيروت نقولا الروماني. واجرى مراسم الزواج «ملاتيوس الدوماني» مطران اللاذقية. اسعد داغر، مقدمة الديوان، ص 5؛ وسامر عوض، العربية، مرجع سابق، ص 34.

في عام 1872، تولى إدارة قنصلية أميركا في اللاذقية إثر غياب نائب القنصل. وفي عام 1873، بدأ بكتابة مخطوطه «آثار الحقب في لاذقية العرب». وعندما أكمل نظم المزامير، سافر إلى مصر بطلب من المرسلين من أجل مقابلته بالنسخة الأصلية وطباعته هناك. كان ذلك في أيلول 1874 وبقي في مصر إلى حزيران 1875. وإثر عودته إلى اللاذقية استقال في شهر تموز من الترجمة لقنصلية أميركا، ودخل في خدمة الحكم العثماني. وفي هذا المجال انتخب عضواً للمحكمة الابتدائية. وأثناء ممارسته لهذه المهمة بات متمكناً من اللغة التركية بعد أن كان قد ألمّ بها وتعلم قواعدها، وراح يعرّب تآليفها كالدستور العثماني وقوانين السلطنة العلية[1]. وظل انتخابه لهذه المهمة يتجدد إلى نهاية حياته. وخلال المدة 1875 ـ 1878، كتب مذكراته اليومية. أصيب بداء أعياه وعجز الأطباء عن مداواته وشفائه فتوفي في صباح الثلاثاء الواقع فيه 15 أيلول 1885، عن صبي وأربع بنات؛ وشيّع إلى مثواه الأخير بمأتم مهيب، حضره جمع غفير، كتبت عنه الصحف[2]؛ ورثاه عدد كبير من الشعراء.

(1) لويس شيخو اليسوعي، الآداب العربية في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 119.

(2) قال اسعد داغر في وصف الجنازة: «عصر ذلك اليوم سير بجنازته وحولها السواد الأعظم من مأموري الحكومة ووكلاء القناصل وسراة البلدة؛ وعلى وجوههم شارة الكدر واللهف وعلى رؤوسهم طائر الحزن والاسف حتى جيء به إلى كنيسة المار سابا. وهناك، بعد أن صلي عليه، وقف لتأبينه الدكتور سليم جريديني واسعد داغر وسامي أفندي كومين». ومما قالته جريدة الأهرام في نعيه: «نعت الينا اخبار اللاذقية وفاة المرحوم الياس صالح، احد أعيانها وخيرة ابنائها، احد أعضاء محكمتها وريس جميعة الروم الارثوذكس الخيرية... وكان رحمه الله كاتباً لبيباً وشاعراً متفنناً وعارفاً باللغة التركية وملماً باللغتين الفرنساوية والإنكليزية، ومتمكناً من الأصول النظامية وقوانين الدولة العلية وله مؤلفات عديدة...» ومما قالته جريدة المحروسة: «نعت إلينا أخبار اللاذقية وفاة الأديب البارع والنحرير الكاتب، المرحوم الياس صالح وهو بالغ من العمر 46 عاماً، قضاها بين التحرير والتحبير، وكان رحمه الله من عيون اعيانها، فهو أحد رؤساء مجالسها واحد أعضاء الجمعية الخيرية...» اسعد داغر، مقدمة الديوان، مرجع سابق، ص 6 و12-13.

من أمثال: أسعد أفندي داغر، حنا أفندي نقاش، سامي كومين، الياس أفندي نوفل، ابراهيم أفندي رزوق واسحق أفندي شيبوب[1]. وبالإضافة إلى المخطوط المشار إليه، فقد ترك لنا مجموعة كبيرة من القصائد جمعها ونسقها وطبعها ابنه رفيق بمناسبة مرور ربع قرن على وفاته كما أشرنا عام 1910 [2]. أما أعماله غير المنشورة، فلم يبق منها أي أثر[3]. وأخيراً، إنّ أفضل ما نختتم به سيرة هذا المؤرخ، الباحث والشاعر الرقيق، الياس صالح اللاذقي بما قاله في مدحه صاحبا كتاب ولاية بيروت: «يجب على اللاذقيين عامة والمسيحيين خاصة، أن لا ينسوا اسمه، لأنه استطاع تحريك الإحساسات التي تخفق لها قلوبهم وتقريرها. واقتدر على نقل حالتهم الروحية وتثبيتها»[4].

آثار الحقب في لاذقية العرب - مخطوط وكتاب

نتناول تحت هذا العنوان ـ من حيث الشكل ـ مسألتين أساسيتين:

أ ـ أثار الحقب في لاذقية العرب بحلّة المخطوط، قد أبصر النور في عام 1881، ليعود بعدها إلى الظل، بحيث تقتصر رؤيته والاطلاع عليه على الخاصة من الناس دون سواهم، بانتظار خروجه إلى النور خروجاً دائماً، شأنه في ذلك، شأن كل المخطوطات العربية في ذلك الزمن. وهو يتألف كما أشرنا من جزئين.

---

(1) للاطلاع على قصائد هؤلاء الشعراء الذين رثوه، يراجع: ديوان الياس صالح اللاذقي، مرجع سابق، ص 13 ـ 33.

(2) أشار سامر عوض في «العربية»، ان طبع الديوان كان في عام 1900، وانه يقع في 164 صفحة؛ وان توقفه عن الكتابة في تاريخه «آثار الحقب في لاذقية» قد يكون في العام 1883. أما الحقيقة فهي أن الديوان قد طبع عام 1910 في المطبعة الوطنية باللاذقية، وانه يقع في 168 صفحة، تضم بالإضافة إلى أبوابه السبعة: ترجمة صاحب الديوان، مراثي الأدباء لصاحب الديوان، بيان بأهم الأغلاط المطبعية. أما توقفه عن الكتابة في كتابة تاريخ اللاذقية فهو في العام 1881. وللمقارنة بين ما أشار إليه سامر عوض وما أشرنا إليه من تصحيح، تراجع: العربية، ص 34 والديوان ولا سيما صفحة الفهرس والصفحة الأخيرة من آثار الحقب في لاذقية العرب، حيث يبدو توقفه واضحاً عام 1881.

(3) سامر عوض، العربية، مرجع سابق، ص 37-38.

(4) رفيق التميمي ومحمد بهجت، ولاية بيروت، دار لحد خاطر، بيروت 1679، الجزء الثاني، ص 298.

1 ـ الجـزء الأول منـه، يبـدأ بصفحـة غـلاف خـطّ عليهـا: أثـار الحقـب فـي لاذقيـة العـرب، تأليـف الفقيـر اليـاس صالـح عفـي عنـه، الجـزء الأول، يليهـا فهـرس موضوعـات، فمقدمـة قصيـرة تفـي بالغـرض الـذي أراده مـن هـذا الكتـاب. ويقسـم هـذا الجـزء مـن المخطـوط إلـى قسـمين: القسـم الأول جغرافـي، بعنـوان: فـي جغرافيـة اللاذقيـة ووضعهـا الحالـي (1873 عندمـا بـدأ بكتابـة هـذا التاريـخ). وقـد اعتمـد المؤلـف فـي كتابـة هـذا القسـم نظـام الفصـل، فقسـمه إلـى أربعـة عشـر فصـلاً. تنـاول فـي خمـس منهـا جغرافيـة مدينـة اللاذقيـة. أمـا فـي الباقـي مـن هـذه الفصـول، فقـد تنـاول جغرافيـة لـواء اللاذقيـة. وأقـل مـا يقـال فـي هـذه الفصـول بأنهـا غيـر متوازنـة. أمـا القسـم الثانـي مـن هـذا الجـزء، فهـو تاريخـي، بعنـوان: فـي تاريـخ اللاذقيـة. يتخلـى فـي هـذا القسـم عـن نظـام الفصـل، ليعتمـد نظـام المحطـات المهمـة ـ حسـب رأيـه ـ فـي تاريخهـا، بـدءاً مـن مرحلـة مـا قبـل التاريـخ، حتـى عـام 1831، عندمـا قـام محمـد علـي باشـا والـي مصـر (1769-1849) ، بحملتـه العسـكرية المعروفـة ضـد السـلطنة العثمانيـة واحتـل اللاذقيـة عـام 1832. وهنـا لا بـد مـن الإشـارة، إلـى أن اليـاس صالـح اللاذقـي، قـد صـاغ لهذا القسـم عـن تاريـخ اللاذقيـة تسـعة وأربعيـن عنوانـاً أشـار إليهـا فـي الفهـرس الـذي وضعـه لهـذا الجـزء، أمـا فـي المتـن فقـد تـرك أمرهـا ليشـير فـي المتـن إلـى أفكارهـا فقـط.

2 ـ الجـزء الثانـي منـه، يبـدأ بصفحـة غـلاف خـطّ عليهـا: الجـزء الثانـي مـن كتـاب أثـار الحقـب فـي لاذقيـة العـرب، تأليـف اليـاس صالـح اللاذقـي عفـي عنـه. أي بإضافـة «اللاذقـي» إلـى اسـمه. ويلـي صفحـة الغـلاف فهـرس يتضمـن 109 عناويـن بـدون أن يشـير إلـى هـذه العناويـن فـي متـن المخطـوط. بمعنـى أنـه أكمـل صياغـة هـذا الجـزء بنفـس الطريقـة التـي كتـب بهـا القسـم الثانـي مـن الجـزء الأول.

ومـن الجديـر بالذكـر هنـا، أن نشـير إلـى مسـألتين: الأولـى، وهـي أن هـذا الجـزء تاريخـي، يسـتكمل بـه تاريـخ اللاذقيـة بالكتابـة عـن تاريـخ لـواء اللاذقيـة مـن عـام 1831-1881؛ الثانيـة، وهـي أنـه اعتمـد النظـام الحولـي فـي التأريـخ، مشـيراً إلـى السـنين علـى هامـش صفحـات المخطـوط.

ب ـ أثـار الحقـب فـي لاذقيـة العـرب بحلّـة كتـاب، وحـول هـذا الشـكل الـذي أصبـح عليـه

المؤلـف، لا بـد مـن القـول بـأن المخطـوط الـذي كان يتألـف مـن جزئيـن، قـد بـات بعـد طباعتـه كتاباً واحـداً موحـداً. وبـات أمـراً طبيعيـاً أن يكتـب عنوانـه مـرة واحـدة «أثـار الحقـب فـي لاذقيـة العـرب»، وأن يكتـب اسـم مؤلفـه مـرة واحـدة أيضـاً وهـو «اليـاس صالـح اللاذقـي»، الاسـم المحبـب لديـه.

غاية ومراجع ومنهج آثار الحقب في لاذقية العرب

لقـد حـدد المؤلـف بنفسـه الغايـة والهـدف الـذي أراده مـن كتابـة مُؤَلفـه، بأنـه مـن أجـل أن يكـون لهـذه المدينـة تاريـخ مكتـوب ومجمـوع فـي كتـاب واحـد، يتنـاول أخبارهـا منـذ القديـم إلـى اليـوم الـذي كتـب فيـه هـذا التاريـخ، مـن أجـل أن يسـتغني أبنـاء الوطـن عـن كثـرة المراجعـات ومشـقة البحـث والتفتيـش. وبذلـك، فهـو يسـاهم فـي توحيـد رؤيـة أبنـاء وطنـه حـول ماضيهـم وحاضرهـم لتتوحـد رؤيتهـم وتوجهاتهـم نحـو المسـتقبل.

أما بالنسبة للمصادر التي اعتمد عليها في كتابة هذا التاريخ، فهي من ثلاثة مصادر:

1 ـ مـن القليـل الـذي وجـده عرضـاً هنـا وهنـاك فـي بطـون الكتـب عـن اللاذقيـة، ولا سـيما تاريخهـا القديـم، لأنـه لـم يعثـر علـى مصنـف خـاص بهـا.

2 ـ مما رواه له أبناء جيله الحاضر، الذين شهدوا الوقائع أو نقلوها عمن شهدوها.

3 ـ ممـا جـدّ فـي أيـام عصـره مـن أخبـار، وممـا رآه وعاصـره مـن أحـداث. معتمـداً فـي ذلـك علـى سـمعه وبصره.

وبالنسـبة لمنهجـه فـي الكتابـة، فيمكـن القـول بأنـه اسـتند فـي تقديـم معارفـه ومعلوماتـه علـى عـدد مـن القواعـد:

الأولـى، توجـه بهـا إلـى المـؤرخ نفسـه. فقـد أوجـب عليـه «الابتـداء بالأخـص لينتقـل منـه إلـى الأعـم».

الثانية، تقوم على ربط المكان بالزمان وبالإنسان.

الثالثـة، توجـه بهـا إلـى مواطنـه العـادي، فأوجـب عليـه «أن يعـرف تاريـخ مدينتـه ووطنـه، قبـل أن يعـرف تاريـخ المـدن والأوطـان الأخـرى».

وعلـى أسـاس هـذه القواعـد، بـدأ بالكتابـة عـن مدينـة اللاذقيـة أولاً، بوصفـه مـن مواليدهـا وأحـد أبنائهـا الميامـين، ليتوسـع بعدهـا باتجـاه لـواء اللاذقيـة. وعـزا هـذا التوجـه فـي الكتابـة إلـى سـببين:

الأول، وهـو أن المدينـة واللـواء مرتبطـان ببعضهمـا البعـض منـذ القديـم. هـذا مـن جهـة، ومـن جهـة أخـرى، فهمـا مرتبطـان بمحيطهمـا فـي طرابلـس وصيـدا وعـكا وبيـروت ودمشـق وحلـب.

الثاني، وهـو أنـه لـم يخطـر ببالـه يومـاً، أن يـرى اللاذقيـة منفصلـة عـن اللـواء، منطقتهـا الحيويـة، أو أن تكـون هـذه الأخيـرة مرتبطـة بمركـز آخـر غيـر اللاذقيـة.

ولذلـك، فعندمـا حصـل الفصـل بيـن اللاذقيـة ولوائهـا، اعتبـر أن مـن قامـوا بهـذا الإجـراء، لا يتمتعـون بالـرأي السـديد. لأنـه مخالـف لطبيعـة الأشـياء، ويعملـون علـى تحويـل الأحـوال عـن مجاريهـا الطبيعيـة.

اللاذقيـة فـي منهـج اليـاس صالـح اللاذقـي موقـع مـن مواطـن الإنسـان القديـم، لجـأ إليهـا واختبـأ فـي مغاورهـا المحفـورة فـي الصخـر جنبـاً إلـى جنـب مـع الحيـوان. ومـا اكتشـف فيهـا مـن آثـار أثنـاء عمليـة الحفـر فـي عـام 1849 [*]، يـدل علـى أن عمليـة الاسـتقرار هـذه، قـد سـاعدت الإنسـان القديـم أن يخطـو فـي العصـر الحجـري خطـوة هامـة علـى طريـق التقـدم والرقـي. وبذلـك، فهـي تتماثـل مـع مواقـع أوروبيـة ترقـى إلـى تلـك الحقبـة، ولا سـيما فـي فرنسـا واسـبانيا، حيـث عثـر علـى تماثيـل ترمـز إلـى الأمومـة والخصـب وتجـدد الحيـاة ورسـوم نافـرة علـى جـدران المغـاور بعضهـا علـى شـكل رؤوس بقـر وبعضهـا علـى شـكل رؤوس بشـر، ترمـز إلـى السـحر والشـعبذة[1].

(*) أثناء عملية حفر جرت في اللاذقية عام 1849، في بستان «مار تقلا»، في الشمال الغربي من المدينة، عثر على مغارة محفورة في الصخر، طولها ثمانية أذرع وعرضها خمسة أذرع. على حيطانها الأربعة صور نافرة، بعضها على شكل رؤوس بقر، وبعضها على شكل رؤوس بشر وغير ذلك؛ وفي إحدى زواياها سرج كثيرة من الخزف. كما عثر على انتيكات مختلفة، منها ما عليه صورة امرأة عريانة جالسة على صخر. وهذا هو رمز اللاذقية في الزمن القديم. هذا ما أشار إليه الياس صالح اللاذقي.

(1) من المغاور التي سكن فيها الإنسان في مرحلة ما قبل التاريخ، واكتشفت فيها آثار مماثلة لتلك التي اكتشفت في اللاذقية، نذكر: مغارة «دوردوني» (Dordogne) ، ولاسكو (Lascaux) في جنوب غربي فرنسا؛ ومغارة «التاميرا» (Altamira) في اسبانيا؛ ومغارة «جرجس» (Gargas) في اعالي جبال «البيرنيه» (Pyrénées)؛ ومغارة «مونتسبان» (Montespan) في اعالي نهر «الغارون» (Garonne). ولمزيد من الايضاح حول هذه المغاور وما وجد فيها يراجع:

René Huzghé, *l'Art et l'Homme*, Paris 1957, pp. 21,. 23, 27.

Michèl de Barilleau et François Giboulet, *Histoire de la peinture*, Paris 1998, p. 5.

وهكـذا يتسلسـل تاريـخ اللاذقيـة، فـي مؤلـف «آثـار الحقـب فـي لاذقيـة العـرب»؛ فهـي فـي التاريـخ القديـم جـزء مـن فينيقيـة، الممتـدة علـى السـاحل الشـرقي للبحـر المتوسـط مـن «جبـل الأقـرع» فـي سـوريا شـمالاً، إلـى جبـل الكرمـل فـي فلسـطين جنوبـاً[1].

وفـي أيـام الفـرس، هـي جـزء مـن الامبراطوريـة الفارسـية، التـي امتـدت مـن السـند فـي آسـيا شـرقاً، إلـى غـرب قبـرص وسـراديس فـي آسـيا الصغـرى غربـاً[2]. بدليـل أن أحـد جبـال مقاطعـة «بيـت الشـلف»، فـي لـواء اللاذقيـة يدعـى «جبـل دريـوس» (Mont Darios) [3].

وفـي عهـد الاسـكندر الكبيـر، امبراطـور اليونـان (336 ـ 331) ق. م، كانـت جـزءاً مـن الامبراطوريـة اليونانيـة، الممتـدة: مـن مقدونيـا فـي أوروبـا غربـاً، إلـى السـند فـي آسـيا شـرقاً والـى مصـر فـي افريقيـا جنوبـاً[4]. وفـي عهـد السـلوقيين، خلفـاء الاسـكندر، كانـت اللاذقيـة جـزءاً مـن حصتهـم التـي ورثوهـا عنـه، وكانـت مدمـرة بفعـل الـزلازل، وأعـاد سـلوقس (Seleucus) بناءهـا، وسماهـا «لادوكيـة» باسـم أمـه وقـد عـرّب العـرب هـذا الاسـم «اللاذقيـة». ومـن الجـدير بالذكـر هنـا، أن المنطقـة التـي بنيـت عليهـا مـدن: اللاذقيـة، وسـلوقية، انطاكيـة وأفاميـا[5]،

(1) تراجع خريطة رقم 1، حيث يبدو رأس اللاذقية جنوب اوغاريت.

(2) تراجع خريطة رقم 2، حيث يبدو رأس اللاذقية قبالة شرق قبرص مقاطعة رقم 5.

(3) دريوس الكبير أو دريوس الأول، امبراطور الفرس 522-486 ق. م.

le Petit Robert des noms propres, paris 2000, p. 595.

le Petit Larousse illustré, Paris 2008, p. 1267.

(4) تراجع خريطة رقم 3، حيث تبدو حملة الاسكندر مارة في منطقة اللاذقية وهي في طريقها إلى مصر.

(5) قبل أن يبنيها سلوقس، كان اسمها «راميتا» أي المرتفعة، وكانت خربة بسبب الزلازل التي كانت تضربها باستمرار. وعندما أعاد بناءها، غير اسمها إلى «لادوكية» اسم امه. علماً أنه قد بنى أكثر من لاذقية نذكر منها: لاذقية فيرجيا، لاذقية بسيديا ولاذقية لبنان. وكانت هذه الأخيرة، بين حمص وبعلبك. وغير أن «لاذقية على البحر»، كانت اعظمهن. وبالإضافة إلى هذه اللاذقيات التي بناها، فقد بنى مدن: سلوقية باسمه، وهي قريبة من موقع السويدية الآن؛ وانطاكية العظمى باسم ابيه «انطيوخوس»؛ وافامية على نهر العاصي باسم امرأته. هذا ما أشار إليه الياس صالح اللاذقي. أما وليم، رئيس اساقفة صور في عهد عموري ملك القدس خلال الحروب الصليبية، فقد أشار إلى أن انطيوخوس بن سلوقس، هو الذي بنى اللاذقية، وافامية. كما انه أشار إلى لاذقية اخرى تعدّ بين المدن السبع لآسيا الصغرى وهي: سميرنا، وبرغامس، وتياتير، وسرادس، ولادوكية، وفيلادلفيا وافسس. وليم رئيس اساقفة صور 1130-1185، تاريخ الحروب الصليبية، الجزء الثالث، نقله إلى العربية وقدم له سهيل زكار، دار الفكر ودار نوبليس، الطبعة الأولى 1990، ص 507. سنشير إلى هذا المرجع لاحقاً، تاريخ الحروب الصليبية، الجزء...

كانت في عهد السلوقيين إقليماً مميزاً، سمي تترابوليس، ومعناها المدن الأربع.

وفي عهد الرومان، الذين استولوا على سوريا بعد السلوقيين عام 64 ق.م.، دخلت اللاذقية تحت سلطتهم وباتت تابعة لروما. وفي هذا العهد، راحت تناظر انطاكية وتسمت باسم «سبتيما السيفيرية» نسبة إلى «سبتيموس سفيروس» وأعطى اللاذقية الحقوق التي كانت للمدن الرومانية.

وفي عهد الرومان شهدت ظهور المسيحية منذ البداية الأولى وقد آمن بها أهلوها وقدموا في سبيل إيمانهم شهداء كثيرين؛ وشارك أساقفة من اللاذقية وجبله في المجامع المسكونية السبعة[1]. كما أنها عاشت حالة الجدل والصراع الذي نشب بين أنصار الطبيعة الواحدة وأنصار الطبيعتين للسيد المسيح، وعندما خرج العرب المسلمون من الجزيرة العربية لنشر الدين الإسلامي وتوسيع رقعة دولتهم، استخلصوها من أيدي الروم البيزنطيين عام 637 وأسموها «لاذقية العرب».

وعندما زحفت أوروبا في الحملات التي اصطلح على تسميتها «الحملات الصليبية»



(1) المجامع المسكونية السبعة هي: مجمع نيقية الأول سنة 325 م، ومجمع القسطنطينية الأول سنة 381 م، ومجمع افسس سنة 431 م، مجمع خلقيدونية سنة 451 م، ومجمع القسطنطينية الثاني سنة 553 م، مجمع القسطنطينية الثالث سنة 680-681 م، ومجمع نيقية الثاني سنة 787 م. ولمزيد من الايضاح حول هذه المجامع المسكونية والاحبار الذين حضروها والمقررات الكنسية التي اتخذوها، يراجع حنانيا الياس كساب، مجموعة الشرع الكنسي، منشورات دار النور، بيروت لبنان 1998 صفحات كثيرة نذكر منها الصفحات المفصلية 40، 241، 288، 364، 446، 486، 761.

(les Croisades) قاصدة الاستيلاء على سوريا والأماكن المقدسة، جرى استخلاصها من أيدي حكامها البيزنطيين، وتم الاستيلاء عليها في عام 1103 م[1].

وفي أيام المماليك، باتت جزءاً من سلطنتهم في عام 1287. وعندما استولى السلطان سليم العثماني على سوريا ومصر عامي 1516 و1517، صارت اللاذقية تحت سلطة السلطنة العثمانية كباقي المدن السورية. إننا إذ نشير إلى بعض تفاصيل هذا السياق التاريخي، فمن أجل التأكيد، على أن الياس صالح اللاذقي، قد عمل على الربط دائماً، بين التاريخ والجغرافيا والإنسان بما هو سلطة تفرض إرادتها ورغبتها. فاللاذقية كانت عنده دوماً جزءاً من الامبراطوريات الكبرى، التي تأسست على حوض البحر المتوسط؛ وبالتالي، فقد اعتبر تاريخها جزءاً لا يتجزأ من تاريخ هذه الامبراطوريات.

مضمون آثار الحقب في لاذقية العرب

يتضمن هذا الكتاب معلومات ومعارف لا حصر لها ولا عدّ. وهي تقسم إلى قسمين كبيرين: معارف جغرافية ومعارف تاريخية. هذه المعارف هي كل موحد لا يتجزأ. فبعضها يتعلق بواقع الأمور التي كان المؤلف يعيش فيها، وبعضها الآخر يساعد على فهم هذا الواقع. أما تقسيم هذه المعارف على هذا الشكل، فهو من أجل دراسة هذا الكتاب والتعرف إلى مضمون مادته.

أ ـ المعارف الجغرافية كثيرة جداً. ويمكن القول، بأنه لم يترك فرعاً من فروع الجغرافيا إلّا خاض فيه. وهذه المعارف هي الأخرى تقسم إلى قسمين: معارف جغرافية عن مدينة اللاذقية، وأخرى عن لواء اللاذقية.

1 ـ المعارف الجغرافية عن مدينة اللاذقية، وما دام هناك أكثر من لاذقية، فقد أراد

(1) تاريخ الحروب الصليبية، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص 507 حاشية رقم 1؛ و

Encyclopedie de l'Islam, nouvelle édition, Paris 1975, p. 532.

لمواطنه أن يعرف أن موقعه على الأرض، هو في «لاذقية العرب»؛ وحدد له موقعها بدقة، فهي على ريف البحر المتوسط في إقليم سوريا؛ كما حدد له بدقة أيضاً الدائرة الفلكية التي يدور في نطاقها[1].

ولما كانت اللاذقية مركز لواء وأكبر مدنه، فقد أراد لمواطنه أن يعرف عنها عدداً من المعارف الجغرافية، ليكون عارفاً وملماً ـ على الأقل ـ بالمكان الذي يقيم فيه ومن أهم هذه المعارف:

الأولى، وهي أن المدينة، كانت تتألف من قسمين منفصلين عن اسكلتها، شأنها في ذلك، شأن كل مدن الساحل الشرقي للبحر المتوسط. فالأسكلة هنا «متراس» (rempart) المدينة المتقدم عنها مسافة ليست بالقليلة، تسمح لسكانها ـ في ذلك الوقت ـ أن يخرجوا منها ويستعدوا للدفاع عن أنفسهم ومدينتهم في وجه الأعداء المهاجمين والطامعين. علماً، أن المماليك، كانوا في عهد سيطرتهم على هذا الساحل، قد لجأوا «إلى ردم الموانىء لمنع سفن الأعداء من دخولها»[2]. خاصة بعد أن هزموا الصليبيين وأجبروهم على الرحيل عن هذا الشاطىء.

الثانية، أراد لمواطنه أن يعرف شيئاً عن التجمع البشري الذي يعيش فيه؛ هذا التجمع هو عبارة عن مجموعات بشرية متعددة الأديان والطوائف والمذاهب والأجناس؛ وإنّ عدد

---

(1) حدد صاحب اثار الحقب في لاذقية العرب موقع اللاذقية على خطوط الطول وخطوط العرض، بإشارته إلى أنها تقع في الدرجة 35 والدقيقة 25 من العرض الشمالي؛ وعلى الدرجة 33 والدقيقة 42 من الطول الشرقي. غير أن مصادر السلطنة العثمانية، أشارت إلى أن قصبة اللاذقية تقع على الدرجة 35 والدقيقة 30 من العرض الشمالي؛ وفي الدرجة 35 والدقيقة 45 من خط الطول الشرقي. ولمزيد من الايضاح حول هذه المسألة، تراجع: سالنامة ولاية بيروت لعام 1318هـ دفعة اولى، ص 252، عربها عن التركية العثمانية المهندس حسين محمد، من بلدة الكواشرة؛ وسكان هذه القرية من التركمان وما زالوا حتى اليوم يعرفون اللغة التركية العثمانية قراءة وكتابة ويعلمونها لابنائهم جيلاً بعد جيل من أجل الحفاظ على تراثهم.

(2) فيليب حتي، لبنان في التاريخ، تعريب انيس فريحة ومراجعة نقولا زيادة، بيروت ـ نيويورك 1959، ص 359.

أنفس هـذا التجمـع، حسـب الإحصاء الرسـمي لعـام 1866، هـو 11200 نسـمة؛ وعلـى الصعيـد الدينـي فهـم مسـلمون ومسـيحيون؛ أمـا اليهـود فقـد انقرضـوا مـن هـذه المدينـة ـ لسـبب أو لآخـر ـ فـي أواخـر القـرن الثامـن عشـر. وعلـى الصعيـد الطائفـي، فالمسـلمون هـم السـنة، أمـا المسـيحيون فهـم مـن الـروم الارثوذكـس والموارنـة والبروتسـتانت؛ وعلـى صعيـد الأعـراق، فهـم مـن العـرب والأرمـن، وهـؤلاء بـدأوا بالوفـود إليهـا فـي القـرن الثامـن عشـر؛ هـذا بالإضافـة إلـى عـدد قليـل مـن اللاتيـن. وهنـا لا بـد مـن الإشـارة إلـى أن السـلطنة العثمانيـة كانـت تعتبـر أن المسـلمين هـم السـنة، وأن المسـيحيين هـم الارثوذكـس؛ وأن مـا عـدا هـؤلاء أمسـلمين كانـوا أم مسـيحيين فهـم مـن أهـل البـدع[1].

الثالثـة مـن هـذه المعـارف، التـي أراد لمواطنـه أن يعرفهـا، فهـي تتعلـق بالهيئـة الاجـتماعية العموميـة فـي اللاذقيـة. فهـي علـى حـد تعبيـره «كباقـي مـدن سـوريا أو بالحـري البـلاد العثماينـة، علـى غيـر مـا يُحـب ويرتضـي. وعلـة ذلـك اختـلاف المذاهـب الحاجـز للائتـلاف فيمـا بيـن المسـلمين والنصـارى». إنّ هـذا الوضـع ـ فـي ظـل التماسـك الاجتماعـي الهـش وحالـة الجهـل المتفشـية ـ يـؤدي برأيـه إلـى نتيجتيـن مضرتيـن بالجميـع:

1 ـ زيـادة التباعـد وعـدم الاختـلاط وحرمانهمـا مـن منافـع مشـتركة مـن جهـة، وتضييـع حقوقهمـا مـن جهـة ثانيـة.

2 ـ إنّ هذا الوضع يمكّن الباغين من الحكام أن ينفذوا مآربهم فيهم جميعاً.

وليكـون مواطنـه علـى بينـة مـن الوضـع الاجتماعـي فـي اللاذقيـة، تحـدث عـن كل فئـة مـن فئـات مجتمعهـا. والفئـة هنـا فئـة دينيـة، وعلـى الأصـح ـ إذا اسـتثنينا حديثـه عـن النصـارى ـ فهـي فئـة طائفيـة تحتـوي فـي داخلهـا مسـتويات اجتماعيـة متعـددة. ومـن أهـم مـا أشـار إليـه عـن كل فئـة مـن هـذه الفئـات:

فحـول هيئـة المسـلمين الاجتماعيـة فـي اللاذقيـة وعوائدهـم، أشـار إلـى الأعمـال التـي

(1) حول النظرة العثمانية إلى الطوائف الإسلامية والمسيحية، يراجع: رفيق التميمي ومحمد بهجت، ولاية بيروت، دار لحد خاطر، بيروت 1979، القسم الجنوبي، ص 9-15.

يقومـون بهـا، وإلـى حالتهـم العلميـة المتأخـرة بالنسـبة للنصارى وإلـى حالتهـم المعشـرية المتأخـرة أيضـاً، وإلـى قلـة ميلهـم لرفاهيـة المعيشـة والطـرب والانشـراح، وإلـى طريقـة تمضيـة أوقـات فراغهـم، وإلـى طريقـة تنـاول طعامهـم، وإلـى عـدم ميلهـم إلـى الإكثـار مـن أصنـاف الطعـام. خـلال الوجبـة الواحـدة، وإلـى عـدم تعيّرهـم بالعمـل مهمـا كان هـذا العمـل وضيعـاً، وإلـى تعاطـي الكثيريـن منهـم المسـكرات ومبالغـة البعـض منهـم بالشـراب إذا شـربوا، وإلـى ملابسـهم التـي يرتديهـا: العامـة والعلمـاء، والمشـايخ والأفنديـة، والآغـاوات وغيرهـم، وإلـى النسـاء وطريقـة حياتهـن، وإلـى وصـف أعراسـهم ومعالجـة مرضاهـم الموكولـة عـادة للطبيعـة، وإلـى حزنهـم وسـهولة عزائهـم بعـد دفـن الميـت.

وحـول هيئـة النصارى الاجتماعيـة فـي اللاذقيـة وعوائدهـم قـال: «لقـد كان النصـارى فـي الجيـل الماضـي فـي هيئتهـم الاجتماعيـة وملابسـهم وسـائر عوائدهـم لا يفترقـون عـن المسـلمين». غيـر أنهـم فـي أوائـل هـذا الجيـل، «ابتـدأوا بتغييـر بعـض تلـك العوائـد متنقليـن شـيئاً فشـيئاً، حتـى انتهـوا إلـى مـا هـم عليـه الآن». (أي فـي عـام[1] 1873)(*). وأشـار إلـى الوظائـف والصنائـع التـي يقومـون بهـا، وإلـى حالتهـم العلميـة المتقدمـة، وإلـى معشـرهم وميلهـم الطبيعـي للهـو والطـرب، وإلـى اقتباسـهم عوائـد الافرنـج فـي تنـاول طعامهـم، وإلـى ترفعهـم عـن تعاطـي أي نـوع مـن الأعمـال الحطيطـة، وإلـى ملابـس رجالهـم الذيـن اعتمـدوا فيهـا الـزي المصـري فالافرنجـي، وإلـى حيـاة نسـائهم التـي كانـت فـي السـابق كحيـاة النسـاء المسـلمات إلـى أن راحـت تتطـور مـع كثـرة الاحتـكاك بعائـلات الافرنـج التـي وفـدت إلـى المدينـة واسـتوطنت فيهـا، وإلـى تبـادل الزيـارات وتمضيـة أوقـات الفـراغ واللهـو، وإلـى حسـنات ومسـاوىء الاختـلاط بيـن النسـاء والرجـال، وإلـى اقتناعـه بأهميـة تعليـم النسـاء وإلـى ملابسـهن التـي باتـت كملابـس النسـاء الافرنجيـات، وإلـى العوائـد فـي خطوبـة وأعـراس وزواج النصـارى، وإلـى عاداتهـم فـي المـرض والمـوت والحـزن والحـداد.

ورابعـة هـذه المعـارف التـي أراد لمواطنـه أن يعرفهـا، عـن مدينـة اللاذقيـة، فهـي دينيـة

(*) عام 1873، هو العام الذي شرع فيه الياس صالح اللاذقي بكتابة آثار الحقب في لاذقية العرب.

وسياسية في آن معاً. وفي هذا المجال، أعلمه أن مركز كرسي مطران الروم الأرثوذكس، تابع للبطريرك الانطاكي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يوجد فيها لكل من دول: انكلترا، وفرنسا، وروسيا، والمانيا، واميركا، والنمسا، واسبانيا، وايطاليا، وهولاندا، والدانمارك، واليونان وايران، «نائب قنصل» (Vice consul). وأشار إلى أن جميع هؤلاء وطنيون أو متوطنون في اللاذقية، وليس لأي منهم معاش من الدولة المنصوب من قبلها. إنما يتخذ كل منهم الوظيفة، للحصول على الشرف والاعتبار الذي توفره له هذه الوظيفة من جهة ولحماية نفسه وأشغاله وأملاكه من جهة أخرى. لكن ما فاته قوله، هو أن مصالح هؤلاء، كانت في أكثر الأحيان تتطابق كلياً مع مصالح هذه الدول التي كانوا يمثلونها.

2 ـ المعارف الجغرافية عن لواء اللاذقية، في هذا المجال، يمكن أن تصنف المعارف الكثيرة، التي ساقها لمواطنه على صعد عدة.

أ ـ على الصعيد الاجتماعي، أشار إلى أن سكان اللواء، هم من النصيرية والإسماعلية، من المسلمين والمسيحيين. وقدم له «لائحة ديموغرافية» (Bordereau démographique)، بيّن له فيها أعداد كل طائفة، وتوزع كل منها على المقاطعات، مستنداً في ذلك، إلى الإحصاء الرسمي، الذي جرى لأول مرة في اللواء عام 1866. كما أعطاه لوحة عن مواصفات كل منها، مبتدئاً بالنصيرية بوصفهم الطائفة الأكثر عدداً وانتشاراً في اللواء. ومن أهم ما أشار إليه عن كل طائفة من هذه الطوائف:

بالنسبة للنصيرية، أشار إلى حالتهم التي يرثى لها، وإلى جهلهم وتأخرهم وقلة من يعرف القراءة والكتابة بينهم، وإلى خشونتهم، وإلى عدد من صفاتهم غير الحميدة، وإلى عشائرهم وانقلابها على بعضها البعض، وإلى تمردهم على الحكومة وتخلفهم عن أداء الأموال المطلوبة منهم، وإلى تخلفهم عن أداء الخدمة العسكرية، وإلى غزوهم قرى الساحل والإخلال بالأمن والسلامة العامة، وإلى قيام السلطنة والحكومات المحلية بسوق الحملات العسكرية عليهم. وأشار إلى تركيب العشيرة عندهم؛ وفي هذا المجال توقف مطولاً عند هذه المسألة مشيراً إلى أن كل واحدة منها تتألف من ثلاث طبقات:

الأولى، طبقة المشايخ خدمة الدين. فهؤلاء يتفاوتون فيما بينهم في الغنى والعلم والنسب، ويتميزون عن غيرهم باعتمار العمائم البيضاء التي يسمونها شاشاً. ويوجد في هذه الطبقة ثلاث رتب: الإمام، والنقيب والنجيب والعامة من هذه الطبقة تطيع كل هؤلاء طاعة عمياء، ويقبلون كل ما يرسمونه من الطقوس، معتقدين بأنهم معصومون من الغلط وقادرون على منع الضرر عنهم، كمنع سريان الأمراض في جميع الناس والحيوانات مهما كانت، كما أنهم قادرون على إلحاق الضرر بهم. الدواء عندهم الأحراز والرقى، وهم يعيشون غالباً في هذه الشعبذة، ومن الأوقاف النذور والزكاة وغير ذلك. ولا يتجاسر أحد من العامة أن يغيظ شيخاً منهم، لأنه إذا ألقى عليه الحرم يمسي بأسوأ حال، إذ لا يعود أحد من النصيرية يقترب منه أو يخالطه أو يكلمه فيضطر إلى إرضاء الشيخ بما عزّ وهان ليحله من رباط الحرم.

الثانية، طبقة المقدمين، وهؤلاء هم أصحاب الأرض والنفوذ. وهم أيضاً على تفاوت في الغنى والجاه والنسب.

الثالثة، طبقة الفلاحين، وهم من العامة المساكين. ويحسبون بالنسبة إلى أرباب الطبقتين الأوليين كالعبيد. إذ ليس لهم ملك ولا تقدم في طائفتهم. وعليهم الأتعاب والخدمة ومنهم أيضاً الأنفار العسكرية. وأشار إلى أنه لا يوجد فرق كبير بين المقدمين منهم والرعاة من حيث السكن والمأكل إلا نادراً. غير أن المقدمين هم أحسن لباساً، فإنهم يلبسون غالباً طرابيش بشرابات طويلة ولبادات ويتعممون بجملة عصائب أو بزنار حرير، ويلبسون سراويل أبيض أو من الجوخ أحياناً وزناراً عريضاً ويشكون أسلحة في مناطقهم.

وتحدث عن وضع المرأة وقدرها عند هذه الطائفة، وعن قيامها بعمل المرأة في البيت وعمل الرجل في الأرض ولا سيما في الزراعة وخاصة زراعة التبغ. وأشار إلى بيوتهم الشبيهة بالأكواخ، وإلى طريقة ومستوى معيشتهم، وإلى الأعمال التي يقومون بها، كندف القطن وغزله وحياكته، وإلى تعاطي صنعة السكافة. وأشار إلى دينهم على أنه فرع من الطائفة الباطنية؛ فمنهم من يعبد بعض الأجرام السماوية على أنها ظهورات للإمام علي بن أبي طالب، الذي ينتحلون فيه الألوهية؛ كما توقف عند طقوسهم الدينية، فأشار

إلـى امتزاجهـا مـن طقـوس النصـارى والمسـلمين واليهـود والصابئيـن؛ وأنهـم ينتسـبون إلـى اربـع فـرق: الكلازيـة، والشـمالية، وعبـدة الشـفق ويدعـون مواخسـة، وعبـدة الهـواء ويقـال لهـم غيبيـة؛ كمـا أنهـم يعتقـدون بتناسـخ الأرواح. وأشـار إلـى أعيادهـم بأنهـا كثيـرة وبأنهـا أعيـاد للمسـلمين وللمسـيحيين والوثنييـن، وبذلـك، فهـي مزيـج مـن طقـوس كل الديانـات التـي عرفتهـا البشـرية عبـر التاريـخ. كمـا أشـار إلـى أن مـن قواعـد دينهـم المحافظـة علـى كتمانـه وعـدم إباحتـه حتـى لـو أصبحـوا فـي أعظـم الخطـر حتـى المـوت؛ وإلـى عـدم تسـليمه إلـى أي أحـد مـن أولادهـم مـا لـم يبلـغ مـن العمـر ثمانيـة عشـر عاماً أو عشـرين؛ وإذا بلـغ هـذه السـن وعولـوا علـى تسـليمه أسـرارهم الباطنيـة، يجتمـع جمهـرة منهـم مؤلفـة مـن عامـة النـاس وخاصتهـم، ويجـري ذلـك وفـق مراسـم وطقـوس؛ ويقتـل مـن يبـوح بسـر الديـن بعـد أن يتسـلمه؛ وأشـار إلـى أنهـم يكتمـون ديانتهـم عـن النسـاء لأسـباب ليسـت خافيـة علـى أحـد. كمـا توقـف عنـد وضـع المـرأة فـي هـذه البيئـة الدينيـة، والـى عاداتهـم فـي الـزواج، وإلـى تعـدد الزوجـات وتبـادل النسـاء، والـى الاحتفـال بأعراسـهم؛ وإلـى عاداتهـم فـي الحـزن والـى مزاراتهـم الكثيـرة.

- وبالنسـبة للإسـماعيليين، فقـد أراد لمواطنـه، أن يعـرف أنهـم مـن بقايـا الطائفـة المشـهورة، التـي كانـت منتشـرة فـي بـلاد الشـام، وكان فـي يدهـا أشـهر المعاقـل والحصـون؛ وإنهـم فـرع مـن الطائفـة الباطنيـة؛ التـي تعتقـد بشـيء مـن ألوهيـة الإمـام علـي بـن أبـي طالـب؛ وإنّ مـن جملـة عقائدهـم «عبـادة الفـرج»؛ وإنهـم فـي الليلـة الأولـى مـن كل سـنة يكـون عندهـم «عيـد البقبيشـة»؛ وتجـري مـن أجـل هـذا العيـد مراسـم خاصـة[1].
- وبالنسـبة للنصـارى المنتشـرين فـي لـواء اللاذقيـة، أراد لمواطنـه أن يعـرف عنهـم أمريـن: الأول، أنهـم قليلـوا العـدد، ومتفرقيـن بيـن النصيريـة والمسـلمين. ولذلـك، ليـس لهـم عوائـد مسـتقلة خاصـة بهـم. فمـن هـم بيـن النصيريـة تتشـابه عوائـده بعوائدهـم، ومـن هـم بيـن المسـلمين تتشـابه عوائدهـم فـي الغالـب منهـا بعوائـد المسـلمين. أمـا الأمـر الثانـي فهـو أنـه،

(1) لمزيد من الايضاح حول النصيرية والاسماعيلة والأفكار الأخرى التي طرحت، يراجع: رفيق التميمي ومحمد بهجت، ولاية بيروت، مرجع سابق، القسم الشمالي، ص 78 ـ 100.

لكـي يتمكـن النصـارى القليلـون القاطنـون بينهـم أن يعيشـوا غالبـاً بأمـن واطمئنـان، فـإن كل فئـة منهـم، تشـترك بالـدم مـع إحـدى العشـائر. وبالتالـي يصيـر لهـا مـا لهـم وعليهـا مـا عليهـم.

- وعـن مسـلمي المقاطعـات فـي لـواء اللاذقيـة، فقـد أعلـم مواطنـه عنهـم عـدة أمـور، مـن أهمهـا: أنهـم أقـل جهـلاً وأحسـن عيشـة مـن النصيريـة. ولأكابرهـم بيـوت مناسـبة وأثـاث نظيـف. وحيثمـا دخلـت فـي قراهـم، تجـد منـزلاً عنـد كبيـر القريـة، خصوصـاً إذا كان مـن «الآغـاوات». ومـن عاداتهـم قـري الضيـف. غيـر أنهـم منقـادون للحكومـة ولا يميلـون للتشـويش ولا للسـرقة وقطـع الطـرق. لكنـه يسـتثني مـن هـذه الصفـات مسـلمي «مقاطعـة صهيـون». فقـد ذكـر عـن هـؤلاء أنهـم مماثلـون للنصيريـة فـي معيشـتهم وتعدياتهـم وحبهـم للفتـن، وميلهـم للسـلب وقطـع الطـرق وسـفك الدمـاء. ويضيـف عنهـم قولـه: «ولطالمـا أضـروا بأبنـاء السـبيل وقـرى السـاحل، ومـع أن لهـم مـا للنصيريـة مـن الجرائـم والذنـوب، لـم تشـهر عليهـم الحكومـة قـط عصـا التأديـب، التـي طالمـا اشـهرتها علـى النصيريـة، ومـا ذلـك إلّا لتحـزب مسـلمي اللاذقيـة لهـم ومحاماتهـم عنهـم المحامـاة التـي تبعثهـم عليهـا العصبيـة والغيـرة المذهبيـة». وأشـار إلـى أن هـذه المحامـاة تـؤدي إلـى أمريـن: الأول، هـو تمـادي الصهاونـة فـي الفجـور وارتـكاب المخالفـات؛ والثانـي، هـو مـا يلحقونـه مـن ضـرر بحـق عبـاد اللـه ولا سـيما الأبريـاء منهـم.

وهنـا، فـي نهايـة مـا أشـار إليـه اليـاس صالـح اللاذقـي، حـول معتقـدات النصيرييـن والإسـماعيليين الدينيـة، بـأن مـن قواعـد دينهـم المحافظـة علـى كتمانـه وعـدم إباحتـه ولـو أصبحـوا فـي أعظـم الخطـر حتـى المـوت؛ وحـول أعيادهـم بأنهـا كثيـرة وهـي إسـلامية ومسـيحية، يهوديـة وصابئيـة ووثنيـة، وفـي ظـل وجـود كل ذلـك، يطـرح التسـاؤل التالـي: هـل هـذا الأمـر صدفـة فـي هـذه المنمطـة بالـذات؟ أم أن المسـألة هـي أبعـد مـن ذلـك بكثيـر؟

إننـا نطـرح هـذا التسـاؤل، ليـس مـن أجـل الإجابـة عليـه إجابـة وافيـة شـافية. فالمجـال هنـا، لا يتسـع لمثـل هـذا الأمـر. لكـن مـا يمكـن قولـه ـ فـي هـذا المجـال حتـى الآن ـ هـو أن إحـدى القبائـل، وهـي «قبيلـة الحشيشـة» (Tribu des Assassins)، كانـت تقيـم فـي هـذه المنطقـة؛ وتتشـارك

مـع أهلهـا فـي السـكن معهـم، وهـم مـن أتبـاع «شـيخ الجبـل» (Le veillard de la Montagne) يؤمنـون بـه وينفـذون أمـره مهمـا بلـغ مـن الصعوبـة والخطـورة والحاجـة إلـى الوقـت مـن أجـل تنفيـذه. وقـد وصـل الأمـر بشـيخ هـذه القبيلـة، فـي فتـرة حكـم عمـوري الأول (Amoury 1er) (1163-1174) وبالتنسـيق معـه وعبـره مـع ملـوك أوروبـا، أن يعمـل بيـن قومـه، مـن أجـل أن يحملهـم علـى اعتنـاق معتقـد جديـد، يكـون محتويـاً علـى شـيء مـن المسـيحية، وآخـر مـن الإسـلام، وثالـث مـن المعتقـدات الدينيـة الأخـرى، التـي مـا زالـت عالقـة فـي نفـوس النـاس.

غيـر أن البابـا، أفسـد هـذه الخطـة، بقتـل رسـول «شـيخ الجبـل»، إلـى الملـك عمـوري أثنـاء عـودة هـذا الرسـول مـن عنـد الملـك، علـى يـد أحـد «فرسـان الداويـة»، الذيـن كان البابـا قـد حماهـم بوضعهـم تحـت رعايتـه منـذ عـام 1154. وقـد حصـل مقتـل هـذا الرسـول بالرغـم مـن الحمايـة المشـددة، التـي كان الملـك قـد بعثهـا معـه. وكان مـن نتيجـة هـذه الحادثـة، ووقـوف البابـا موقـف الحامـي للقاتـل[*]، أن باتـت مملكـة القـدس والملـك والكنيسـة فـي وضـع لا يحسـدهم عليـه أحـد. خاصـة بعـد أن قـرر الملـك أن يقتـص مـن الجانـي أيـاً تكـن النتيجـة؛ وأن يرسـل المبعوثيـن والرسـل مـن ذوي المرتبـة السـامية إلـى ملـوك أوروبـا وأمـراء الأرض[1].

إننـا إذ نشـير إلـى هـذه المسـألة، فمـن أجـل أن تولـى العنايـة الكافيـة التـي تسـتحقها مـن المؤرخيـن والباحثيـن، مـن أجـل الكشـف عـن أسـباب انتشـار هـذه المعتقـدات الدينيـة الكثيـرة فـي هـذه المنطقـة، وعـن الغايـة الحقيقيـة مـن النقاشـات التـي دارت بيـن رسـول «شـيخ الجبـل» ومندوبـي الملـك عمـوري، ولمعرفـة مـا إذا كانـت مسـألة وضـع ديـن جديـد كانـت مسـألة جديـة

(*) أشار وليم، رئيس اساقفة صور، مؤرخ الحروب الصليبية، ان من قتل «عبدالله»، رسول «شيخ الجبل»، زعيم الحشيشية، إلى الملك عموري، هو واحد من فرسان الداوية، يدعى «وولتر دي ميسيلو». وان هذا الأخير، هو رجل بعين واحدة وصاحب سمعة شريرة ويفتقر إلى التعقل تماماً. كما كان المدبر الحقيقي للجريمة. وعندما طلب الملك عموري من مقدم الداوية ان يرسل إليه «وولتر» ليقتص منه، أشار المقدم في جوابه على رسالة الملك بأنه حظّر نيابة عن البابا على أي إنسان القبض عليه أو الحاق الضرر به. تاريخ الحروب الصليبية، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص 968.

(1) لمزيد من الايضاح حول الأفكار التي طرحت، يراجع: تاريخ الحروب الصليبية مرجع سابق، الجزء الخامس، 965-969.

يجري البحث فيها منذ ذلك الوقت. لاسيما وأن هذه المسألة قد عادت إلى الظهور في أوروبا مع «أوغست كونت» (Auguste Comte) (1798-1857)[*] وغيره من الفلاسفة. فقد رأى هذا الفيلسوف، «أن المجتمع يتدهور وتجب إعادة تنظيمه، لكنه لا ينتظم إلا بسلطة روحية توحد العقول» وينتهي به المطاف إلى رؤية الخلاص بتأسيس دين وضعي جديد يحل محل الدين التقليدي ويكون البديل الشرعي لسائر الأديان[1]. فهل التقط «أوغست كونت» ذلك الخيط الذي وضعه ملك القدس مع ملوك أوروبا ببناء هذا الدين في الشرق بعيداً عن سلطة البابا؟

ب ـ على الصعيد الاقتصادي

قدم الياس صالح اللاذقي لمواطنه في هذا المجال معارف كثيرة في ميادين اقتصادية كثيرة. ففي الميدان الزراعي أشار إلى أن الزراعة في لواء اللاذقية ما زالت غير متقنة كما يجب. فهي ما زالت على الطريقة القديمة، بالرغم من محاولات البعض تغيير هذه الطريقة، مستعينين في ذلك بمزارعين ألمان من ذوي الخبرة. وأشار إلى أن الأرض متوسطة الخصب، يغلّ الواحد سبعة أمثال من القمح في السنة المعتدلة الموسم في الساحل؛ أما أراضي الجبال فهي أكثر خصوبة وتغل أكثر. ومن الشائع أن أصحاب الأرض هم من أبناء البلاد؛ لكن المزارعة[2] هي الشكل السائد بين المالكين والفلاحين. أما في

(*) اوغست كونت، فيلسوف فرنسي، ولد في «مونبليه» (Montpellier) بجنوب فرنسا عام 1791، وتوفي في باريس عام 1857، صاحب الفلسفة الوضعية Positivisme . ولمزيد من الايضاح، يراجع:

le petit Robert des noms propres, Paris 2000, p. 493, et le petit Larousse illustré, Paris 2008, p. 1244.

(1) مخائيل عون، مقالة بعنوان «أوغست كونت بين العلم والفلسفة» منشورة في جريدة النداء، العدد 190 الصادر يوم الجمعة 6 تموز 2012، ص 32-33.

(2) المزارعة، «نوع شركة، على كون الأرض من طرف والعمل من طرف آخر»، يعني أن الأرض تزرع، والحاصلات تقسم بينهما. ومن مستلزمات المزارعة: الأرض، والبذر، والعمل والبقر. وتصح المزارعة في ثلاثة أوجه: لواحد أرض وبذر، وللآخر بقر وعمل ـ لواحد عمل فقط، وللآخر أرض وبقر وبذر ـ لواحد أرض فقط وللآخر عمل وبقر وبذر. وتبطل المزارعة في أربعة أوجه: إذا كانت الأرض والبقر لأحدهما، والبذر والعمل للآخر؛ إذا كان البقر والبذر لأحدهما والأرض والعمل للآخر؛ إذا كان البذر لأحدهما والباقي للآخر؛ إذا كان البقر من واحد والباقي من الآخر. أما أركان المزارعة فهي: الايجاب والقبول؛ كون العاقدين عاقلين شرط، لكن ان يكونا بالغين ليس بشرط إذ يجوز للصبي المأذون عقد المزارعة؛ يشترط تعيين ما يبذر وإذا فقدت المزارعة هذا الشرط يزرع الفلاح ما يشاء؛ يشترط تعيين حصة الفلاح عند العقد جزءاً شائعاً من الحاصلات كالنصف والثلث؛ كون الأرض صالحة للزراعة عند تسليمها للفلاح. وإذا فقد شرط من هذه الشروط المذكورة، تكون المزارعة فاسدة. ولمزيد من الإيضاح عن المزارعة وشروطها وأركانها، تراجع: «*مجلة الأحكام العدلية*»، من اعداد: أحمد جودت، أحمد خلوصي، أحمد حلمي، علاء الدين ابن عابدين، خليل سيف الدين ومحمد أمين الجندي، عرّبها عن التركية العثمانية سليم بن رستم باز 1286هـ من المادة 1431-1440، ص 700-705. سنشير إليها لاحقاً: *مجلة الأحكام العدلية*، مصدر سابق.

عملية الغـرس، فالسائـد هو المساقاة أو المغارسة[1]، وهي شكل آخر من أشكال العلاقات الزراعية.

وفــي الميــدان الصناعــي، أشــار إلــى أن الموجــود مــن الصناعــات هــو فــي مدينــة اللاذقيــة، وهــو الضـروري منهـا والـلازم وجـوده فـي أصغـر المـدن. وهـي بمعظمهـا صناعـات حرفيـة، كالصباغـة والحياكـة والعقـادة والسـكافة والحـدادة والتنكريـة والنجـارة والبنـاء وعمـل الفخـار وصناعـة الطحيـن والخبـز والصابـون وعصـر الزيتـون والسمسـم وحلـج القطـن وكبسـه. هـذه الصناعـات جاريـة علـى الأصـول القديمـة، الموروثـة عـن الآبـاء والأجـداد. وهـي لـم تبلـغ بعـد درجـة الإتقـان. وفـي هـذا المجـال أكـد مسـألة مهمـة، وهـي أن صنعـة الحياكـة، كان يعيـش منهـا كثيـرون، رغـم أنهـم كانـوا لا يحيكـون سـوى الأقمشـة البسـيطة كالخـام والحريـر، اللازمـة للأقمصـة؛ لكـن بعـد دخـول

---

(1) المساقاة، «نوع شركة على ان يكون أشجار من طرف وتربية من طرف آخر، ويقسم ما يحصل من الثمر بينهما». وكانت تجري على الكروم والشجر وجميع البقول وأصول الباذنجان والنخل والحور والصفصاف مما لا ثمر له؛ وتدعى أيضاً مغارسة. ومن أركانها: الإيجاب والقبول. فإذا قال صاحب الأشجار للعامل أعطيتك اشجاري هذه بوجه المساقاة على أن تأخذ من ثمرتها كذا حصة وقبل العامل الذي يربي الأشجار تنعقد المساقاة. ولانعقاد مثل هذه الشركة يجب أن تتوافر بين العاقدين شروط: أن يكون العاقدين عاقلين، أن تكون حصة العاقدين في عقد المساقاة جزءاً شائعاً كالنصف والثلث، تسليم الأشجار إلى العامل، تقسيم الثمر بين العاقدين ولمزيد من الايضاح حول المساقاة وشروطها راجع: *مجلة الأحكام العدلية*، مصدر سابق، المادة 1441 وشروحاتها، ص 705-706.

الأقمشة الافرنجية إلى هذه البلاد، أخذ يتناقص رواج المحوكات البلدية حتى باتت نادرة.

وفي مجال حديثه عن تجارة اللاذقية، أراد لمواطنه أن يعرف ما يصدّر منها وما يرد إليها. فما تصدره هو: الحنطة، والشعير، والقطن، والسمسم، والذرة، والاسفنج، والصوف، والأخشاب، والشمع، والسمن، والزيت، والصابون، وجلود الحيوانات، والخرق البالية وعظام الحيوان. غير أن التبغ هو أهم هذه الصادرات وهو جنسان: جبلي وجدار. وتبرز أهمية هذا المحصول من خلال الاهتمام الرسمي بزرّاعه وتجاره، من قبل السلطنة العثمانية نفسها. وأشار أيضاً إلى أن صادرات اللاذقية قسمان: منها ما هو من حواصل اللواء المحلية كالاسفنج والشرانق؛ ومنها ما هو مختلط من الحواصل المحلية، ومن حواصل جسر الشغور وإدلب كالقطن والصوف والحبوب. كما أشار إلى الجهات التي تصدر إليها هذه المحاصيل والى كمياتها وأثمانها بأرقام عام 1872. أما الأصناف التي ترد إلى اللاذقية، فهي تتألف من أقمصة الحرير والصوف والقطن الأوروبية المختلفة؛ والأرز الافرنجي والمصري والسكر والبن وزيت البترول وغير ذلك. أما بالنسبة إلى جنسيات السفن التي ترسو في ميناء اللاذقية وتبحر منه، فقد أشار إلى أنها نوعان: بخاري وشراعي. البخارية منها: فرنسية وروسية وعثمانية وانكليزية؛ أما الشراعية فهي عثمانية وانكليزية ويونانية وبيرق أورشليم. كما أشار إلى أعداد السفن البخارية والشراعية لكل دولة؛ والى حمولة كل منها بالطن، والى حمولة جميع هذه السفن.

وعن حيوانات اللواء، فقد أشار إلى الأليف منها: الخيل، والحمير، والبقر، والغنم، والمعزى، والجمال والجاموس؛ وإلى البري منها: الغزال، والأرنب، والخنزير، والثعلب، وابن آوى، والضبع، والدب ونوع من النمور يعيش في أعالي الجبال. كما أشار إلى طيور اللواء الأهلية والبرية. أما حواصل اللواء فهي: الزيتون، الزيت، التوت، الميس، الحور، الازدرخت، النخيل، الجميز، اللوز، الجوز، الصفصاف، السرو، الآس، القطن، الشرانق، العسل، الشمع، الاسفنج والصوف. ومن الفواكه: التين، العنب، التفاح، المشمش، الكمثري،

الخوخ، الدراق، الليمون على أنواعه المختلفة الرمان والصبّار. ومن الحبوب: الحنطة، الشعير، العدس، الكرسنة، الحمص، الفول، الذرة البيضاء والسمسم. ومن الرياحين: شجر الحناء، الورد، الياسمين، القرنفل، الفل والنرجس. كما أشار إلى أنواع من التبغ تنتج في الجبال وأكثره التبغ المسمى «مدخوناً» أو «جبلياً» ويقال له أيضاً «أبو ريحه». وذكر عدداً من المنتجات الصناعية التي تعتمد على منتجات زراعية كالخشب والتين، والخمر والزيت. وقدر قيمة حواصل اللواء السنوية بخمسة وثلاثين مليوناً من القروش.

وعن دخل السلطنة العثمانية وخرجها من لواء اللاذقية، أراد لمواطنه أن يعرف أن دخلها يتأتى من: ويركو الأملاك وتمتعات أهل المدينة، ويركو القرى مضروب على أهالي المقاطعات عن الذكور البالغين، بدل عسكرية مضروب على النصارى فقط، عشر المزروعات والاثمار، رسم الماعز والغنم، الرسومات الجمركية وتؤخذ على الصادرات والواردات من البضائع، رسم الطابو ويؤخذ على الأراضي لأجل إباحة التصرف بها وإثبات صحة التفرغ عنها وانتقالها من يد متصرف إلى آخر. أما الخرج، فهو يتألف من: معاشات المأمورين والكتّاب والضابطين والعساكر النظامية والمصاريف النثرية. وأورد جدولاً عن عام 1872، بيّن فيه دخل السلطنة وخرجها من قضائي اللاذقية وجبله اللذين كان يتألف منهما اللواء آنذاك. وقدّر دخل قضاء اللاذقية في هذا الجدول من 4604670.5 غرشاً، وخرجه من 635638 غرشاً، فتكون الزيادة لصالح الدخل من 3969034.5 غرشاً. أما قضاء جبله، فقد قدر دخله من 2472590 غرشاً، وخرجه من 500000 غرش، فتكون الزيادة لصالح الدخل من 1973590 غرشاً. وهكذا يكون ربح السلطنة السنوي الصافي من اللواء 5942093.5 غرشاً.

ج ـ على الصعيد الإداري

قبل أن تقع اللاذقية، في قبضة الحكم العثماني عام 1517، إثر معركة مرج دابق[1]،

(1) وقعت معركة مرج دابق بين المماليك والأتراك العثمانيين في 24 آب 1516.

نشير إلى هذا المرجع لاحقاً: Adel Ismail, *Documents Diphomatiques et consulaires relatids à l'Histoire du Liban*, tome 1, Beyrouth 1975, p. 328. *Documents... tome...* P

كانت المدينة قد تعرضت للتخريب جراء الحروب بين تيمورلنك المغولي وبين المماليك الجراكسة عام 1400. وبقيت اللاذقية مخربة وقليلة السكان. ولذلك، فمنذ بداية الحكم العثماني جعل مركز اللواء في «جبله». وبعد أن قضت السلطنة العثمانية على الأمير فخر الدين المعني[1]، رجعت اللاذقية وطرابلس تحت سلطة والٍ واحد كما كان الأمر سابقاً. وفي عهد «أرسلان باشا المطرجي» الذي تولى على طرابلس عام 1696 [2]، أعاد بناء بعض ما تخرّب[*] منها وأعيد إليها مركز الحكومة. إلّا أن السلطنة استمرت تطلق على اللواء «لواء جبله»؛ هذا بالاستناد إلى ما هو مقرر في قيودها الرسمية إلى حين دخولها تحت سلطة محمد علي باشا، حاكم مصر (1805 ـ 1849) عام 1832.

إذن، كان لواء اللاذقية جزءاً لا يتجزأ، من ممتلكات السلطنة العثمانية منذ بداية الحكم العثماني لبلاد الشام، حتى نهاية هذا الحكم ورحيله عنها عام 1918. وخلال هذه المدة غير القصيرة من التبعية، خضع للنظامين الإداريين اللذين اعتمدهما العثمانيون في إدارة امبراطوريتهم، هما «نظام الأيالت»، و«نظام الولاية»، تفصل بينهما مرحلة انتقالية. وقد أشار الياس صالح اللاذقي إلى هذين النظامين ليس من منطلق نظري، إنما من خلال ما رآه قائماً على أرض الواقع، والى ما شارك هو في تطبيقه.

لقد كانت رؤيته للأوضاع الإدارية رؤية دقيقة، لأنها تأتي من باحث، وُلد في آخر نظام الأيالت، وترعرع خلال المرحلة الانتقالية، وشارك من موقعه كموظف في تطبيق نظام الولاية. ومن المفيد هنا، أن نتوقف بشكل سريع عند هذين النظامين، لنتعرف إلى مضمونهما من جهة، وإلى الفرق بينهما من جهة ثانية. علماً أن بعض المؤرخين والباحثين يستعملون مصطلح الأيالت و «الأيالة» و «الولاية» كيفما اتفق، كأنهما مصطلح واحد ويحمل كل منهما مدلول الآخر.

---

(1) الامير فخر الدين المعني الثاني امير جبل لبنان 1590-1635.

Documents, tome 1, op. cit. p. 361

(2) *Documents, tome* 1, op. cit. p. 368

(*) جعل الياس صالح اللاذقي ولاية أرسلان باشا المطرجي، عام 1693.

أ ـ نظـام الأيالـت[1]، هـو نظـام إداري عسـكري، اعتمدتـه السـلطنة العثمانيـة لإدارة أراضيهـا مـن جهـة، ولخدمـة أغراضهـا العسـكرية مـن جهـة أخـرى. كان ذلـك، فـي عهـد السـلطان محمـد الثانـي (الملقـب بالفاتـح) 1451-1481 م. فبعـد جلـوس هـذا السـلطان علـى العـرش، وتحقيقـه لعـدد مـن الانتصـارات الهامـة، التـي أدت إلـى توسـيع رقعـة السـلطنة، أصـدر إرادتـه عـام 1476م/881هــ بتقسـيم الامبراطوريـة إلـى أيـالات. وبالاسـتناد إلـى هـذه الإرادة، يمكـن القـول بـأن هـذا النظـام، قـد ارتكـز علـى عـدد مـن المبـادىء، مـن أهمهـا:

1 ـ تطبيـق أحكـام الأراضـي عـلـى منهـج الشـرع الشـريف. وهـذا يعنـي أنـه يحـق للنـاس الإفادة مـن منافـع الأرض بـدون امتـلاك رقبتهـا. فملكيـة الرقبـة عائـدة إلى بيت مـال المسـلمين.

2 ـ تحويـل الضـرائب والحاصـلات، التـي كانـت قـد وضعـت قبـلاً وتؤخـذ مـن

(1) أيالت بفتح الهمزة وبتاء سكت طويلة، وإيالة بكسر الهمزة وبتاء قصيرة مصطلحان إداريان عثمانيان ساد استعمالهما في فترة تاريخية واحدة محددة 1476-1839 م. فالأيالت في هذه الفترة كانت أكبر وحدة إدارية، مقسمة إلى مقاطعات اقطاعية من كل الأنواع، على رأسها «بكلربكي» (Beglerbegi)، أي «بك البكوات»، وهو باشا «بطوغين» (مثنى طوغ)، وأحياناً بثلاثة أطواغ برتبة وزير، وهو بالإضافة إلى كونه مسؤول الأيالت، فقد خصص له مقاطعة من نوع خاص يتقاضى منها راتبه المخصص له. أما إيالة (بكسر الهمزة وتاء قصيرة)، فهي وحدة إدارية تتميز عن الأولى بعدة أمور: فهي أصغر من الأيالت، غير مقسمة إلى مقاطعات اقطاعية من أي نوع كان، على رأسها باشا أقل رتبة من باشا الأيالت، رايته تحمل طوغاً واحداً، يتقاضى مرتبه من خزانة السلطنة. وبلاد الشام (على سبيل المثال) كانت مقسمة إلى ثلاث أيالات من نوع «بكلربكويه» وهي: أيالت الشام أو بكلربكوية الشام، أيالت طرابلس الشام أو بكلربكوية طرابلس وأيالت حلب، أو بكلربكوية حلب. أما بالنسبة للايالات العربية الأخرى، فكانت من نوع «إيالة»، فقالوا على سبيل المثال؛ إيالة الحجاز، إيالة طرابلس (ليبيا)، إيالة تونس، إيالة الجزائر، مملكة فاس. ولمزيد من الايضاح حول هذين المصطلحين يراجع: عين علي افندينك، قوانين آل عثمان درمضامين دفتر ديوان، رسالة تركية كتبها امين «الدفتر الخاقاني» في السلطنة العثمانية، عام 1018هـ/1609م صفحات كثيرة: 24-26 و53-55 والرسالة من محفوظات المكتبة الظاهرية بدمشق؛ و *Documents, tome* I, p. 309.

«خـراج المقاسمـة» و«الخراج المـوظف»[1]، إلـى أقجـة (Akje) عثمـانيـة معينـة[2].

3 ـ تقسـيم أراضـي السـلطنة إلـى وحـدات إداريـة عسـكرية، تدعـى أكبرهـا «أيالـت» (Aayalat)؛ وتقسـم الأيالـت بدورهـا إلـى عـدد مـن الوحـدات الإداريـة تدعـى الواحـدة منهـا «سـنجقاً»؛ والسـجنق يشـتمل علـى عـدد مـن المقاطعـات الإداريـة العسـكرية أيضـاً؛ وهـذه المقاطعـات الإداريـة العسـكرية حسـب مقـدار دخلهـا ثلاثـة أنـواع: أصغرهـا «تيمـار» (Timar)، يقـدر دخلهـا مـن ثلاثـة آلاف أقجـة كحـد أدنـى إلـى حوالـى عشـرين ألفـاً كحـد أقصـى؛ وأوسـطها «زعامـت» (Za'amet) ، يقـدر دخلهـا من عشـرين ألفـاً إلـى حوالـى مئـة ألـف كحـد أقصـى؛ وأكبرهـا «خـاص» (khass)، يقـدر دخلهـا مـن مئـة ألـف أقجـة كحـد أدنـى إلـى مـا فـوق هـذا الحـد[3].

4 ـ تفويـض هـذه الوحـدات إلـى قـادة عسـكريين لإدارتهـا وتصريـف شـؤونها والدفـاع عنهـا. وهـم بحسـب رتبهـم ودرجاتهـم التراتبيـة وسـلطانهم مـن الأعلـى إلـى الأدنـى كمـا يلـي:

* الأيالـت، يعهـد بتصريـف شـؤونها إلـى «بكلربكـي» (Beglerbegi)، أي «بـك البكـوات»؛ ونسـبة إليـه فقـد دعيـت «بكلربكويـة»، وهـو برتبـة «أميـر أمـراء»، أو باشـا بطوغيـن وأحيانـاً بثلاثـة أطـواغ[4] برتبـة وزيـر، يتصـرف بمقاطعـة مـن نـوع خـاص.

---

(1) خراج المقاسمة: هو الشيء الذي تعيّن، على أن يؤخذ من حاصلات الأرض وقدره من العُشر إلى النصف بحسب تحمل الأرض؛ أما الخراج الموظف:

فهو مقدار معيّن من الدراهم توظف وتعيّن بوجه مقطوع على الأراضي. ولمزيد من الإيضاح حول هذين المصطلحين، يراجع: عبدالباقي الأيوبي وولده جلال، قاموس الحقوق، مج 3، ص 1211.

(2) أقجة عثمانية معينة: نقد عثماني من الفضة، يطلق عليه أيضاً أسبر (Aspre) . ولمزيد من الإيضاح يراجع: *Documents...* *tome* 1, p. 298 et P. 300.

(3) لمزيد من الإيضاح حول إرادة السلطان محمد الثاني والوحدات الإدارية العسكرية التي نصت عليها هذه الارادة، يراجع: عبد الباقي الأيوبي وولده جلال، قاموس الحقوق، مج 3، دمشق 1931، ص 1208-1209. سنشير إلى هذا المرجع لاحقاً: قاموس الحقوق، مج...، ص...؛ وساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط 3، بيروت 1965، ص 30 ـ 31. وسنشير إلى هذا المرجع لاحقاً: ساطع الحصري، المرجع السابق، ص...

(4) اطـواغ: جمـع طـوغ(tug)؛ وطـوغ كلمـة فارسـية، تعنـي ذيـل الحصـان، يرمـز إليـه بخصلـة شـعر، قـد تعلـق تحـت هـلال سـنجق الرايـة، التـي تتقـدم «موكـب الشـرف» (escorte) بمناسـبة احيـاء الأعيـاد الرسـمية فـي

=

* السنجق، يعهد بتصريف شؤونه إلى «سنجق بكي» أي «بك السنجق»، وهو برتبة لواء، وباختصار «ميرلوا»؛ ويتصرف بمقاطعة من نوع خاص، غير أن خاصه هو أصغر من خاص الباشا.
* الزعامت، يعهد بتصريف شؤونها إلى «زعيم» «Zaim» (*).
* التيمار، يعهد بتصريف شؤونها إلى صغار القادة العسكريين، ويدعى الواحد منهم «سباهي»(**) (Spahi) (1).

4 ـ إنّ منح مقاطعة من المقاطعات، إلى شخص ممن أشرنا إليهم، لم يكن يعني تمليكه القرى والأراضي والمزارع التي تتألف منها تلك المقاطعة؛ إنما يعني تفويضه حق جباية الأعشار والرسوم والضرائب المترتبة عليها. وكانت القرى والأراضي والمزارع تبقى تحت تصرف مالكيها، على أن يدفعوا الضرائب المترتبة عليها إلى متسلم المقاطعة، أو إلى من يوكله لتسلمها. على أن يتولى إعداد عدد من الخيالة والفرسان المحاربين وأن يجهزهم بكل ما يحتاجون إليه من أسلحة وخيول بنسبة فارس واحد عن كل ثلاثة ألف أقجة عثمانية من حاصل المقاطعة.

5 ـ وبموجب «نظام الأيالت» هذا، كان يعتبر «بك اللواء» آمراً ومرجعاً لجميع عساكر «التيمارات» و «الزعامتات» الداخلة في حدود لوائه. وإذا طلبت السلطنة أن تسافر الجيوش

= القسطنطينية. وحتى اليوم، ما يزال الغموض يلف مسألة نشأة هذا الشعار (insigne). غير أن بعض المؤرخين يربطون بين عدد «الأذيال» ـ إذا وجدت في الراية ـ وبين الرتبة العسكرية التي يحملها صاحب هذه الراية في الامبراطورية العثمانية. «فسنجق بكي»، أمير السنجق يضع في رايته طوغاً واحداً؛ والبكلربكي، أمير الأمراء يضع طوغين، والوزير ثلاثة أطواغ، والصدر الأعظم خمسة أطواغ، ويضع السلطان في وقت الحرب سبعة اطواغ أو تسعة. وعندما يُخلع باشا ما من وظيفته، يجرّد من رتبه وبالتالي من هذا الشعار. ولمزيد من الايضاح حول هذه الأفكار يراجع: *Documents...*, *tome* 1, p. 270 et 321.

(*) الزعيم يقود مجموعة من العساكر ـ يدعى واحدهم «جبلي» ـ لا تزيد عن 33.

(**) السباهي، يقود مجموعة من العساكر ـ يدعى واحدهم جبلي ـ لا تزيد عن خمسة.

(1) لمزيد من الإيضاح حول التيمار والسباهي، يراجع؛ *Documents... tome* 1, p. 321.

للحرب في أية جهة من الجهات، كان عليه أن يجمع الخيالة المترتبة على الخاص المخصص لمنصبه مع الخيالة المترتبة على التيمارات والزعامتات التابعة للوائه، وأن يتوجه بهم إلى حيث يأمره «بك البكوات». وبدوره كان علي بك البكوات أن يتصرف بالخاص المخصص لمنصبه، فيعدّ ويجهز الخيالة المترتبة على خاصه، فضلاً عن أنه يأمر ويوجه الخيالة، الذين يجهزهم أمراء الألوية وأصحاب التيمارات والزعامتات التابعة لجميع ألوية أيالته. وظلت السلطنة العثمانية تعمل بهذه الإرادة حتى العام 1255هـ/1839م[1].

وبموجب هذه الإرادة السلطانية، جرى تثبيت «القيود الخاقانية»[*] فاتبع لواء جبله (لواء اللاذقية) بأيالت طرابلس الشام. وقد أوردت هذه القيود، أن هذا اللواء كان يتألف من: مقاطعة كبيرة من درجة خاص لأمير اللواء، يبلغ دخلها 214180 أقجة، وأن عدد الخيالة المفروض على هذا الخاص 42 خيالاً؛ ومن تسع مقاطعات متوسطة من درجة «زعامت»؛ ومن 91 مقاطعة صغيرة من درجة «تيمار»؛ وأن عدد الخيالة المفروضة على هذه المقاطعات هو 46 خيالاً[2]. ويبدو أن عملية الإحصاء في هذا اللواء قد جرت في عهد السلطان ابراهيم (1640-1648). بدليل أن ما خصص لهذا السلطان في عملية الإحصاء هذه، هو مجموعة من القرى في مقاطعة جبله دُعيت «قرى وقف السلطان ابراهيم».

لقد ظلت السلطنة العثمانية تعمل بهذا النظام إلى أن قام تابعها محمد علي باشا حاكم مصر (1805 -1849) بحملته ضدها واحتل بلاد الشام وهددها في عقر دارها ما بين عامي (1831-1841). وحول هذا النظام، لا بد من التأكيد على ما يلي:

- إنّ باشا الأيالت وأمراء سناجقها وسائر الموظفين العاملين فيها، ما كانوا يتقاضون رواتب مقننة من خزينة السلطنة. إنما كانوا يتقاضون الضرائب والتكاليف اللازمة لهذه الوظائف. علماً أن هؤلاء كانوا يعينون من قبلهم متسلمين يتولون جباية الضرائب باسمهم.

---

(1) قاموس الحقوق، مرجع سابق، مج 3، ص 1208-1209.

(*) القيود الخاقانية: سجلات الإحصاء الرسمية للسلطنة العثمانية.

(2) عين علي افندينك، قوانين رسالة سي سنة 1018هـ مرجع سابق، ص 25.

كما أن كل متسلم كان يستعين بخدمات طائفة من أهل البلاد وأعيانها في أمر توزيع التكاليف الضرائبية وتثبيتها وجبايتها.

ـ لقد دخل الأكابر من أبناء عشائر مقاطعات اللاذقية في خدمة هؤلاء المتسلمين خلفاً عن سلف. فالتزموا جباية الضرائب من حكام اللاذقية بمبالغ معلومة. وراحوا يحكمون أبناء جلدتهم حسب أهوائهم. وإن هذه الحالة استمرت منذ بداية الحكم العثماني إلى أن دخل الحكم المصري إلى اللاذقية عام 1832 م وراح يعزلهم وينكل بهم وولّى بدلاً عنهم متسلمين غرباء.

ب ـ نظام المرحلة الانتقالية، التي امتدت من عام 1839-1864؛ وكانت السلطنة في هذه المرحلة تهدف إلى تحقيق عدة أمور:

الأول، أن تستعيد أراضيها من الحكم المصري وأن تسترد هيبتها حيال تابعيها، جراء الوضع الصعب الذي وضعتها فيه الهزائم التي ألحقها بها محمد علي باشا.

الثاني، امتصاص الضغوط الخارجية والداخلية، التي تطالبها بأن تصلح ذاتها، لتكون في عداد الدول العصرية المتقدمة آنذاك.

الثالث، ترحيل الحملة المصرية الجاثمة على صدرها وإزالة آثار ونفوذ الحكم المصري من المناطق التي استولى عليها.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، أعلنت عن نيتها بالإصلاح أمام ممثلي الدول، فألغت «نظام الأيالت»، عام 1839م/1255هـ مستغنية في ذلك عن الخدمات العسكرية لمتسلمي الاقطاعيات العسكرية، لكنها لم تضع أحكام قانون لإدارة أراضيها. كما أنها توكأت على عصا التحالف الدولي من أجل ترحيل الحكم المصري عن أراضيها واستعادة سلطتها عليها. وما أن أجبر التحالف الدولي القوات المصرية على الانسحاب من المناطق التي احتلتها، والانكفاء إلى الأراضي المصرية، حتى أعادت السلطنة العمل بنظام الالتزام الذي كان قائماً قبل مجيء الحملة المصرية. وبالتالي، فقد ردّت إلى الملتزمين السابقين، ولاسيما إلى الذين وقفوا ـ منذ البداية وحتى النهاية ـ إلى جانبها ضد الحكم المصري اعتبارهم؛ لكن

هـذه المـرة، علـى شـكل جبـاة بالمعـاش وليـس بالالتـزام ولمـدة سـنة. وهـذا يعنـي أن السـلطنة قـد شـرعت للفوضـى فـي ظـل وجـود التشـكيلات العسـكرية الخاصـة. وهنـا يمكـن القـول بـأن لـواء اللاذقيـة كان مـا بيـن عامـي 1840-1861 ـ كمـا جبـل لبنـان ـ حقـل تجربـة بالانفجـارات الأمنيـة تـارة، وطـوراً بالتجـارب الإداريـة التـي كانـت السـلطنة والـدول الأوروبيـة تعمـلان معـاً علـى اختبارهـا مـن أجـل إرسـائها علـى قاعـدة «خـط شـريف كلخانـه» [1] (Gulkhané) الصـادر عـام 1839 وخـط «همايـون»[*] (Hamayoun) عـام 1856.

بعـد عـودة السـلطنة إلـى بـلاد الشـام عـام 1840، راح رجـال الاقطـاع السـابقون - ولا سـيما أولئـك الذيـن شـاركوها مـع التحالـف الدولـي فـي التصـدي لابراهيـم باشـا - يعملـون علـى إثبـات وجودهـم فـي الظـروف الجديـدة التـي اسـتجدت بعـد الإعـلان عـن خـط كلخانـه وترحيـل الجيـش المصـري إلـى بـلاده. وهنـا ـ فـي معركـة إثبـات الوجـود ـ لـن نتوقـف عنـد الحـروب التـي دارت بيـن رجـال الاقطـاع أنفسـهم، وبينهـم وبيـن الفلاحيـن. لكـن مـا يمكـن قولـه عـن لـواء اللاذقيـة أنـه جـرى تقسـيمه إلـى خمـس عشـرة مقاطعـة، تضـم 999 قصبـة وقريـة ومزرعـة. وقـد توزعـت هـذه القـرى علـى هـذه المقاطعـات كمـا يلـي:

---

(1) كلخانه: بيت الورود، هذا الاسم اطلق على القصر الامبراطوري الذي كان قائماً بين الحدائق التي كانت تمتد على طول بحر مرمره. فمن هناك جرى الاعلان عن هذا الخط في 24 شعبان عام 1255هـ الموافق 3 تشرين الثاني عام 1839م. لقد تضمن هذا الخط فيما تضمنه، ان كل اقاليم السلطنة ستشملها خيرات هذا الاعلان، من خلال المؤسسات التي ستبنى على أسس جديدة بالاستناد إلى المبادىء الثلاثة التالية:

1 ـ الضمانات التي تكفل للأشخاص أمنية الروح والعرض والمال. 2 ـ صيغة تنظيمية جديدة لأخذ العساكر وتنظيمها ومدة خدمتها. 3 ـ صيغة تنظيمية جديدة لفرض الضرائب وجبايتها. ولهذا سميت اصلاحات هذا الخط بالإصلاحات الخيرية. ولمزيد من الايضاح حول هذا الخط والمبادىء التي تضمنها يراجع:

Documents..., tome 24, Beyrouth 1980, pp. 50-53; et *Documents..., tome* 1, op. cit. p. 311.

والبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، دار النهار، بيروت لبنان، ترجمة كريم عسقول، ص 65-66.

(*) صدر هذا الخط عن السلطان عبد المجيد في 18 شباط 1856.

ساحل اللاذقية، عدد قراه 75 قرية؛ الخوابي، عدد قراها 83 قرية؛ بني علي، عدد قراها 22 قرية؛ صهيون، عدد قراها 53 قرية؛ البوجاق، عدد قراها 30 قرية؛ البهلولية، عدد قراها 44 قرية؛ جبل الأكراد، عدد قراها 121 قرية؛الباير، عدد قراها 23 قرية؛ المرقب، عدد قراها 78 قرية، القدموس، عدد قراها 147 قرية؛ السمت القبلي، عدد قراها 59 قرية؛ القرداحة، عدد قراها 68 قرية؛ جبله، عدد قراها 36 قرية؛ المهالبة، عدد قراها 47 قرية؛ بيت الشلف، عدد قراها 113 قرية.

وحول هذا الإحصاء والتقسيم، لا بد من الإشارة إلى عدد من الملاحظات:

الملاحظة الأولى، وهي أن سبع مقاطعات، قد جرى تقسيمها إلى نواحٍ وحلل وهي:

1 ـ مقاطعة المرقب، عدد قراها 78 قرية، قسمت إلى ناحيتين: ناحية زمرين، عدد قراها 35 قرية؛ وناحية المرقب، عدد قراها 43 قرية.

2 ـ مقاطعة القدموس، عدد قراها 147 قرية، قسمت إلى ثلاث نواحٍ وهي: ناحية القدموس، عدد قراها 59 قرية؛ وناحية جرد العليقة، عدد قراها 58 قرية؛ وناحية الضهر الغربي، عدد قراها 30 قرية.

3 ـ مقاطعة السمت القبلي، عدد قراها 59 قرية، قسمت إلى ثلاث حلل وهي: حلة بني ياشوط، وحلة الحمام وحلة السرامطة.

4 ـ مقاطعة القرداحة، عدد قراها 68 قرية، قسمت إلى أربع نواحٍ وهي: ناحية النواصرة، وناحية التراحلة، وناحية متور وناحية ساحل القرداحة.

5 ـ مقاطعة جبله، عدد قراها 36 قرية، قسمت إلى ثلاث نواحٍ وهي: ناحية جبله، وناحية وقف السلطان ابراهيم وناحية الشمسيات.

6 ـ مقاطعة المهالبة، عدد قراها 47 قرية، قسمت إلى ناحيتين وهما: ناحية عمامرة المهالبة وناحية ساحل المهالبة.

7 ـ مقاطعة بيت الشلف، عدد قراها 113 قرية، قسمت إلى أربع نواحٍ وهي: ناحية المزيرعة وعمامرة، وناحية بيت الشلف، وناحية ساحل بيت الشلف وناحية جبل دريوس.

الملاحظة الثانية: وهي أن ثماني مقاطعات، لم تقسم إلى نواحٍ وهي:

1 ـ ساحل اللاذقية، عدد قراها 75 قرية؛ 2 ـ الخوابي عدد قراها 83 قرية؛ 3 ـ بني علي، عدد قراها 22 قرية، 4 ـ صهيون، عدد قراها 53 قرية؛ 5 ـ البهلولية، عدد قراها 44 قرية؛ 6 ـ جبل الأكراد عدد قراها 121 قرية؛ 7 ـ الباير، عدد قراها 23 قرية؛ 8 ـ البوجاق، عدد قراها 30 قرية.

الملاحظة الثالثة: وهي أن ثماني مقاطعات، كانت تحكم من قبل المسلمين (السنة)، وهي: اللاذقية، والخوابي، والمرقب، وجبله، وصهيون، وجبل الأكراد والباير والبوجاق. سبعة من حكام هذه المقاطعات، كانوا يحملون لقب «آغا»، وواحدة كان حكامها يحملون لقب «أجناد» وهي مقاطعة صهيون.

الملاحظة الرابعة، وهي أن ست مقاطعات، كان حكامها نصيريون، يحملون لقب «مقدم»، وهي: السمت القبلي، وبني علي، والقرداحة، والمهالبة، وبيت الشلف، والبهلولية.

الملاحظة الخامسة، وهي أن مقاطعة واحدة، كان حكامها من الإسماعيلية الحجاوية والسويدانية، وكانوا يحملون لقب «أمير»[1].

ويمكن للمرحلة الانتقالية - التي أشرنا إليها - أن تقسم إلى قسمين: الأول يمتد من عام 1840 إلى عام 1856، وفي هذه الفترة جرى إلغاء أيالت طرابلس الشام، التي كان لواء اللاذقية ملحقاً بها وجرى إلحاقه بأيالت صيدا ـ بيروت عام 1849 (هذه الأيالت كانت قد أنشئت عام 1840) وقسم هذا اللواء في عام 1856 إلى 17 قضاءً، على رأس كل منها مدير يعاونه كاتب مال وظل ملحقاً بأيالت صيدا ـ بيروت. أما القسم الثاني من هذه المرحلة، فهو يمتد من عام 1856 إلى عام 1864. وخلال هذه المدة يمكن أن نتبين فيها حدثين: أولهما، اقتباس

(1) لمزيد من الايضاح حول مقاطعات لواء اللاذقية في المرحلة الانتقالية باعداد نواحيه وقراه وطوائف سكانه وشهرة وطائفة ولقب ومكان اقامة حاكم كل مقاطعة، يراجع ملحق رقم 1 المرفق بالدراسة.

(48) عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914، دار المعارف بمصر، بدون تاريخ طبع، ص 65. سنشير إلى هذا المرجع لاحقاً: عوض، المرجع السابق، ص...

السلطنة نظم الإدارة الفرنسية في تقسيماتها الإدارية[1]. ولتطبيق هذه النظم، تشكلت عام 1861 لجنة دولية كلفت بإجراء الإصلاح في سوريا. وقد شارك في هذه اللجنة منتدبون من الدول الأوروبية، وبشكل خاص من فرنسا وانكلترا، وقد أسميت هذه اللجنة «القومسيون الدولي للإصلاح في سوريا»[*] (Commission Internationale de réforme en Syrie) . أما الحدث الثاني، فهو أن مداولات هذه اللجنة، قد أفضت إلى تثبيت النظام الأساسي لمتصرفية جبل لبنان؛ والى حدود «نظام الولايات» العثماني عام 1864 [2]. وهنا يمكن القول بأن السلطنة لم تعد ـ من الآن فصاعداً ـ سيدة نفسها في إدارة ممتلكاتها.

جـ ـ نظام الولاية، بصدور هذا النظام انتقلت السلطنة وشعوبها إلى مرحلة إدارية جديدة. فقد نص هذا النظام على أن ممالك السلطنة العثمانية تنقسم إلى دوائر يطلق على كل دائرة منها اسم «ولاية». وتضم كل ولاية عدداً مناسباً من السناجق. ويقسم «السنجق» بدوره إلى أقضية. و «القضاء» إلى نواحٍ وقرى ومزارع. الولاية على رأسها والٍ، والسنجق على رأسه متصرف، والقضاء على رأسه قائم مقام، و «الناحية» على رأسها مدير. وبات موظفو كل المواقع الإدارية والقضائية والعسكرية على مختلف مستوياتهم ورتبهم يتقاضون رواتب من خزانة السلطنة. أما إدارة القرى فقد تركت للمخاتير ومجالس الاختيارية أو ما عرف بشيوخ القرى وللمجالس البلدية فيما بعد[3].

وبموجب هذا النظام، أجرت السلطنة تدبيرين إداريين متلاحقين؛ ومن المفيد أن نتوقف عندهما، لنعرف ما أصبح عليه وضع لواء اللاذقية.

التدبير الأول، طاول هذا اللواء مباشرة، فقد جرى إحصاء عدد مقاطعاته ونواحيه وقراه وأعداد طوائف سكانه. وجرى تقسيمه إلى قضائين منفصلين ومستقلين عن بعضهما البعض،

---

(1) عوض المرجع السابق، ص 35.

(*) لقد أشار الياس صالح اللاذقي في مخطوطه إلى هذه اللجنة.

(2) عوض، المرجع السابق، ص 66.

(3) لمزيد من الايضاح حول نظام الولايات والمهام الإدارية لموظفي هذا النظام، يراجع: قاموس الحقوق، مج 2، ص 956 ـ 959؛ وعوض، المرجع السابق، ص 96-100.

هما: قضاء اللاذقية وقضاء جبله، على رأس كل منهما مدير وكاتب. وألحقا بولاية صيدا ـ بيروت فترة قصيرة من تشرين الثاني عام 1864، عندما طبقت السلطنة نظام الولايات[1]، إلى نيسان عام 1865، عندما أعادت السلطنة النظر بتشكيل حدود ولاياتها. فكيف كان وضع هذين القضائين؟

1 ـ قضاء اللاذقية، ضم سبع مقاطعات تحتوي على 516 قرية، يسكنها 60306 أنفس. وهم من المسلمين والمسيحيين والنصيريين.

2 ـ قضاء جبله، ضم عشر مقاطعات تحتوي على 480 قرية. ويسكنه 53674 نفساً. وهم من المسلمين والمسيحيين والنصيرية[2].

التدبير الثاني، طاول الساحل الشرقي للبحر المتوسط، من شماله إلى جنوبه. ففي نيسان عام 1865، قسمت بلاد الشام كلها إلى ولايتين كبيرتين: ولاية سوريا مركزها دمشق، وولاية حلب. وبذلك تكون ولاية صيدا ـ بيروت قد اختفت؛ وأن ولاية سوريا باتت تتألف من: أيالت الشام وأيالت طرابلس الشام (صيدا ـ بيروت) القديمتين ولواء القدس الشريف. وبات لواء اللاذقية (الملغى) مقسماً إلى أربعة أقضية (بدلاً من قضائين) منفصلة عن بعضها البعض، على رأس كل منها مدير وكاتب؛ وألحقت هذه الأقضية بلواء طرابلس الشام، الذي بات تابعاً لولاية سوريا[3].

وقد جاء تشكيل هذه الأقضية على الشكل التالي:

1 ـ قضاء اللاذقية، عدد قراه 182 قرية يسكنه 35582 نسمة؛ وهم من المسلمين والمسيحيين والنصيرية.

2 ـ قضاء صهيون، مركزه قلعة بابنا؛ عدد قراه 334 قرية وعدد سكانه 24724 نسمة؛ وهم من المسلمين والنصيرية وقلة قليلة من المسيحيين.

---

(1) عوض، المرجع السابق، ص 66 ـ 67.

(2) لمزيد من الإيضاح حول هذين القضائين، يراجع ملحق رقم 2 المرفق ربطاً بالدراسة.

(3) عوض، المرجع السابق، ص 69.

3 ـ قضاء جبله، عدد قراه 185 قرية، وعدد سكانه 23734 نسمة، من النصيريين وقلة من المسلمين.

4 ـ قضاء المرقب، مركزه قلعة المرقب، عدد قراه 218 قرية، عدد سكانه 21050 نسمة، ثلثهم تقريباً من المسلمين والمسيحيين؛ أما النصيرية فيشكلون ما يزيد على الثلثين[1].

وهنا يمكن القول، بأن هذين التدبيرين الإداريين، اللذين تمت الإشارة إليهما، لم يكونا في صالح مدينة اللاذقية من جهة، ولا في صالح المدن الساحلية الأخرى من جهة ثانية، عندما حرمت هذه المدن (المراكز) من سلطة إنهاء القرار الإداري ووضعت في دمشق. وهذان التدبيران، لا يمكن إلّا أن يدخلا في نطاق الصراع، الذي كان دائراً بين السلطنة العثمانية، الساعية إلى الخلاص من كابوس محمد علي باشا بمساعدة الدول الأوروبية من جهة، وبينها وبين هذه الدول، من أجل الحد من نفوذها داخل ممتلكاتها من جهة أخرى. وهكذا، جاء التنظيم الإداري، الذي أقدمت عليه السلطنة، ليكون واحداً من وسائل الضغط، راح كل طرف يستخدمه في وجه الآخر. فالدول الأوروبية ـ خاصة فرنسا ـ كانت تعمل مع الدول الأخرى باتجاهين: اتجاه نقل مركز تجارتها الدولي على الساحل الشرقي للبحر المتوسط من صيدا إلى بيروت؛ واتجاه أن تكون بيروت المدخل الدولي الأول على الساحل المشار إليه، إلى الداخل السوري، ولاسيما على الصعيد التجاري. علماً أن هذين الاتجاهين كانا يشقان طريقهما على حساب المدن الساحلية الأخرى: صيدا، وطرابلس والشام، وعكا واللاذقية. وهذا الأمر يبدو واضحاً من خلال استعراض بسيط للذي جرى على الصعيد الإداري وكان في صالح الخطة الفرنسية.

لقد تشاركت مدينة بيروت ـ في خطوة أولى ـ مع مدينة صيدا في مركز الأيالت (أيالت صيدا ـ بيروت)؛ وفي خطوة تالية تحولت إلى مركز لواء تابع لولاية سوريا، على حساب صيدا. وتراجعت طرابلس أولاً من مركز أيالت، إلى مركز لواء تابع لأيالت صيدا ـ بيروت؛

(1) لمزيد من الإيضاح حول تشكيل هذه الأقضية، يراجع ملحق رقم 3 وملحق رقم 4 المرفقان ربطاً بالدراسة.

وثانياً إلى مركز لواء تابع لولاية سوريا. وما ينطبق على طرابلس ينطبق على عكا. أما لواء اللاذقية، فقد تراجع خطوتين كبيرتين: الأولى، بالنسبة إليه كلواء، عندما ألغي عام 1840، وتحول إلى قضائين منفصلين عن بعضهما، قضاء اللاذقية وقضاء جبله، يرتبط كل منهما على حدة بأيالت صيدا ـ بيروت؛ ثم في الخطوة التالية، عندما قسم إلى أربعة أقضية منفصلة عن بعضها ومرتبطة بلواء طرابلس الشام التابع لولاية سوريا عام 1868. أما بالنسبة للاذقية كمدينة فقد باتت في مستوى أقل مما كانت عليه بكثير وباتت في موقع إداري يتساوى مع المرقب وجبله وصهيون.

أما خطة السلطنة في هذه المواجهة، فقد استندت إلى أمرين: الأول، هو الانتقاص من المستوى الإداري للمدن الساحلية، وجعلها في مستوى لا يمتلك فيه المسؤول سلطة القرار النافذ؛ أما الثاني، فهو تحكمها بالموقع الإداري المقرر، عندما حرمت المدن الساحلية من هذه السلطة وربطتها بوالي دمشق. وهكذا تمكنت السلطنة ـ إلى حين ـ من التحكم بالساحل عبر الداخل من دمشق وحلب باختيار مسؤولي هاتين الولايتين من أصحاب الرتب العالية (وزير وصدر أعظم) والخبرة، الذين تمرسوا بالمسؤولية وممن ثبت لديها إخلاصهم ووفاؤهم لها.

لقد أشار الياس صالح اللاذقي، إلى إلغاء لواء اللاذقية بألم مرير، لأنه أدى إلى تأخر اللاذقية والإضرار بالمصالح العمومية، المادية للأقضية المذكورة. هذا بالإضافة إلى الإخلال بنظام شهد على صحة وجوب بقائه والمحافظة عليه عشرون قرناً من الزمن. ورأى أن من قاموا به، قد حكمتهم أنانياتهم ومصالحهم؛ وأنه لا بد أن يعودوا إلى تغييره مع الوقت عندما يلمسون جسامة الخطأ الذي ارتكبوه. وإذا أردنا أن نلخص نتيجة الصراع بين التجار الفرنسيين والسلطنة العثمانية على الصعيد الإداري في هذه المرحلة، يمكن القول بأن السلطنة قد نجحت ـ إلى حين ـ بالقبض على قرار المدن الساحلية عبر الداخل من دمشق، عندما جعلت بيد واليها سلطة القرار الإداري لإنهاء كل القضايا. وفي الوقت نفسه، فقد نجح الفرنسيون في تحقيق عدة أهداف لخطتهم(1).

---

(1) لمزيد من الإيضاح حول الصراع الذي كان دائراً بين السلطنة العثمانية والتجار الفرنسيين وغيرهم من التجار الأوروبيين، يراجع: الياس جريج، ولاية بيروت، التاريخ السياسي والاقتصادي 1887 ـ 1914، مكتبة عكار بدون تاريخ طبع، ص 77-83.

1 ـ دفعت بيروت إلى الواجهة وأبعدت صيدا واللاذقية[1] من أمامها بشكل كلي.

2 ـ على حساب والي دمشق وتعنته، تشكل «المجلس الأعلى للتجارة» على الساحل الشرقي للبحر المتوسط في بيروت، التي احتفظت ببقاء اجتماعاته واجتماعات المحكمة العليا للتجارة فيها[2]. كما جرى تعيين «مدير سياسي» لبيروت، يقيم فيها ويكون «حلقة وصل بين القناصل العامين للقوى الدولية» والحاكم العام في دمشق»[3]. وبذلك، انفتح هذا الصراع الخفي، من أجل أن تصبح بيروت بمصاف دمشق وحلب مركز ولاية. واستمر هذا الصراع في تصاعده إلى أن تحولت بيروت من مركز سنجق إلى مركز ولاية، يتبعها: سنجق طرابلس وسنجق عكا وسنجق نابلس وسنجق اللاذقية في عام 1887.

---

(1) الياس صالح اللاذقي سبب الغاء لواء اللاذقية وتشتيته إلى اقضية مرتبطة بلواء طرابلس الشام، إلى وجود حمدي بك متصرف لواء طرابلس في قومسيون كبار المأمورين لترتيب الألوية والأقضية في ولاية سورية. وان ما قام به هذا المأمور الكبير كان من أجل مد نفوذه وسيطرته إلى لواء اللاذقية ايضاً.

(2) أوردت «سالنامة ولاية سورية» تشكيل المحكمة العليا للتجارة في بيروت كما يلي:

رئيس: عبد القادر الدنا أفندي.

أعضاء دائمة: نقولا النقاش أفندي ـ عبدالله بيضون أفندي.

أعضاء مؤقتة: محمد أفندي زنتوت ـ بشارة صباغ أفندي ـ علي سلام أفندي ـ نقولا صبحي أفندي.

كتابة: اسكندر أفندي، كاتب أول ـ سعد الدين أفندي، كاتب ثانٍ ـ يوسف أفندي، كاتب ثالث ـ محمد أفندي، مقيد أول ـ عبد الرحيم أفندي، مقيد ثانٍ ـ رزق الله أفندي، ترجمان.

ممثلو الدول: عن فرنسا: موسيو بيرو، موسيو دو بيلان، موسيو كلازي ـ عن انكلترا: موسيو فلتاكي، موسيو خريستوفر ـ عن هولانده: موسيو بدروني، موسيو عيد ـ عن المانيا: موسيو شارليه، موسيو فانكرناتل، موسيو كريتمش، موسيو ستوب ـ عن اميركا: موسيو هلك، موسيو غرندوزي ـ عن إيران: موسيو عيد، موسيو سابا ـ عن الروسيا: موسيو فلتاكي، موسيو بسترس ـ عن بلجيكا: موسيو واني. سالنامة ولاية سورية لعام 1298هـ دفعة 13، ص 148.

(3) لمزيد من الايضاح حول الاهداف التي حققها الفرنسيون لصالح خطتهم على الصعيد الإداري لدفعها إلى الواجهة على حساب المدن الساحلية الأخرى، يراجع: الياس جريج، ولاية بيروت، مرجع سابق، ص 81 ـ 83.

ب ـ المعارف التاريخية

«أثار الحقب في لاذقية العرب»، غني بالمعارف التاريخية. وهي قسمان:

الأول، معارف تاريخية عن مدينة اللاذقية

وهي عبارة عن محطات متميزة من تاريخها القديم والوسيط والحديث، وصولاً إلى الفترة التي كتب فيها هذا الكتاب. هذه المعارف، تساعد المواطن على فهم الواقع الذي أشار إليه في قسم المعارف الجغرافية... ومن المفيد أن نشير إلى بعض هذه المعارف تحت عدد من العناوين.

ـ لاذقية العرب. أثناء فتوحاتهم، دخلها العرب المسلمون تحت راية الإسلام بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، في عام 637 م وأسموها «لاذقية العرب». وكانت في الجيل الرابع للهجرة مقاماً للأمراء التنوخيين، وفيها توفي محمد بن اسحق التنوخي.

ـ اللاذقية بين الصليبيين والمماليك، لقد كانت المدينة بيد الروم البيزنطيين، عندما قدمت الحملة الصليبية الأولى، عام 1096 متوجهة إلى القدس. وأنه في عام 1098، قدمها البيزنطيون لقادة الحملة فجعلها هؤلاء مركز لقاءاتهم واجتماعاتهم. لكن، «ريمون دي تولوز» (Raymond de Toulouse) (1042 - 1105) استولى عليها في عام 1103؛ كما استولى الصليبيون شيئاً فشيئاً على الحصون والقلاع، التي كانت من أعمال اللاذقية: كمرقبة وقلعة المرقب وقلعة صهيون وحصن العيدو وحصن القدموس عام 1129؛ وصارت الحرب سجالاً من أجل السيطرة على هذه المواقع بين الصليبيين والأيوبيين حتى العام 1287، عندما حاصر السلطان قلاوون اللاذقية واستولى عليها على إثر زلزال ضربها ـ أثناء الحصار ـ فهدم أبراجها ومنازلها؛ وتحت وطأة الحصار، خرج منها الصليبيون حاملين معهم أمتعتهم وما أمكنهم حمله من كنوزها ودخلها المماليك وهدموا البرج القديم القائم لجهة البحر واستولوا على عدد من كنائسها الكثيرة التي كانت موجودة فيها. وهنا لا بد من الإشارة إلى مسألة أساسية، وهي أن سبب مهاجمتها في العام 1287 من قبل مماليك مصر، يرجع إلى أن تجارتها الناشطة كانت تهدد تجارة الإسكندرية وتخيف تجارها.

ـ اللاذقيـة فـي رحلـة ابـن بطوطـة، لقـد زار هـذا الرحالـة المغربـي المدينـة فـي عـام 1356؛ وخصّها فـي كتابـه «تحفـة النظـار فـي غرائـب الأمصـار» بعـدد مـن الإشـارات السـريعة والهامـة فـي آن معـاً. لقـد تنـاول فـي واحـدة منهـا قـدم المدينـة فأرجعـه إلـى عهـد النبـي موسـى؛ وأشـار فـي واحـدة أخـرى إلـى الزيـارة التـي قـام بهـا إلـى «ديـر الفـاروص» فـي ظاهـر المدينـة وقـال عنـه بأنـه أعظـم ديـر يسـكنه الرهبـان فـي مصـر والشـام؛ وأن أحـد رهبـان هـذا الديـر الحموييـن يدعـى «سـابا»، كان يقيـم فيـه وقتـل شـنقاً بسـبب مـن آرائـه؛ كمـا أنـه عثـر أثنـاء نبـش التـراب مـن إحـدى ضرائـب الديـر علـى إنجيـل يونانـي مكتـوب علـى رق، وأن هـذا الإنجيـل كتـب فـي القـرن الخامـس بريشـة الراهـب «تاودوسـيوس» رئيـس الأديـار آنـذاك، وهـو محفـوظ فـي كنيسـة القديـس جاورجيـوس باللاذقيـة ويدعى «إنجيـل الفـاروص».

ـ جبلـه تأخـذ مكانـة اللاذقيـة، ويرجـع السـبب فـي ذلـك، إلـى أن اللاذقيـة قـد أحرقـت علـى يـد ملـك قبـرص «بطـرس لوسـينيان» (Pierre Lusignan) عـام 1363. فبعـد أن فشـل هـذا الملـك فـي تجييـش أوروبـا لتجديـد «حـرب صليبيـة»، قـام بمسـاعدة جمهوريـة البندقيـة وفرسـان رودوس (الداويـة سـابقاً) ومـن اسـتطاع جمعهـم مـن أصحـاب الـرؤوس الحاميـة فـي أوروبـا، بغـزو الاسـكندرية وإحراقهـا؛ ثـم وصـل هـؤلاء بعـد مـدة إلـى سـوريا، فأحرقـوا مـدن: طرابلـس الشـام وطرطـوس واللاذقيـة وغيرهـا. كمـا تعرضـت المدينـة للخـراب عـام 1400م، عندمـا انتـزع تيمورلنـك سـوريا مـن يـد الأتـراك الجراكسـة. وبعـد أن اسـتعادها هـؤلاء مـن أيـدي المغـول، بقيـت مـدة طويلـة خربـة وقليلـة السـكان. ولذلـك فقـد نقـل مركـز الحكومـة إلـى جبلـه، وأطلـق علـى لـواء اللاذقيـة «لـواء جبلـه»، واسـتمرت تحـت حكـم الجراكسـة إلـى عـام 1517، عندمـا انتزعهـا العثمانيـون وصـارت ـ ككل المـدن السـورية ـ تحـت سـيطرة السـلطنة العثمانيـة.

وكان البلـص والابتـزاز جـزءاً مـن سياسـة مسـؤولي السـلطنة، يمارسـه أولئـك الذيـن يكلفـون بأعمـال جبايـة الضرائـب المترتبـة علـى أبنـاء البـلاد، أو الذيـن كانـت تعيّنهـم للقيـام بأعمـال الجـردة(*). فمـا أن يتسـلم هـؤلاء مسـؤولياتهم، حتـى كانـوا يحضـرون إلـى المـكان المنـوي ابتـزازه وبلصـه، مصحوبيـن بقواتهـم العسـكرية ليخيمـوا فيـه. وكانـت هـذه السياسـة تطـاول أناسـاً أغنيـاء

(*) جردة، الجردة: تكاليف المؤن التي يطلب من باشوات المدن الواقعة على طريق الحج إلى مكة المكرمة أن يحضّروها لملاقاة قافلة الحجاج. وكان على باشوات الجردة أن يلاقوا قافلة حجاج بلاد الشام عند قلعة مزيريب في منتصف الطريق بين مكة ودمشق.

محددين. وكان أبناء اللاذقية يخشون من ممارسات هؤلاء وما تجرّه عليهم من ويلات، خاصة بعد أن عمّرت المدينة وعاد دولاب حياتها الاقتصادية إلى الدوران منذ عام 1693. وقد أشار الياس صالح اللاذقي إلى عمليات ابتزاز وبلص كثيرة تعرضت لها المدينة نشير هنا إلى اثنتين منها:

الأولى، حصلت في عام 1796، عندما قدم «محمد بن العكش بن السباعي» متسلماً وملتزماً مال اللاذقية مصطحباً معه مئتي عسكري؛ فجزعت المدينة لقدومه، وعلى الأثر، قام «ابراهيم باشا أبو بلطه» المتقدم فيها ورئيس تجار كرخانة الدخان، فسعى هو والتجار إلى جمع دراهم من التركمان وسكان «بيت الشلف» والصهاونة (سكان صهيون) من أجل إرضائه وتجنيب المدينة من وقوع محذور.

الثانية، حصلت في عام 1825، على يد «علي بك الأسعد» من عكار؛ الذي كُلف بالقيام بأعمال الجردة، في طرابس واللاذقية[1]. غير أن اللاذقية في هذه المرة لم تسلم من المحذور، إذ فقدت «عبدالله الياس»، أحد وجوه البلدة الذي بلص ثم قتل وصودرت أمواله على يد هذا البك، قبل أن يعرض المغدور به قضيته على والي دمشق ويفتضح أمر هذا البلص[*].

---

(1) أشار صاحب كتاب «الامارة المرعبية»، إلى تعيين «محمد بك الاسعد» متسلماً على طرابلس عام 1824 لسنتين متتاليتين. والى منحه لقب «باشا» تقديراً لخدماته الجليلة التي قدمها للسلطنة العثمانية. وانها أضافت إليه عام 1825 مهمة القيام بأعمال الجردة. ويؤكد صاحب «الإمارة المرعبية» ان علي باشا الأسعد من أجل مسألة الجردة، قد اختلف مع «الذميين»: نصرالله ولد بطرس زرق» و «جرجس بني ولد مخائيل». وهما من كبار تجار مدينة طرابلس. وانه نتيجة هذا الخلاف غادر المذكوران المدينة ثم عادا إليها بعد مدة. وليس هنا مجال الدخول في تفصيلات هذه المسألة. لكن، لمزيد من الايضاح، يراجع: خالد مصطفى مرعب، الإمارة المرعبية، امتدادها الجغرافي وتطورها السياسي حتى سنة 1840، دار النجاري، طرابلس لبنان، الجزء الأول، طه 1، 1992، ص 212-218 وص 222-225.

(*) مما أشار إليه الياس صالح اللاذقي حول قضية المغدور هو أن «عبدالله الياس»، كان كاتباً ومقرباً عند علي بك الأسعد في عكار؛ ثمّ غضب عليه وقتله خنقاً وضبط موجوداته. قيل إن سبب غضبه عليه أنه أمره أن يكتب له أسماء أغنياء البلدة من مسلمين ونصارى ليصادرهم لأجل مصروف الجردة فاعتذر؛ ولذلك، فقد غضب عليه واتفق أنه كان هناك من هيّج غضبه وأغراه بأن يبلصه مطمعاً إياه بأنه منه وحده يمكن الحصول على المبلغ اللازم من النقود. فبلصه بمبلغ وافر ووضعه في السجن ولم يطلقه حتى قبض منه المبلغ تماماً ولما أطلق سُعي به لديه أنه عازم على السفر إلى الشام ليشكوه إلى واليها. فألقى القبض عليه من جديد، ثم استحضر شاهدين شهدا عليه أنه طعن في الشيخ محمد المغربي وقال إنه من الواجب طرده من البلدة، فحكم بقتله.

القضاء على حكم حنا كبه 1799-1803

دفع تكرار عملية الابتزاز والبلص تجار اللاذقية ـ الذين كانوا من ضحاياها ـ إلى السعي من أجل التخلص من باشوات الجردة وابتزاز المتسلمين. كان ذلك أثر طلب أحمد باشا الجزار، والي عكا (1783-1803) من أهل المدينة أن يرسلوا إليه الرجال والمال إلى عكا عام 1799 للمعاونة على طرد نابليون بونابرت (1769-1821). وقد تزعم حركة المطالبة هذه التجار وعلى رأسهم «حنا كبه». الذي كان على حد تعبير الياس صالح اللاذقي «حاذقاً مقداماً جسوراً محباً للتقدم فلم يؤخره كونه مسيحياً عن أن ينتهز الفرصة التي تفضي له بالوجاهة والتقدم». لقد تمكن هذا الرجل المقتدر مادياً والمتقدم بين تجار «كرخانة الدخان»، أن يقنع وجوه مسلمي البلدة بوجوب السعي لاكتساب الراحة بكل وسيلة، وأن يفوضوا الأمر إليه للحصول على الاستقلال بما عنده من الوسائط والتعهد للدولة بمال اللاذقية رأساً، بدون واسطة باشوات طرابلس.

لقد تمكن حنا كبه من الحصول على «فرمان»(**) يتضمن سلخ لواء اللاذقية عن طرابلس وجعلها محصلية مستقلة متعلقة رأساً بالباب العالي وتعيين محصل مسلم بكفالته. كما تعهد بتوريد المال إلى الاستانة مباشرة(*). كان من نتيجة هذا العمل حصول

(**) فرمان، هو أمر السلطان العثماني.

(*) كان مال اللاذقية المطلوب منها آنذاك نحو مايتين وعشرة آلاف غرش سنوياً.

حال عمرانية مهمة في اللاذقية، ولاسيما لسور المدينة وللمساجد والكنائس التي هدمتها زلزلة 1796. وأمكن لحنا كبه أن ينجح بحكم لواء اللاذقية بشكل غير مباشر، مما أغاظ الجزار وأثار حنقه وحقده عليه ولاسيما بعد أن التجأ إليه عدوه «محمد باشا ابي مرق» ورفض أن يسلمه إياه عندما طلبه منه. كما حنق عليه باشوات طرابلس وعكار وكل أولئك الذين يعملون في حقل الالتزام. كما حنق عليه المسلمون المتعصبون الذين رفضوا أن تكون كلمة حنا كبه فوق كلمتهم. وبذلك كانت الظروف مؤاتية للجزار في أن يكيد له ويدبر قتله. وأخيراً نجح بالتنسيق مع «عدره آغا» صاحب جبله بقتله ومصادرة أملاكه وأمواله، مما دفع بأرملته إلى أن تنتقل مع كامل عائلتها إلى يافا بفلسطين، وأن تلجأ إلى «أبي مرق» صديق زوجها المغدور.

إنّ ما يمكن أن نخلص إليه من خلال تجربة حنا كبه في الحكم هو:

1 ـ إنّ تأمين مصلحة السلطنة وحكامها، لم يكن يوماً مرتبطاً بالحفاظ على دين وطائفة ومذهب الحاكم، بل بتأمين هذه المصلحة فقط، بدليل أن مسؤولي السلطة، قد أرسلوا إلى حنا كبه الهديا والخلع(**).

2 ـ يبدو أن التيار الإصلاحي داخل السلطنة قد بدأ يتكون منذ ذلك الوقت، والأدلة على ذلك كثيرة منها: عندما علم مسؤولو السلطنة بمقتل حنا كبه، أرسلو إلى اللاذقية محصلاً راح يستقصي عن عائلة المغدور وموجوداته. ولذلك دبر له أعيان المدينة خطة وقتلوه. وعلى الأثر أرسل «علي آغا رستم»، من جبل الأكراد، فزحف هذا برجاله واستولى على المدينة وجال على سكانها معلناً قصده وهو الأخذ بثأر حنا كبه، فهجم عليه المسلمون وقتلوه في دار الحكومة. وبعد علي آغا رستم، أرسلت السلطنة «عبد الرحمن باشا»، وكان هذا والياً على قبرص. وقد جاء ومعه ألفا عسكري وفرقة من الأرناؤوط. ويبدو أن خلافاً حول هذه المسألة قد نشب بين عبد الرحمن باشا (ملقب بالجربان) وقائد الفرقة، فقتل معظم عناصر الفرقة وقطع عشرين رأساً من المقتولين وأرسلها إلى الاستانة، على أنها رؤوس الذين قتلوا حنا كبه وغيره من الحكام الآخرين الذين جاءوا بعده.

(**) بعث الصدر الأعظم، يوسف ضيا باشا (1805-1898)، إلى حنا كبه: خلعة سنية ودبوساً وغدارة مما كان يستعمله البكوات في تلك الأيام. وأنعم عليه بلقب بك.

التعصب الديني والمذهبي والكره للأجنبي

لقد عبّر الياس صالح اللاذقي عن وجود هذه المشاعر لدى عامة الناس، ولاسيما المسلمين منهم، بأشكال متعددة منها:

1 ـ إنّ «دوجي» وكيل قنصل انكلترا في اللاذقية، قد أسلم تخلصاً من القتل. وأرجع السبب في ذلك، إلى أنه اعتمّ ذات يوم بعمامة بيضاء وخرج إلى السوق. فحياه أحد أعيان المسلمين بتحية الإسلام عن غير روية وانتباه، فرد عليه السلام. ولما انتبه وعرفه هاج وهاج معه الحاضرون من المسلمين، فخاف منهم وأسلم.

2 ـ إنّ كثيرين من المسيحيين، قد أسلموا في ذلك الحين (1810) وبعده بسبب الاضطهاد والظلم. واعتبر أن ما يحصل في اللاذقية في ذلك الوقت هو من الأمور المستغربة. لكنه في الوقت نفسه، أكد على أنه في الأوقات التي يتحدث عنها، لم يكن أحد في اللاذقية أو في غيرها من بلاد السلطنة، يجسر أن يظهر باللباس الافرنجي بدون أن يحسب حساب خطر الفتك بحياته؛ وأكد أن القناصل كانوا يلتزمون لبس الجبة والقنباز والاعتمام بالعمائم؛ كما أنه كان إذا أتى مركب افرنجي إلى اللاذقية، لا يجسر قبطانه أن يخرج إلى البر بدون أن تؤخذ له إلى المركب ملابس وطنية ليلبسها قبل خروجه والنزول إلى البر.

3 ـ عام 1821، خرج عبدالله باشا والي عكا عن طاعة السلطنة العثمانية. ولذلك، فقد سلخت عنه طرابلس واللاذقية، وأعادتهما «أيالت» واحدة تحت حكم واحد، يتعهد بقيام الجردة كالقديم. وعينت «محمد باشا بن المن» في هذا المركز. وفي أيام ولاية هذا الحاكم، مرّ رجل فرنساوي في سوق اللاذقية متعمماً بعمامة بيضاء، فاعترضه بعض المسلمين وأهانوه. فاشتكى إلى قنصله، وعلى الفور أرسل القنصل ترجمانه ليكشف الأمر. فاهتدى إليه وسأله عن سبب إهانته للفرنساوي. فأجابه لكونه متجاوزاً حده ومتعمماً بعمامة بيضاء؛ فأجابه الترجمان إنه تعمم بها بحق المعاهدات الدولية. فهاج وهاج معه المسلمون، وادعوا على الترجمان بأنه شتم الشرع الشريف وهجموا عليه، ففرمن بين أيديهم، فتبعوه إلى أمام بيت القنصل، ولما وصلوا كان الباب قد أقفل قبل وصولهم. فأكثروا من الجلبة

والصياح والشتائم والتهديدات؛ ثم رجوا عنه ليرسلوا ويعلموا «ابن المن» في طرابلس بحسب مدّعاهم. كما أرسل القنصل بدوره يعلمه بحسب مدعاه ومدعى الترجمان. غير أن ابن المن، لم يركن لأحد من الطرفين. وعندما عاد إلى اللاذقية، أخذ يحقق ويستقصي سراً وعلناً، فتأكد لديه صحة ما ادعاه القنصل وترجمانه. ولذلك، قاصص الطرف الآخر بنفي الشيخ «ابراهيم حكيم»، قاضي اللاذقية مع مفتيها إلى جزيرة أرواد حيث أقاما فيها مدة. فاستاء المسلمون من سلوك ابن المن وحنقوا عليه وزعموا أنه نصيري وأشاعوا الخبر، وراحوا يتحينون الفرصة للفتك به. وقد سنحت لهم هذه الفرصة، عندما أقدم ابن المن على أمرين: الأول، عندما قام بعزل أحد أبناء الطريفي من وظيفة مسؤول الضابطة الأمنية «تفنكجي باشي»[1] (Tufenkji Bashi) والثاني، عندما دخل شهر رمضان، أرسل منادياً ينادي في الأسواق، أن كل من يجلس في القهاوي ويقامر بالورق فجزاؤه الحبس. فجلس بعض أبناء الطريفي وأخذ يقامر تعرضاً. وعندما سمع الباشا خبره، أرسل فحبسه. فهاج أبناء الطريفي وساروا إلى الشيخ «محمد المغربي» يستشيرونه في قتله، فأومأ إليهم بيده أن اقتلوه. فاندفعوا وتبعهم جمهور كبير من المسلمين وهجموا عليه في دار الحكومة وقتلوه وقتلوا معه كاتبه.

مصطفى بربر آغا يضرب الانكشارية في اللاذقية

تأتي هذه العملية في إطار حركة الإصلاح والتجديد، التي كانت السلطنة قد شعرت بضرورتها منذ أواسط القرن الثامن عشر. ورأت أن تبدأ هذه العملية بإصلاح شؤون المؤسسة العسكرية وأن هذه المسألة يجب أن تتقدم على سائر الشؤون الأخرى لسببين: الأول، هو أن نظام السلطنة هو نظام عسكري وفساد أمورها قد بدأ بفساد نظام جيشها. الثاني، وهو أن تفوق النظم الأوروبية في الحكم على النظام العثماني، كانت آثاره المادية

(1) تفنكجي باشي: عبارة تركية تعني ضابط الحرس الخاص الذي يحضّر بندقية السلطان لرحلات الصيد والرمي. وهو يتمتع بامتياز السير إلى جانب حصان الصدر الأعظم في المناسبات والمواكب الرسمية. ويمكنه أن يتولى مهمة مسؤول الضابطة الأمنية. *Documents..., op. cit. tome* 1, p. 321.

تظهر إلى العيان مباشرة خلافاً للشؤون الأخرى. فمدفعيتها ـ على سبيل المثال ـ باتت تنزل بالجيش العثماني خسائر فادحة عن بُعد شاسع لا تصل إليها نيران الأسلحة العثمانية، وجيوشها صارت تتغلب على الجيش العثماني، حتى عندما تكون أقل منه عدداً. وهنا لا بد من الإشارة، إلى أنه بالرغم من الحاجة الملحة لإصلاح شؤون المؤسسة العسكرية وبداهة الشروع بهذه المسألة، فقد اصطدمت بفرق الجيش الانكشاري، التي أعلنت ثورتها على النظم الجديدة، وخاصة في شأن التعليم العسكري، بحيث كانت الانكشارية تنكر فائدته، خوفاً من انتفاء الحاجة إليها بعد أن أصيبت بالترهل والانحطاط. وفي مواجهتها لحركة إصلاح الجيش كان هؤلاء يقولون: «إن ولي الله الحاج بكتاش، كان بارك جماعة الانكشارية ـ عند تأسيسها ـ ودعا لها بالنصر الدائم». وكانوا يزعمون أيضاً «أن بركة ذلك الولي ودعاءه يغنيها عن كل تعليم»[1]. وأكثر من هذا، فقد تصدت وبالقوة للسلاطين والرجال القائمين بالإصلاح وخاصة بإصلاح الجيش. وبذلك، باتت الانكشارية «قوة متخلفة مضادة» (force rétardataire réactionnaire)، فبدل أن ترهب أعداء السلطنة، راحت ترهب السلاطين وتزج بهم في السجون. وكان أول ضحاياها، السلطان سليم الثالث 1789-1807، الذي خلعته وأدخلته إلى السجن، ليتسلطن بعده مصطفى الرابع، الذي لم يبق في موقعه أكثر من سنة (1807-1808)[2]. ومع ذلك، فقد بقيت فكرة الإصلاح حية في النفوس. ومن أجل اجتثاثها، أُخرج السلطان سليم من السجن إلى الإعدام، كما أُخرج معه شريكه في السجن محمود الثاني، ليتسلطن من (1808-1839)[3].

---

(1) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 76 ـ 77.

(2) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 280؛ *Documents. o.p. cit p.* 350.

(3) أشار البرت حوراني، إلى خلع السلطان سليم الثالث، المؤيد للإصلاح والى سجنه هو ومحمود الثاني، قبل أن يصبح هذا الأخير سلطاناً. غير أنه لم يشر إلى قتل سليم ولا إلى ارتقاء مصطفى الرابع العرش بعده. حول هذه المسألة، يراجع: البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، مرجع سابق، ص 61 ـ 62؛ أما ساطع الحصري، فقد أشار إلى مقتل السلطان سليم الثالث، من دون أن يسميه؛ كما أشار ايضاً إلى ارتقاء السلطان مصطفى الرابع عرش السلطنة مدة سنة؛ وهذا ما أشارت إليه أيضاً الوثائق الدبلوماسية والقنصلية الفرنسية. ولمزيد من الايضاح حول هذه المسألة، يراجع:

ـ ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 73-74 وص 280.

ـ *Documents..., tome* 1, op. cit. p. 350

يبدو أن السلطان محمود، لم يرهبه السجن ولم يتأثر بإخفاق سلفه وإعدامه، فقرر أن لا ينتظر، فتتأخر عملية إصلاح شؤون المؤسسة العسكرية. ورأى أن يضرب الانكشارية في أماكن انتشارها أولاً، بعيداً عن المركز حيث تتركز قوتها؛ وأن يعمل على إسقاط هيبتها ونزع الهالة التي أحيطت بها، عنها. ولذلك، فقد جرى وضع خطة من أجل ضرب القوى المعارضة لتوجهات السلطنة بالإصلاح. هذه الخطة تقوم على مبدأ أن لا شيء تخسره السلطنة فيما لو اعتمدت بتنفيذ خطتها، على مراكز القوى المحلية المعارضة لها أحياناً، لأن الربح في كل الأحوال مضمون لها. وعلى هذا المبدأ قامت خطة ضرب الانكشارية ومنها انكشارية اللاذقية. ومن المفيد في هذا المجال، أن ندخل إلى بعض تفاصيل هذه الخطة بالاستناد إلى ما أشار إليه الياس صالح اللاذقي، وما هو متوافر لدينا من معطيات بعض المصادر والمراجع. والخطة على مستويين:

1 ـ مستوى السلطنة والولاة، وفي هذا المجال يمكن القول، إنه في عام 1808 م 1223 هـ تولّى سليمان باشا على أيالت طرابلس الشام[1]، وتولى «كنج يوسف باشا»، على «أيالت الشام»، في نفس هذا العام[2]. وفي عام 1809 م 1224 هـ تولى سليمان باشا على «أيالت عكا»[3]، وفصلت طرابلس عن هذه الأيالت لتلحق بأيالت الشام[4]. وبذلك، باتت طرابلس الشام، من أعمال «كنج يوسف باشا». وهنا استغل قائد الحامية العسكرية في قلعة

(1) *Documents..., tome* 1, op. cit. p. 370.

(2) *Documents..., tome* 1, op. cit. p. 379.

(3) *Documents..., tome* 1, op. cit. p. 365.

(4) أشار انطونيوس ابو خطار في كتابه مختصر تاريخ جبل لبنان، ان حصار مصطفى بربر آغا كان في عام 1808، وعنه اخذ خالد مصطفى مرعب. ولمزيد من الإيضاح والمقارنة مع ما أوردناه أعلاه، يراجع: خالد مصطفى مرعب، الإمارة المرعبية، مرجع سابق، ص 195.

طرابلس الشام ومساعده «مصطفى بربر آغا» فوضى هذه التولية ـ على حد قول صاحب كتاب «الامارة المرعبية» ـ وعملا على الاستئثار بالسلطة. وهنا لا نستبعد أن يكون «سليمان باشا»، هو المشجع على هذه الخطوة الانفصالية. ولذلك، لم يبق أمام «كنج يوسف باشا»، الا أن يعمل على تثبيت سلطته على المقاطعات المتمردة. فحاصر القلعة تطبيقاً لأوامر الباب العالي، بمساعدة علي بك الأسعد المرعبي من عكار، وإسماعيل حاكم حماه وغيرهم من حكام المقاطعات، مدة خمسة أشهر. لكن، لم يؤدِ ذلك إلى النتيجة المرجوة[1]. وفي عام 1810م/1225هـ أعفي «كنج يوسف باشا» من مهام إدارة أيالت الشام؛ وطلب منه أن يشارك، في حملة ضد الوهابيين؛ وفي الوقت نفسه وجهت أيالت الشام على سليمان باشا، علاوة على أيالت عكا؛ وبذلك عادت طرابلس تحت متولية سليمان باشا أيضاً[2].

2 ـ مستوى الولاة والمتسلمين، على هذا المستوى، راحت الخطة تبصر النور على الشكل التالي: توسّط سليمان باشا، لدى كنج يوسف باشا للتدخل من أجل فك الحصار عن مصطفى بربر آغا لإخراجه حياً من القلعة. وفعلاً كان لسليمان باشا ما أراد. هذه الأمور كلها كانت تجري بعلم السلطنة وأمرها ولم تكن بدون ثمن. وإذا كنا لا ندري ماذا كان نصيب كنج يوسف باشا، فإن حصة سليمان باشا هي إضافة أيالت الشام إلى متوليته؛ وما وعد به علي بك الأسعد بمتسلمية طرابلس، كان من نصيب مصطفى بربر آغا الذي فك عنه الحصار وأخرج من القلعة سالماً ليعود ويتسلم اللاذقية بالإضافة إلى طرابلس؛ أما علي بك الأسعد المرعبي فقد منح لقب باشا وتولى حكم عكار. وهنا يمكن القول بأن الخطة على هذا المستوى باتت جاهزة وبدأت عملية تنفيذ خطة ضرب الانكشارية في اللاذقية على يد مصطفى بربر آغا. فقد ولّى هذا الأخير من طرفه «عثمان آغا طرطوسي» على اللاذقية، ونفى «ابراهيم آغا الصاغصون» و «مصطفى آغا هارون»، وهما من الانكشارية.

---

(1) لمزيد من الايضاح، يراجع: *Documents..., tome* 1, pp. 370 et 379 ؛ وخالد مصطفى مرعب، الامارة المرعبية، مرجع سابق، ص 195.

(2) خالد مصطفى مرعب، المرجع السابق، ص 195؛ و *Documents..., tome* 1, pp. 370 et 379

ولحق مصطفى بربر آغا بعثمان آغا طرطوسي؛ إلى اللاذقية عام 1810 بصحبة فرقة عسكرية. وعندما وصل إلى مدخل المدينة خرج وجوهها لاستقباله، فدخلها باحتفال عظيم ليلة عيد الفطر. ولما قابله الانكشارية رحب بهم ووعدهم بإنعامات وعلوفات وافرة؛ وأمرهم أن ينصرفوا نهار العيد متمنياً لهم الحظ السعيد والسرور الدائم؛ وطلب منهم أن يأتوه، ثاني أيام الفطر؛ وعندما حضروا، دبّر لهم خطة أوقعت بهم ومكنته من نزع أسلحتهم واقتيادهم إلى السجن ونفي قادتهم. هذه الضربة، كانت ـ على ما يبدو ـ واحدة من الضربات التي تلقتها الانكشارية في هذا الوقت في أكثر من مكان. هذا ما أشار اليه صاحب آثار الحقب في لاذقية العرب[1]. هذه الضربة كانت بداية لتوجيه الضربة القاضية اليهم في عام 1826، بعد أن فشلوا في قمع انتفاضة اليونان ضد السلطنة العثمانية في عام 1821 [2]. ومن الجدير بالذكر هنا، أن السلطان محمود الثاني، الذي أمر بالتخلص منهم، قد توفي في عام 1839، وفي ظروف

(1) مما يؤكد أن الانكشارية، قد تلقت أكثر من ضربة في أكثر من مكان غير اللاذقية، ما أشار إليه الياس صالح اللاذقي وهو أن «حسن آغا شومان»، بيرقدار الانكشارية في اللاذقية، كان حين وقوع حادثة الايقاع بهم، من قبل مصطفى بربر آغا، في قرية «دمسرخو»، التي كانت في التزامه؛ ذلك لأن آغاوات الانكشارية، كانوا يأخذون قرى ساحل اللاذقية بالالتزام ويستولون على حواصلها. فلما بلغه ما وقع برفاقه في المدينة، ركب جواده واطلق له العنان قاصداً الاستانة بنية تقديم الشكوى إلى رئيس «الأرطه» (الفرقة)، التي كانوا تابعين لها. فلما بلغ الاستانة، رأى أن الدولة قد أوقعت بجميع الانكشارية؛ وأن ذلك جرى بعهد من السلطان محمود لقرضهم من المملكة؛ عندها استولى عليه الرعب والخوف، ورضى من الغنيمة بالاياب. فرجع متنكراً إلى طرسوس، حيث راح يترامى ويكاتب من يتوسط لدى الحكومة في اللاذقية، حتى اذن له بالعودة إليها والاقامة فيها بصفة تاجر، وعاد إليها لازماً حدّه.

(2) لمزيد من الإيضاح حول انتفاضة اليونانيين وفشل الانكشارية في قمعها، يراجع: لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، دار الفارابي بيروت 1980، ص 112-123 سنشير إلى هذا المرجع لاحقاً: لوتسكي، المرجع السابق، ص... أما حول الضربة الساحقة التي وجهها السلطان محمود إلى الانكشارية في عام 1826، فقد أشار البرت حوراني: «وفي عام 1826 آنس السلطان محمود في نفسه القوة الكافية فأقدم على خطوة الإصلاح الاولى، التي كان لابدّ منها، فحلّ فرق الانكشارية وأبادها، دون أن يرتفع صوت واحد للدفاع عنها، حتى بين المتدينين المحافظين». البرت حوراني، تاريخ الفكر العربي في عصر النهضة، ص 94.

غامضة، أحدثت بلبلة في صفوف الأسرة العثمانية الحاكمة. فهل كان مقتله من قبل فلول الانكشارية، بدعم من التيار المحافظ في قلب السلطنة؟ إننا لا نستبعد ذلك.

وفي عهد متسلمية مصطفى بربر آغا على طرابلس واللاذقية، لا بد من الإشارة إلى مسألتين: الأولى، قيام النصيرية بالعصيان، فجرّد عليهم حملة عسكرية قتلت منهم خلقاً كثيراً، وأرسل بعض وجوههم إلى الاستانة. الثانية، وهي أن عثمان آغا طرطوسي، قد بقي مدة طويلة متسلماً على اللاذقية. وفي أيامه ذلّ النصارى وأمرهم أن يلبسوا السواد المحض من العمامة إلى الحذاء. غير أنه لم يكن يبلصهم أو يعذبهم وكان عادلاً في الحكم. هذا على حد تعبير الياس صالح اللاذقي في «آثار الحقب في لاذقية العرب».

البرطيل والرشوة جزء من سياسة السلطنة

جرى تناول هذه المسألة بالإشارة إلى الزلزال الذي ضرب اللاذقية في عام 1796، وأدى إلى تصدع جدران كنائسها الخمس والى سقوط بعض هذه الجدران. وبذلك فقد باتت هذه الكنائس بحاجة إلى ترميم. وحول هذا الأمر، أورد تفصيلات كثيرة حول طلب الالتماس الذي رفعه أبناء طائفة الروم الارثوذكس إلى المسؤولين في اللاذقية وطرابلس والاستانة، من أجل الموافقة على ترميم ما خربه الزلزال. كما أشار إلى المراجعات التي جرت بهذا الشأن على مختلف المستويات الإدارية من أجل إخراج هذه الموافقة إلى حيز الوجود لمباشرة عملية التنفيذ. وفعلاً فقد تمت هذه الأمور في عام 1822. وجرى ترميم الكنائس بسرعة ودفعة واحدة خلال عشرين يوماً، كان خلالها مسؤولو الطائفة ـ على حد تعبير الياس صالح اللاذقي ـ يستعطفون خاطر الكبير والصغير، من المشايخ وغيرهم من شخصيات المسلمين. علماً أن ما دفع من برطيل لإنجاز هذا العمل قد بلغ سبعة آلاف قرش. وهذا ليس رقماً قليلاً بالنسبة إلى ذلك الوقت. ويستدل من التفصيلات التي أشار اليها، أن روح ذلك العصر، كان يتداخل فيها البرطيل بالابتزاز والرشوة والبلص. وأن ربط الموافقة على أصغر الأمور بالمراجع الإدارية العليا في طرابلس والاستانة، لم يكن مسألة

صدفة «محكومة بالحرص دائماً». ناهيك عن أن وجود مسؤول واحد متعصب دينياً في أي موقع إداري كان يلحق الضرر والإساءة بسمعة الحكم ويزيد من المعاناة، وتعقيد الأمور.

الصدف في تاريخ اللاذقية

الصدف في تاريخ اللاذقية كثيرة ومن أهمها:

الأولى، تتعلق بتوسيع أبرشية اللاذقية الارثوذكسية. وقد تمت الإشارة إلى هذه المسألة بالاستناد إلى مصادر كنسية، مفادها أنه في النصف الثاني من القرن السابع عشر، قام على الكرسي الأنطاكي بعد وفاة البطريرك «مكاريوس الحلبي» بطريركان في وقت واحد: كيرلّس، وهو حفيد المتوفى، والآخر «ناوفيطوس»، مطران حماة. وبعد منازعات طويلة بينهما، تنازل ناوفيطوس عن البطريركية. وقد توافق هذا التنازل مع وفاة المطران الذي كان وقتئذ على اللاذقية. فأعطيت أبرشيتها إلى البطريرك المتنازل مضافاً اليها «جسر الشغور والسويدية، ليعيش بوارداتها». وقد جاء ناوفيطوس إلى اللاذقية عام 1683؛ غير أنه توفي بعد أربع سنين. لكن الجسر والسويدية بقيتا ملحقتين بأبرشية اللاذقية منذ ذلك الحين. صاحب «الحقائق الوفية في تاريخ بطاركة الكنيسة الأنطاكية»، الخوري ميخائيل بريك، أشار إلى هذه المسألة، فركز على الانقسام وأسبابه بعد وفاة البطريرك مكاريوس ابن الزعيم عام 1672؛ وعلى دور المال في هذه المسألة؛ كما أشار إلى أن باشا دمشق وقف إلى جانب كيرلّس، في حين دعم بطريرك القسطنطينية انتخاب ناوفيطوس. أما أسباب رضوخ هذا الأخير إلى الأمر الواقع، فقد ردّه إلى نتيجة ما تراكم عليه من ديون جراء هذا الوضع الشاذ، والى تعهد كيرلّس بسداد هذا الدين، بموجب سند كتب بينهما لهذه الغاية[1].

(1) جعل الياس صالح اللاذقي تاريخ الخلاف بين كيرلّس وناوفيطوس في أواخر الجيل السابع عشر، من دون أن يحدد في أية سنة؛ وجعل مجيء ناوفيطوس إلى اللاذقية حوالى سنة 1683، أما وفاته فهي بعد أربع سنوات، أي في العام 1687. أما صاحب «الحقائق الوفية...» الخوري ميخائيل بريك، فقد حدد انتخاب ناوفيطوس في عام 1672، وتاريخ انتخاب كيرلّس ومدة مسؤوليته فقد جعلهما 1694-1720. وهذا يعني حسب هذه التواريخ التي ذكرها الطرفان أن كيرلّس لم يعاصر ناوفيطوس. لمزيد من الايضاح حول هذه التواريخ وللمقارنة يراجع الياس صالح اللاذقي آثار الحقب في لاذقيّة العرب، والخوري ميخائيل بريك، الحقائق الوفية في تاريخ بطاركة الكنيسة الانطاكية، دار النهار بيروت 2006، ص 157.

الثانيـة، تتعلـق بطريقـة تحويـل التبـغ المعـروف «بالجبلـي»، إلـى أبـي ريحـة فـي عـام 1844. يومهـا لـم يتمكـن سـكان جبـال النصيريـة مـن بيـع محصولهـم مـن التبـغ، بسـبب العصيـان الـذي أعلنـوه علـى الحكومـة. ولذلـك، فقـد بقـي التبـغ معلقـاً فـي أسـقف البيـوت، فأسـود لونـه مـن أدخنـة النـار التـي كانـوا يشـعلونها فـي أيـام الشـتاء للتدفئـة. وفـي العـام التالـي اشـترى التجـار المحصـول بثمـن بخـس لاسـوداده وتغيّـر هيئتـه؛ وأرسـلوه ـ علـى جـري عادتهـم ـ إلـى «دميـاط» فـي مصـر؛ فوافـق طعمـه ورائحتـه مـذاق المصرييـن وراجـت سـوقه عندهـم. بعدهـا صـار التجـار، يطلبـون مـن الأهالـي أن يعرّضـوا هـذا التبـغ لأدخنـة النـار.

الثالثـة، تتعلـق بزيـارة البطريـرك الأنطاكـي «فيلمـون» إلـى اللاذقيـة ووفاتـه ودفنـه فيهـا فـي 4 تمـوز 1767 [1].

الثاني: المعارف التاريخية عن لواء اللاذقية

يمكـن إدراج المعـارف التاريخيـة، التـي سـاقها اليـاس صالـح اللاذقـي لمواطنـه عـن لـواء اللاذقيـة تحـت عـدد مـن العناويـن، التـي تتناسـب مـع محتـوى مـا يتحـدث عنـه. مـن هـذه العناويـن:

(1) حول هذا البطريرك، أشار صاحب «الحقائق الوفية...» أنه البطريرك فيليمون الأول، وأن ترتيبه هو الرابع والأربعون بعد المئة، رسم بطريركاً في مدينة القسطنطينية نهار الأحد الجديد (الأحد الذي يلي عيد الفصح) في آخر نيسان 1766. من أعماله: السماح للمطارنة والرهبان بأكل اللحم جهاراً ونهاراً، وهذه عادة لم تكن موجودة في القديم؛ وعقد مجمعاً تألف منه ومن سبعة مطارنة كانوا موجودين في دمشق، فوضعوا أحد عشر قانوناً دونت في صك بختم البطريرك المذكور وامضائه وامضاوات المطارنة... في شهر آذار من عام 1767، خرج من دمشق ليطوف في أنحاء الابرشيات ويتفقد أحوالها؛ ولما انتهى إلى اللاذقية انتهت ايام حياته ومات ودفن فيها نهار الخامس من تموز. كانت مدة اقامته في سدة البطريركية سنة وشهرين وخمسة أيام. ولمزيد من الايضاح، يراجع: الخوري ميخائيل بريك، الحقائق الوفية في تاريخ بطاركة الكنيسة الانطاكية، مرجع سابق، ص 168-169.

عصر جديد مع الحكم المصري

لقد جعل الحكم المصري المحاكمات بيد مجلس مؤلف من جميع الطوائف. والإجراءات التنفيذية للحكومة، صارت مقيدة بما يصدر عن هذا المجلس. وبذلك، يكون هذا الحكم قد ساوى بين الطوائف أمام هذا المجلس. لقد أدى هذا الإجراء، إلى ارتياح المسيحيين، ومنحهم الأمان على حياتهم وحريتهم وأملاكهم ومتاجرهم وموجوداتهم؛ والى امتداد سطوة القناصل. لكن، في الوقت نفسه أدى إلى تقليص نفوذ المسلمين بشكل عام، ولا سيما المتنفذين منهم بشكل خاص. مما دفع بهذه الفئة إلى كره حكم ابراهيم باشا والعمل ضده بتحريك سكان الجبال النصيرية والمسلمين ودفعهم إلى التمرد والعصيان. واستغلت هذه الفئة غياب العساكر المصرية عن اللاذقية لتدفع بسكان الجبال للنزول إلى الساحل ومداهمة المدينة والانتشار في أسواقها عام 1834، ودخل بعضهم بيوت النصارى الموجودة على أطراف المدينة. كما حاصر جماعة من النصيرية متسلم اللاذقية في داره.

ابراهيم باشا يفرض الأمن بالقوة

لقد بلغ ابراهيم باشا، ما قام به النصيريون من عصيان وما جرى في اللاذقية. ولذلك، فقد قرر أن يحسم الأمر بالقوة. وبهذا الاتجاه قام بإجرائين: الأول عسكري، فقد جمع العساكر المصرية ومعها عساكر أمراء جبل لبنان(*). وعندما توجهت القوة إلى اللاذقية هرب النصيريون منها. وخيمت العساكر في قرية «البهلولية»، ففر النصيريون منها ومن مقاطعتها. وبذلك، فقد غنمت العساكر مواشيهم وغلاتهم وأمتعتهم، وأحرقت بعض قراهم القريبة من المعسكر؛ ثم أحرقوا لهم حوالى ثلاثين قرية إثر محاولة النصيريين الدفاع عن أنفسهم؛ كما هاجمت العساكر قرية «جبلايا» وأحرقت لهم قرى كثيرة؛ وذهبت قوة من البهلولية إلى مقاطعة «صهيون» وكان سكانها قد تحصنوا في قلعتها، فتم إخراجهم بالقوة. وعلى الأثر

(*) من امراء جبل لبنان، الذين شاركوا مع ابراهيم باشا: الأمير خليل ابن الأمير بشير الشهابي، الأمير فندي، الامير جهجهاه، الأمير سعد الدين والأمير احمد. وقد شارك هؤلاء الأمراء برجالهم.

حضر أهالي مقاطعة «دريوس» واستسلموا. وانتقلت العساكر إلى مقاطعة بيت الشلف، فحضر أهل «المزيرعة» و «العمامرة» واستسلموا. وكان أهالي «بيت ياشوط» و «السرامطة» و «التراحلة»، قد رابطوا على نهر السن وهزموا قوة للأمير بشير الشهابي فأنجدها المعسكر بقوة هزمت المرابطين. واندفعت العساكر من تلك المقاطعات تنهبها وتحرقها. فما كان من أهل مقاطعة «القرداحة»، إلا أن استسلموا وتعهدوا بتسليم أسلحة المقاطعة جميعها. غير أن ما سلموه كان سلاحهم فقط واعتذروا عن تسليم الباقي؛ وعلى الأثر قامت العساكر بحرق بعض قرى من المقاطعة وانهزم النصيريون إلى الجبال ونهبت القرى وأحرقت. ثم صعدت العساكر إلى «الشعرة» وأحرقوا نحو خمسين قرية. وبعد هذه الأعمال رجعت العساكر الآتية من جبل لبنان إلى مكانها في الجبل؛ أما العساكر المصرية فقد بقيت حتى سويت شيئاً فشيئاً مسألة تسليم أسلحة أهالي الجبال.

الإجراء الثاني، كان إدارياً. فقد عزل سعيد آغا عن متصرفية اللاذقية، وعيّن «يوسف بك شريف» أحد أعيان حلب مديراً للاذقية وطرابلس، وكانت إقامته في اللاذقية. وبإدارته جرت الأحكام وضرب عنق «عبدالله آغا عدره»، وتم جمع السلاح من النصيريين وقتل معظم أشقيائهم ورؤسائهم.

خروج الحكم المصري من سوريا

لقد أجبر التحالف الدولي، (انكلترا، وروسيا، والنمسا وبروسيا)، مع السلطنة العثمانية، الحكم المصري على الخروج من سوريا عام 1840. وبعودة السلطنة إلى بلاد الشام، عاد معها النظام الإداري القديم. فقد عينت «محمد آغا خزندار» متسلماً، لكنها عادت وعزلته عام 1841، وجعلت الإدارة الحكومية في اللاذقية مقسومة إلى إدارتين مستقلتين: إدارة ضابطية وإدارة مالية. وفي عام 1843، تحولت الحكومة إلى قائم مقامية وجعلت المصالح المالية تحت إدارة مدير بمعية القائم مقام؛ أما المجالس، فقد بقي ترتيبها كما كان عليه في عهد الحكم المصري؛ وقد أدى بقاؤها على ما كانت عليه إلى نتيجتين هامتين: الأولى وهي

أن المسيحيين كانوا مرتاحين لهذا التدبير، الثانية وهي أن المسلمين كانوا غير مرتاحين له، لأنه يساوي بينهم وبين المسيحيين. ولذلك، فقد عادوا إلى التعدي على النصارى وعلى أبناء الملل الإسلامية الأخرى، غير مكترثين للتحولات التي جرت على الصعيد المحلي في عهد الحكم المصري، ولا لتلك التي جرت على الصعيد الدولي بعد خروج هذا الحكم. وكان من جراء ذلك، أن تعرضوا للقصاص، الذي كانت تبدو مع تنفيذه روح التشفي والانتقام وغلبة الطرف المعتدى عليه على الطرف المعتدي(*).[1]

انعكاسات حرب القرم 1854 على لواء اللاذقية

ما بين عامي 1854 و1860، كان اللواء مسرحاً لعدد كبير من الحوادث والوقائع، التي تدل على حالة الضعف، التي أصيبت بها السلطنة بشكل عام والحكم في لواء اللاذقية بشكل خاص. ومن أهم هذه الحوادث كثرة التعديات على النصارى وازدياد الحمايات الأجنبية، حتى بات المحميون يشكلون العدد الأكبر من نصارى المدينة. وباتت هذه الحمايات مصدر شكوى المسؤولين عن تطبيق ما تتطلبه من التزامات، ولا سيما بعد أن تجرأ التجار على حجز مطلوبات الجمرك للاستعاضة عن مبالغ أخذت منهم بدون وجه حق(**). وأحياناً كان هؤلاء يلعنون هذه الحمايات ويتهددونها، لأنهم كانوا يجدون أنفسهم محرجين سواء عملوا بها أو لم يعملوا. «فنعيم أفندي» ـ على سبيل المثال ـ الذي عيّن مأموراً لتحصيل مطلوبات الجمرك التي احتجزها التجار، قد وجد نفسه أمام ثلاث مجموعات منهم: تجار مسيحيون من رعايا السلطنة مشمولون بنظام الحماية ضايقهم من أجل إنفاذ مأربه بهم دون طائل، لأن

(*) من العلامات التي تدل على أن روح العصر قد تغيرت بعد خروج الحكم المصري من بلاد الشام عما كانت عليه قبله، هي أنه في عام 1846، توفي «قسطنطين ويتالي»، قنصل هولاندا وسردينيا، فرفع الصليب أمام جنازته. وكانت المرة الأولى التي يتجرأ فيها نصارى اللاذقية على الخروج بالصليب أمام موتاهم في الأزقة والشوارع.

(**) خفضت السلطنة العثمانية الرسوم الجمركية، غير أن المسؤولين في إدارة جمارك سورية اخفوا التعرفة الجديدة واستمروا في استيفاء الرسم بحسب التعرفة القديمة. وقد دام ذلك نحو خمس سنين دفع فيها التجار زيادات باهظة قبل أن يشتهر امر التعرفة الجديدة وتاريخ العمل بموجبها.

هـؤلاء لـم يكـن للحكومـة سـلطة علـى أحـد منهـم، إنمـا كانـت تلتـزم أن تلتفـت إلـى قناصلهـم فـي جميـع مـا يتعلـق بهـم عنـد الاقتضـاء. وتجـار مسـيحيون غيـر محمييـن وتجـار مسـلمون مـن أتبـاع السـلطنة، هاتـان المجموعتـان استحصل منهـم علـى كل مـا هـم حاجـزوه بعـد مضايقـة شـديدة كانـت تتسـبب لـه بالإحـراج. كذلـك، راحـت تكثـر حـوادث القتـل لأسـباب تافهـة بيـن أهالـي القـرى ذات المذاهـب الدينيـة المختلفـة. كمـا ازداد الجـور والظلـم علـى أهالـي القـرى المسـيحية فـي مناطـق معينـة، لدفعهـم إلـى الرحيـل عـن قراهـم(*). ولا نسـتبعد أن يكـون ذلـك مرتبطـاً بالإعـلان عـن صـدور «نظـام الطابـو العثمانـي»، لتسـجيل الأراضـي وامتـلاك رقبتها.هـذا مـن جهـة، ومـن جهـة أخـرى مـن أجـل دفـع المسـيحيين باتجـاه بيـروت لخدمـة المخطـط الدولـي بتحويلهـا إلـى «مدينـة عالميـة» (Ville Cosmapolite) جامعـة لأجنـاس مختلفـة بأكثريـة مسـيحية.

لواء اللاذقية في فتنة 1860 الطائفية ودور القناصل فيها

لقـد تشـارك نصـارى لـواء اللاذقيـة، مـع النصـارى الآخريـن المنتشـرين فـي مختلـف أنحـاء سـوريا، فـي حالـة الهلـع والخـوف، التـي أحدثهـا شـيوع خبـر مذبحـة دمشـق، مـن قبـل قبطـان إحـدى السـفن الحربيـة الإنكليزيـة. لقـد جـاء هـذا القبطـان إلـى اللاذقيـة وأبلـغ الخبـر إلـى حاكمهـا وحـاول معرفـة مقـدار اسـتعداده وتكفلـه بوقايـة نصـارى اللاذقيـة. كمـا عـرض عليـه المسـاعدة بالعتـاد وبالرجـال، وإلا فإنـه يريـد منـه تعهـداً خطيـاً بضمـان هـذه الوقايـة. وإزاء إصـرار قبطـان السـفينة

(*) في عام 1859، صادر مدير ناحية «الخوابي» أهالي قرية «بهرميل»، وهم من الروم الارثوذكس، بمال غير شرعي. فنفروا من القرية بنسائهم وأولادهم؛ وجاءوا إلى اللاذقية يتظلمون إلى الحكومة، فلم يلتفت إلى ظلامتهم أحد، لا سيما بعد أن وقف القائم مقام ومن معه من اعضاء مسلمين في المجلس إلى جانب مدير الناحية. وقد تدخل في هذه المسألة وكلاء قناصل الدول الأوروبية، وجرت بينهم وبين القائم مقام مراسلات بهذا الخصوص لم تزد في هذا الأخير الا التصلب والتعصب مع موقف مدير الخوابي؛ ولم يجدهم نفعاً ما كتبه القناصل العامون في بيروت عن هذه المسألة. ولذلك، فقد استمر اهالي بهرميل مشتتين في اللاذقية يقاسون شدائد البرد والجوع مدة الشتاء؛ كما أنهم لم يروا بعد ذلك فائدة من طول اقامتهم. وفي الربيع ذهب كل منهم إلى مكان طلباً للرزق؛ ثم ما لبثوا أن هجروا قريتهم بشكل كلي. هذا ما أشار إليه الياس صالح اللاذقي.

على تحميل القائم مقام، ما قد يحدث ضد نصارى اللاذقية، طلب هذا الأخير بضع ساعات من الوقت لإعطاء الجواب. وفي الحال، جمع أعضاء المجلس المسلمين وقص عليهم الخبر وما يطلبه منه القبطان، وطلب منهم ضمانة العاقبة إذا أرادوا منه ألا يقبل المساعدة. وفعلاً فقد أعطوه الصك المطلوب وقام هو بدوره بإبلاغ القبطان بعدم الحاجة إلى مساعدة خارجية، وتعهد له كتابة بحماية النصارى من كل خطر.

وبعد قدوم عشرة آلاف جندي فرنسي إلى بيروت للحفاظ على الأمن، صارت السفن الحربية الأجنبية تتناوب على زيارة كل مدينة من مدن سوريا البحرية. وكان في أكثر الأيام، يوجد في مرسى ميناء اللاذقية بارجة أو أكثر. وقد دام ذلك إلى أن هدأت النفوس واستقر الأمن في سوريا. وقد أشار الياس صالح اللاذقي بشكل واضح إلى مسؤولية «خورشيد باشا»، والي صيدا ـ بيروت، وإلى «أحمد باشا» والي دمشق، عن هذه المذابح. كما أشار إلى أن السلطنة العثمانية عاقبتهما؛ الأول حجز عليه وحكم بالنفي بعد أن جرّد من رتبه لاشتراكه أو لتقصيره في الحوادث؛ والثاني حكم عليه بالإعدام.

وأثناء التحقيق بشيوع خبر الفتنة عثر على أوراق مكتوبة بلا إمضاء أمام باب قنصل روسيا وفي أماكن أخرى من حارات النصارى، تتضمن احتقاراً وشتماً للدين المسيحي وتهديداً للنصارى عموماً وللقنصل بشكل خاص. وقد أعلم القناصل القنصليات العامة التابعين لها بهذه المنشورات. وبعد الكشف على الورق والتحقيق الذي أجري بهذا الخصوص، من قبل معاوني فؤاد باشا، تبين أن كاتب هذه الورقة هو «مخائيل استور يعقوب». ولذلك، فقد أودع «استور» والد مخائيل في السجن عدة أشهر، لأنه هو صاحب الحركة. أما ابنه ميخائيل، الذي كان «رؤوف بك»، يريد القبض عليه، لم يتمكن من ذلك، لكونه وجد من بين حمايات قنصلية فرنسا. كما أجري تحقيق مع القائم مقام، «مظهر أفندي»، المسؤول عن تهجير نصارى «بهرميل» و «عبد الرزاق أفندي»، شريكه في الجرائم والرشوة، وحكم عليهما، الأول بحرمانه من الإفادة من خدمات الدولة، والثاني بالنفي المؤبد عن اللاذقية.

لكـن مـا لبـث كل منهمـا أن اسـتحصل علـى عفـو مـن الاسـتانة[*]. وفـي ربيـع عـام 1861، بـرزت بـوادر فتنـة فـي جبـل الأكـراد، ضـد نصـارى قريـة «كنسـبا». والسـبب هـو أن «محمـد آغـا يونسـو»، أحـد أغـوات الجبـل، وأكثرهـم سـطوة ونفـوذاً، كان حينـذاك فـي «جسـر الشـغور» مديـراً، وجـاء إلـى جبـل الأكـراد لأجـل قطـع سـعر الدخـان مـع السماسـرة مـن نصـارى «كنسـبا» وبعـض تجـار اللاذقيـة مـن النصـارى أيضـاً، فلـم يوافـق هـؤلاء علـى السـعر الباهـظ الـذي حـدده محمـد آغـا. فاغتـاض منهـم وتهددهـم وهيّـج أغـوات جبـل الأكـراد والأهالـي ضـد كنسـبا. وكان فـؤاد باشـا مـا زال فـي سـوريا، وهـذا مـا دفـع النصـارى إلـى الخـوف أكثـر مـن عاقبـة الرفـض. ولذلـك، فقـد كتبـوا إلـى المطـران والقناصـل يعلمونهـم بالقصـة. وبعـد جهـود بذلـت مـن أطـراف متعـددة، أدت المفاوضـات إلـى تحديـد سـعر الدخـان بقيمـة مناسـبة لجميـع الأطـراف. والـى الحصـول علـى صـك مـن أغـوات جبـل الأكـراد بضمانـة سـلامة مسـيحيي كنسـبا مـن الخطـر. وهنـا لا بـد مـن الاشـارة إلـى الأمـور التاليـة:

1 ـ فـي عـام 1861، ألقـي القبـض علـى مقدمـي القرداحـة، وأرسـلوا إلـى بيـروت، فتبعهـم القـس «ضـدس» الأميركانـي، وتوسـط لأمرهـم بواسـطة المأمـور الـذي كان مـن قبـل دولـة انكلترا في قومسـيون إصلاحـات سـوريا الدولـي. وقـد أطلقـوا وعـادوا إلـى القرداحـة.

2 ـ إنّ حكومـة حلـب تحققـت مـن مظالـم وتعديـات «محمـد آغـا يونسـو»، وعلمـت أنـه بنـى حصنـاً فـي قريـة «شـنبر»، وذخّـره بالبنـادق والرصـاص. ولذلـك، فقـد أرسـلت اليـه العسـاكر وقبضـوا علـى ابنـه ونهبـوا الحصـن وهدمـوه. أمـا هـو، فقـد هـرب إلـى اللاذقيـة والتجـأ فـي بيـت «كريرسـن»، قنصـل انكلتـرا. وعندمـا طلبـه «عمـر بـك الداغسـتاني»، قائـم مقـام اللاذقيـة، رفـض القنصـل أن يسـلمه إيـاه. عندهـا أرسـل عسـكراً يحـرس منافـذ البيـت كـي لا يهـرب. وراحـت

(*) من الذين أبدوا مآثر حميدة من المسلمين، في زمن خوف النصارى في اللاذقية، «محمود آغا خزندار». فقد أبدى هذا الرجل كل مشاعر المروءة والغيرة عليهم. أما بالنسبة إلى مخائيل استور يعقوب، فهو العضو الذي كان يمثل الأرمن في مجلس دعاوى اللاذقية. وعندما اخلي سبيل والده استور، كان الحكم يشترط عليه أن لا يعود إلى اللاذقية. لكنه، بعد مدة تمكن بشكل من الاشكال أن يستحصل على عفو مطلق وعاد إليها.

قضية محمد آغا يونسو تتفاعل. فكتب كل من القائم مقام والقنصل يخبر مسؤوله في بيروت عن واقعة الحال. ونظراً للارتكابات التي قام بها ضد الأهالي، طالب أبناء جسر الشغور بإرساله إلى أنطاكيا لمحاكمته فيها على المظالم التي ألحقها بهم، كون انطاكيا مركز مديرية الجسر وقريبة منهم؛ أما هو فكان يرفض أن يؤخذ إلى انطاكيا. وأخيراً قرّ الرأي بين الولاية والقنصلية العامة أن يسلم إلى الحكومة، شرط أن تصير محاكمته في اللاذقية. وهكذا بقي مدّة في سجن اللاذقية تحت الاستنطاق والمحاكمة، ثم أرسل إلى بيروت حيث أقام مدة، ثم جرت تخلية سبيله.

إننا إذ نشير إلى هذه التفاصيل، فمن أجل التأكيد على مسألة أساسية، يجب أن تؤخذ بالحسبان من قبل المهتمين بتاريخ الطوائف هنا وهناك وفي كل مكان. وهي: إنّ الحماية الأجنبية لتابعية ورعايا السلطنة العثمانية، لم تكن مقتصرة على أبناء الديانة المسيحية بكل طوائفها، إنما كانت تشمل أيضاً أبناء الديانة الإسلامية بكل طوائفها ومذاهبها. لكن، إذا كانت الحماية الأجنبية مكشوفة ومعلنة بالنسبة لأبناء الديانة المسيحية فهي بالنسبة لأبناء الديانات الأخرى كانت غير مكشوفة ولا تصبح علنية إلا بعد أن يفتضح أمرها. كما هو الحال مع «محمد آغا يونسو» الذي شغل المسؤولين على مختلف مستوياتهم من أجل أن لا يمس وتطاوله العدالة.

3 ـ خلال فتنة 1860، أدرك المسؤولون العثمانيون أهمية الوقت والسرعة في إيصال المعلومات والتعليمات والأوامر، وضرورة تسهيل الاتصالات فيما بينهم، ولا سيما خلال الأحداث والفتن الدامية. ولذلك، فقد جرى تمديد السلك التلغرافي من اللاذقية إلى طرابلس فبيروت، ثم من اللاذقية إلى حلب وديار بكر. وكانت هذه الأخيرة تصل بين بغداد من جهة والاستانة من جهة أخرى. وبذلك، فقد باتت اللاذقية متصلة بالاستانة وديار بكر بشكل غير مباشر في كانون الثاني 1863. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، بطرابلس وبيروت بشكل مباشر.

حملات عسكرية على النصيرية 1867 ـ 1870

شـنت هـذه الحمـلات علـى النصيريـة، تحـت عنـوان فـرض الأمـن والإصـلاح فـي الجبـال وجبايـة الضرائـب المتأخـرة. وفـي هـذا المجـال سنشـير إلـى الحملتيـن الكبيرتيـن اللتيـن قـام بهمـا المسـؤولون العثمانيـون، والـى مـا تمخـض عنهمـا مـن نتائـج.

أ ـ حملة خورشيد باشا 1867 [1]

لقـد بـدأت أسـباب الحملـة تتجمـع، بتكاثـر الشـرور والفتـن فـي جبـال النصيريـة، وبانتشـار اللصـوص فـي الطرقـات، وبتفاقـم التعديـات والخطـف علـى عابـري السـبيل. وكانـت الأمـور تتفاقـم أكثـر فأكثـر بسـبب تفريـق قـوة اللـواء العسـكرية السـابقة علـى الأقضيـة الجديـدة. فالقـوة الواحـدة باتـت مجموعـة قـوى، كل واحـدة منهـا ضعيفـة علـى حدتهـا. هـذا مـن جهـة، ومـن جهـة أخـرى، كان عـدم وجـود التنسـيق بينهـا، يسـمح للمرتكبيـن أن يفلتـوا مـن القصـاص فـي الوقـت المناسـب. بمعنـى أنـه، إذا ارتكبـت مجموعـة مـن قضـاء جرائـم فـي قضـاء آخـر، لا يتوصـل حاكـم القضـاء الـذي عـاث عنـده الأشـقياء إلـى محاسـبتهم وتأديبهـم إلا بعـد فـوات الأوان، لكونهـم تحـت سـلطة حاكـم غيـره.

إنّ تفاقـم الوضـع بهـذا الشـكل، قـد بـات لا يطـاق، ودفـع حكومـة اللاذقيـة إلـى التشـكي، والـى مجـيء خورشـيد باشـا، متصـرف اللـواء بنفسـه مـن طرابلـس إلـى اللاذقيـة مـن أجـل إصـلاح الوضـع. وبعـد أن أقـام فـي اللاذقيـة عـدة أيـام، سـار إلـى جبلـه، حيـث أقـام فيهـا معسـكراً مـن الجنـود النظاميـة ومـن أهالـي المقاطعـات الإسـلامية، الذيـن اسـتدعاهم اليـه. غيـر أنـه صـدم مـن نتيجـة الجولـة الأولـى مـن القتـال. فقريـة «البـودي» فـي «جبـل بنـي علـي»، ألحقـت بـه هزيمـة منكـرة وأجبرتـه علـى طلـب النجـدة مـن الولايـة. ثـم عـاد إلـى دهـم القريـة مـرة ثانيـة، فقتـل منهـا خلـق كثيـر

---

(1) أشار الملحق رقم 7، وهو عبارة عن قائمة بالولاة الذين حكموا طرابلس، أن خورشيد باشا كان والياً على طرابلس عام 1283هـ 1867م. وهذا يعني أن خورشيد باشا لم يكن مسؤولاً عن طرابلس في هذا العام حسب هذا المصدر.

Documents..., tome 1, p378.

وأحرق جانباً منها، ثم عاد إلى جبله تغمره زهوة النصر لإنزاله الرعب على جمهور النصيرية.

لقد أدت هذه المعركة إلى عدة نتائج:

1 ـ لدى عودة خورشيد باشا إلى جبله، تقاطر اليه بعض المقدمين لتقديم الطاعة والخضوع. فألقى عليهم القبض بالحنكة والحيلة. وانتقل إلى صهيون واستدعى اليه جميع مقدمي ورؤساء النصيرية، على أساس أن له معهم مذاكرات عائدة لخيرهم. ولما اجتمعوا عنده أمر بالقبض عليهم، وساقهم إلى جبله وجاءته باخرة عثمانية نقلتهم إلى طرابلس، حيث أودعوا في قلعتها. وقد بلغ عددهم اثنين وسبعين شخصاً، كلهم من المقدمين والوجوه. وكانت هذه هي المرة الأولى، التي يقع فيها هذا المقدار من مقدمي ووجوه النصيرية من جميع المقاطعات دفعة واحدة في يد الحكومة(*).

2 ـ أرسل في 5 جماد الثاني 1284 هـ «بيورلدي» [1] (Buyurldi) إلى قائم مقاميتي جبله واللاذقية، ضمنه تعليماته وأوامره. وقد توجه بها إلى القائم مقامين وعبرهما الى: النائب، والمفتي، وأعضاء مجلس الإدارة، وأعضاء مجلس الدعاوى، وأعضاء مجلس التجارة والبلدية، وقومسيون الأملاك، وأصحاب الرفعة والفتاوى والحمية، والأفندية، والأغاوات، والمختارين، وأعضاء مجلس الدوائر وعموم اختيارية الأهالي، وعبر كل هؤلاء الذين أشرنا اليهم، إلى أهالي قضائي جبله واللاذقية.

لقد بدأ هذا الكتاب بشرح أسباب الحملة وظروفها وملابساتها. وأشار بأنها قد جاءت بناء على توجهات السلطنة. لقد أسمى هذا «البيورلدي» «دستور العمل»، وضمنه الأوامر التالية:

ـ العمل بمبدأ الكفالة المتسلسلة في القرية، حتى لا يبقى أحد بدون كفيل، وعلى هذه الصورة لا يبقى أيّ شخص مجهولاً.

(*) كان من جملة من قبض عليهم في هذه الحملة: المقدم «الشيخ ابراهيم سعيد»، اكبر مشايخ فرقة الكلازية.

(1) بيورلدي: لفظة تركية تعني الأمر الصادر عن الصدر الأعظم أو الوالي العالي الشأن. هذا الأمر يوجب على الموجه إليهم أن ينفذوه بسرعة. وبعد تنفيذه يصبح عرفاً.

Documents..., tome 1, op. cit. p. 303.

ـ أن تتكفـل كل قريـة مـن قـرى القضـاء عبـر المختاريـن والاختياريـة بـأن لا يكـون بينهـا أو فـي بيـت عندهـا جماعـة أغـراب أو سـارقون؛ واذا وجـدوا وجـب عليهـا إخبـار الحكومـة وتسـليمهم اليهـا.

ـ منع نقل سلاح مخالف للشروط الضبطية.

ـ منع نقل حانة من قرية إلى قرية بدون رخصة.

ـ منـع الانتقـال مـن قضـاء إلـى قضـاء بـدون تذكـرة سـفر. وعلـى القريـة التـي يأتـي اليهـا شـخص مـن قضـاء آخـر أن تحيـط الحكومـة علمـاً، وعلـى الخصـوص التدقيـق بقضيـة نظـام المـرور فـوق الغايـة بنفـس البلـدة وعلـى الذيـن يحضـرون أو يتوجهـون بـراً وبحـراً.

ـ جلـب المدعـى عليهـم إلـى مركـز القضـاء متوقـف علـى أخـذ تذكـرة إحضاريـة بيـد المدعـي مـن جانـب الحكومـة.

ـ إلغاء لفظة «مقدم» وعموم التلفظ بها، والمخالف يتعرض للمساءلة.

وأعطـى مهلـة عشـرين يومـاً لتنفيـذ مضمـون هـذه الأوامـر والتعليمـات، وطلـب الإفـادة عـن واقـع الحـال بعـد التنفيـذ.

3 ـ بنـاء علـى وعـد بالمسـاعدة مـن خورشـيد باشـا، كتـب أهالـي اللاذقيـة عرضـاً إلـى الوالـي وقدمـوه اليـه برفقـة أعضـاء مدينتهـم. ومـن أهـم مـا تضمنـه هـذا العـرض هـو المطالبـة بجعـل اللاذقيـة مركـز لـواء ولـو إلـى حيـن، لأجـل التجربـة وتلمـس الفـرق بيـن أن تكـون مركـزاً للـواء أو لقضـاء. وقـد جـرت المذاكـرة بهـذا العـرض، وقـرّ القـرار علـى إلغـاء قائـم مقاميـة صهيـون فقـط والحاقهـا باللاذقيـة. وبتعييـن «رفعـت بـك» ابـن خورشـيد باشـا علـى قائـم مقاميـة جبلـه؛ كمـا ألغيـت قائـم مقاميـة المرقب وضمـت هـذه الأخيـرة إلـى قضـاء جبلـه. وبذلـك، فقـد صـرف خورشـيد باشـا النظـر عـن مسـاعدة الوفـد بتحويـل اللاذقيـة إلـى مركـز لـواء. وهكـذا بـات لـواء اللاذقيـة التاريخـي مقسـوماً إلـى قائـم مقاميتيـن: قائـم مقاميـة اللاذقيـة وقائـم مقاميـة جبلـه.

ب ـ الحملة العسكرية الثانية 1870

قـاد هـذه الحملـة والـي ولايـة سـوريا «راشـد باشـا» (1866 ـ 1870) وترجـع. أسـباب هـذه الحملـة إلـى عـدة عوامـل منهـا:

1 ـ توقف تنفيذ الخطة التي أعدها خورشيد باشا، ولا سيما بعد أن أطلق تباعاً زعماء ومقدمي جبال النصيرية الذين سجنهم في قلعة طرابلس وجرى عزله. وكانت عملية إطلاق سراح هؤلاء قد اقترنت بشائبة الرشوة والابتزاز. ولذلك فقد باتت الإجراءات التي اتخذها قليلة الجدوى من جهة، ومن جهة أخرى، فقد هان على هؤلاء الذين أطلق سراحهم أن يرجعوا إلى ما كانوا عليه، من عدم طاعة الحكومة والاستنكاف عن الخدمة العسكرية ودفع الضرائب، لسبب بسيط يرجع إلى ما تولد عند هؤلاء الزعماء من قناعة تستند إلى أن كل ذنب مهما عظم يغفر بواسطة المال؛ وإن القصد من القبض عليهم وسجنهم، كان الانتفاع الذاتي، بعد أن رأوا أنه لم يفرّق بين المذنب والبريء(*).[1]

2 ـ ساعد على هذه العودة إلى الفوضى، إهمال سكان الجبال من منافع الحكومة، بالإضافة إلى ضعف شخصيات المسؤولين الذين لم يحسنوا التعامل معهم.

3 ـ بالإضافة إلى هذه العوامل، راح خلل أحوال الجبال يتفاقم نتيجة ما كان يجري بين أهالي «بيت الشلف» النصيرية وبين أهالي صهيون السنة من تعديات وإخلالات بالأمن. وفي عام 1869 نشبت معركة بين أهالي بيت الشلف ومحازبيهم من جهة وبين أهالي صهيون من جهة أخرى(*). وتوسع القتال حتى بات المسؤولون غير قادرين على الإحاطة به، ووضع

(*) لتوضيح القناعة التي تكونت لدى الذين اوقفوا في القلعة وأخرجهم خورشيد باشا، أشار الياس صالح اللاذقي إلى الحادثة التالية: فيما كان ابن «عبدالله آغا الطريفي»، مدير مقاطعة المهالبة وبيت الشلف موجوداً في عمامرة بيت الشلف مع بعض العساكر النظامية والفرسان لأجل تحصيل الأموال، قابله أهالي بعض القرى بالسلاح باغراء المقدم «محمد خليل»، الذي كان قد اطلق حديثاً من قلعة طرابلس. ولو لم يستدرك الأمر، لاشتبكت معركة بين الفريقين.

(*) حول سبب انفجار الوضع بين صهيون وبيت الشلف، أشار الياس صالح اللاذقي بأنه سارت لصوص من صهيون ليسرقوا بيت الشلف، فأحس بهم أهلها واطلقوا عليهم الرصاص، فقتلوا رجلاً منهم وفرّ اصحابه راجعين إلى صهيون. فثار أهالي صهيون جميعاً وحشدوا للأخذ بثأر المقتول. وكان أهالي بيت الشلف، قد ضجروا من تعديات لصوص صهيون عل قراهم، فقصدوا الانتقام أيضاً، وتجمعوا وانحاز إليهم جمعة من مقاطعات النصيرية الأخرى. وذهبوا فدهموا قرية «تفيل» ـ المتاخمة بيت الشلف ـ من صهيون، فقاتلهم رجال صهيون واشتبكت المعركة بين الفريقين.

حـدٍ لـه. ولذلـك، حضـر رؤوف باشـا متصـرف لـواء طرابلـس إلـى اللاذقيـة، وكان قضـاء اللاذقيـة وقضـاء جبلـه تابعيـن لـه. وبعـد معاينتـه حقائـق الأوضـاع القائمـة، أخبـر الوالـي راشـد باشـا، فحضـر هـذا الأخير بنفسـه إلـى اللاذقيـة فـي 8 أيـار 1870. واسـتعداداً لمعركـة حاسـمة، قـام بعـدد مـن الإجـراءات العسـكرية والقضائيـة والوقائيـة. وسـنتوقف هنـا عنـد بعـض الإجـراءات القضائيـة والوقائيـة والاسـتراتيجية البعيـدة المدى.

فعلـى الصعيـد القضائـي، أمـر بإجـراء محاكمـة المقبـوض عليهـم مـن النصيريـة. وممـا قـام بـه فـي هـذا المجـال:

1 ـ شـكّل مجلسـاً مؤلفـاً مـن ضبـاط عسـكريين ومأموريـن ملكيـة، تحـت رئاسـة رؤوف باشـا. وقـد أصـدر هـذا المجلـس حكمـاً بالقتـل علـى أربعـة منهـم وهـم: «اسـبردرويش» و «اسـماعيل عثمـان» مـن مقدمـي القرداحـة، و «سـلطان فاضـل» مقـدم البـودي و «تامـر هويجـه» مـن «بيـت ياشـوط»؛ وعلـى أربعـة عشـر رجـلاً بالنفـي؛ وجـرى إطـلاق الباقيـن، الذيـن وجـدوا أبريـاء.

2 ـ جـرى شـنق الأربعـة المحكـوم عليهـم بالقتـل سـحر يـوم الثلاثـاء فـي 4 حزيـران 1870. أحدهـم، تامـر هويجـه فـي اللاذقيـة، والثلاثـة الباقـون فـي جبلـه.

وحـول تنفيـذ هـذه الأحـكام، أشـار اليـاس صالـح اللاذقـي بقولـه: «إنـه مـن الاتفـاق الغريـب، أن هـؤلاء الثلاثـة وهـم اسـبردرويش واسـماعيل عثمـان وسـلطان فاضـل، قـد شـنق آباؤهـم فـي وقـت واحـد أيضـاً، فـي عهـد الحكومـة المصريـة.

وعلى الصعيد الوقائي، قام راشد باشا بعدة تدابير في وقت واحد منها:

1 ـ لقـد فـرض علـى النصيريـة، أن يتعهـدوا بتقديـم ثمانيـة آلاف قطعـة سـلاح للحكومـة؛ وقـد سـلموا أكثرهـا بحضـوره.

2 ـ قبـل أن يغـادر جبلـه عائـداً إلـى مركـز الولايـة، أعطـى تعليمـات تتعلـق بمتابعـة الإجـراءات والإصلاحـات ليعمـل بموجبهـا.

3 ـ نشـر إعلانـاً أسـماه مرسـوماً، توجـه مـن خلالـه إلـى النصيرييـن فـي جبـال جبلـه واللاذقيـة والسـواحل البحريـة بوجـه العمـوم. وهـو أشـبه بالإنـذار لهـم ولأمثالهـم، ولـكل مـن تسـول لـه نفسـه

أن يتطاول على السلطنة أو يتجرأ عليها. وطلب منهم أن يسلكوا من الآن فصاعداً مسلك التابعين والرعايا، منقادين دائماً للطاعة وإنفاذ أوامر الحكومة العلية، مثابرين على إيفاء المترتبات الأميرية والقرعة العسكرية والشرعية.

وفي هذا المجال أيضاً، كان لأهالي اللاذقية مساهمتهم؛ فقد قدموا عرضاً عن أوضاع الجبال وحملوا أهلها مسؤولية الفلتان الأمني والسرقات والتعديات. وشكروا راشد باشا ورؤوف باشا والسلطنة على الإجراء الذي تم؛ كما ثمنوا عالياً الجهود والتضحيات التي بذلوها من أجل إقرار الأمن والسهر على الأحوال الأمنية والراحة العامة.

ومن التدابير الاحترازية البعيدة المدى، التي اتخذت بعد انتهاء هذه الحملة:

1 ـ بقاء فرقة من العساكر في قرية «ديفة»، مركز مديرية بيت الشلف؛ وقد انتقلت اليها من قرية «عفارة» المجاورة لها، تحت إدارة قائم مقام اللاذقية؛ وبقاء فرقة أخرى في جبله تحت إدارة قائم مقام القضاء.

2 ـ بقاء العساكر مقيمة في الجبال إلى أوائل الشتاء، مما ساعد على استتباب الأمن، والخوف من شوكة الحكومة.

3 ـ تقرر الحزم والشدة في قمع كل حركة مخالفة للتعليمات. ولذلك، عندما جرت حركة من هذا النوع في ناحية «دريوس»، سار اليها قائم مقام اللاذقية بالعساكر الذين تحت إمرته، وقمعها بشكل عنيف، فأحرق بعض قراها، وألقى القبض على مقدمها «بدران بدور» وعدد من وجوهها؛ كما أنه ألقى القبض تدريجياً على أكثر المقدمين وأشقاهم وجرى نفيهم إلى قلعة عكا.

4 ـ بقاء رؤوف باشا في اللاذقية من أجل تنفيذ التعليمات وتوطيد ما سمي إصلاحات. وفي هذا المجال شرع ببناء مراكز في الجبال لإقامة العساكر النظامية، من هذه المراكز: مركز في قرية المزيرعة من ناحية بيت الشلف؛ كما شرع ببناء قشلة عسكر الرديف، المعروفة «بالديبو» في اللاذقية شرقي قشلة العسكرية العمومية عام 1870. ومنذ ذلك الوقت راحت الحكومة تجمع أنفار الرديف من أهالي القضاء كل سنة حيث يجري تعليمهم الحركات

العسكرية مدة شهرين. وجرى نظير ذلك في جبله أيضاً، حيث بنيت فيها «ديبو» محاذية لدار الحكومة.

5 ـ من أجل تسهيل المواصلات وتحركات القوات العسكرية، شرع بفتح طريق حماة، وطريق بين اللاذقية وحماة مبتدئاً من جبله مخترقاً جبال النصيرية.

وهنا لا بد من تسجيل الإشارتين التاليتين:

الأولى، وهي أن هذه الاجراءات قوّت من شوكة العساكر النظامية، ولا سيما الفرسان منهم، الذين راحوا يتسلطون على الناس بغير وجه حق، من أجل بلصهم وابتزازهم.

الثانية، وهي أن الحملة، لم تقاصص أهالي صهيون، ولم تقبض على أحد منهم، مع أن لصوصهم كانوا هم أصل الفتنة الأخيرة التي نشبت بينهم وبين أهالي بيت الشلف(*).[1] وهذا يعني بشكل من الأشكال انحياز السلطة اليهم بشكل غير مباشر. كما أنه يطرح علامة استفهام حول ما إذا كانت هناك علاقة بين لصوص صهيون والسلطة لجرّ النصيرية للوصول إلى ما وصلوا اليه.

بروز سياسة الضغط على المسيحيين والأجانب 1871 ـ 1873

حول بروز هذه السياسة، أورد الياس صالح اللاذقي كماً كبيراً من الحوادث التي حصلت خلال هذه السنوات الثلاث وأراد لمواطنه أن يعرفها. وتتميز المعارف التي ينقلها عن هذه الحوادث بدقتها، ولا سيما أنه عايشها وكان في قلب الكثير من هذه الحوادث. وهنا لا بد من الإشارة إلى عدد من الوقائع التي كانت سنداً مساعداً دعم بروز مثل هذه السياسة:

(*) حول بروز الخوف من العسكريين بروزاً مميزاً في جبال النصيرية، أورد الياس صالح اللاذقي ما يلي: «انتشر الأمن والراحة في الجبال انتشاراً عاماً وسطا على أهاليها الخوف من شوكة الحكومة، حتى أن فارساً واحداً من فرسانها، كان يخيف أهالي قرية برمتهم»... إلى أن يقول: «إن الفرسان كانوا يتجاوزون حدود الاعتدال في سلوكهم مع النصيرية لنفع الذات كما هو دأبهم. فكثيراً ما كان بعضهم يتعدى على من يراه من النصيرية أو يتعرض له مخصوصاً ويقبض عليه مدعياً أنه مرسل ليقوده إلى المعسكر ولا يطلقه حتى ينال منه رشوة».

1 ـ في مطلع عام 1871، واستكمالاً لعملية تطوير شبكة الاتصالات، جرى مد سلك التلغراف بين اللاذقية وجزيرة قبرص في البحر. وعُيِّن مركز تلغراف اللاذقية لإدارة الملفات الافرنجية.

2 ـ إنّ التطورات التي حصلت إثر الحملة العسكرية على جبال النصيرية عام 1870، راحت تأخذ منحى آخر بعد وفاة الصدر الأعظم «عالي باشا»[1] وحلول خليفته «محمود نديم باشا» (1871 ـ 1872). فقد اتجهت سياسة هذا الأخير إلى كسر شوكة القناصل والأجانب وإضعاف المسيحيين. وقد انتشر هذا التوجه في كل أنحاء السلطنة عموماً وفي سوريا بشكل خاص. فكيف تجلت هذه السياسة على أرض الواقع:

على صعيد ولاية سوريا، جرى عزل الوالي محمد راشد باشا، ليخلفه عبداللطيف صبحي باشا، 1288هـ/1871م. وعندما استقر هذا الأخير في منصبه قام بعزل متصرف لواء طرابلس، الذي كان يتابع خطة رؤوف باشا في اللاذقية وجبله؛ كما عزل قائم مقام اللاذقية وقائم مقام جبله، اللذين كانا ينفذان الخطة. ولذلك توقف العمل بشق طريق حماة وحماة ـ اللاذقية؛ وأهمل بناء مركز الحكومة، الذي كان قد شُرع ببنائه في قرية المزيرعة؛ كما ألغيت جميع المشروعات التي كانت قد تقررت إثر الحملة.

وأصدر الوالي صبحي باشا أوامره لكل الألوية بتغيير أعضاء المجالس جميعها. ولدى إعادة تجديد هذه المجالس، جرى تقديم هذا واستبعاد ذاك، مما جعل هذه المجالس صورية لا قيمة لها ولا صوت، مختزلة بالمتصرف والقائم مقام. كما جرى عزل كثيرين من الموظفين النصارى في الولاية بحجة أنهم من «الفرامسون» (ماسون).

3 ـ جرى التعامل مع القناصل بشكل غير مألوف(*).

---

(1) عالي باشا، هو محمد أمين عالي باشا، صدر أعظم 1869-1831.

Documents... tome 1, p. 357.

(*) أشار الياس صالح اللاذقي في هذا المجال إلى ثلاث مسائل تدل على هذه الحالة. الأولى، وهي أن قائم مقام اللاذقية «صالح أفندي»، لم يحتفل بالقناصل عندما زاروه للمرة الأولى من أجل السلام عليه؛ وأكثر من ذلك فقد طالبهم بالمال المحجوز منهم على الجمرك وتهدد بعضهم بالحبس. الثانية،

=

4 ـ قيام قائم مقام اللاذقية «صالح أفندي»، بعدة محاولات لكسر شوكة الأجانب(**).

5 ـ جـرى الضغـط علـى النصيريـة، ومـن خـلال هـؤلاء علـى الأجانـب ومسـؤوليهم الذيـن يدعمـون هذه الطائفـة(***).

= وهي أنه فيما كان المتصرف في اللاذقية اقتضى لنائب القنصل الأميركي أن يزور القائم مقام، وبعث يخبره بذلك، فأجابه بالاستعداد لقبول الزيارة، لكن، لما ذهب القنصل المذكور إلى دار الحكومة، لم يرى القائم مقام في قاعة الاستقبال، ولم يشاهد أحداً من المأمورين يستقبله، فعاد إلى منزله معتبراً ذلك اهانة عليه. أما المسألة الثالثة، فهي تتمثل بالموقف الذي اتخذه قائمقام اللاذقية من زيارة قنصل دولة اميركا في سورية إلى اللاذقية.

فهو لم يستقبله بنفسه، بل ارسل إليه أنفار الضبطية وفرسان الحكومة لاستقباله في المرفأ. ولدى اعتذار صالح أفندي عن اللقاء به، رفض القنصل العام هذا الاعتذار مشيراً بأنه قد جـاء إلى اللاذقية من أجل اللقاء به هو بذاته. ولذلك قام القنصل بإرسال تلغراف إلى الوالي يطلب منه أن يأمر القائم مقام بالنزول من الجبل لاستقباله كي يبحث معه المسائل التي جاء من أجلها. وهذا ما حصل.

(**) نذكر من هذه المحاولات التي أشار إليها الياس صالح اللاذقي. فبعد أن عاد القنصل الأميركي إلى منزله، انتظر ثمانية ايام، بعدها ارسل خطاباً إلى القائم مقام يخبره فيه عما امره به قنصله العام. فاذا لم يأت إلى بيته ويعتذر منه على ذلك القصور الذي أجراه بحقه، فهو سيرفع العلم الأميركي ولا ينزله حتى تسترد كرامته... جرى رفع العلم وكتب كل من الطرفين إلى مسؤوله. واستمر العلم مرفوعاً نحو اربعين يوماً.

(***) من الضغوط التي مورست على النصيرية، نذكر الوقائع التالية:

1 ـ في آب 1873، سعى قائم مقام اللاذقية، صالح أفندي، لاقفال مدرسة الأميركان، التي كانوا قد افتتحوها في قرية البهلولية، لتعليم اولاد النصيرية. ومن أجل ذلك، استدعى اهالي القرية موبخاً اياهم بسبب وضع ابنائهم في تلك المدرسة. وبواسطة الضغط عليهم، حصل على طلب خطي لأبطال المدرسة وترحيل المعلم من قريته بحجة انهم لا يريدون أن يعلموا أولادهم المبادىء المسيحية. ثم استدعى معلم المدرسة، وأمره أن يغادر القرية، فأجابه بأنه لا يستطيع ذلك بدون اذن رؤسائه المرسلين الأميركان في اللاذقية. ولذلك قام القائم مقام بارسال كتاب إلى نائب القنصل، يطلب منه اقفال المدرسة ـ يومها كان الياس صالح اللاذقي في هذا الموقع ـ مشيراً إلى أنه يتجه لاقفال مدارس المرسلين المفتوحة لتعليم أولاد النصيرية. ذلك، من أجل ازالة أسباب دخولهم في النصرانية. كما ارسل كتاباً إلى اهالي قرية «كيمين»، ينهاهم فيه عن وضع أولادهم في مدرستها. وحذر جميع النصيرية، الذين تحت سلطته من تعليم أولادهم في مدارس المرسلين وتهددهم بالقصاص إذا سلكوا بخلاف ذلك.

=

6 ـ اعتماد سياسة دعم المسلمين السنة، على حساب أبناء المذاهب والطوائف الأخرى. وقد انتشر هذا الاتجاه في كل أنحاء الولاية، ولا سيما في طرابلس واللاذقية، نظراً لأهمية هذه المنطقة الساحلية المختلطة من المسلمين والمسيحيين، ولكثرة الوجود الاجنبي فيها، ولميل المتصرف «حقي بك» وقائم مقام اللاذقية «صالح أفندي» إلى هذا المبدأ. وهنا نؤكد، على أن هذا الاتجاه، كان منتشراً في كل أنحاء السلطنة. وذلك، لسبب بسيط وهو: إن العمل كان جارياً بتطبيق أحكام قانون الأراضي وقانون تمليك الأجانب، وإن تسجيل الأراضي كان جارياً على قدم وساق. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كان الوالي صبحي باشا، والصدر الأعظم محمود نديم باشا من أنصار هذا الاتجاه، وقد لمس الياس صالح اللاذقي سريانه في منطقة اللاذقية من خلال ممارسات كثيرة أشار إليها.

7 ـ المعاملة الجديدة وغير المألوفة للمسيحيين. هذه المعاملة أدت إلى نشر روح التعصب ضدهم في صفوف المأمورين والأهالي المسلمين. وقد برزت هذه المعاملة

---

2 ـ عندما احرق راشد باشا جبل النصيرية عام 1870، وأجبرهم على الاستكانة والخضوع ورأى حالتهم المزرية، استحصل لهم على أمر سامٍ باعفائهم من البقايا الباهظة المتراكمة عليهم منذ ثلاثين سنة، وبالسماح لهم أن يقسطوا البقايا لآجال معلومة تناسب امكانية تحملهم. وعندما تولى «صبحي باشا» عاد وثبت البقايا والغى التقاسيط. وشرع صالح أفندي يطالبهم بها دفعة واحدة. فكان ذلك سبباً للضرر عوضاً عن النفع للحكومة. لأن الأهلين بعد أن كانوا يدفعون كل قسط يستحق عليهم من البقايا، تخلفوا عن الدفع بالكلية.

3 ـ في آب 1873، استدعى قائم مقام اللاذقية المعلمين الوطنيين الموجودين في مدرسة قرية «بحمرا»؛ وكانوا من النصيرية الذين تنصروا منذ أكثر من 20 سنة. فجاءوا إليه ومعهم تلميذ اسمه حازم. ولما قابلهم، طلب منهم أن يرتدّوا عن النصرانية فابوا، فزجّ بهم في السجن وتهددهم. ولما لم يجده ذلك نفعاً أمر بحبسهم. واذ قرر حازم انه ليس مسيحياً، اطلقه في حال سبيله. وبعد يومين ارسل المعلمين إلى جبله، ومنها سيقا إلى دمشق وادخلوا في السلك العسكري. عندها تداخل بقضيتهم قنصل انكلترا وقنصل اميركا العام في سورية، مع الوالي صبحي باشا لأجل اطلاق سراحهم، لسبب بسيط وهو انهم مسيحيون، والمسيحيون غير مسموح لهم أن يدخلوا الأسلاك العسكرية في السلطنة العثمانية. وبالتالي يجب أن يعامل هؤلاء المعاملة التي يعامل بها مسيحيو السلطنة. فأجابهم أن تنصرهم هذا لا يعفيهم من الخدمة العسكرية المفروضة عليهم، لكونهم لم يولدوا من أصل مسيحي.

فـي أكثـر مـن مـكان، وفـي أكثـر مـن موقـع إداري، أشـار إليهـا صاحـب «آثـار الحقـب فـي لاذقيـة العـرب»، مـن أجـل دفعهـم إلـى اليـأس والقنـوط. ونشـير هنـا إلـى بعـضٍ مـن جديـد هـذه المعاملـة:

1 ـ الطلـب منهـم وبتشـدد أن يدفعـوا المـال المحجـوز لحسـاب الجمـرك مـع بقايـا «ويركـو العسـكرية» دفعـة واحـدة مـع كونهـا مقسـطة لآجـال معينـة. ونتيجـة عـدم إمكانيـة دفعهـا دفعـة واحـدة، وضـع القائـم مقـام كثيريـن منهـم فـي السـجن وجمـع أكابرهـم عنـده ورفـض أن ينتظـر إلـى مجـيء المطـران، الـذي كان غائبـاً فـي انطاكيـا، مشـيراً أن ليـس للمطـران مداخلـة فـي ذلـك، وأن المـال المطالـب بـه، لا يطلبـه إلا منهـم.

2 ـ بلصهم والتنكيل بهم والاساءة إلى رؤسائهم الروحيين(*).

3 ـ التعـرض لهـم بالإهانـات والتعديـات مـن أطـراف مسـلمين؛ وهـذه التعديـات كانـت كلهـا مقرونـة بغـض الطـرف عنهـا مـن القائـم مقـام. وكان مـن نتيجـة هـذه المعاملـة الجديـدة، أن اجتمـع أبنـاء الطائفـة الارثوذكسـية وممثلوهـا وكتبـوا إلـى المطـران «ملاتيـوس الرومانـي» يسـتدعونه مـن انطاكيـة علـى وجـه السـرعة ليسـاعدهم فـي تلـك الظـروف الصعبـة، التـي عجـزت عـن دفعهـا عنهـم مداخـلات الأجانـب وسـطوة القناصـل.

إحباط مؤامرة عزل مطراني اللاذقية وعكار وإبعادهما عن رعيتيهما

بعـد عـودة المطـران ملاتيـوس مـن انطاكيـة، اجتمـع بأبنـاء الطائفـة الارثوذكسـية، فأخبـروه

(*) من الأمثلة على ذلك، ما قام به «محمود بك»، مدير ناحية بيت الشلف، عندما ذهب ومعه كاتبه «علي آغا شومان» وعساكره إلى قرية المزيرعة، طالبين من مسيحييها، أن يدفعوا مئتي غرش، على أساس أنها بقايا اعانة عسكرية. وكان المسيحيون المذكورون يعلمون أن ليس عليهم بقايا من هذا القبيل، بمقتضى الايصالات التي كانت بيدهم وأبرزوها لهما. ومع ذلك فلم يقبلا لهم قولاً. وأمر المدير الفرسان بضرب بعضهم وحبسه؛ وعندما اعترض كاهن القرية، على ما يقوم به المدير، ضربه هذا الأخير بحجر واطلق عليه الطبنجا ولكنها لم تنطلق. ولدى تقديم شكواهم للقائمقام تعصب هذا الأخير للمدير وتغرّض في الاستنطاق، وحرّر مضبطة نفى فيها الذنب عن المدير وخطّأ الخوري والآخرين ولم يأخذ بيدهم في هذه الدعوى. هذا ما أشار إليه الياس صالح اللاذقي.

بالتعديات الجارية عليهم والتمسوا منه أن يرفع تشكياتهم إلى المسؤولين حتى ولو وصل الأمر إلى الباب العالي. ونزولاً عند رغبة رعيته، كتب إلى المتصرف حقي بك، طالباً منه أن يعمل على إزالة هذه الظروف وهذه الشدة والمحنة التي يعاني منها المسيحيون؛ وأن يعاملوا بالإنصاف والعدل، شأنهم في ذلك، شأن كل أبناء المنطقة التي يعيشون فيها. وكرر المطران رسائله إليه بهذا الشأن. غير أن حقي بك اعتبر الحوادث الواقعة إنما هي حوادث فردية، لا أهمية لها في الوضع العام؛ وأنها من الوقائع التي تحدث في كل مكان، ولم يلتفت إلى تشكياته. عندها اضطر أن يكتب إلى الوالي فالصدر الأعظم. وكانت النتيجة أن عُزل المطران، ثم أعيد إلى أبرشية طرابلس فإلى ابرشيته مجدداً. فكيف جرى ذلك؟

هذا السؤال أجاب عنه الياس صالح اللاذقي بحادثة حصلت هنا وحدث جرى هناك. ولذلك نرى أنه من المفيد في هذا المقام، أن ندخل إلى تفاصيل وترتيب سياق بعضها، حتى تتوضح الرؤية أكثر عن طبيعة ممارسة المسؤولين عندما يجافون الحقيقة ويبتعدون عنها. لقد ترافقت ممارساتهم بالدهاء في التخطيط والمكر والخبث، مما أدى إلى نقل المسيحيين من وضع مكشوٍ منه، إلى وضع لم تعد تنفع معه الشكوى، بل إلى الوقوف في وجه الظلم والتصدي له، وهذه أهم محطات هذا الحدث الذي طبعت الممارسة فيه بالسلمية والهدوء والروية.

1 ـ بعد التشكيات التي قام بها المطران لدى القائم مقام ـ بدون جدوى ـ والكتابة إلى المتصرف أكثر من مرة، جاءت حادثة تلطيخ باب كنيسة القديس «جاورجيوس» في اللاذقية بالغائط 1872 وتهاون القائم مقام بتعامله مع هذه المسألة، كتب المطران مجدداً إلى المتصرف. وهنا راحت الأمور تتعقد. فقبل أن يبعث بكتابه، حصلت على صعيد السلطنة العثمانية تدابير إدارية جديدة ومتلاحقة، دفعته أن يبقي الرسالة معه بانتظار أن يرسو الوضع الإداري على حالة من الأحوال وفي هذا الإطار، جرى استدعاء المتصرف حقي بك إلى الاستانة، ليكون وكيلاً لصديقه مدحت باشا، الصدر الأعظم الجديد. وحلّ صالح أفندي وكيلاً لحقي بك في مركز متصرفية طرابلس. وفي هذه الحالة سيتسلم ـ المشكو منه ـ رسالة

المطـران. وبالتالـي تصيـر الرسـالة بـدون جـدوى. وهـذا مـا دفـع المطـران، إلـى أن يرفـع الشـكوى إلـى الوالـي «صبحـي باشـا»، الـذي تغاضـى عـن الإجابـة مـدة، ولـم يظهـر مـن قبلـه أي إجـراء يسـتدل منـه علـى أنـه مهتـم بالأمـر. وعندهـا كتـب المطـران إلـى الصـدر الأعظـم كتابـاً يشـكو فيـه صعوبـة الأحـوال الواقعـة علـى رعيتـه فـي اللاذقيـة ومخاطرهـا عليهـم. وأرسـله عـن طريـق البطريـرك الانطاكـي، الـذي كان موجـوداً فـي الاسـتانة. فأحيـل الكتـاب مـن الصـدر الأعظـم إلـى الوالـي صبحـي باشـا للتحقيـق وإزالـة أسـباب التشـكيات. وهكـذا بـات الكتابـان بيـن يـدي هـذا الأخيـر.

2 ـ أرسـل إلـى اللاذقيـة «أسـعد أفنـدي»، مديـر تحريـرات لـواء طرابلـس الشـام، ليحـل وكيـلاً عـن صالـح أفنـدي. فاسـتفاد هـذا الأخيـر مـن الوضـع الجديـد. إذ بعـد وصـول أسـعد أفنـدي إلـى اللاذقيـة، طلـب مـن مجلـس الدعـاوى مضبطـة تتضمـن تكذيـب تشـكيات المطـران، والشـهادة بحسـن سياسـة القائـم مقـام صالـح أفنـدي. فحصـل عليهـا، وختـم فيهـا عضـوا طائفـة الـروم فـي المجلـس المرقـوم.

3 ـ عـاد حقـي بـك مـن الآسـتانة ملقبـاً بلقـب «باشـا»؛ وبذلـك بـات فـي وضـع أقـوى ممـا كان عليـه. وبوصولـه إلـى طرابلـس اسـتحصل مـن مجلـس الإدارة والدعـاوى فيهـا، علـى مضبطـة، ضـد مطـران اللاذقيـة ومطـران عـكار، الـذي كان هـو الآخـر قـد اشـتكى أيضـاً للصـدارة العظمـى مـن التعديـات التـي كانـت حاصلـة علـى مسـيحيي أبرشـيته التابعـة للـواء طرابلـس. وعندمـا اسـتلم صبحـي باشـا المضبطـة(*)، أرسـلها علـى الفـور إلـى البـاب العالـي. لقـد تضمنـت المضبطـة رد مجلـس إدارة طرابلـس الشـام بشـكل يدحـض صحـة تشـكيات مطـران عـكار ومطـران اللاذقيـة.

(*) تبدأ المضبطة بالقول: «لقد تشرف مجلس العجزة بقراءة الأمر نامه السامي الصادر من جانب عالي الصدارة العظمى المؤرخ في 6 رمضان 1889 و22 تشرين الثاني 1889». أي باعتماد شهر هجري، وشهر ميلادي وسنتين ميلاديتين. والأصح 6 رمضان 1289هـ و22 تشرين الثاني 1288 مالية. لسبب بسيط، وهو أن اعتماد التواريخ الواردة في المضبطة بشكلها الراهن، يضع الأحداث والشخصيات خارج المرحلة التي تتحدث عنها المضبطة وهي سنة 1872. علماً أن المضبطة تحمل في نهايتها تاريخاً وهو 9 شوال 289 و26 تشرين الثاني 288. وهنا لابد من الإشارة إلى أن السلطنة العثمانية قد اعتمدت السنة المالية في عام 1255هـ - 1839م.

ثم ما لبث البطريرك الانطاكي «ايروثيوس»، أن أبلغ المطران ملاتيوس خبر عزله هو «وصفرونيوس» مطران طرابلس وعكار عن ابرشيتيهما في 18 شباط 1873. وأمره وهو يبلغه هذا الخبر، أن يسلم موجودات المطرانخانه إلى وكلاء وأن يستعد لمبارحة اللاذقية إلى دير «مار جاورجيوس الحمراء».

4 ـ نفذ المطران ملاتيوس أوامر البطريرك بدون إبطاء. فسلّم موجودات المطرانخانه إلى أعضاء الجمعية الارثوذكسية في اللاذقية أنفسهم. وكتب إلى البطريرك رسالة تلغرافية أفاده فيها عن تنفيذ الأوامر. غير أنه استأذنه بالسفر إلى الشام. وبعد موافقته على سفره استقبله استقبالاً حسناً وأظهر له تأسفه وكدره مما حدث له. وبعزل ملاتيوس مطران اللاذقية، دخلت مسألة رفع الظلامة عن طائفة الروم الارثوذكس إلى مرحلة جديدة. فقد صمم أبناء الطائفة على عدم الاستكانة والتسليم بعزل مطرانهم. وفي هذا الاتجاه حملوا المطران رسائل إلى البطريرك الانطاكي ملتمسين أن يصير العمل بسرعة من أجل إعادته. كما أنهم أقاموا عمدة مؤلفة من أعضا جميعة المطرانخانه وبعض وجوه الطائفة وتم توكيلها بموجب كتاب خطي موقع من العموم، وكالة مطلقة بإجراء كل المساعي الآيلة لعودة المطران المشار إليه، وعدم قبول سواه مطلقاً لا بالأصالة ولا بالوكالة.

وهنا يشير الياس صالح اللاذقي إلى أن سبب عزل المطران ملاتيوس والمطران صفرونيوس بقي مكتوماً. ولم يعلم ما إذا كان العزل قد نشأ بناء على مضبطة حكومة طرابلس أو عن رغبة غبطة البطريرك الانطاكي. علماً أن المطرانين المعزولين كانا ضد قرار مجمع بطريرك القسطنطينية(*) وعملا ضده من خلال مجمع المطارنة الذي عقد في بيروت(**) من أجل مسألة الكنيسة البلغارية. والأرجح أن عزلهما نشأ عن اتحاد السببين المذكورين معاً. وأنه عندما اجتمع السببان اتفق البطريرك «أيروثيوس» مع الوالي صبحي باشا، وبالتالي مع الباب العالي والبطريرك القسطنطيني على عزل هذين المطرانين، حيث قصد كل من الفريقين التأثير لغايته.

5 ـ لم تطل فرحة حقي باشا، متصرف لواء طرابلس، وصالح أفندي قائم مقام اللاذقية،

بعزل المطران ملاتيوس. فقد حلّ «حالت باشا»[1] والياً على سوريا بعد عزل صبحي باشا[2]. وكان المطران على علاقة جيدة بالأول. فعندما زاره المطران للتهنئة بالولاية ـ بعد عزله ـ أكرمه الوالي وأظهر له الأسف عما حصل معه. وبعد أن أشار إلى أنه ليس له علم بالمضبطة التي رفعت ضده، أظهر له ميله بالمساعدة. وعلى الفور أرسل بطلب المضبطة من حقي باشا. ولما وصلت إليه أرسلها إلى المطران عبر البطريرك الانطاكي فقرأها وأجاب عليها بعرض مسهب ـ ليس هنا مجال لذكره ـ قدمه إلى الوالي حالت باشا، الذي قال بعد أن اطلع عليه: «إن مطران اللاذقية لم يعامل بالإنصاف» ووعده بالمساعدة. وما لبث أن اتفق الوالي مع البطريرك على إجراء مبادلة بين المطرانين، تقوم على نقل ملاتيوس إلى طرابلس،

(*) دعا بطريرك القسطنطينية، إلى مجمع يعقد عنده في القسطنطينية، بشأن المسألة البلغارية، فالبلغار كانوا يطالبون بأن يُسام عليهم اساقفة من جنسهم لا من اليونان. وقد دعي إلى هذا المجمع بطاركة: الاسكندرية، وانطاكية واورشليم ورئيس اساقفة قبرص واساقفة الكرسي القسطنطيني. وقد سافر ايروثيوس لحضور المجمع بدون علم اساقفة الكرسي الانطاكي. فكتب إليه ثمانية اساقفة رسالة في حزيران 1872، حضّوه فيها على أن يكون في المجمع وسيط الفة واتحاد. وحذروه من الخلاف، فلم يعبأ بهم ولا برسالتهم. وقد اعتبر المجمع أن ما يطالب به البلغار هو الانشقاق، فحرموهم. وكان المطران ملاتيوس وغيره من أصحاب الرسالة ضد هذا القرار.

(**) بعد أن عاد ايروثيوس من المجمع، جرى اتصال بين الاساقفة، الذين كتبوا إليه ولم يحترم رأيهم. وقرّ قرارهم على عقد مجمع في بيروت في أواخر تشرين الثاني 1872. وفي الموعد المحدد حضر أربعة: ملاتيوس مطران اللاذقية، صفرونيوس مطران طرابلس، غبرائيل مطران بيروت، متوذيوس مطران زحله؛ واربعة لم يحضروا: اثنان منهم من أصل يوناني هما: مطران حمص ومطران عكار، واثنان وطنيان هما: مطران حماه ومطران صور وصيدا؛ لكن هؤلاء الأربعة ارسلوا وكالة من قبلهم. لقد أدان هذا المجمع قرار الحرمان. واعتبره الطرف الآخر موجهاً ضد الباب العالي وضد المجمع القسطنطيني. واعتبره ايروثيوس موجهاً ضده.

(1) محمد حالت باشا، هو الوالي الخامس لولاية سورية، تولاها عام 1873م/1289هـ مدة سنة وسبعة أشهر. عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1863-1914، ملحق رقم 6، ص 343.

(2) صبحي باشا، هو عبد اللطيف صباحي باشا، الوالي الرابع لولاية سورية، تولاها عام، 1872 م 1288 هـ مدة سنة وثلاثة أشهر. عوض المرجع السابق؛ و *Documents..., tome* 1, p. 381.

وصفرونيوس إلى اللاذقية. وقدم إنهاء بذلك من الولاية إلى الباب العالي. وفعلاً فقد خرج من الآستانة أمر، من الصدارة العظمى لوالي سوريا مضمونه إجراء المبادلة بين المطرانين بناء على الإنهاء الذي تقدمت به الولاية. لكن، ما أخرّ تنفيذ هذا القرار، هو أن نظارة الخارجية في السلطنة العثمانية وجهت كتاباً في أوائل أيار/مايو 1873 تطلب من الولاية وقف التنفيذ ريثما يصلها أمر آخر يتضمن إعادة كل من المطرانين إلى أبرشيته السابقة. وفعلاً، كانت تجري مداخلات واتصالات على مستويات رفيعة، من أجل استصدار قرار آخر وفق آلية أخرى، يطلب فيها البطريرك من نظارة الخارجية عودة المطرانين. وبناء على الطلب الذي رفعه البطريرك وافقت الصدارة العظمى، وبعد عدة أيام صدر قرار العودة وأبلغ للمطرانين. وبذلك، انتهت رحلة الألم التي أبعدت المطران ملاتيوس عن رعيته بعد أن دامت خمسة أشهر. وفيما كان في بيروت، أتته رسالة من البطريرك «ايروتيوس» في 21 تموز/يوليو 1873، يطلب منه أن يرافق المطران «جرمانوس» إلى «مرسين»، وأن يجتهد باسترضاء الشعب فيها لأن البطريرك قد سامه بدون انتخاب.

لواء اللاذقية 1874 ـ 1878

أشار الياس صالح اللاذقي في هذه المدة إلى مجموعة كبيرة من الأحداث والوقوعات. ومن أهمها:

1 ـ جوع أهالي الجبال وبيع الأولاد، متناولاً في هذا المجال الأسباب الكثيرة المباشرة، التي أوصلت اللواء إلى هذا الوضع. فقبل بداية الشتاء عام 1874، تدخل أصحاب الغلال مع المسؤولين من أجل إعادة العمل برخص الشحن، فشحنت الحبوب والغلال. وبظرف مدة قصيرة، لم يبق في اللاذقية الكميات الكافية، التي تحفظ دوام الاستهلاك من جهة، وتحافظ على ثبات الأسعار المعتدلة من جهة أخرى. وكان شتاء ذلك العام قاسياً جداً بغزارة أمطاره وتساقط ثلوجه، وخروج وحوشه البرية. فالنباتات ماتت، وانقطعت الطرقات، وقلّت فرص العمل، وإمكانية ورود الحبوب من مناطق ولاية حلب. وبذلك، فقد قضي على موارد رزق المواطنين، وارتفعت الأسعار بشكل لا مثيل له. فقد وصل ثمن كيلة الحنطة إلى 53 غرشاً،

وكيلـة الشـعير إلـى 35 غرشـاً[1]. ممـا أدى إلـى ازديـاد الفقـر والعـوز والحاجـة. كل ذلـك، كان يدفـع الفلاحيـن مـن رجـال ونسـاء وأولاد إلـى طـرد النسـور والغربـان عـن جيـف الحيوانـات النافقـة ليأكلـوا لحمهـا؛ والـى انتشـار عمليـة بيـع الأولاد فـي أسـواق اللاذقيـة وجبلـه[*].

2 ـ فـي عـام 1876، تعرضـت السـلطنة لهجـوم عسـكري، مـن قبـل الصـرب والجبـل الأسـود. وبهـذه المناسـبة كان علـى لـواء اللاذقيـة، أن يتحمـل قسـطاً مـن المسـاهمة فيهـا. ففـي هـذا العـام ورد إلـى اللاذقيـة أمـر السـلطنة بجمـع عسـاكر الرديـف. وتنفيـذاً للأمـر، فقـد جمـع مـن قضـاء اللاذقيـة طابـور[2] سـافر فـي 25 تمـوز، وطابـور مـن جبلـه سـافر فـي 18 آب، علـى البارجـة «مـدار توفيـق». وكان بينهـم 200 مـن اللاذقيـة فقـط؛ وقـد تهـرب مـن هـذه المهمـة عـدد كبيـر دفعـوا بـدلاً نقديـاً قـدره خمسـون ليـرة عثمانيـة عـن الشـخص الواحـد، ناهيـك عـن الذيـن قدمـوا بـدلاً شـخصياً. لقـد أثـر هـذا الإجـراء علـى الأوضـاع الأمنيـة فـي مختلـف أنحـاء اللـواء. فقـد اضطـر المسـؤولون الأمنيـون أن ينزلـوا مـن معسـكر قريـة «حبيـت» إلـى اللاذقيـة ثلاثـة بلـوكات، وباتـت أعمـال القـوة الباقيـة فـي حبيـت مقتصـرة علـى تحصيـل الأمـوال الأميريـة. أمـا الأوضـاع الأمنيـة، فقـد بقيـت علـى مـا كانـت عليـه مـن فلتـان. ولذلـك، كانـت أوضـاع الجبـال النصيريـة قـد ازدادت اختـلالاً، وازدادت أعمـال اللصوصيـة فـي كل جهـة علـى الطرقـات؛ وكثـر عبـث اللصـوص فـي قـرى السـاحل، وازدادت تعدياتهـم علـى عابـري السـبيل، حتـى كاد الأمـن أن يفقـد تمامـاً. كمـا امتنـع أهالـي الجبـال عـن أداء الأمـوال الأميريـة وتأديـة الخدمـات العسـكرية المطلوبـة منهـم فـي أعمـال عسـاكر الرديـف. ولذلـك، بـدأت عمليـة التحضيـر لسـوق حملـة عسـكرية إلـى الجبـال والمناطـق التـي اختـلّ فيهـا الأمـن.

---

(1) كيله، هي وحدة كيل لقياس الحبوب، ويختلف وزنها حسب المناطق وحسب نوع الحبوب

Documents..., tome 1, op. cit., p. 281.

(*) كانت الفتاة تباع بمئتي غرش على الأكثر. ومن أجل التخلص من المسؤولية، كان البيع يتم بتموجب حجة مضمونها أن أبا الفتاة أو عمها أو جدها أو احد قومها أجرها مدة ثلاثين سنة بمبلغ كذا وكذا. هذا ما أشار إليه الياس صالح اللاذقي.

(2) طابور، كتيبة من الجنود *Documents..., tome* 1, op. cit. p. 320.

3 ـ بينما كانت الاستعدادات جارية لسوق الحملة العسكرية، ورد إلى اللاذقية خبر إعلان روسيا الحرب على السلطنة العثمانية في 13 نيسان 1877. وبالتالي فقد اضطرت القوات، التي كانت قد تجمعت في قرية «ديفة»، أن يذهب قسم منها إلى اللاذقية وقسم آخر إلى جبله؛ وأصبحت إمكانية هذه القوة محدودة، ولم تعد إمكانية فرض الأمن في الجبال متوافرة. وهكذا، فقد اثرت الحرب الروسية على السلطنة العثمانية بشكل سلبي جداً على الأمن، بحيث كثرت أعمال السطو واللصوصية والسرقة والقتل. وخاف المسيحيون كثيراً من هذه الأوضاع، وباتوا قلقين على مصيرهم ومصالحهم، ولا سيما الذين يقطنون على الساحل حيث جرى التركيز عليهم هذه المرة أكثر من مسيحيي الجبال.

4 ـ في 17 شباط 1878، قدمت إلى ميناء اللاذقية باخرة نمساوية من «سلونيك» (Salonique)، حاملة معها جركساً مهاجرين من بلاد البلغار. وهؤلاء الجركس، كانوا قد هاجروا أولاً من بلادهم، عندما تمّ لروسيا أن تتغلب عليهم وتأسر أميرهم الشيخ «شامل المشهور»، إثر «حرب القرم» (La Gueree de Crimée) عام 1854. لقد دخلوا السلطنة العثمانية، فوطنت منهم ألوفاً في أملاكها بأوروبا. ولما ظهرت الحركة البلغارية المطالبة باستقلال بلغاريا عن السلطنة، قام هؤلاء بأكثر الأعمال فظاعة ضد البلغاريين. هذه الفظائع التي ارتكبها هؤلاء، كانت واحدة من الأسباب التي دعت روسيا إلى إعلان الحرب على السلطنة العثمانية في ذلك الوقت. وعندما انتصرت روسيا في هذه الحرب، ووطنت عساكرها في أراضي «ولاية الطونة» و «ولاية أدرنة»، ووصلت إلى أبواب الاستانة، لم يسع الجراكسة إلا الهرب من تلك البلاد خوفاً من القصاص والانتقام. ولذلك، وخوفاً من وقوع مذبحة بهؤلاء، فقد أرسلت ألوفاً منهم إلى سوريا، وكان من جملتهم هؤلاء القادمون، الذين تسببوا بالإرباك والخوف والحذر لقائم مقاميتي اللاذقية وجبله؛ ثم إلى التوجس خيفة منهم. وأمام هذا الواقع، جرت المخابرة بشأنهم بين كل من القائم مقاميتين مع المتصرف في طرابلس، والوالي في دمشق، ولا سيما بعد المشاجرات والإشكالات التي راحت تنشأ بينهم وبين أبناء البلاد. وبعد أخذ وردّ بين المسؤولين بهذا الشأن، تقرر ترحيلهم إلى حلب

وأضنــة وقونيــة وعــكا بحســب اختيــار كل عشــيرة منهــم، شــرط أن يدفــع الأهالــي القاطنيــن عندهــم نفقــة ترحيلهــم.

لواء اللاذقية 1879-1881

إنّ مــا أشــار إليــه اليــاس صالــح اللاذقــي مــن معــارف، خــلال هــذه الســنوات الثــلاث، يمكــن أن تنــدرج تحــت العناويــن التاليــة:

1 ـ اللاذقيــة تســتيعد مركــز المتصرفيــة. فــي هــذا المجــال يمكــن القــول بــأن قــدوم «مدحــت باشــا» واليــاً علــى ســوريا فــي أواخــر عــام 1878 [1]، كان عامـلًا مسـاعداً وحاسـماً. فقـد امتـاز هـذا الوالـي عــن غيــره مــن الــولاة والــوزراء العظــام، بالحــزم والعــزم والإقــدام وحبــه للإصــلاح، واشــتهر بوضــع القانــون الأساســي لدولــة الســلطنة العثمانيــة، فــي عــام 1876 م، حيــن كان صــدراً أعظــم. فلــدى قــدوم هــذا الوالــي إلــى دمشــق ليتســلم مهــام منصبــه، التقــى عــدد مــن أعيــان اللاذقيــة مــع وكيــل قنصــل دولــة اســبانيا [*]، وتباحثــوا فــي الأحــوال الناشــئة فــي قضائــي اللاذقيــة وجبلــه. وبعــد أن

(1) أشارت الوثائق الدبلوماسية والقنصلية الفرنسية، أن «أحمد جودت باشا»، قد تولى على ولاية سورية في عام 1878م/1295هـ؛ وأنّ «مدحت باشا»، الذي تولى بعده هذه الولاية، قد تولاها في عام 1878م/1295هـ؛ وأن «أحمد حمدي باشا»، الذي تولاها بعد هذا الأخير، كان في 1878م/1296هـ وهذا ما لا يتفق مع السنوات الميلادية على الأقل. *Documents..., tome* 1, op. cit. p. 381. . أما عبد العزيز محمد عوض، فقد جعل تولي هؤلاء، كما يلي: أحمد جودت باشا 1295هـ/1879م، مدة ولايته تسعة أشهر وثلاثة أيام؛ مدحت باشا 1295هـ/1879م، مدة ولايته سنة وثمانية أشهر وعشرة أيام؛ أما أحمد حمدي باشا، فقد تولاها عام 1296هـ/1880م مدة ولايته 5 سنوات و14 يوماً، وهذا ما لا يتفق لا مع السنوات الهجرية التي أشار إليها، ولا مع السنوات الميلادية، ولا مع المدد الزمنية. عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 343. أما وكيل القنصل الفرنسي العام في بيروت، فقد أشار إلى أن وصول مدحت باشا إلى بيروت قادماً من دمشق، كان في 25 تشرين الثاني 1879؛ وهذا يعني أن مدحت باشا قد تعين والياً على سورية في عام 1878، وليس في عام 1879، كما أشار عبد العزيز عوض، ولمزيد من الايضاح، تراجع رسالة هذا الوكيل القنصلي، التي بعث بها من بيروت، إلى وزير الخارجية الفرنسية، بتاريخ 29 تشرين الثاني 1878 Documents.. tome 14, op. cit. o. 64.

(*) الذين التقوا وتناقشوا بالأوضاع الناشئة في منطقة اللاذقية هم: الياس أفندي صوايا، وابراهيم أفندي =

تـداول المجتمعـون بأحـوال الوضـع القائـم، رأوا أن يسـتفيدوا مـن علاقـة الـود التـي كانـت قائمـة بيـن وكيـل القنصـل ومدحـت باشـا(**). وذلـك، بـأن يعمـل هـذا الوكيـل علـى إحاطتـه بوضـع هذيـن القضائيـن، ويشـرح لـه الأسـباب الموجبـة لجعلهمـا متصرفيـة تكـون اللاذقيـة مركزهـا. ويبـدو أن الأمـور قـد اتجهـت وفـق مـا رسـموه لهـا. فقـد قـام وكيـل القنصـل المشـار إليـه بمـا هـو مطلـوب منـه لـدى قـدوم هـذا الوالـي إلـى طرابلـس وشـرح لـه أوضـاع منطقـة اللاذقيـة واقتنـع الوالـي بمـا عـرض عليـه وأعلـن عـن نيتـه أمـام الطرابلسـيين بضـرورة فصـل لـواء اللاذقيـة عـن طرابلـس ليكـون مرتبطـاً مباشـرة بمركـز الولايـة فـي دمشـق. كمـا أعلـن عـن قـراره بالذهـاب إلـى اللاذقيـة.

وهنـا يمكـن القـول بـأن اليـاس صالـح اللاذقـي، قـد أراد لمواطنـه أن يعـرف عنـه أنـه كان فـي قلـب هـذا الحـدث، عندمـا قـرر أن يعـد لائحـة لتقـدم إليـه مـن قبـل أهـل المدينـة لـدى قدومـه إليهـا لزيارتهـا. وفعـلاً فقـد أعـد هـذه اللائحـة وثبـت نصهـا كامـلاً فـي مخطوطـه وبخـط ريشـته. ومـا يمكـن قولـه حـول هـذه اللائحـة، هـو أنهـا مرافعـة مهمـة، غنيـة بالمعـارف التاريخيـة، التـي تبيـن أهميـة الموقـع الإداري ودوره فـي تحقيـق الازدهـار والتنميـة؛ كمـا تبيـن مـدى مـا يحدثـه فقـدان هـذا الموقـع مـن تراجـع فـي مختلـف مجـالات الحيـاة؛ وقـد جـاءت وقائعهـا مقنعـة لمـن يريـد أن يقتنـع. لقـد كان اليـاس فـي هـذه اللائحـة محاميـاً بارعـاً فـي تشـخيص الأضـرار التـي لحقـت باللاذقيـة منـذ العـام 1864 عندمـا جعلـت منطقتهـا أقضيـة مرتبطـة بطرابلـس؛ وفـي تبيـان الفوائـد عندمـا تكـون مركـزاً لمتصرفيـة وتعـود مقاطعاتهـا إلـى الارتبـاط بهـا مجـدداً. لقـد رفعـت اللائحـة إلـى مدحـت باشـا بواسـطة «شـارل بجوزوسـكي». وعلـم بعـد ذلـك أن هـذا الوالـي، قـد أنهـى إلـى البـاب العالـي بوجـوب تحويـل اللاذقيـة إلـى متصرفيـة. وعندمـا شـاع الخبـر فـي المدينـة، أدى إلـى حصـول ردتـي فعـل:

الأولـى، مـن قبـل أولئـك الذيـن كان الجـو خاليـاً لهـم فـي قضـاء جبلـه، لأنهـم كانـوا منتفعيـن

= حكيم والياس صالح اللاذقي مؤلف هذا التاريخ. أما وكيل القنصل الاسباني في اللاذقية فهو: «شارل بجوزوسكي».

(**) تعرّف شارل بجوزوسكي، على مدحت باشا واكتسب محبته، عندما كان هذا الأخير والياً على ولاية الطونه وولاية بغداد.

ببقاء الحالة الراهنة، التي مكنتهم من جمع ثروة عظيمة. ولذلك، فقد تقدموا بعرائض تحريرية وتلغرافية إلى الولاية والى الصدارة العظمى مضادة لهذا المشروع، في محاولة لإبقاء الوضع على ما هو عليه.

الثانية، من قبل أولئك الذين طالبوا، مؤيدين في ذلك من وجوه وأعيان المدينة، كمفتي اللاذقية ورؤساء باقي الطوائف الروحيين. فقد قدم هؤلاء عريضة تلغرافية ممضاة عنهم، أرسلت إلى مدحت باشا. وفي أوائل حزيران 1879، ورد إلى هذا الأخير أمر الصدارة العظمى يعلن صدور الإرادة السنية السلطانية بقبول إنهائه بتحويل اللاذقية إلى مركز متصرفية. وهكذا عادت المدينة إلى ما كانت عليه، واستعادت مركزها الإداري التاريخي، وراح أهلها ينتظرون تنفيذ هذه الإرادة بتعيين متصرف للوائهم الجديد. وفعلاً، فقد أنهى الوالي هذا الانتظار بتعيين «أحمد أفندي الصلح»، الصيداوي الأصل (من صيدا). وكان أول متصرف تعيّن للاذقية بعد إعادة لوائها. وقد وصل إليها على متن «الوابور الفرنساوي» في 26 تموز 1879. وبهذه المناسبة جرى له استقبال رسمي وشعبي. وفي صباح الخميس 9 آب 1879، قدم مدحت باشا إلى اللاذقية. وجرى له أيضاً احتفال رسمي وشعبي مهيب. وبعد ثلاثة أيام من الاستقبالات والدعوات إلى موائد الطعام، والزيارات هناك، عقدت اجتماعات عمل تقرر فيها تقسيم الأقضية وتخصيص المعاشات والمصارفات المقننة لكل قضاء. وأعطيت الأوامر اللازمة للعمل بموجبها. وجرى تقسيم المتصرفية كما يلي:

1 ـ متصرفية اللاذقية، ضمت: مقاطعة البهلولية وقرى الساحل، وجعلت البايروالبوجاق ناحية على رأسها مدير مرجعه مركز المتصرفية في اللاذقية.

2 ـ قضاء صهيون، تألف من عدد من المقاطعات: جبل الأكراد، وصهيون، وبيت الشلف، والمهالبة. ومركزه قلعة «بابنا».

3 ـ قضاء جبله، تألف من مقاطعات: القرداحة، وبني علي، والسمت القبلي، وقرى الأوقاف والشمسيات، وساحل جبله. وجعل مركزه في قصبة جبله.

4 ـ قضاء المرقب، تألف من مقاطعات: المرقب، وزمرين، وجرد العليقة، والضهر الغربي، والخوابي. ومركزه قلعة المرقب. أما مقاطعة القدموس، فقد جعلت مديرية قائمة بذاتها، على رأسها مدير تابع لمركز القضاء[1].

وهكذا، باتت ولاية سوريا مؤلفة من تسعة ألوية في عام 1879، بعد أن كانت ثمانية في عام 1868. أي بإضافة لواء اللاذقية، الذي اقتطع من لواء طرابلس الشام. أما هذه الألوية فهي: لواء دمشق الشام، ولواء حمص وحماة، ولواء طرابلس، ولواء اللاذقية، ولواء حوران، ولواء بيروت، ولواء عكا، ولواء القدس، ولواء نابلس[2].

2 ـ إنشاء جمعيات المقاصد الخيرية الإسلامية: لم يكن إنشاء هذه الجمعيات في اللاذقية سنة 1880، حالة مفردة مقتصرة على هذه المدينة فقط. بل كان جزءاً من توجه عام، عملت السلطنة العثمانية، على تنفيذه في كل أنحاء ولاية سوريا، وربما في مختلف أنحاء السلطنة. وقبل أن نبدأ ببحث هذه المسألة، لا بد من الإشارة إلى عدة أمور مهمة، قد تساعد على

---

(1) لمزيد من الايضاح حول تركيب هذا اللواء، يراجع: ملحق رقم 4 المرفق بالدراسة.

(2) الألوية الثمانية التي كانت تتشكل منها ولاية سورية عام 1868 هي:

1 ـ لواء دمشق الشام، يتألف من ثمانية اقضية، وهي: وادي العجم، ووادي برد واقليم البلان، وجبل القلمون، وراشيا، وحاصبيا، والبقاع الشرقي، وبعلبك، والبقاع الغربي.

2 ـ لواء حمص وحماه، تألف من خمسة أقضية هي: جبل حزور، وجبل الكلبية، وجبل الحوله، ومعرة النعمان، وحصن الأكراد.

3 ـ لواء طرابلس، تألف من ستة أقضية: اللاذقية، جبله، وطرطوس، والمرقب، وصافيتا، وعكار.

4 ـ لواء حوران، تألف من أربعة أقضية: حيدور، وجبل عجلون، واللجون، والحوله والجولان.

5 ـ لواء بيروت، تألف من أربعة أقضية: صيدا، وصور، وهونين وتبنين،و مرجعيون والشقيف.

6 ـ لواء عكا، تألف من سبعة أقضية: حيفا، والشاغور، وعتليت، وشفا عمرو والناصرة، وصفد، وجبل ترشيحا، وطبرية.

7 ـ لواء القدس، تألف من خمسة اقضية: بيت لحم، وغزه، والخليل، واللد والرملة، ويافا.

8 ـ لواء نابلس، تألف من أربعة أقضية: جنين، وبنو صعب،و السلط، والكرك.

ولمزيد من الايضاح، يراجع: عبد الكريم غرايبه، سورية في القرن التاسع عشر، القاهرة 1962، ملحق و، ص 233.

رؤيـة السـياق العـام، الـذي أنشـئت فيـه هـذه الجمعيـات وأسـباب إنشـائها وحلهـا والتهمـة التـي وجهـت إليهـا والأسـلوب الـذي اعتمـد فـي حلّهـا. مـن هـذه الأمـور:

الأمـر الأول، هـو أن القـرارات التـي صـدرت عـن السـلطنة العثمانيـة، تنفيـذاً لأحـكام «التنظيمـات الخيريـة» و «الهمايونيـة»، قـد جعلـت لـكل طائفـة دينيـة مـن غيـر المسـلمين مجلسـاً مدنيـاً ومجلسـاً روحانيـاً؛ وحـددت سـلطات كل منهمـا؛ وأوضحـت كيفيـة تأليفهمـا مـع كيفيـة انتخـاب رؤسـاء الطوائـف وتعيينهـم. وتركـت جميـع القضايـا المتعلقـة بالأحـوال الشـخصية لأبنـاء الطائفـة، إلـى هـؤلاء الرؤسـاء وتلـك المجالـس. وتركـت لهـم كذلـك جميـع الأمـور المتعلقـة بأوقـاف الأديـرة والكنائـس وشـؤون المـدارس والمؤسسـات الخيريـة الخاصـة بالطائفـة. وجعلـت البطريركيـات والأسـقفيات مسـؤولة عـن رعاياهـا أمـام إدارات السـلطنة. وبالتالـي، فقـد بـات أبنـاء هـذه الطوائـف، تحـت رقابـة إدارات السـلطنة بشـكل غيـر مباشـر، عبـر رؤسـاء هـذه الطوائـف ومجالسـها الملّيـة. أمـا المسـلمون، فلـم يكـن لديهـم أمثـال هـذه التشـكيلات. ولذلـك، فقـد بقيـت أمورهـم كلهـا موكولـة إلـى السـلطنة مباشـرة ـ بوصفهـا دولـة الخلافـة الإسـلامية ـ بـدون أن يكـون بينهـا وبينهـم جماعـة وسـيطة[1].

الأمـر الثانـي الـذي تجـدر الإشـارة إليـه أيضـاً، هـو أنـه فـي أواخـر عـام 1878، دخلـت منطقـة السـاحل الشـرقي للبحـر المتوسـط والداخـل السـوري، إلـى محطـة جديـدة مـن تاريـخ علاقتهمـا بالسـلطنة العثمانيـة، عندمـا أرسـلت هـذه الأخيـرة مدحـت باشـا واليـاً علـى سـوريا بتوجهـات عمليـة مـن أجـل إصـلاح شـؤون هـذه الولايـة. وكان هـذا الوالـي غيـر العـادي، مـن أنصـار «حـزب الإصـلاح» علـى الصعيـد الداخلـي لإدارة البـلاد. فأمـام وضـع السـلطنة المفلـس، وتلبيـة للنـداءات التـي كانـت تصـدر عـن المسـلمين هنـا وهنـاك، كـي تهتـم السـلطنة بأوضاعهـم عامـة، وبالتعليـم بشـكل خـاص، مـن أجـل اللحـاق بركـب الطوائـف غيـر الإسـلامية فـي تلبيـة متطلبـات أسـواق العمـل الجديـدة؛ ولمواجهـة المخططـات الدوليـة ـ التـي كانـت تنخـر فـي جسـم هـذه الولايـة ـ

(1) لمزيد من الايضاح حول هذه الأفكار، يراجع:

ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 89-96.

العاملة على استمالة أبناء الطوائف الإسلامية، من أجل كل هذا، عمل مدحت باشا، على تنفيذ توجهات السلطنة، بإنشاء «جماعات إسلامية»، على غرار الجماعات غير الإسلامية، كي تهتم بالشؤون المحلية للمسلمين. وفي هذا السياق تأتي الجهود التي بذلها مع أعيان من المسلمين وأولي الأمر منهم، من أجل تنظيمهم في جمعيات ذات مقاصد خيرية وعلمية، تألفت من مسلمين (سنة) دون سواهم. وهكذا أمكنه أن يؤسس ـ خلال مدة ولايته ـ في سوريا عدداً من هذه الجمعيات، التي شملت كل أنحاء الولاية ولاسيما مدنها الكبرى. علماً أن مصادر السلطنة الرسمية، قد أشارت إلى هذه الجمعيات بأسمائها وأسماء أعضائها. ومن خلال هذه المصادر، أمكن أن نتعرف إلى سبع جمعيات منها وهي:

جمعية المقاصد الخيرية في بيروت، تكونت من أربعة وعشرين شخصاً[1].

جمعية صيدا للمقاصد الخيرية، تكونت من ستة عشر شخصاً[2].

جمعية طرابلس العلمية الخيرية، تكونت من تسعة عشر شخصاً[3].

الجمعية الخيرية في اللاذقية، تكونت من ستة عشر شخصاً[4].

جمعية عكا الخيرية، تكونت من ستة عشر شخصاً[5].

جمعية نابلس الخيرية، تكونت من اثني عشر شخصاً[6].

الجمعية الخيرية في ناحية جنين، تكونت من ثمانية أشخاص[7].

الأمر الثالث، هو أن الحكومة العثمانية، قد عملت ـ منذ أن أنشأت هذه الجمعيات- على منح المدارس التي أسستها هذه الجمعيات مساعدات مالية؛ وخصّتها بعدد من

---

(1) سالنامة ولاية سورية لعام 1298هـ دفعة 13، ص 149.

(2) المصدر السابق، ص 161.

(3) المصدر السابق، ص 183.

(4) المصدر السابق، ص 183.

(5) المصدر السابق، ص 195.

(6) المصدر السابق، ص 216.

(7) المصدر السابق، ص 218.

الملكيات الوقفية. كما أن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1876-1909) نفسه، خصّ مدارسها في بيروت بمبلغ سنوي. علماً أن أعضاء هذه الجمعيات، كانوا من وجهاء القوم وأثريائهم، في المناطق التي تشكلت فيها هذه الجمعيات[1]. ولذلك، ما أن سنحت لهؤلاء فرصة بروزهم، حتى باتوا من العناصر الفاعلة والمؤثرة في محيطها، ولا سيما أعضاء جمعية بيروت، الذين باتوا من أكثر الأعضاء تأثيراً وفاعلية. فهم الأكثر ثقافة ويتمتعون بدعم شعبي واسع، إلى جانب أنهم يحملون مشاعر كره تاريخي للعنصر التركي، الذي تغافل عنهم وعن مصالحهم. هذه الجمعية ـ كانت بشكل من الأشكال ـ تقود الجمعيات الأخرى في مدن الولاية، بما فيها تلك التي في دمشق. فبالرغم من أن هذه الأخيرة «كانت مدعومة من قاعدة شعبية واسعة جداً، فهي لم تكن تتمتع بنفس التأثير الذي كان لجمعية بيروت في البلاد»[2]. على حد تعبير القنصل الفرنسي العام في بيروت.

الأمر الرابع، وهو أن غاية السلطنة الحقيقية من إنشاء هذه الجمعيات، كانت خافية عن أعضائها؛ ولذلك، كانت توجهاتها تختلف كلياً، عن تلك التي كان أعضاؤها يتطلعون إليها ويطمحون إلى بلوغها. القنصل الفرنسي العام في بيروت، السيد «بتريمونيو» (M. Patrimonio)، أشار في رسالته، إلى رئيس مجلس الوزراء، وزير الخارجية الفرنسية، السيد «دي كليرك» (M. Duclerc)، بتاريخ 18 ايلول 1882، بأن ما كانت تريده السلطنة من إنشاء هذه الجمعيات، هو في أن «تعتمد عليها، من أجل الدعاية للجامعة الإسلامية، والعمل ضد النزوع باتجاه الأفكار الأوروبية التي تدخل إلى البلاد»[3]. أما «أحمد عارف الزين» صاحب «تاريخ صيدا»، فقد رأى حول هذه المسألة، أن الجمعية، «قد وضعت أمامها هدفاً، هو التعاضد والتناصر لمنافع الوطن. وأخذت تهتم بإنشاء المدارس الإسلامية لتخريج جيل

---

(1) للتعرف على أسماء اعضاء هذه الجمعيات، يراجع: الملحق رقم 5، المرفق ربطاً بالدراسة وهو عبارة عن كشف بأسماء أعضاء هذه الجمعيات أعد بالاستناد إلى المصدر المذكور والصفحات المشار إليها أعلاه.

(2) *Documents..., tome* 14, Byrouth, 1973, p. 417.

(3) *Documents..., tome* 14, op. cit. p. 418.

من المتعلمين يكون عضداً للتجار المسلمين، بعد أن كانت مدارس الإرساليات الأجنبية والجمعيات الدينية المسيحية، قد سبقتها شوطاً بعيداً في هذا المضمار»[1]. غير أن الياس صالح اللاذقي، أشار في «أثار الحقب في لاذقية العرب»، حول هذه المسألة إلى أن «غاية الجمعية الحقيقية كانت إحياء العصابة الجنسية العربية ضد الترك، والعصابة الدينية الإسلامية ضد المسيسحيين وترشيح تلامذة منهم لمأموريات الحكومة واستقلالهم بها».

إنّ ما يهمنا من أمر هذه الجمعيات، هو جميعة اللاذقية، وما جرى إنشاؤه حولها من جمعيات ولجان. فالمتصرف «أحمد أفندي الصلح» وإبناه منح أفندي ورضا أفندي، كانوا على ما يبدو على علاقة وثيقة بمدحت باشا. فقد سعى هؤلاء إلى تأليف هذه الجمعية، التي دعيت «الجمعية الخيرية». وقد تألفت من وجوه مسلمي المدينة؛ وعيّن منح أفندي الصلح رئيساً لها، وصائب أفندي شيخ المولوية نائب رئيس. أما ما تبقى من الأعضاء فهم: ابن هرون محمود آغا، وابن أوسطه محمد أفندي، وابن المفتي فيض الله أفندي، وابن شواف قاسم أفندي، وابن المحمودي عبد الفتاح أفندي، وابن الدجاني أديب أفندي، وابن المفتي علي أفندي، وابن الصوفي محمد صالح أفندي، وابن فتاحي عبد الفتاح أفندي، وابن رويحه محمد أفندي، وابن عجان عبد الحميد أفندي، وابن قواف ابراهيم أفندي، وابن حكيم محمود أفندي، وابن هرون اسعد آغا[2].

من أعمال هذه الجمعية، أنها انشأت مدرسة لصبيان المسلمين، فرضت نفقتها على

---

(1) علي محمد حويلي، التطور الثقافي لمدينة بيروت منذ الفتح المصري لبلاد الشام وحتى الحرب العالمية الأولى، 1831-1914، وهي اطروحة دكتوراه غير منشورة، اعدت باشراف د. مسعود ضاهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الفرع الأول بيروت 1990، ص 179-181.

(2) سالنامة ولاية سورية لعام 1298هـ دفعة 13، ص 183.

(*) الأعضاء العشرة الذين اختيروا وفوضوا بوضع ضرائب ورسوم: اسماعيل أفندي صالح، ومحمد أفندي رويحة، هؤلاء من المسلمين؛ وميخائيل أفندي سعاده، والياس صالح اللاذقي، وهما من الروم الارثوذكس؛ والخواجه بطرس يازجي من الموارنة؛ والخواجه جفروا قنصل روسيا والمجر من الفرنساويين؛ والخواجه باسيلي ويتالي من التبعة اليونانية عن الأجانب؛ والشيخ سليمان حاتم والشيخ سعيد قسمين من النصيرية؛ ليكوّنوا قومسيوناً تحت رئاسة منح أفندي الصلح.

الوجوه وذوي الثروة بواسطة اشتراك كل منهم بقدر معلوم على حسب استطاعته، يدفعه شهرياً إلى صندوق الجمعية. وبالإضافة إلى ذلك، فقد سعت الجمعية إلى تحويل واردات بعض الأوقاف المضبوطة إلى صندوقها، كما أسعفتها الحكومة في مهماتها بعناية ودعم مدحت باشا. وإلى جانب هذه الجمعية الخيرية، فقد تألفت من هؤلاء أيضاً جمعية ثقافية، دعيت «الجمعية الأدبية»، وعُيّن رضا أفندي الصلح رئيساً لها.

وبتشويق من مدحت باشا أيضاً، حول أهمية الطرق في الشأن العام والعمل على تسهيل المواصلات بين اللاذقية وحلب، فقد جرى جمع أعيان اللاذقية ووجوهها من مختلف الملل ووكلاء القناصل، فانتخبوا عشرة أعضاء برئاسة «منح الصلح» للاهتمام بالطرق بين حلب واللاذقية وتنظيف المرفأ. وقد فوضت هذه اللجنة من قبل الأهلين، بوضع ضرائب ورسوم معتدلة على البضائع الصادرة والواردة وعلى اللحم، بإشراف وتصديق مجلس الإدارة، لتأمين المصاريف اللازمة[*].

لقد أقدم مدحت باشا على هذا الاجراء، لاعتبارات كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1 ـ لقد أُرسل مدحت باشا إلى سوريا تحت عنوان اصلاح شؤونها، لتكون مثالاً للعبور منه إلى بقية ولايات السلطنة العثمانية، ولا سيما من أجل تغذية خزانتها العامرة[1]. وكان يدرك ـ بعد أن أوقف السلطان عبدالحميد الثاني العمل بالدستور ـ بأن الحزب المحافظ في

(1) أشار السيد «دي لابورت» (M. Delaporte) ، القنصل الفرنسي العام في بيروت، بتاريخ 10 أيلول 1879، أنه في الوقت الذي كان فيه مدحت باشا منهمكاً بورشة اصلاح شؤون ولاية سورية، ويطلب من السلطنة المساعدة المالية، ارسل الباب العالي إلى سموه (son Altesse) أمراً يطلب منه أن يقتطع %33 من مخصصات ومعاشات العاملين والمستخدمين في كل انحاء الولاية، من أجل تحقيق الوفر الاقتصادي في خزانة السلطنة. وطلب منه أن يتشدد في تنفيذ الأمر قائلاً: «لقد كانت ولاية سورية على الدوام ولاية متميزة في اعطاء المثل الجيد. ويأمل الباب العالي من مدحت باشا تنفيذ الأمر بسرعة وقوة وحزم. لأن تنفيذه سيكون مثالاً ستتبعه الولايات الأخرى». *Documents..., tome* 14, op. cit. p. 96.

السلطنة، المعارض للإصلاح ممثلاً بهذا السلطان، كان يعمل على إبعاده من أجل إفشاله والخلاص منه .

2 ـ إنّ الترحيب المحلي بقدومه، الرسمي منه والشعبي، الذي لقيه لدى قدومه في كل أنحاء سوريا، كان مؤشراً على درجة الثقة التي تستحقها شخصيته من جهة، وعلى عظم الآمال المعقودة عليه من جهة أخرى؛ وعلى المسؤولية الكبرى التي ألقيت على كاهله من جهة ثالثة. وهذا ما جعله يشعر بأن فشل مهمته يعني فشله هو بالذات. وهذا بالنسبة إليه أمر ممنوع، عبّر عنه بصوت عالٍ في الزيارات المتبادلة التي التقى فيها بالسلك القنصلي في بيروت[1].

3 ـ إنّ الخطوات الإصلاحية التي قام بها، خاصة اقتطاع سنجق اللاذقية من سنجق طرابلس، كان يأمل من خلاله أن تساعده السلطنة ـ على الأقل ـ بالأموال اللازمة لتأمين مستلزمات هذا الفصل، ولاسيما أنه سيساعد على توقف النصيرية عن العصيان، الذي كاد أن يكون متواصلاً. وهؤلاء ـ حسب رأيه ـ كانوا لا يريدون غير الهدوء والسكينة. علماً أنهم قد أهينوا واستغلوا بشتى الطرق والوسائل، سواء من قبل المجموعات العسكرية التي أُرسلت ضدهم، أم من قبل القائم مقام البعيد جداً عن مركز الولاية، وعن عيون المراقبة. إنّ خطوة الفصل هذه، كان مرتاحاً لها، ويجب تثبيتها رغم محاولات دفعه إلى اليأس والإحباط[2].

4 ـ العجز السنوي المزمن في موازنة الولاية، البالغ 55000 ليرة تركية سنوياً. هذا العجز السنوي في موازنة الولاية، كان يترافق مع لجوء الباب العالي إلى الاستدانة من دائنيه من دون أن يرد إليهم هذا الدين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد سبق له أن ارسل دائنيه إلى

(1) لمزيد من الايضاح حول ثقة مدحت باشا بنجاح مهمته وقوة ارادته الخيرة، تراجع: رسالة نائب القنصل الفرنسي العام في بيروت، «السيد برتيه» (M. Péretier)، إلى وزير الخارجية الفرنسية، «السيد ودينغتون» (M. Waddington). ، بتاريخ 29 كانون الأول 1878. *Documents..., tome* 14, op. cit. pp. 64-65.

(2) *Documents..., tome* 14, op. cit. lettre m 18, p. 96

خزانة الولاية وهم يحملون إشعارات الدفع الفوري لهم من خزانة هذه الولاية[1].

5 ـ إنّ الحـزب المحافـظ الواقـف إلـى جانـب السـلطنة فـي القسـطنطينية، كان يرفـض لـه كل طلباتـه تقريبـاً. وليـس هـذا فحسـب، بـل ويعمـل علـى وضـع العراقيـل فـي وجهـه، بهـدف شـلّ إرادة الإصلاح لديـه، ومنعـه مـن تحسـين وضـع الولايـة التـي عهـدت إليـه، ولاسـيما أنهـا تحتـاج إلـى حاجـات كثيـرة[2].

مـن أجـل هــذه الاعتبـارات وغيرهــا، عمـل علـى تشـكيل لجنـة فـرض الضرائـب والرسـوم فـي اللاذقيـة. فالإصـلاح بحاجـة إلـى المـال، ولا سـبيل إليـه ـ فـي الوضـع الـذي حُشـر فيـه ـ إلا عـن هـذا الطريـق، بعـد أن اسـتنفدت السـخرة جهـود العامليـن علـى الطرقـات[3].

3 ـ حلّ جمعيات المقاصد الخيرية الإسلامية

لـم يتنـاول اليـاس صالـح اللاذقـي مسـألة حـلِّ جمعيـات المقاصـد الخيريـة الإسـلامية. علمـاً أنـه عـاش هـذه المرحلـة وشـهد أحداثهـا؛ وإنـه مـن غيـر المعقـول أن لا يكـون قـد علـم بهـذا الأمـر.

---

(1) أشار القنصل الفرنسي العام في بيروت، في رسالته إلى وزير الخارجية الفرنسية، بتاريخ 29 حزيران 1879، ان من دائني السلطنة في القسطنطينية، «السيد ظريفي» (M. Zarifi) وغيره كثيرون، قد حوّلوا إلى خزانة الولاية بارساليات من 20 الف ليرة و30 ألف ليرة تركية، مع اشعار بالدفع فوراً.

Documents..., tome 14, op. cit. lettre no 12, pp. 76-77.

(2) المصدر السابق، ص 77.

(3) أشار «السيد دي لابورت» (M. Delaporte)، القنصل الفرنسي العام في بيروت، في رسالته إلى «السيد ودّينغتون» (M. Waddington)، وزير الخارجية الفرنسية، بتاريخ 10 ايلول 1879، أن سفر مدحت باشا في دورته التفقدية، من دمشق إلى طرابلس، مروراً بحمص وحماه واللاذقية، قد جرى بالعربة للمرة الأولى، على طرقات شقت بالسخرة بمبادرة خاصة منه. وهذا بالتأكيد امر مفرح بالنسبة إليه. فقد تمكن خلال وقت قصير أن يفتتح طريقاً للعربات، في بلاد ربما لم تشهد ذلك منذ عصر الرومان. كان من الطبيعي أن اهنأه وسموه يبدي شيئاً من الفخار بنفسه. غير أن الاستنتناج، بأن هذه الطرقات قد باتت من الآن في حالة تسمح بتنظيم رحلات للعربات عليها، امر يجب التحفظ عليه، لأنه لا مكان للجسور عليها. فهذه لا يمكن إنجازها بالسخرة وبوقت سريع. فهي بحاجة إلى أساسات وبناء. ولذلك، من الصعب أن نحدد مدة لإنجازها ,*Documents..., tome* 14, op. cit. lettre no 18, pp. 91-92.

فكل ما أشار إليه حول هذه المسألة هو أن السلطنة العثمانية، «قد أوجست أخيراً أن مدحت باشا عامل على إنشاء مملكة أو امارة مستقلة عربية فعزلته وحولت الولاية لعهدة أحمد حمدي باشا» (1880-1885). وهو صدر أعظم سابقاً[1]، وسبق له أن تولى ولاية سوريا[2]. صحيح، إنّ تناول هذه المسألة، قد يبعدنا قليلاً عن أجواء «آثار الحقب في لاذقية العرب»، لكن، من المفيد أن نتوقف عند هذه المسألة لسبب بسيط، وهو أن حلّ هذه الجمعيات، قد جاء في سياق وضع عام، كانت تمر به السلطنة العثمانية ومنطقة الساحل الشرقي للبحر المتوسط؛ واللاذقية وجمعيتها الخيرية لم تكن خارجة عن هذا السياق.

لقد وصل «أحمد حمدي باشا» ليتسلم مهام الولاية، عبر بيروت في 10 آب 1880. وفي اليوم التالي ـ على متن نفس السفينة العثماينة الحربية «عز الدين» ـ غادرها مدحت باشا، بعد أن انقلب عليه السلطان عبد الحميد الثاني. فبعد أن خلع، اقتيد بشكل يشبه الإطاحة به. علماً أنه لم يكن في حسابه يوماً أن تكون نهايته على هذا الشكل. فقد سيق مخفوراً «بعد أن عومل كمجرم بحق الدولة» (après l'avoir traité en criminel d'Etat). وكان لايزال في بيروت، عندما ازيلت الحجارة المزخرفة، من على واجهة دار اليتيمة في دمشق، التي تحمل العبارة المشهورة: «مدحت خديوي سوريا» (Midhat khédive de Syrie)، على حد تعبير القنصل الفرنسي العام في بيروت[3].

(1) تولى أحمد حمدي باشا منصب الصدارة العظمى عام 1295 هـ 1878 م فترة قصيرة من الزمن. ومن الجدير بالذكر هنا، أنه خلال هذا العام المذكور، قد تولى هذا المنصب عدد من الوزراء العظام، وهم على التوالي: أدهم باشا، أحمد حمدي باشا، أحمد وفيق باشا، صادق باشا، مرسم محمد رشدي باشا، صفوت باشا، خير الدين باشا. أي بمعدل اقل من شهرين لكل واحد منهم خلال هذا العام. وهذا ما يدعو إلى التساؤل والبحث. *Documents..., tome* 1, op. cit. p. 358.

(2) تولى أحمد حمدي باشا منصب ولاية سورية في عام 1292 هـ 1875 م. هذا ما أشارت إليه المصادر الفرنسية. Documents... tome 1, p. 381. ؛ غير أن مؤلف «الإدارة العثمانية في ولاية سورية» جعل العام الميلادي الموافق لعام 1292 هـ هو 1876. وجعل مدة ولايته سنة واربعة اشهر. عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 343.

(3) كان القنصل الفرنسي العام في بيروت، السيد سينكيا ويكز (M. Sienkiewicz)، يرصد جيداً حركة وصول أحمد حمدي باشا إلى بيروت، ورحيل مدحت باشا عنها. وحول هذه المسألة، أشار في رسالته إلى وزير الخارجية الفرنسية «السيد فريسينا» (M. Freycinet)، بتاريخ 14 آب 1880، أن مدحت باشا، كان يبدو حتى اللحظة الأخيرة مليئاً بالثقة بنفسه؛ وأنه قد أكدّ له قبل ثلاثة أشهر من هذا التاريخ، بأنه سيعود يوماً إلى سورية كإنسان عادي لا أكثر؛ وأنه كان يجهد للافصاح عن آماله المخبأة بكلمات مختارة؛ وأنه يعتمد دائماً على ما يمكن أن يحصل في القسطنطينية. *Documents..., tome* 14, pp. 212-213.

إننـا إذ نشـير إلـى هـذه التفاصيـل، فمـن أجـل أن نؤكـد، أن أحمـد حمـدي باشـا، الـذي أبـدى كل لياقـة تجـاه سـلفه المخلـوع، كان يعـرف جيـداً الغـرض الـذي جـاء مـن أجلـه والمهمـة المكلـف تنفيذهـا. فبعـد أن باتـت الولايـة بيـن يديـه، بـات عليـه أن ينفـذ مـا يطلـب منـه؛ وهـو وضـع حـد لجمعيـات المقاصـد الخيريـة الإسـلامية، وأن يضـع مدارسـها فـي قبضـة السـلطنة، ولا سـيما بعـد أن وجـد أن هـذه المـدارس تحـذو حـذو مـدارس الإرسـاليات الأجنبيـة وتتعامـل معهـا فـي تطويـر وتعديـل برامجهـا؛ وأنهـا تبتعـد شـيئاً فشـيئاً عـن مناهـج وبرامـج السـلطنة.

وهكـذا، وبالتنسـيق مـع البـاب العالـي، راح الوالـي الجديـد يضايـق هـذه الجمعيـات ويراقـب مدارسـها، منتظـراً مـا سـيصدر عـن السـلطان، الـذي انتهـى إلـى قناعـة بأنـه لـم ينجـح فـي عمليـة ضبـط عمـل هـذه الجمعيـات وحصـر تأثيرهـا لمصلحتـه الخاصـة بالاتجـاه الـذي كان يريـده، وهـو الاعتمـاد عليهـا مـن أجـل الدعايـة للعصبـة الإسـلامية، والعمـل ضـد الأفـكار الأوروبيـة التـي تدخـل إلـى البـلاد. فـي حيـن أن مـا وصـل إليـه مـن خـلال إنشـائها، هـو أنـه منـح العنصـر العربـي وسـيلة يتمـدد بواسـطتها تأثيـره ونفـوذه. وإذا كان صحيحـاً أن أعضـاء هـذه الجمعيـات، كانـوا يلتقـون فيمـا بينهـم، قبـل أن ينتسـبوا إليهـا، فقـد باتـوا أعضـاء فـي جمعيـات مجبريـن علـى اللقـاء والتباحـث والتعـاون، وأن يعتمـدوا علـى بعضهـم البعـض. وهـذا مـا لا يتفـق مـع سياسـة السـلطنة وتوجهاتهـا القائمـة علـى مبـدأ «فـرّق تسـد». وعلـى ضـوء هـذه القناعـة باتـت مسـألة وضـع حـد لهـذه الأمـور والخـلاص مـن هـذه الجمعيـات بشـكل رسـمي مسـألة وقـت لا أكثـر.

القنصـل الفرنسـي العـام فـي بيـروت، «السـيد بتريمونيـو» (M. Patrimonio)، رأى فـي رسـالته التـي وجههـا إلـى السـيد «دي كليـرك» (M. Duclerc)، رئيـس مجلـس الـوزراء، وزيـر

الخارجية الفرنسية، بتاريخ 18 أيلول/سبتمبر 1882، أن حلّ هذه الجمعيات بالنسبة للسلطنة العثمانية، قد حان إثر معركة «التل الكبير»، التي خاضتها بريطانيا في مصر ضد «أحمد عرابي باشا» ورفاقه في الحركة الوطنية المصرية بتاريخ 13-14 أيلول/سبتمبر، ودخول طلائع هذه القوات إلى القاهرة في الخامس عشر من ذلك الشهر. يومها هزم أحمد عرابي وحوكم ونفي هو ورفاقه إلى جزيرة سيلان. لقد أدت هذه الهزيمة الصاعقة إلى نقمة إسلامية عارمة، والى حالة عامة من الذعر والوجوم. وقد أكد هذا القنصل في هذه الرسالة، أنه في هذا الجو من الإحباط «تلقى الوالي (أحمد حمدي باشا) من القسطنطينية أمر حل الجمعيات المسماة خيرية، المؤسسة من مدحت باشا، كما «أمر أن ينتزع منها ما كان قد خصص لها من منافع وقفية»[1]. وهكذا تكون السلطنة قد قامت بما هو مطلوب منها تجاه حل هذه الجمعيات؛ وبقي أن يقوم الوالي بما هو مطلوب منه، وهو إيجاد السبب المباشر لإبلاغ القرار إلى أصحابه المعنيين به. ومن أجل ذلك، فقد استدعى إليه قاضي بيروت ـ كان هذا الأخير قد عاد حديثاً من القسطنطينية ـ من أجل التشاور معه بمسألة تنفيذ أوامر الباب العالي. ويبدو أن واحداً من الأعمال التي أثارت القلق لدى القسطنطينية، هو إلقاء القبض في مياه بيروت، على حمولة خمسة وثمانين برميلاً من البارود على سفينة عثمانية، يمتلكها أحد المسلمين المدعو «سالم طرباي»، الذي ألقي القبض عليه، ووضع في السجن. وراح الوالي يرسل الأمر تلو الآخر لتحريك الدعوى من أجل إيجاد المشكوك بأمره. علماً أن الوالي كان يعتقد جازماً أن الحمولة تخص جمعية المقاصد الخيرية في بيروت، وأنها هي التي ستدفع ثمنها. أما الغاية ـ حسب رأيه ـ فهي أن الحمولة ستستخدم ضد السلطات التركية، في حال أن الاعمال الحربية في مصر اتخذت وجهة أخرى لصالح العرب.

ومهما يكن من أمر، فقد تابع الوالي أوامره لمواصلة التحقيق. لكن، بدون جدوى، لأن كل مسلمي بيروت، سواء منهم من في الدوائر الإدارية أو القضائية، كانوا يبذلون جهدهم



(1) Documents..., *tome* 14, lettre no 107, pp. 416-418.

مـن أجـل تخليـص المتهـم ليصبـح حـراً مـن جهـة، ولإسـقاط التهمـة المنسـوبة إليـه، التـي لـم تثبـت عليـه[1].

وعلـى أي حـال، مـا لبـث الوالـي، أن أبلـغ قـرار حـلّ الجمعيـات إلـى أصحابـه المعنييـن فـي 27 تشـرين الثانـي 1882؛ وشـكل لإدارة مدارسـها ـ ولا سـيما فـي بيـروت ـ «شـعبة معـارف» مركزهـا بيـروت؛ وظلـت تحـت سـلطة الدولـة العثمانيـة حتـى نهايـة حكـم السـلطان عبـد الحميـد 1909. وخـلال هـذه الفتـرة، كانـت مدارسـها قـد أهملـت، وتدنـى مسـتواها العلمـي بشـكل ملحـوظ[2].

وفـي ختـام هـذا الحديـث علـى أسـباب حـلّ هـذه الجمعيـات الخيريـة بالارتبـاط مـع سـقوط مصـر بيـد بريطانيـا، لا بـد مـن الإشـارة، إلـى عـدد مـن الآراء، التـي رفعهـا السـيد «سـينكيا ويكـز» (M. Sienkicwicz) القنصـل الفرنسـي العـام فـي بيـروت، فـي رسـالته إلـى السـيد «فريسـينا» (M. Freyainet)، وزيـر الخارجيـة الفرنسـية، بتاريـخ 14 آب 1880 مـن بيـروت.

الـرأي الأول، وهـو رأي هـذا القنصـل نفسـه، وهـو أن مدحـت باشـا انكليـزي التوجـه حصـراً، وأنـه أبلـغ هـذا الأمـر إلـى المعنـي بـه عبـر أنـاس يرتبطـون بـه ارتباطـاً وثيقـاً، والـرأي الثانـي يتـردد فـي بيـروت، وهـو أن سـقوط مدحـت باشـا هـو أكثـر مـن فشـل مهيـن لانكلتـرا؛ والـرأي الثالـث وهـو لعـدد مـن الشـخصيات الأكثـر صلـة بالوضـع، يـرون أن مدحـت باشـا قـد بـات عائقـاً بالنسـبة للإنكليـز أنفسـهم[3].

على ضوء هذه الآراء التي أشرنا إليها، يمكن أن نطرح التساؤل التالي:

ألا يمكـن أن تكـون القـوى المحافظـة القيّمـة علـى رأس السـلطنة، قـد عقـدت صفقـة بينهـا وبيـن بريطانيـا للخـلاص مـن المطالبيـن بالإصـلاح فـي مصـر وسـوريا؟

إنّ كل القرائـن والمعطيـات التـي بيـن أيدينـا، تـدل علـى وجـود مثـل هـذه الصفقـة. بحيـث

---

(1) *Documents..., tome* 14, op. cit. pp. 418-419.

(2) لمزيد من الايضاح حول هذه المسألة، يراجع: علي محمد حويلي، التطور الثقافي لمدينة بيروت منذ الفتح المصري لبلاد الشام وحتى الحرب العالمية الأولى (1831-1914)، اطروحة غير منشورة، مرجع سابق ص 179-181.

(3) *Documents... tome* 14, lettre no 54, p. 213.

توجه بريطانيا ضربة ذات طابع عسكري للحركة الوطنية المصرية، وتوجه السلطنة ضربتها إلى مدحت باشا، تأخذ طابع الانقلاب على نفسها، من خلال الإطاحة بشريكها في الحكم، التيار الإصلاحي ممثلاً بمدحت باشا، ثم توجه ضربة إلى جمعيات المقاصد الخيرية فتحلها. هذا بالإضافة إلى أنها تؤجج الصراع بين بريطانيا وفرنسا ولا سيما أن هذه الأخيرة كانت تحضّر خطة لاحتلال مصر. ولنتبين صورة هذه الصفقة، لا بد من الإشارة إلى الأمور التالية، ليتوضح مشهد ما جرى وما كان يجري في كل من مصر وسوريا:

1 ـ في مصر حركة وطنية مصرية، مناهضة لحكم «الخديوي توفيق» (1879-1892)، المرتمي في أحضان الإنكليز. هذه الحركة كانت تتمثل بأحمد عرابي باشا ورفاقه من ضباط الجيش، واستطاعت عبر نضالاتها أن تفرض وجودها على الخديوي، الذي لم يعد قادراً على الحكم من دون مشاركتها، أو على الأقل، الوقوف على خاطر قادتها، والموافقة على مطالبهم المتمثلة: بتشكيل حكومة وطنية تعزز الجيش عدداً وعدة وإعداداً؛ وبتشكيل «مجلس شورى النواب». لدراسة موازنة البلاد وتدقيق حساباتها وأرقامها؛ وفتح سلم الترقي أمام الضباط المصريين للوصول إلى أعلى المراتب في الجيش، أسوة بغيرهم من الضباط الجراكسة الأغراب من غير المصريين؛ ورفض التدخل الأجنبي في شؤون مصر... ولذلك، فقد باتت هذه الحركة عائقاً مشتركاً أمام السلطنة من جهة، وأمام بريطانيا من جهة أخرى. علماً أن هذه الأخيرة، كانت تخطط أيضاً لاحتلال مصر، منذ أن شقت قناة السويس من قبل شركة فرنسية عالمية، أسسها المهندس الفرنسي «فرديناند دي ليسبس»(Ferdinand de Lesseps) (*). لقد بات الخلاص من هذه الحركة من مصلحة بريطانيا وفرنسا، بقدر ما هو من مصلحة الخديوي والسلطنة العثمانية، ولا سيما القوى المحافظة فيها. وكان دخول بريطانيا على خط منافسة فرنسا في مصر، قد زاد من منسوب حدة التناقض بين الدولتين.

(*) اصدر الخديوي محمد سعيد (1849-1863) ارادته بمنح المهندس الفرنسي «فرديناند دي ليسبس» حق تأسيس الشركة العالمية لقناة السويس (la Société universelle du canal de Suez)في 30 تشرين الثاني 1854؛ واصدر السلطان عبد المجيد (1839-1861) فرمان موافقته على انشاء هذه الشركة في 19 آذار 1856؛ ودشنت أعمال الملاحة فيها في 17 تشرين الثاني 1869. Documents..., tome 1, p. 332-333.

وهذا ما استفادت منه السلطنة إلى أقصى حدود الإفادة، من أجل بقائها والحفاظ على سلامتها.

2 ـ بعد انقلاب السلطان على مدحت باشا، وإزاحته من منصب ولاية سوريا، بقيت الجمعيات التي تختلف توجهاتها عن تلك التي أنشئت من أجلها. تلك التوجهات التي كانت السلطنة وبريطانيا تعملان من أجلها، وهي إحياء العصبة الإسلامية، من أجل إثارتها في وجه فرنسا، لإفشال مخططاتها في احتلال سوريا ومصر وما تبقى من بلدان شمال افريقيا. ولذلك، عندما شبت هذه الجمعيات، عن الطوق المعدّ لها، باتت هي أيضاً عائقاً مشتركاً أمام السلطنة وبريطانيا، وكان لا بد لهما من الاتفاق على إزاحة هذا العائق.

3 ـ لقد وازن السلطان عبد الحميد، رأس السلطنة المحافظ بين أمرين ليختار واحداً منهما:

الأمر الأول، وهو أن تبقى الحركة الوطنية في مصر، وجمعيات المقاصد الخيرية في سوريا تقضان مضجعه، ويتراجع أمامهما ليفرض عليه الإصلاح عاجلاً أم آجلاً.

الأمر الثاني، وهو أن يقتسم مصر مع بريطانيا ليستبقي سوريا تحت سلطته ولمصلحته. على أن يصار إلى إخراج حركة الإصلاح من المعادلة في مصر.

بالطبع، لقد اختار السلطان الأمر الثاني. وتمت الصفقة على حساب العرب عامة والمسلمين منهم خاصة. وعلى ضوء هذه الصفقة، ضربت بريطانيا الحركة الوطنية المصرية واحتلت مصر. أما السلطنة، فقد قامت بما هو مطلوب منها ولمصلحتها الخاصة كما رأينا. وهكذا، لم ينفع الحركة الوطنية المصرية، ولا جمعيات المقاصد الخيرية الإسلامية كون أعضائهما مسلمين في علاقتهما مع السلطنة العثمانية، دولة الخلافة الإسلامية، لسبب بسيط، وهو أن ما يحكم العلاقة بين الدول، هو المصالح المتبادلة بينها، وليس أي شيء آخر.

بعض الاستنتاجات

في نهاية هذه المقدمة، لا بد من الإشارة إلى عدد من أهم الاستنتاجات، التي خلصنا إليها من خلال هذا الكتاب: «آثار الحقب في لاذقية العرب». من هذه الاستنتاجات:

1 ـ لقد التزم الياس صالح اللاذقي بمنهجه، الذي حدده لنفسه في مقدمة كتابه. فقد راعى مبدأ الابتداء بالأخص، ومنه انتقل إلى الأعم فالأشمل، عندما كتب عن لاذقية العرب أولاً، ومنها انتقل للكتابة عن لوائها، وعن ارتباطهما ببعضهما البعض من جهة، وبالشعوب المحيطة بهما من جهة أخرى، عبر مختلف عصور التاريخ.

2 ـ إنّ المؤلف، الذي آمن بأن من واجب الإنسان، أن يعرف تاريخ مدينته ووطنه، قبل أن يعرف تاريخ المدن والأوطان الأخرى، قد التزم بهذا المبدأ، وقدم لمواطنه الأحداث بإحساس المواطن المسؤول، عما يجب أن يعرفه عن مدينة اللاذقية ولوائها.

3 ـ منذ عام 1840، أطلقت الدول على السلطنة لقب الرجل المريض. فلم تعد بعد هذا العام سيدة نفسها على شعوبها وأراضيها؛ ولا سيما بعد أن تشكل «القومسيون الدولي للإصلاح في سوريا»، وسمح للأجانب بامتلاك الأراضي. وبالتالي فإننا لا نغالي إذا قلنا بأنها باتت لاعباً من جملة اللاعبين بمصير هذه الشعوب وهذه الأراضي.

4 ـ إنّ المعرفة التي قدمها لمواطنه، هي معرفة شاملة، في الجغرافيا والاجتماع، وفي الاقتصاد والآثار، وفي الإدارة والتاريخ. وإذا كان صحيحاً أنه اعتمد فرع التاريخ الحولي، ولا سيما في الجزء الثاني من الكتاب، فالصحيح أيضاً أنه لم يترك شيئاً ناقصاً، لمن يريد أن يبحث ويكتب ويربط الأحداث التي أشار إليها، بالتاريخ الإقليمي والدولي.

5 ـ يغطي الكتاب فترة طويلة من تاريخ مدينة اللاذقية ولوائها. غير أن أهم ما فيه، هي تلك الفترة الممتدة خمسين سنة 1831-1881. فهي تمتاز بدقة ما أشار إليه وتحدث عنه، بدليل أن مصادر أخرى رسمية وشبه رسمية قد أشارت إليه أيضاً.

6 ـ يعتبر هذا الكتاب مصدراً هاماً، من مصادر إعادة كتابة التاريخ العربي بشكل أدق. ولا نعتقد بعد اليوم، بوجود هذا الكتاب، بجدية أية دراسة، عن منطقة الساحل الشرقي للبحر المتوسط، أو القطر العربي السوري في العصر الحديث، بدون أن يكون هذا الكتاب مصدراً أساسياً من مصادرها.

حلبا في 2012/8/9

د. الياس جريج

ملحق رقم 1

حكام لواء اللاذقية في المرحلة الانتقالية

الرقم المتسلسل	المقاطعة	النواحي والحلل	عدد القرى	طائفة السكان	شهرة وطائفة ولقب ومكان إقامة الحاكم
1	ساحل اللاذقية	—	75	نصيرية	تتبع مركز اللاذقية
2	الخوابي	—	83	مسلمون نصيرية، ارثوذكس	من بني عذرا، مسلم، آغا، قلعة الخوابي
3	المرقب	زمرين 35 قرية، المرقب 43 قرية	78	مسلمون، نصيرية، نصارى	من بني عذرا، مسلم، آغا، قلعة المرقب
4	القدموس	القدموس 59 قرية جرد العليقة [illegible] قرية الظهر الغربي 30 قرية	147	اسماعيلية: الحجاوية والسويدانية	حجاوى وسويداني، اسماعيلي، امير قلعة القدموس
5	السمت القبلي	حلّة بني باشوط، حلّة الحمام حلة السرامطة	59	نصيرية	من بني مطرد وبني عثمان، نصيري، مقدم قرية الحضان؛ ومن بني عاصي، نصيري، مقدم، عين قيسطو؛ ومن بني جحجاح، نصيري، مقدم قرية الحمام؛ ومن البشالدة، نصيري، مقدم قرية بعبدا ودير بعبدا؛ ومن بني غريب، نصيري، مقدم، قرية الدالية.

6	بني علي	—	22	نصيرية	من بني شلحة، نصيري، مقدم، عين الشقاق
7	القرداحة	النواصرة، التراحلة، متور، ساحل القرداحة	68	نصيرية	من بني احمد، نصيري، مقدم، بتنبول؛ وبني جركس، نصيري، مقدم، مرج معيربات؛ بني علي، نصيري، مقدم، القرداحة؛ وبني العيلة وشهاب الدين نصيري، مقدم، القرداحة؛ وبني حصون، نصري، مقدم بشلاما والبراج؛ وبني علوش نصيري مقدم قرية كلماخو
8	جبله	جبله، قرى وقف السلطان ابراهيم، الشمسيات	36	مسلمون، نصيرية	تتبع جبله
9	المهالبة	عمامرة المهالبة، ساحل المهالبة	47	نصيرية، بعض الروم الارثوذكس	بني غصن، نصيري، مقدم، اللدين، بني خير
10	بيت الشلف	المزيرعة وعمامرة، بيت الشلف، ساحل بيت الشلف، جبل دريوس	113	نصيرية، قليل من الارثوذكس	بني أحمد وبني محمد وبني علي، نصيري، مقدم

11	صهيون	—	53	مسلمون	بنـي الجنـدي مصطفى، مسـلم، أجنـاد، الجفـة؛ مـن الارشـوكبة، مسـلم، اجنـاد، شـير القـاف؛ وبنـي الجنـدي ابراهيم، مسـلم، اجنـاد، منجيـلا؛ ومـن الزناقفـة، مسـلم، اجنـاد، الزنقوفـة
12	البهلولية	—	44	نصيرية	مـن بني علي وبني شمسين وبني متعور، مقدم
13	جبل الأكراد	—	121	مسلمون وارثوذكس (كنسبا)	مــن عــدة عـشـائـر، مسلم، آغا
14	البابر	—	23	مسلمون، نصيرية	مــن عــدة عـشـائـر، مسلم، آغا
15	البوجاق	—	30	مسلمون، تركمان، نصيرية	مــن عــدة عـشـائـر تركمان، مسلم، آغا

ملحق رقم 2

تركيب لواء اللاذقية في نظام الإدارة الانتقالية (1840 ـ 1865)[1]

1 ـ قضاء اللاذقية

التسلسل	المقاطعة	عدد النواحي	عدد القرى	اعداد نفوس الطوائف			إجمال عدد النفوس
				مسلمون	مسيحيون	نصيرية	
1	ساحل اللاذقية وقرى الجسرين	1	75	1206	478	10258	11942
2	البهلولية	1	44	00	034	4166	4200
3	البايروالبوجاق	2	63	7306	354	0580	8240
4	صهيون	1	53	3930	100	1760	5790
5	جبل الأكراد	1	121	7592	100	112	7804
6	بيت الشلف	1	113	000	100	7366	7466
7	المهالبة	1	47	00	00	3664	3664
	نفس اللاذقية	—	—	8189	2381	000	11200
	اجمال	8	516	28853	3547	27906	60306

2 - قضاء جبله

التسلسل	المقاطعة	عدد النواحي	عدد القرى	اعداد نفوس الطوائف			إجمال عدد النفوس
				مسلمون	مسيحيون	نصيرية	
1	قرى الأوقاف والتمسيات	1	36	592	000	4328	4920
2	السمت قبله	1	59	000	000	6716	6716
3	بني علي	1	22	000	000	3354	3354
4	القرداحة (أو الكلبية)	1	68	000	000	5644	5644
5	المرقب	1	43	2932	712	1414	5058
6	زمرين	1	35	0358	1134	1652	3144
7	الخوابي	1	82	0578	1194	5512	7284
8	القدموس	1	58	000	000	5564	5564
9	الضهر الغربي	1	58	000	000	5224	5224
10	جرد العليقة	1	20	000	000	3666	3666
11	نفس جبله	—	—	3100	000	000	3100
	اجمال	10	418	7560	3040	43074	53374
	اجمال الاجمال	18	997	36413	6587	70980	113980

(1) نظم هذا الجدول بالاستناد إلى: الياس صالح اللاذقي، أثار الحقب في لاذقية العرب، صفحات عديدة.

ملحق رقم 3

لواء اللاذقية الملغى في تقسيمات ولاية سوريا 1865 [1]

الولاية ومركزها	اللواء ومركزه	القضاء ومركزه	المقاطعة	عدد القرى	اعداد طوائف السكان			إجمال عدد الأنفس
					مسلمون	مسيحيون	نصيريه	
سوريا	طرابلس	1 - اللاذقية	مدينة اللاذقية	—	8819	2381	000	11200
دمشق	طرابلس الشام	اللاذقية	الساحل	75	1206	478	10258	11942
			البهلولية	44	000	034	4166	4200
			البايرو	63	7306	354	580	8240
			البوجاق					
			اجمال	182	17331	3247	15004	35582
		2 ـ	صهيون	53	3930	100	1760	5790
		قلعة بابنا	جبل الأكراد	121	7592	100	112	7804
			بيت الشلف	113	000	100	7366	7466
			المهالبة	47	000	000	3664	3664
			اجمال	334	11522	300	12902	24724
		3 ـ جبله	نفس جبله	—	31000	000	000	3100
		مدينة جبله	الوقف	36	592	000	4328	4920
			والشمسيات	----	-----	-----	------	------
			بني علي	22	000	000	3354	3354
			القرداحة	68	000	000	5644	5644
			السمت قبله	59	000	000	6716	6716
			اجمال	185	3692	000	20042	23734
		4 ـ المرقب	المرقب	43	2932	712	1414	5058
		قلعة المرقب	زمرين	35	358	1134	1652	3144
			الخوابي	82	578	1194	5512	7284
			القدموس	58	000	000	5564	5564
			اجمال	218	3868	3040	14142	21050
			اجـــمـــال الاجمال	919	36413	6587	62090	105090

(1) نظم هذا الجدول بالاستناد إلى: الياس صالح اللاذقي، أثار الحقب في لاذقية العرب، صفحات عديدة.

ملحق رقم 4

تركيب لواء اللاذقية في آب 1879 [1]

الولاية ومركزها	اللواء أو المتصرفية ومركزه	القضاء ومركزه	المقاطعة وعدد القرى	الناحية وعدد القرى	ملاحظات
سوريا دمشق	لواء اللاذقية اللاذقية	1 - اللاذقية اللاذقية	الساحل 75 البهلولية 44	تتبع مركز المتصرفية البايروالبوجاق 63	تتبع مركز المتصرفية على رأسها مدير ينبع اللاذقية
		2 ـ صهيون بابنا	صهيون 53 جبل الأكراد 121 بيت الشلف 113 المهالبة 47		
		3 ـ جبله قصبة جبله	القرداحة 68 بني علي 22 السمت قبله 59 الوقف والشمسيات والساحل 36		
		4 ـ المرقب قلعة المرقب	المرقب 43 زمرين 35 جرد العليقة 20 الضهر الغربي 58 الخوابي 82	القدموس 58، على رأسها مدير يتبع مركز القضاء.	

(1) جرى إعداد هذا الجدول بالاستناد إلى الياس صالح اللاذقي، أثار الحقب في لاذقية العرب، صفحات عديدة.

ملحق رقم 5

كشف بأسماء أعضاء جمعيات المقاصد الخيرية الإسلامية(1)

جمعية المقاصد الخيرية في بيروت

محرم بك رئيساً، أحمد دويان أفندي، بديع اليافي أفندي، حسن الطرابلسي أفندي، راغب عز الدين أفندي، سعيد طربيه أفندي، عبدالله الغزاوي أفندي، عبد القادر قباني أفندي، عبد الرحمن الناعماني أفندي، محمد ديه أفندي، مصطفى بشارة أفندي، محمد اللبابيدي أفندي، محمد أبو سليم المغربل أفندي، بشير البربير أفندي، حسن بيهم أفندي، سعيد الجندي أفندي، طه النصولي أفندي، عبد القادر سنو أفندي، عبد اللطيف حماده أفندي، محمود خرما أفندي، محمود رمضان أفندي، محمد الفاخوري أفندي، مصباح محرم أفندي، هاشم الجمال أفندي.

جمعية صيدا للمقاصد الخيرية

كامل أفندي المغربي رئيساً، عبد الفتاح أفندي ميقاتي، حسين أفندي جوهري، عبدالله أفندي لطفي، عبد السلام أفندي زنتوت، عمر أفندي نحولي، منيب أفندي الصلح، محيي الدين أفندي جوهري، حسن أفندي جوهري، محيي الدين أفندي حشيشو، محمد أفندي زنتوت، محمود أفندي حلمي، عبداللطيف أفندي لطفي، محمد أفندي نعماني، ابراهيم أفندي قطب، ناصيف بك الأسعد.

جمعية طرابلس العلمية الخيرية

ابن الميقاتي الشيخ علي أفندي رشيد رئيساً، عبد القادر أفندي المنلا، الشيخ خيرالدين

(1) اعد هذا الكشف بالاستناد إلى سالنامة ولاية سورية لعام 1298هـ دفعه 13، ص 149، 161، 183، 195، 216، 218.

أفنـدي ميقاتـي، الشـيخ محيـي الديـن أفنـدي اليافـي، محيـي الديـن أفنـدي سـلهب، الحـاج محمـد أفنـدي القـرق، عثمـان أفنـدي علـم الديـن، محمـود أفنـدي المنـلا، عبـد العزيـز أفنـدي سـلطان، الكاتـب عبـد الرحمـن شـريف بـك، الشـيخ عبدالرحمـن أفنـدي الصوفـي، الشـيخ عبـد الغنـي أفنـدي البـارودي، الشـيخ عبداللـه أفنـدي البركـه، عبداللـه أفنـدي العـكاري، محمـد أفنـدي مـراد، عبدالقـادر أفنـدي الزيـن، عثمـان أفنـدي الحـداد، أحمـد أفنـدي الـزوق، أميـن الصنـدوق مصطفـى أفنـدي عـز الديـن.

الجمعية الخيرية في اللاذقية

ابـن الصلـح السـيد منـح أفنـدي رئيسـاً، رئيـس ثانـي ابـن المولـوي صائـب أفنـدي، ابـن هـرون محمـود اغـا، ابـن اوسـطه محمـد أفنـدي، ابـن المفتـي فيـض اللـه أفنـدي، ابـن شـواف قاسـم أفنـدي، ابـن المحمـودي عبـد الفتـاح أفنـدي، ابـن الدجانـي اديـب أفنـدي، ابـن المفتـي علـي أفنـدي، ابـن الصوفـي محمـد صالـح أفنـدي، ابـن فتاحـي عبـد الفتـاح أفنـدي، ابـن رويحـة محمـد أفنـدي، ابـن عجـان عبـد الحميـد أفنـدي، ابـن قـواف ابراهيـم أفنـدي، ابـن حكيـم محمـد أفنـدي، ابـن هـرون اسـعد آغـا.

جمعية عكا الخيرية

رئيـس مصطفـى أفنـدي صبـري ومعاونـه محمـد أفنـدي عرابـي، شـكري أفنـدي الصفـدي، سـليمان أفنـدي فضـه، رشـيد أفنـدي الصفـدي، عبـد الرحمـن أفنـدي شـعر، عثمـان أفنـدي حسـين، محمـد أفنـدي خليفـة محمـود أفنـدي ابـو العلـي، مصطفـى أفنـدي عوينـي، أحمـد أفنـدي عبـدو، اميـن أفنـدي جـراح، محمـد علـي أفنـدي كـردي، الكاتـب أحمـد أفنـدي حنـوش، مصبـاح أفنـدي سـعاده، اميـن الصنـدوق اميـن أفنـدي الصفـدي.

جمعية نابلس الخيرية

الشـيخ مصلـح أفنـدي صـلاح رئيسـاً، عبـد الرحيـم أفنـدي، الشـيخ منيـب أفنـدي زيـد، الشـيخ

محمد أفندي؛ الشيخ عباس أفندي، درويش بك طوقان، عبد القادر آغا، امين أفندي القاسم، محمد أفندي الصادق، محمود أفندي الطاهر، حسن أفندي النابلسي، بدوي أفندي عاشور.

الجمعية الخيرية في ناحية جنين

عبد الحميد أفندي رئيساً، راغب أفندي غروقه، محمد أفندي عبوش، سعيد أفندي المحمد، مصطفى أفندي الصباح، محمود أفندي الحاج حسن، مصطفى أفندي الصغير، امين الصندوق موسى أبو عواد.

جدول رقم 6

المسؤولون عن لواء اللاذقية الملغى من عام 1832(*) (1)

أ- خلال الحكم المصري 1832-1840

السنة	الاسم	الصفة	ملاحظات
1832	محمد آغا خزندار	متسلم	لم يكمل السنة
1832	سعيد آغا عنتابلي	متسلم	امتدت مدة متسلميته إلى عام 1833
1834	خليل آغا ورده	متسلم	دمشقي، تولى مدة قصيرة
1834	يوسف بك شريف	مدير	من أعيان حلب، عين من قبل ابراهيم باشا على اللاذقية وطرابلس، سكن في اللاذقية. علماً أن اللاذقية كانت تتبع مديرية طرابلس وكانت هذه الأخيرة تابعة مديرية صيدا ومركزها بيروت.

ب - بعد عودة الحكم العثماني إلى سوريا 1840-1864

السنة	الاسم	الصفة	ملاحظات
1840	محمد آغا خزندار	متسلم	عين من قبل السلطنة العثمانية
1840	أوجدت السلطنة إدارتين: إدارة ضابطية، وإدارة مالية.		
1841	محمود حلمي بك ، مسؤول الإدارة الضابطية وشاكر أفندي مسؤول الإدارة المالية		
1842	فضلي بك، مسؤول الإدارة الضابطية وصالح أفندي مسؤول الإدارية المالية. ثم غيرت السلطنة الألقاب فبات مسؤول الضابطية «قائم مقاماً» والمالية «مدير مال»		
1843	بهزاد آغا	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1845	حليم بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1846	جعفر بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1847	شاكر أفندي	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1848	مسرور بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1849	صالح بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال باتت اللاذقية مرتبطة بمديرية صيدا-بيروت
1850	أمين بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال

(*) اعتمد في إعداد هذا الكشف على: الياس صالح اللاذقي، آثار الحقب في لاذقية العرب، صفحات كثيرة.

السنة	الاسم	الصفة	ملاحظات
1851	مصطفى أفندي	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1852	اسماعيل حقي بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال

ج- عام 1852 كان محمد أمين باشا والياً على أيالة صيدا، عزل عندما كان في اللاذقية يقوم ببعض المهام. فسافر منها وعين مكانه وافق باشا

السنة	الاسم	الصفة	ملاحظات
1853	مصطفى بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1854	علي بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1855	محمد آغا	قائم مقام	وكالة يعاونه مدير مال
1855	عبدالقادر ناجي باشا	قائم مقام	طرابلسي، جاء من الآستانة بمعية محمود نديم باشا الذي عين والياً على ايالة صيدا
1856	مظهر أفندي	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1857	حسن آغا	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1858	شكري أفندي	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1859	مظهر أفندي	قائم مقام	مرة ثانية يعاونه مدير مال
1860	عزت أفندي	قائم مقام	يعاونه مدير مال. وفي هذا العام عزل خورشيد باشا، والي ايالة صيدا-بيروت، بعد التحقيق معه بسبب الفتنة الدموية، من قبل اسماعيل باشا المجري، مندوب فؤاد باشا وقد حكم عليه بالنفي بعد أن صودر وجرّد من رتبه. كما حكم على أحمد باشا والي ولاية سوريا بالإعدام.
1861	ابراهيم باشا	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1862	صالح بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1863	اسكندر بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال ثم اسماعيل بك
1864	اسماعيل بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال

وفي هذا العام صدر نظام تقسيم الويالات وقانون تشكيلها.

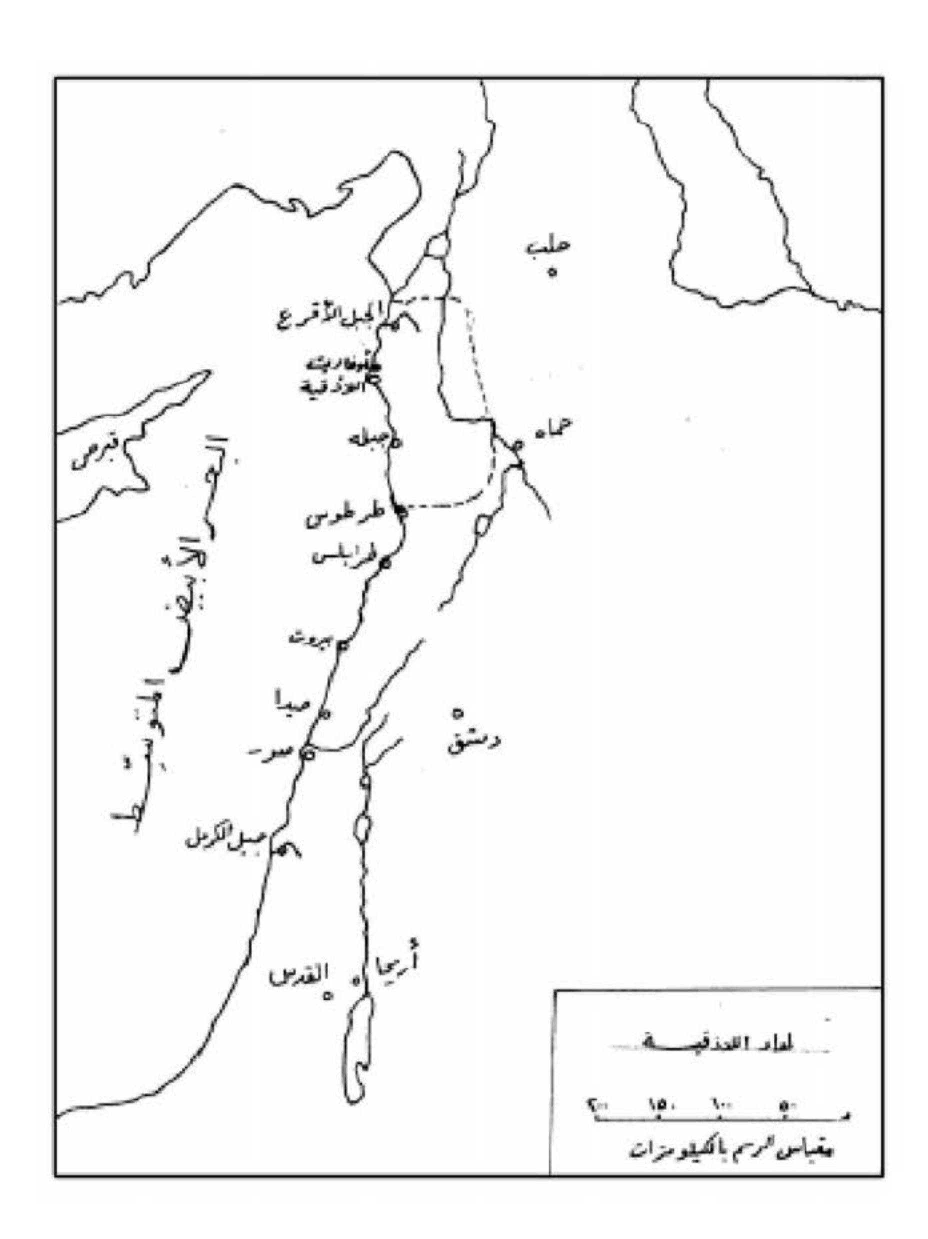
جدول رقم 7

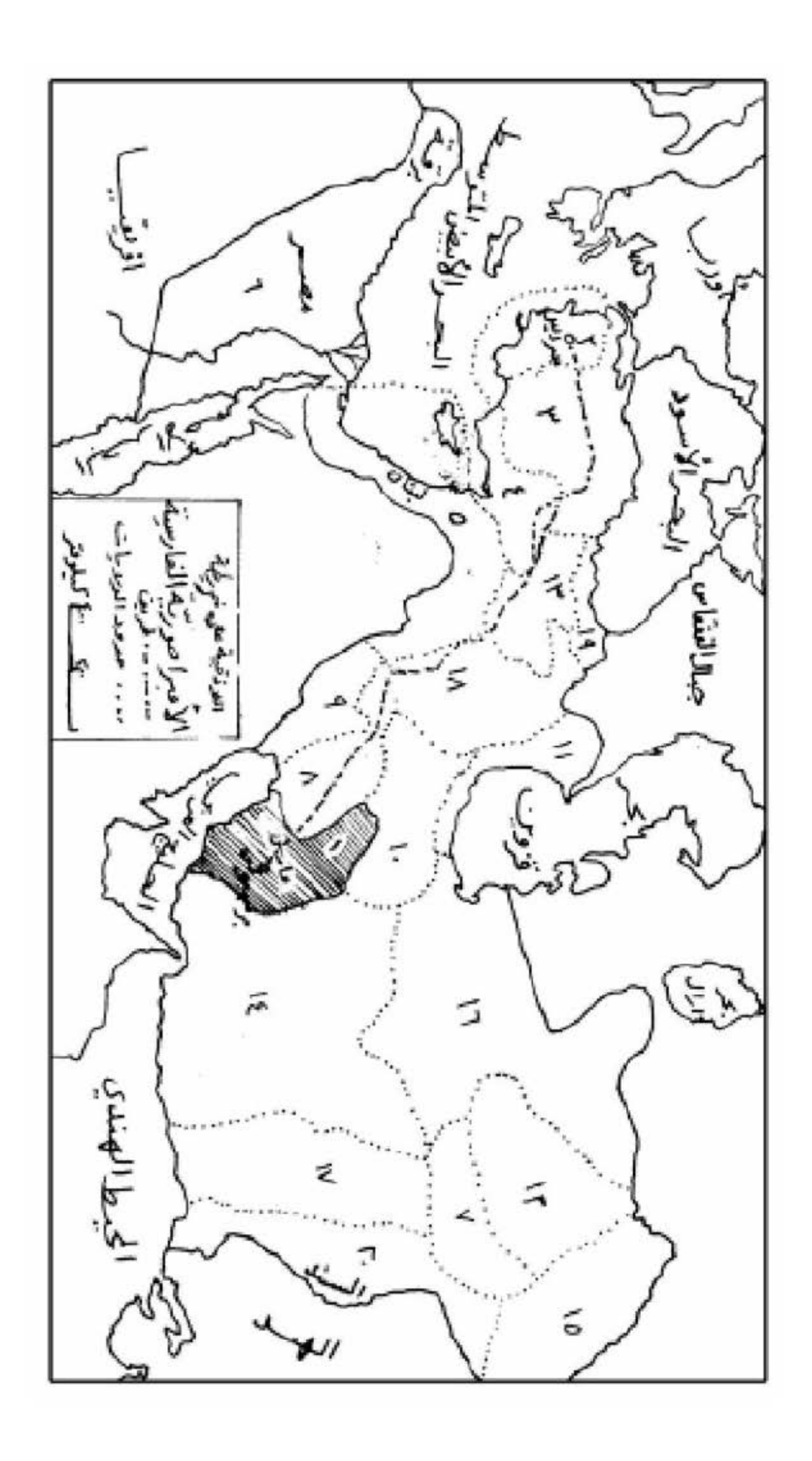
القائم مقامون في قضاء لواء اللاذقية الملغى مع من ارتبطوا بهم من متصرفي لواء طرابلس وولاة ولاية سوريا 1865-1881[*][1]

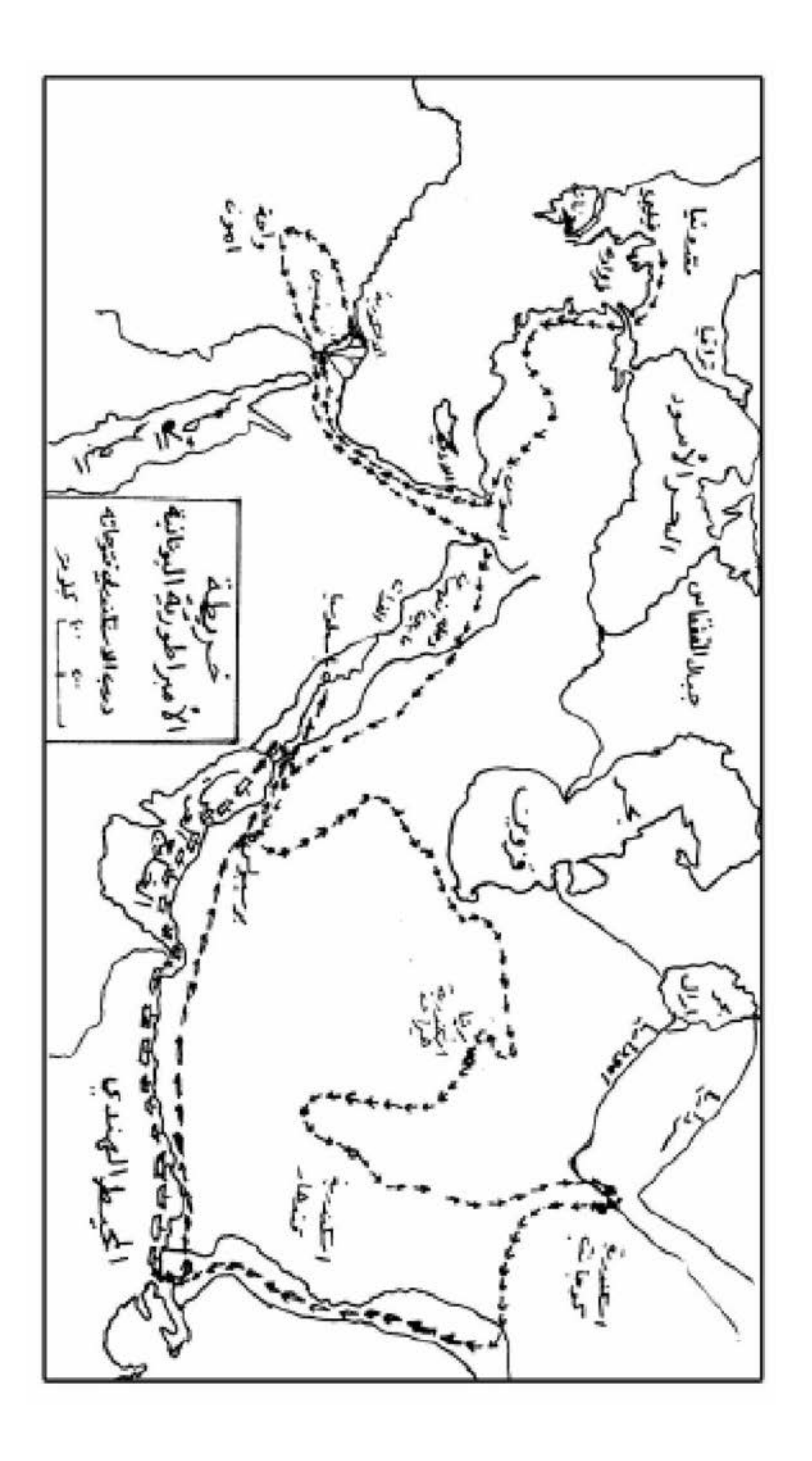
<table>
<tr><th rowspan="2">السنة</th><th rowspan="2">ولاة سوريا</th><th rowspan="2">متصرفو طرابلس</th><th colspan="4">قائمقامو أقضية لواء اللاذقية الملغى</th></tr>
<tr><th>قضاء اللاذقية</th><th>قضاء جبله</th><th>قضاء صهيون</th><th>قضاء المرقب</th></tr>
<tr><td>1865</td><td>محمد أسعد مخلص باشا</td><td>حمدي باشا</td><td>سعدالله بك</td><td>علي آغا هروه</td><td>محمود آغا خزندار</td><td>أمين أفندي</td></tr>
<tr><td>1866</td><td>محمد راشاد باشا</td><td>أدهم باشا ثم خورشيد باشا</td><td></td><td>طاهر أفندي</td><td></td><td>عبداللطيف أفندي سلكه</td></tr>
<tr><td>1867</td><td></td><td>عبد الهاد باشا</td><td>حالت بك</td><td>علي رضا أفندي ثم سليمان أفندي</td><td>زاكي أفندي، ثم نظيف أفندي</td><td>خليل أفندي ثم محمد آغا</td></tr>
<tr><td>1868</td><td></td><td>كامل باشا ثم رؤوف باشا</td><td>مصطفى أفندي ثم حالت بك</td><td>رفعت بك</td><td colspan="2" rowspan="8">في عام 1865 اعتمدت السلطنة ترتيبا إداريـاً، فأسمت مسؤول اللواء قائم مقاماً ومسؤول القضاء، مديراً ومسؤول مالية القضاء، كاتب مال. وفي أواخر عام 1867 غيرت هذا الترتيب فبات مسؤول اللواء متصرفاً ومسؤول القضاء قائم مقاماً وكاتب مالية القضاء مدير مالي. وفي هذا العام 1867 ألحقت قضاء صهيون بقضاء اللاذقية، وقضاء المرقب بقضاء حلبه.</td></tr>
<tr><td>1869</td><td></td><td>عويسي باشا</td><td>صالح بك</td><td></td></tr>
<tr><td>1870</td><td></td><td>حقي باشا</td><td>أحمد بك شريف</td><td>نور الدين أفندي</td></tr>
<tr><td>1871</td><td>عبداللطيف صبحي باشا</td><td></td><td></td><td></td></tr>
<tr><td>1872</td><td>محمد حالت باشا</td><td></td><td>محمد صالح أفندي الكردي</td><td>أسعد أفندي ثم سالم أفندي</td></tr>
<tr><td>1873</td><td></td><td>مصطفى ضيا أفندي</td><td></td><td>عبداللطيف أفندي سلكه</td></tr>
<tr><td>1874</td><td></td><td>ابراهيم حلمي باشا</td><td>ناجم أفندي</td><td></td></tr>
<tr><td>1875</td><td>أسعد باشا ثم حمدي باشا</td><td>شاكر باشا ثم عزيز باشا ثم محمد خالص باشا</td><td></td><td>أحمد نوري أفندي ثم خليل بك الأسعد</td></tr>
</table>

(*) نظم هذا الكشف بالاستناد الى: الياس صالح اللاذقي، آثار الحقب في لاذقية العرب، صفحات كثيرة ومتفرقة؛ وعبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية، 1864-1914، مرجع سابق، ملحق 6، ص343؛ و *Document... tome* 1, op.cit., pp.371-372 et 381.

1876	راشدنا شدياق ثم ضيا باشا	شاكر بك	عبدالحليم باشا ثم أحمد شكري أفندي	نجاتي أفندي	
1877	عمر فوزي باشا	شفيق باشا	مصطفى آغا كركوتلي ثم احسان بك	مصطفى آغا كركوتلي وكالة ثم رفعت بك	
1878	مدحت باشا	أدهم باشا ثم ابراهيم باشا	أحمد شكري أفندي ثم ناجم أفندي	ناجم أفندي	في أوائل شهر حزيران 1879، عادت اللاذقية مركز متصرفية وباتت مركز لواء اللاذقية وعادت المناطق التي ارتبطت بها تاريخياً لترتبط بها من جديد
1879		ضيا باشا	أحمد أفندي الصلح	عزت بك، علي حماده	
1880	أحمد حمدي باشا		متصرف	محمود أفندي ابازه	
1881			أحمد أفندي ابازة متصرف		


حلب
الجبل الأقرع
أوغاريت
اللاذقية
جبلة
حماه
قبرص
البحر الأبيض المتوسط
طرطوس
طرابلس
بيروت
صيدا
صور
دمشق
جبل الكرمل
أريحا
القدس
٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠
مقياس الرسم بالكيلومترات


جبال القفقاس
البحر الأسود
البحر الأبيض المتوسط
مصر
افريقيا
قزوين
الخليج العربي
المحيط الهندي
الهند
الإمبراطورية الفارسية
كيلومتر


خريطة
الأمبراطورية اليونانية
مقدونيا
تراقيا
البحر الأسود
جبال القفقاس
قزوين
واحة
امون
المحيط الهندي



صورة المرحوم الياس صالح اللاذقي

ولد في كانون الثاني سنة 1839 وتوفي في 15 أيلول سنة 1885

مقدمة

الحمد لله الذي اخضع العباد. لحكم ما جرى به القلم. وجعل في تقلبات أحوال البلاد اسراراً في طيّها حِكم. أما بعد فيقول راجي عفو مولاه الغفور الصافح الياس بن موسى بن سمعان صالح، أنه لما كانت فوائد التاريخ غنية عن البيان. وكان من القواعد الواجبة المراعاة الابتداء بالأخص ثم الانتقال منه إلى الأعم كان من الواجب على كل إنسان أن يعرف تاريخ مدينته ووطنه قبل معرفة تاريخ المدن والأوطان الأخرى. ولما كنت مولوداً في مدينة لاذقية العرب ومعدوداً من ابنائها افرغت كنانة جهدي في البحث للوقوف على أخبارها القديمة والحديثة فلم أعثر إلّا على ما قلَّ وندر بالنسبة إلى قدميتها وشهرتها في الأعصر الأولى والمتوسطة وذلك لعدم وجود من اعتنى بحفظ تاريخ مستقل لشيء مما حدث فيها في جيلٍ من الأجيال فلذلك لم اتوصَّل إلّا للوقوف على ما عثرت عليه مما ورد بالعرض في التواريخ العمومية في ذكر أخبارها في الأجيال السالفة وما رُوي لي من اخبار جيلنا الحاضر ممَّن شهدوا الوقائع أو نقلاً عمن شهدوها فجمعت ما تفرق في التواريخ المختلفة وما التقطته عن الرواة في مجموع واحدٍ ليكون تاريخاً لهذه المدينة يغني ابناء الوطن عن كثرة المراجعات ومشقة البحث والتفتيش وصممت ان الحق بهِ على التوالي ما يجدُّ في أيامي من أخبارها إلى ما شاء الله معتمداً على ما حدث ويحدث في عصري على سمعي وعياني وقسمته إلى قسمين الأول في جغرافية اللاذقية ووصفها الحالي والثاني في تاريخها وسمّيّته آثار الحقب في لاذقية العرب.

وباللّه بالتوفيق

القسم الأول

في جغرافية اللاذقية ووصفها الحالي

الفصل الأول

في نفس المدينة وعدد سكانها ومنازلها

لاذقيـة العـرب مدينـة علـى ريـف البحـر المتوسـط فـي اقليـم سـوريا فـي 35 درجـة و25 دقيقـة مـن العـرض الشـمالي و33 درجـة و42 دقيقـة مـن الطـول الشـرقي وفيهـا مـن السـكان علـى موجـب عـدد الأنفـس الـذي اجرتـه الحكومـة سـنة 1866 مسـيحية 11200 نفـس منهـم 8819 نفسـاً مسـلمون و 1845 نفسـاً روم اروثوذكسـيون و100 نفـس ارمـن غريغوريـون و350 نفـس موارنـة و65 نفسـاً لاتينيـون وبروتسـتانت وأقـدم هـؤلاء الطوائـف وجـوداً فـي المدينـة هـم المسـلمون والـروم أمـا الأرمـن فقـد ابتـدأوا أن يسـتوطنوا فيهـا منـذ أوائـل الجيـل الماضـي وقـد كان مـن جملـة سـكان اللاذقيـة فـي الجيـل الماضـي عائـلات مـن اليهـود وكان لهـم كنيـس موقعـه فـي محلَّـة الصُليّبـة إلّا أن الجـور والمظالـم مزَّقتهـم فـإن بعضهـم نزحـوا وبعضهـم قُتِلـوا وكان انقراضهـم فـي أوائـل هـذا الجيـل. وتنقسـم المدينـة إلـى جهتيـن شـماليه وقبليـه ففـي الشـماليه ثـلاث محـلات وهـي محلـة الشـيخ ضاهـر ومحلـة العوينـه ومحلـة القلعـه وفـي القبليـه ثـلاث أيضـاً وهـي محلـة الشـحاذين ومحلـة الصباغيـن ومحلَّـة الصُليّبـة وفيهـا ـ 1364 داراً و828 دكانـاً ومخزنـاً واحـد عشـر جامعـاً وتسـعة عشـر مسـجداً ومولويـه واحـده وخمـس كنايـس للـروم الأولـى علـى اسـم مـاري نيقـولاوس وهـي الكاثـدرا والثانيـة علـى اسـم انـداروس الرسـول والثالثـة علـى اسـم مـاري جاورجيـوس والرابعـة علـى اسـم نيـاح السـيده العـذراء. والخامسـة علـى اسـم مـاري سـابا وهـذه الأخيـرة هدمـت منـذ بضـع سـنين وجُـدّت ثـم هُدمـت ثانيـةً قبـل أن يكمـل بناؤهـا فجُعلـت عرصتهـا مقبـرة عموميـة لطائفـة الـروم وانحصـر فيهـا دفـن موتاهـم بعـد أن كانـت كل عائلـةٍ منهـم تدفـن موتاهـا فـي كنسـيةٍ مخصوصـة مـن الكنايـس الخمـس. وبخـارج كلٍ مـن كنيسـتي مـاري نيقـولاوس والسـيدة ديـر يسـكنه الفقـراء. وفـي المدينـة كنيسـه واحـدة للأرمـن وواحـده

للاتينيين وهي في ديرٍ للرهبان الفرنسيسكانيين وكنيسة واحده للموارنة وثمانية خانات وستة حمَّامات وسبع عشرة طاحوناً تديرها البغال وسبعة عشر فرناً وسبع معاصر للسمسم وخمس مصابن ومعملان بخاريان لحلج القطن وثلاثة مكابس لكبسه وفيها أربع مدارس اثنتان للبروتستانت تحت عناية المرسلين الأميركان احداهما للذكور والأخرى للإناث يُعلَّم فيهما اللغة العربية والإنكليزية وبعض العلوم الرياضية وللاناث اشغال اليد أيضاً وواحده للروم تحت عناية المطران للذكور يُعلِّم فيها اللغة العربية والفرنساوية واليونانية والتركية وبعض العلوم الرياضية وواحده للاتينيين للذكور أيضاً تحت عناية الرهبان الفرنسيسكانيين يُعلَّم فيها اللغة العربية والايطليانية والفرنساوية وجميع هذه المدارس تقبل تلامذة من جميع الطوائف والمرسلون البروتستانت يقبلون في مدرستهم الذكور والاناث من أولاد النصيرية ويقدمون لهم الطعام والملابس ولوازم النوم مجاناً ولذلك تُعتبران ثابتتين ومجانيتين بالنظر إلى التلامذة النصيرية وأما بالنظر إلى التلامذة الذين من الطوائف الأخرى فهما يوميتان كمدرستي الروم واللاتينيين وتأخذان اجرةً إلّا من الفقراء نظيرهما. ثم يوجد عدا ذلك للروم والموارنة مكاتب للذكور والاناث يُعلَّم فيها القراءة العربية البسيطة وكتابتها وبعض أشغال اليد للاناث وأما المسلمون فهم مكتب رشدي مصارفه تُدفع من صندوق الحكومة يُعلَّم فيه اللغة العربية والتركية ولهم مكاتب أخرى للعربية البسيطة وجميعها للذكور.

ثم أن المدينة واقعة على طرف لسان وتحيط بها أشجار أكثرها زيتون وهي منفصلة عن أسكلتها الواقعة على غربيها بمسافة نحو ربع ساعة ومن وراء المدينة إلى الشرق بميلة إلى الشمال تل عظيم مغروس بأشجار الزيتون وكانت عليه قلعة المدينة القديمة وهي قلعتان ولا يزال الأهالي إلى الآن يدعونه القلعة، وعند ارادة التمييز يسمونه قلعة الزيتون فلما هدم الملك الأشرف القلعة ومحا أثرها كما سيأتي في محلهِ اقتسم الأهالي أراضيها وغرسوها بالزيتون. وعلى الطرف الجنوبي من الجهة الغربية من هذا التل وراء المدينة جامع الشيخ محمد المغربي وهو جامع جميل البناء شاهق يظهر للقادمين في البحر من مسافة بعيدة فيزيد رونق منظر المدينة أما الأسكله فليس فيها سكان وإنما هي مركز التجار وفيها نحو 60 مخزناً

كبيراً وسوق صغير وجامع وخان وعدة مكاتب ومصابن وهذا جميعهُ داخل في العدد الذي مرَّ ذكرهُ عن المدينة. وكان في الاسكله حمام وفرن فهدمتهما زلزلة حدثة سنة 1822 ولم يبق لهما الآن أثر. أما ميناؤها التي كانت تسع في الزمن القديم أكثر من الف سفينة على ما ذكر في التواريخ فقد طُمَّ الجانب الشرقي منها وتحوَّل إلى بساتين مغروسة بالأشجار ولم يبقَ منها سوى بركةٍ تراكمت فيها الرمال فلا تحمل مياهها أكثر من عشر أو اثنتي عشرة سفينة صغيرة أما البرج الذي على الجانب الشمالي من مدخلها ويسمونه الآن قلعة الميناء فقد هُدم اكثرهُ وهو الآن في حالة الخراب.

أما منازل المدينة وأماكنها العمومية فجميعها مبنية بالحجر وأكثر بيوتها يتألف من طبقتين السفلى معقودة بالكلس والأحجار والعليا مسقوفة بالدف والمسمار وسطوحها مغطاة بما يدعونُه بلَّة أو عدسه وهي اخلاط من الكلس والقصرمل (رماد زبل) ودقاق الحصى تُبسَط وتُرشّ بالماء وتُخبَط بالمخابيط حتى تشتدُّ وتتحجَّر وهذه البيوت غالباً قليلة المخادع بالنسبة إلى فسحاتها السموية الفسيحة فإن الأهالي كانوا يعتنون بتوسيع الفسحة ولا يهمُّهم كثرة المخادع وذلك أن عائلة كاملة كانت تكتفي بمخدع واحد تستخدمهُ لجلوسها واستقبال ضيوفها واكلها ونومها معاً ولذلك كنت ترى أكثر البيوت يسكنها أكثر من عائلة واحدة وأما في أيامنا هذه التي اقتبس فيها الأهالي ولاسيما النصارى بعض عوائد الافرنج التي منها تفرَّق العائلة في مخادع مختلفة عند النوم وافراد مخادع مخصوصه للأكل والجلوس واستقبال الضيوف فترى كل من يبني ويجدد بيتاً يعتني بتكثير مخادعه بقطع النظر عن سعة الفسحة أو ضيقها على أن الفسحة ايضاً لا يتركها سموية بل يسقفها غالباً ولا يدع شيئاً من البيت يذهب سدىً وقد اقتفى أيضاً هولاء المجدّدون للبيوت اثر الافرنج بجعل سطوحها محدَّبة وتغطيتها بالقرميد عوضاً عن العدسة لخفتهِ على الخشب ووقايةِ من الدلف. وأحسن بيوت المدينة هي بيوت النصارى فإنهم يحبون الترفه في المعيشة فيعتنون في تحسين بيوتهم وترخيمها وتزجيجها واتقان الأثاث والمفروشات واما بيوت المسلمين فلم تزل على الحالة القديمة إلّا نادراً.

الفصل الثاني

في ما يوجد في اللاذقية من الآثار القديمة

انـهُ لمـا كانـت اللاذقيـة كثيـرة الـزلازل كان قلَّمـا يُنتَظـران يُـرى فيهـا ثبـوت للأبنيـة القديمـة وكلمـا يُـرى فيهـا مـن ذلـك الآن إنمـا هـو بنـاء مربَّـع يُدعـى الكنيسـة المعلَّقـة. وقـد تحـوَّل الآن مسـجداً وهـو واقـع فـي طـرف المدينـة مـن جهـة الجنـوب الشـرقي عليـه كثيـر مـن أنـواع النقـوش الرومانيـه كصـور الخـوذ والأتـراس ومقابـض السـيوف وقـد ذهـب بعـض العلمـاء إلـى أنـهُ قـوس نصـرٍ أقيـم مكرمـةً إلـى سـبتيموس سـيفيروس. وبنـاءٌ آخـر إلـى شـمالي هـذا البنـاء، يُعـرَف بكنيسـة العواميـد وهـو قائـم علـى اربعـة أعمـدة عظيمـه قيـل أنـهُ فضـلات هيـكل علـى اسـم باخـوس الـه الخمـر ولا يبعـد أن يكـون هذان المحـلان قـد تحـوَّلا إلـى كنيسـتين بعـد انتشـار المذهـب المسـيحي ثـم انتزعهمـا مـن أيدي المسـيحيين المسـلمون بعـد فتحهـم المدينـة فاسـتمرَّ يُطلَـق على كلٍ منهما اسـم كنيسـه. وفـي بعض جهـات المدينة بقايـا رواقـات وصفـوف اعمـده وفـي خارجهـا ولا سـيما فـي الشـمال الغربـي منهـا مغايـر وكهـوف منحوتـة فـي الصخـور يُظَـن أنهـا كانـت مدافـن للرومانييـن وكثيـراً مـا يعثـر الحفـارون مـن المسـلمين علـى آثـار قديمـة فيطمرونهـا ثانيـةً لجهلهـم قدرهـا أو يهشـمونها إذا كانـت صـوراً مجسَّـمة لاعتقادهـم بتحريـم وجودهـا مطلقـاً وممـا عثـروا عليـه سـنة 1848 نـاؤوس مـن رخـام وُجـد ترابـهُ مختلطـاً بذهـب وذلـك فـي أرض يُقـال لهـا خربـة النصـارى علـى بعـد نحـو سـاعةٍ ونصـف مـن المدينـة شـمالاً وفـي سـنة 1849 فيمـا كانـوا يحفـرون فـي البسـتان المعـروف ببسـتان مـاري تقـلا (نسـبةً إلـى مغـارةٍ فيهـا يعتقـد الـروم أن القديسـه تقـلا تعبَّـدت أو ظهـرت فيهـا) الواقـع خـارج البلـد إلـى جهـة الشـمال الغربـي وجـدوا مغـارةً طولهـا 8 أذرع وعرضهـا 5 أذرع علـى حيطانهـا الأربعـة صـور نافـرة بعضهـا علـى شـكل رؤوس بقـر وبعضهـا علـى شـكل رؤوس بشـر وغيـر ذلـك وفـي احـد زواياهـا سـرج كثيـرة مـن الخـزف ظريفـة

الشكل وقد ذهب بعض من رأى هذه المغارة إلى أنها هيكل وثني وقد يعثر الحفارون على أبنية أو أقبية كاملة وعلى انتيكات (مصكوكات قديمة) مختلفة منها ما عليه صورة امرأةٍ عارية جالسة على صخرو هو رمز اللاذقية في الزمن القديم ولا ريب أن الانتيكات التي من هذا النوع إنما هي من مصكوكات اللاذقية قديماً.

الفصل الثالث

في الهيئة الاجتماعية العمومية في اللاذقية

أما الهيئة الاجتماعية العمومية في اللاذقية فهي كباقي مدن سوريا أو بالحري البلاد العثمانية على غير ما يُحَبُّ ويُرتضىَ وعلة ذلك اختلاف المذاهب الحاجز للائتلاف فيما بين المسلمين والنصارى ولئن كانوا يتظاهرون لبعضهم بالائتلاف والتودُّد أحياناً ومع أن كثيرين من النصارى يعرفون الواجبات الوطنية والأضرار الناجمة عن هذا الانقسام ويودُّون لو يزول هذا الروح الخبيث من بين الفيئتين فيكاد لا يوجد واحد من المسلمين يهتدي إلى معرفة اضرارهِ ومنافع الاتحاد ويرغب فيهِ بل جميعهم يجتنبون في الغالب مخالطة النصارى ولا يخلصون لهم الموده والصداقة وعندما تساعدهم الظروف لا يقصّرون في الحاق الأضرار بهم ولا يطيقون أن يروهم متقدمين وناجحين ولذلك ترى النصارى دائماً تحاذرهم ولا تركن إليهم فهذا التباعد الكائن بين الفيئتين كثيراً ما يحرمهما منافع مشتركة وهو الذي يضيع الحقوق ويمكّن بعض الحكام الباغين أن ينفذوا مآربهم فيها جميعاً على أن المضرات الناتجة من ذلك يمسُّ أكثرها المسلمين لا النصارى لأن أكثر معتبري النصارى قناصل وتراجمين فليس فقط لا تقدر يد التغلب أن تتمكّن منهم لا بل يلتزم الحكام لاعتبارهم دائماً ومراعاتهم في أكثر الأحيان. على أن جهل أكثر المسلمين يقودهم إلى التوهم بأن احترام الحكام للقناصل والحمايات الذي يمتد معنوياً إلى عموم النصارى إنما يجريهِ الحكام بالاختيار عن غير حزم وصواب رأي ولا يدرون أنهم أنما يجرونهُ بالاضطرار إيجاباً للحقوق التي تمنحهم اياها المعاهدات الدولية ولذلك يلومونهم ويغرون من ينقاد إلى اغرائهم منهم لجهلهِ أو تعصبهِ على السلوك بالعكس ومع أن من يجاريهم على ذلك لا يلبث أن يجبره القناصل على الرجوع عن سلوكهِ وعدم مس حقوقهم واعتبارهم ويجعلوهُ ملوماً من أولياء

أمرِه فهم مع ذلك لا ينكشف عن بصائرهم برفع التعصب فيعرفوا أن دوس هذه الواجبات ليس هو في امكان الحكام بل انما هم مجبورون على القيام بها فلو أدركوا ذلك لعرفوا أن كراهتهم للنصارى وتعصبهم الشديد ضدهم لا يجديانهم نفعاً ولرأوا أن مصافاتهم لهم كما يليق بابناء وطن واحد والتعاضد والتكاتف معهم على الالتفات إلى إيجاد أو تدبير ما ينفع الوطن عوضاً عن الانقسام المضر والسعي بما فيه قيام ونجاح مصلحة الطرفين التي يتوقف عليها راحة العموم وخير الجميع هو أولى لهم. ولما كانت الحال على هذه الصورة كان لا بد في وصف الهيئة الاجتماعية والعوائد عن التكلم على كل من الفيئتين على حدةٍ.

الفصل الرابع

في هيئة المسلمين الاجتماعية في اللاذقية وعوائدهم

أن المسلمين مؤلفون من متوظفين في الحكومة واصحاب أملاك وتجار وعطّارين وبزّازين وارباب صنائع ومنهم تتألف الضابطة البلدية كما تتألف العسكرية كما أن منهم الخبازين واللحامين والسقّائين والحدادين والتنكاريين والحجارين وعدد الأوباش فيهم متوسط وقد كانوا فيما سلف أكثر عدداً منهم الآن إلّا أن حرفتي قطع الأحجار والغوص على الاسفنج اللتين وجدتا منذ عهدٍ غير بعيد أوجدتا شغلاً لكثيرين منهم عن الاشتغال في أسباب القبائح والشرور فانقطعت مذ ذاك إلّا نادراً سرقة البيوت والحوانيت التي كانت كثيرة الوقوع في المدينة التي قبل انتشار معرفة قطع الأحجار فيها كانت المنازل الجديدة تُبنَى فيها بأحجار المدينة القديمة التي يستخرجها الحفارون من الأماكن المختلفة داخل المدينة وفي جوارها حيثما لا تخلو منها بقعة.

أما حالتهم العلمية فمتأخرة وعدد الأميين منهم أكثر كثيراً من عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة ومعارفهم مقصورة على القراءة والكتابة وبعض مسائل فقهية ولغوية وقليلون منهم يعرفون قواعد اللغة العربية كما ينبغي ومع أن كثيرين منهم يدرسون الصرف والنحو فقليلون منهم من تنفتح عليه اسرارهما وذلك لاعتمادهم في الدرس على الكتب الإسلامية القديمة الصعبة المراس فربما يدرس التلميذ منهم فيها خمس أو ست سنين ولا تنفتح عليه أبواب رموزها لغموض عبارتها على المبتدئين وعدم جودة ترتيب أكثرها ولا سيما بتقدم النحو على الصرف أو باختلاطهما فيها غالباً خلافاً للتآليف الحديثة التي يعتمد عليها النصارى المؤلفة من علمائهم فانها سهلة المراس واضحة العبارات جيدة الترتيب يتمكن التلميذ من فهمها وحفظها بوقت غير طويل ولا يرغب مسلمو المدينة في مطالعة غير

الكتب والمؤلفات الإسلامية فلا يقرأون الكتب الحديثة المؤلفة بالعربية والمترجمة إليها من النصارى من اللغات الأجنبية ومع كثرتهم لا يوجد فيهم واحد مشترك في جريدة من الجرائد النافعة ولذلك تراهم لا يعرفون أحوال العالم ولا نصيب لهم بالوقوف على معارف العصر.

أما حالتهم المعشرية فمتأخرة أيضاً فإن بيت كلٍ منهم مقفول غالباً دون غير عائلتهِ وقلما يزورون بعضهم إلا في الأعياد السنوية وانما كل رجل منهم يصرف أوقاته نهاراً في شغلهِ إذا كان لهُ شغل معيَّن ويقتل الوقت عند الفراغ من الشغل أو في الليل في احدى القهاوي التي يوجد منها نحو خمسين في المدينة تغصُّ بجماهيرهم ولاسيما في الليل. على أنهُ يوجد منهم أشخاص معدودة من الأغاوات والأفندية منازلهم مفتوحة لقبول الزائرين فيجتمع عند كلٍ منهم جماعة يصرفون الوقت بالأحاديث المختلفة. وهم قليلوا الميل لرفاهية المعيشة والطرب والانشراح فقلما تحدث أفراح أو تعزف الآت الطرب في بيوتهم إلّا في بعض الأعراس الحافلة ولذلك لا يوجد في المدينة نوبة كاملة متقنة إذ لا يتيسر لأربابها تحصيل معاشهم فيها حيث الدخل الذي يحصّلونهُ من النصارى القليلي العدد وحدهم لا يقوم بأودهم وإنما يوجد فيها نوبه واحده غير تامة ولا متقنة تعزف في بعض القهاوي ليلاً وهي غير أهلٍ للتطريب في المحافل المعتبرة وأحياناً نادرة تزورها بعض نوبات غريبة لكنها لا تمكث فيها سوى مدةٍ قصيرة. وفي فصل الربيع تتألف من المسلمين زمر من الرجال كل زمرة منهم تختار محلاً من الأماكن المنتزهة خارج المدينة فتخرج إليه كل يوم عند العصر وتصرف فيهِ ما بقي من النهار وتتعشى سوية على نفقة جميع أعضائها أو على نفقة واحدٍ منهم بطريق التناوب وغالباً يكون عشاؤهم مقصوراً على نوعين أو ثلاثة أنواع من الطعام أحدها من الحلوى وهم في طريقة أكلهم لا يزالون على العوائد القديمة فيأكلون جلوساً على الأرض حول خوانٍ أو صدرٍ ويتناولون الأطعمة بأياديهم وبالملاعق ويشتركون بالأكل من صحنٍ واحدٍ وبالشرب من اناءٍ واحد والنادر منهم من يجلس على كرسي ويأكل على طاولة عالية واندر منه من يستخدم الشوكة والسكين وفي الغالب يأكل الرجال وحدهم

والنساء وحدهنَّ وربما كان طعام الرجال ممتازاً عن طعام النساء عند بعضهم أو أكثرهم وقليل منهم قد يتفنن في الطعام ومن دأبهم الحرص وبعضهم يتجاوزون فيه حدود الاعتدال والأكثرون لا يأكلون لحماً إلّا مرة في الجمعة مع كونهم مقتدرين وكم من غني منهم عائش عيشة فقير وقلما يوجد في بيت واحدٍ منهم ما خلا أكابر أعيانهم خادم أو خادمه وإنما هم يخدمون أنفسهم. ولما كانت البساتين والحدائق التي حول المدينة جميعها لهم إلّا النادر كان لا يخلو احد منهم من أن يكون له حديقة كاملة أو حصة في حديقة أو في بعض أشجار منها وكثيراً ما توجد شجرة واحدة يشترك فيها أكثر من اثنين. ولذلك اصحاب الطبقة السفلى منهم يصرفون مدة الصيف في تلك الحدائق فيعيشون من ريعها فإن بعض شجرات من التين تعول عائلة كاملة منهم لأنهم يكتفون بالخبز والتين مدة الصيف وهم جميعاً يحبون الشغل ولعلَّ ما عوَّدهم على ذلك سدَّ أبواب العطاء عند أكابرهم. فإن أبوابهم إلّا النادر مغلقة دون الشحاذين ولذلك ترى فقراهم جميعاً عايشين من كدّهم وقلما ترى منهم أحداً بلا شغل حتى أن الولد الصغير منهم يشتغل بقطف الحشيش أو جمع الخرق البالية وعظام الحيوانات وما شاكل ذلك وبيعه ليساعد بثمنه أبويه على معاشهِ ولهذا كان الشحاذون فيهم قليلين على أنهم مع قلتهم يضطرون للاستعطاء وطلب القوت من بيوت النصارى. ثم أنهم لا يتعيرون بالشغل فانك ربما ترى أحدهم غنياً معتبراً مرفوع المقام وترى من بعدهِ أولاده يشتغلون بأدنى الأشغال ولا يمنعهم من ذلك ذكر قدر ابيهم ورفعة شأنه بل قد نرى بعضهم من المنسوبين إلى العائلات المعتبرة في حالة الغني والثروة حال كون اخوتهم فعلة حقيرين ولا يرون في ذلك عاراً يبعثهم على اسعافهم بما يمكّنهم من تعاطي شغلٍ أرفع شأناً من شغلهم. هذا ومع كون شرب المسكرات محرم عندهم تحريماً مطلقاً يوجد بينهم سكيرون كثيرون وهم إذا شربوا بالغوا وتناهوا في السكر.

أما ملابسهم فهي غالباً على الهيئة القديمة فإن زمر العلماء والمشايخ والأفندية ومن جرى مجراهم منهم يتعممون بالعمائم ويلبسون الملابس الطويلة الواسعة كالجبه والقنباز وأكثرهم يتباطأون في حركتهم معلقين امر الرزانة الأدبية على الرزانة الطبيعية وأما زُمر

الأغاوات وغيرهم فيلبسون السراويل والدامر والطربوش وحده أو مضافاً إليه المنديل وقليلون من الأفندية والمشايخ يلبسون في أرجلهم المست كما أن الأغاوات وقليلين غيرهم يلبسون الجوارب والباقون جميعهم يتركون أرجلهم مجرَّدة. وجميعهم يحلقون شعور رؤسهم والمشايخ والأفندية وكثيرون غيرهم ويطلقون لحاهم.

أما نساؤهم فمقضيٌّ عليهنَّ بالحبس عن مخالطة الرجال والاحتجاب عن عالم المعاشرة وهنَّ مسلوبات الحرية والاعتبار الممنوحَين لهنَّ من باري الطبيعة على أن التضييق عليهنَّ بهذا المقدار لا يحصن مَن لم تكن محصَّنة طبعاً منهن كما لا يخفي بل قد يزيدها شبقاً وقد ورد في الأمثال الصادقة أن كل محجوب مرغوب ولذلك من يحسن المراقبة يراهنَّ أشد شوقاً وتطلعاً إلى الرجال من اللواتي لم يُحكَم عليهنَّ بالحجاب. ولما كان الرجال المسلمون غيورين بهذا المقدار على نسائهم وقليلي الأركان اليهنَّ كانوا يسيئون الظن في اجتماع الرجال بالنساء عند النصارى هذا وأنهم لا يعلمون بناتهم القراءة والكتابة اعتقاداً أن ذلك للمرأة شر وكثيراً ما يعامل الرجل منهم امرأته بالضرب الأليم إذا اغتاظ منها. أما خروج نسائهم من بيوتهنَّ فنادر وهنَّ إذا خرجن التحفن بالازر وسدلنَ على وجوههنَّ المناديل أما ملابسهن فهي غالباً كملابس نساء النصارى مما سيُذكَر في محلهِ ما خلا ارجلهنَّ فانهنَّ يتركنَها مجرَّدة إلّا إذا خرجنَ من بيوتهنَّ فيلبسنَ فيها المسوت والجوارب. أما أعراسهم فقلما تكون احتفالية بل غالباً تُقضَى بالهد والصمت والنادر منهم من يجري عرساً حافلاً فيضرب الطبل أمام بيتهِ يوماً أو أكثر قبل الزفاف فيجتمع الرجال والشبان من غير دعوةٍ ويرقصون بالسيف والترس أو بدونهما ولا بد لكل راقصٍ أن يدفع اجرةً للطبال يسمونها نقطة ثم يدعو أهله ومعارفه إلى ليلة الطرب أو إلى الحمام وكذلك نساء البيت يدعون صواحبهنَّ ومعارفهنَّ من النساء قبل الزفاف أو بعدهُ إلى يوم أو ليلة طرب أيضاً فيجتمعن دون أن يُسمَح لذكرٍ أن يدخل اليهنَّ وتطرّب بين ايديهنَّ المغنيات ثم ترقص كل واحدة منهنَّ بدورها بعد أن تدفع النقطة للمغنيات وإذا كانت الدعوة نهاراً فلا بد أن يُقدَّم فيها غداءً أو عشاء للمدعوات أما أهل العروس من النساء فقبل الزفاف ببضعة أيام يأخذن العروس

للحمـام ويدعـون إليـه صواحبهـنَّ ومعارفهـنَّ فيتحممـن جميعـاً علـى نفقـة أهـل العـروس ويغنيـنَ ويهاهيـنَ (أي يقرظـنَ العـروس والعريـس بالهاهيـات واحدتهـا هاهيـة وهـي نـوع مـن المواليـا مؤلـف مـن أربعـة أبيـات يرنمنهـا بلحـنٍ مخصـوص واصـواتٍ مرتفعـة وكلمـا رنمـنَ هاهيـةً ختمنَهـا بالنقـران (وهـو الزلاغيـط بلسـان العامـة) وقبـل الزفـاف بيوميـن أو ثلاثـة أيـام يُنقَـل جهـاز العـروس إلـى بيـت العريـس محمـولاً علـى الأيـدي كل حاجـةٍ لوحدهـا ومطوفـاً بـه فـي الشـوارع معروضـاً لنظـر النـاس بالفنـاء وترنيـم الهاهيـات وليلـة الزفـاف تخضـب النسـاء أيـدي العـروس وقدميهـا بالحنَّـاء ويلبسـنها لبـاس العـرس ويشـوّهن وجهها بـكل أنـواع التصنُّعـات حتـى انهـنَّ يلصقـنَ بـهِ أشـياء برَّاقـة أيضـاً بحيـث تتبـدَّل هيئتهـا تمامـاً ولا يعـود يُعـرَف حقيقـة شـكلها ثـم يطـوف الرجـال بالعريـس فـي الشـوارع عـل ضـوء المشـاعل بالأغانـي والآت الطـرب والنسـاء بالعـروس بترنيـم الهاهيـات والنقـران ثـم تُـزَفُّ عليـهِ وبذلـك غالبـاً تنتهـي احتفـالات العـرس

أمـا معالجـة مرضاهـم فهـي غالبـاً موكولـة للطبيعـة وقليلـون منهـم مـن يسـتدعون الطبيـب وأكثـر هـؤلاء لا يسـتدعونه إلّا متـى اشـرف مريضهـم علـى الخطـر واذا مـات لهـم ميـت بكـوا عليـه مـا دام عندهـم فـاذا دفنـوه كفُّـوا البـكاء. وتعـزَّوا بحيـث لا تعـود تظهـر عليهـم امـارات الحـزن أمـا الحـداد فـلا يسـتعملونه بالكليـة.

الفصل الخامس

في هيئة النصارى الاجتماعية في اللاذقية وعوائدهم

لقد كان النصارى في الجيل الماضي في هيئتهم الاجتماعية وملابسهم وسائر عوائدهم لا يفرقون عن المسلمين ففي أوائل هذا الجيل ابتدأوا بتغيير بعض تلك العوائد متنقلين شيئاً فشيئاً حتى انتهوا إلى ما هم عليه الآن. وهم مؤلفون من متوظفين في الحكومة في دوائر القلم وعضوية المجلس وأصحاب أملاك وتجار وبزازين وبقالين وأصحاب صنائع ومنهم البناؤون وحالتهم العلمية متقدمة وعدد الذين يعرفون القراءة والكتابة هو أكثر من عدد الذين لا يعرفونهما وقد نشأت عندهم الرغبة في العلم منذ نحو عشرين سنة فجعلوا يضعون أولادهم في المدارس. وفضلاً عن المدارس الموجودة في اللاذقية التي تلامذتها جميعاً مؤلفون من أولاد النصارى يُرسل في كل سنة عدة تلاميذ إلى مدارس بيروت وقد كانوا في أول الأمر لا يحسنون طريقة التعليم فكانوا يعلمون أولادهم أحدى اللغات الأجنبية وغالباً الفرنساوية مقتصرين عليها دون أن يعلموهم قواعد اللغة العربية التي هي لغة البلاد فكان علمهم ناقصاً وفوائده قاصرة أما الآن فقد انتبه اكثرهم لهذا الخطأ وجعلوا يعلمون أولادهم قواعد اللغة العربية أولاً ثم بعض اللغات والعلوم وأكثر الشبان الآن يتكلمون اللغة الفرنساوية إلّا أن الذين يتقنونها منهم قليلون. وللنصارى رغبة في تحصيل الفوائد والوقوف على احوال العالم ولذلك ترى كثيرين منهم مشتركين في الجرائد ولا يستنكفون من مطالعة أي كتاب كان مهما تكن ديانة واعتقاد مؤلفه معتبرين في ذلك الجوهر وهو تحصيل الفائدة.

أما حالتهم المعشرية فقد تجاوزوا فيها حدود الاعتدال فإن بيت كلٍ منهم مفتوح في كل يوم وساعة لقبول الزائرين الذين يدخلون بيت المزور بلا استئذان ولا إعلان ولذلك وجب عليهم أن تكون بيوتهم وأهلها في حالةٍ لائقة على الدوام لاستقبال الزائرين وان يستخدموا

خداماً عدة للقيام بخدمة البيت والضيوف فإن اعضاء العائلة غالباً لا تخدم في البيت بخلاف أكثر النصارى في باقي مدن سوريا ولهذا كلٌ منهم ما خلا الفقراء لا بد من أن يكون في بيتهِ خادم وخادمة على الأقل ولو كانت عائلة مؤلفة منه ومن امرأته فقط فيصرفون أوقاتِ البطالة في بيوت بعضهم سواءً كان نهاراً أو ليلاً ولذلك قليلون منهم يجتمعون في القهاوي.

ولنصارى اللاذقية ميل غريزي للَّهو والطرب. وقد تكلم عن ذلك موسيو بوجولا السائح الفرنساوي الذي زار اللاذقية سنة 1831 وكانت النصارى إذ ذاك تئنُّ تحت احمال الجور والاضطهاد فقال ما ترجمتهُ «ان مَن يرى مسيحيي اللاذقية منهمكين هكذا بالملاهي والطرب لا يتصوَّر أن سلطة المسلمين تحمّلهم أحمالاً ثقيلة، وكثيرون من شبانهم يعرف كلٌ منهم قطعةً أو أكثر من قطع الموسيقى فيؤلفون نوبةً كاملة يكون عليها مدار الحظ في الاجتماعات الأهلية.

أما معيشتهم فهي غالباً ذات ترفهٍ اعضاء العائلة رجالاً ونساءً وأولاداً على مائدة واحدة والأكثرون يأكلون جلوساً على الكراسي حول طاولة عالية ويستخدمون مع الملعقة الشوكة والسكين وكلٌ منهم يأكل في صحنٍ ويشرب من اناءٍ على حدةٍ إلّا أنهم وللّه الحمد لم يقتبسوا عادة عدم غسل الأيدي والفم بعد الطعام ونرجو انهم لا يصلون من التمدن إلى درجة اقتباس هذه العادة وأمثالها المغايرة لمبادىء النظافة. والأكثرون منهم يتفننون في المآكل ولا بد لكلٍ منهم ما خلا الفقير أن يأكل لحماً كل يوم وفي الأصوام التي تؤكل فيها سمك لا بد لكلٍ منهم من أن يشتري سمكاً (اذا كان صائماً) مهما كان غالياً وإذا قابلنا بين مسيحيٍ ومسلمٍ متساويين في الدرجة والغنى وعدد العائلة نجد مصروف المسيحي يفوق مصروف المسلم أضعافاً مضاعفة. وقد فشا فيهم حب المناظرة والتقليد فترى الصغير منهم يساوي الكبير في سعة المعيشة والتفنن في الملابس وغيرها وهم يميلون إلى التجارة ولهم فيها باع وقد جمعوا بها اموالاً غزيرة لو حفظوها ولم يستعملوا الاسراف لكان أكثرهم يُعَدُّ من الطبقة الأولى في الغنى بين أهالي سوريا وقد لا يتنازلون إلى الاشغال الحطيطة فإن حط بمن كان من العائلات المنظورة منهم الدهر لا يتنازل إلى تعاطي شغلٍ ادنى من شغلهِ الأول

لا هو ولا أولاده ولو اتصلوا إلى ادنى درجة من العوز والاحتياج بل يتكلون على مساعدة أقاربهم ومعارفهم وينتظرون أن يقوم بهم الدهر وابن التاجر منهم يستنكف أن يكون من ارباب الصنائع، وفقراؤهم كسالى لا يحبون الشغل فاذا جاءوا دخلوا البيوت وطلبوا طعاماً فلا يُمنَع عنهم وهم يفتكرون ان إخوانهم المسيحيين الأغنياء ملتزمون بهم في كل الأحوال فيستغنون بهذا الفكر عن السعي في طلب الرزق الذي أوجبهُ اللّه تعالى على جميع عبادهِ ولذلك ترى شحاذي النصارى كثيري العدد يطوفون كل وقتٍ صباحاً وضحىً ومساءً وعشيةً على بيوت المسيحيين رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً يطلبون طعاماً أو دقيقاً أو إداماً وملبوساً أو غير ذلك منه كلما يحتاجون إليه وترى الأولاد في الأزقة والشوارع كلما رأى أحدهم مارًّا من المسيحين ذا اقتدارٍ يعترضهُ في طريقهِ ويمدُّ إليه يدهُ طالباً خماسية فاذا حصل عليها اشترى بها فاكهةً أو نقلاً لا قوتاً أو ربما نفقها في سبيل بعض الألعاب وكثيرون من هؤلاء الأولاد يصلحون للخدمة ولكنهم لا يخدمون كما أن كثيرين من ذوي العائلات الفقيرة لهم بنات وبنون يصلحون للخدمة وسوق الخدَّام رائجة لكنهم يستنكفون من أن يجعلوهم خداماً ومن العجب العجاب أنهم لا يستنكفون من أن يستعطوا لهم كأنما الاستعطاء أشرف من الخدمة وجميع هذه الأحوال ناشئةً من الشفقة غير المرتبة التي يستعملها المقتدرون فتكون واسطة لتعليم الكسل ولا تكسبهم اجراً ولا حمداً ولعلَّ العطاء للفقير الذي باعث فقرهِ الكسل! ثم كالمنع عن الفقير الذي باعث فقرهِ العجز.

أما ملابسهم فنوعان الأول جروا عليه منذ زمان حكومة محمد علي باشا المصرية إذ خلعوا العمامة والملابس الطويلة وهو السروال والدامر والزنار والصدره وهو لباس الأكثرين والثاني لباس الافرنج ما خلا كسوة الرأس فانها الطربوش عندهم في كلا النوعين وقد شرعوا في الانتقال إليه منذ نحو عشر سنين ولعلَّهُ بعد مدةٍ ليست بطويلة يتم انتقال عموم النصارى في جميع سوريا إلى لبسهِ وسبب ذلك إنما هو اعتبار ذوي اللباس الافرنجي في اعين الولاة والحكام وأرباب المناصب حتى أن كثيرين من معتبري سوريا اضطروا للانتقال إليه لما رأوا أن لباسهم الأول قد وجد باعثاً لاحتقارهم ممَّن لا يعرفهم من بعض رجال

ومتوظفـي الحكومـة. وجميعهـم يلبسـون الجـوارب ويطلقـون شـعور رؤوسـهم والنـادر منهـم مـن يطلـق لحيتـه وأكثرهـم يعتنـون فـي اتقـان ملابسـهم.

أمـا نسـاؤهم فقـد كُـنَّ فـي الجيـل الماضـي كنسـاء المسـلمين مقضيـاً عليهـنَّ بالحبـس والاحتجاب ففـي أواخـر الجيـل الماضـي ابتـدأت أن تُعطَـى لهـنَّ الحريـة والاعتبـار. والـذي مهَّـد لهـنَّ الحصـول علـى ذلـك حضـور بعـض عائـلات مـن الافرنـج إلـى اللاذقيـة واسـتيطانهم فيها ولمـا كان رجـال النصـارى فـي المدينـة سـهلي المعاشـرة يحبـون اكـرام الضيـوف والغربـاء: عاشـروا هـؤلاء الافرنـج وامتزجـوا معهـم وأخـذوا عنهـم عـادة ازالـة الحجـاب عـن النسـاء، ولمـا كان أكثرهـم متصليـن بالقرابـة مـع بعضهـم انتشـرت عندهـم هـذه العـادة بسـهولة وعمـا قليـلٍ صـار ظهـور النسـاء للرجـال عموميـاً إلّا أنـه كان محـدوداً. ففـي الأفـراح وليالـي الطـرب لـم يكـن يختلـط الرجـال بالنسـاء وإنمـا كان كلٌ مـن الفيئتيـن يجتمـع فـي حجـرةٍ علـى حـدةٍ ثـم مـع التوالـي صـارا يختلطـان فـي الجمعيـات والأفـراح ثـم صـارت النسـاء ترقـص أمـام الرجـال ثـم صـار الرجـل والمـرأة يرقصـان معـاً كمـا هـي الحالـة الحاضـرة. وللنسـاء الآن درجـة لائقـة مـن الاكـرام فيـكاد لا يوجـد امـرأة منهـنَّ تُضـرَب مـن رجلهـا. وخروجهـنَّ للزيـارة كثيـرٌ ومـن النسـاء مـن لا يمـرُّ عليهـا يـوم لا تخـرج فيـه مـن بيتهـا ومنهـنَّ مـن تخـرج مرتيـن وثـلاث مـراتٍ فـي اليـوم نهـاراً وليـلاً ولذلـك تـرى الجمعيـات غيـر منقطعـة ومَـن أراد التسـلي يمكـن أن يجـد فـي أكثـر الأوقـات فـي بيـتٍ مـن البيـوت جمعيـةً مؤلفـة مـن الرجـال والنسـاء يصرفـون الوقـت بالحديـث أو الملاهـي أو الغنـاء والطـرب وفـي أيـام الربيـع تجـري اجتماعـات كثيـرة علـى هـذا النمـط فـي الحدائـق والبسـاتين حيثمـا غالبـاً يتعشـون ويصرفـون جـزءاً مـن الليـل أيضـاً وإذا اجتمعـت جمعيـة فـي مـكانٍ مـا يأتـي إليهـا كل مـن يسـمع بهـا فـإن الجميـع يحسـبون أنفسـهم أعضـاء الجمعيـة مـا لـم تكـن دعـوةً فـلا يأتـي إليهـا غيـر المدعويـن ولذلـك قلمـا يقـدر الآلاف أن يتمتعـوا بحريـة فـي اجتماعـات صفائهـم وانشـراحهم ثـم أنـهُ فـي الزيـارات الرسـمية كزيـارة المعائـدة والتهنئـة مثـلاً لا بـد مـن تقديـم الحلـوى المعروفـة بالمربـا أو الطاتلـي للزائريـن وأمـا فـي باقـي الزيـارات فيُكتفَـى بتقديـم النارجيلـة والسـيكاره والقهـوة فقـط. وفـي زيـارات النسـاء إذا كانـت الزائـرة قليلـة الزيـارات لبيـت المـزورة فـلا بـد مـن أن

تقدم لها مربا أو شربات أو كليهما وربما قدمت لها شيئاً أو اشياء من النقل والفاكهة. هذا ولا يوجد فرق بين الابكار والمتزوجات من جهة المعاشرة فإن البكر تظهر وتخرج للزيارات المختلفة (ما خلا التهنئة في زواجٍ أو ولادة ونحوهما) وتحضر في الجمعيات وترقص مع الشبان كالمرأة المتزوجة وقبل أن تبلغ البنت منهنَّ مبلغ النساء تجتهد امها في تزيينها وعرضها في الجمعيات واذا دعيت الأم إلى ليلة طرب أو عرس ولم تُدَع معها ابنتها ولو كان سنها دون الاثنتي عشرة سنة عتبت على أصحاب الدعوة وربما امتنعت عن الذهاب إلى دعوتهم وهي تظهر أن بروز ابنتها في الاجتماعات والمحافل المختلفة أمام الشبان يجعل لها منهم نصيباً قريباً ولعل الأمر بالعكس.

ولا ريب أنه كما أن قلة الائتلاف والمعاشرة والتفريط في حجب النساء مؤاخران لانتظام الهيئة الاجتماعية وينشآن عن الخشونة وعدم التمدن كذلك الإفراط في المعاشرة وكثرة الاختلاط مضران بنظامها وينشآن عن التسيب وعدم الحزم وقد قيل أن خير الأمور أوسطها ولا أريد أن اعني أن الهيئة الاجتماعية عند نصارى اللاذقية مشوبة بما يخلُّ بالآداب كلا لا بل انني أقرُّ أن الطهارة محفوظة فيها أكثر مما في غيرها مما تقلُّ فيه الاجتماعات والاختلاط ولعلَّ كثرة الاختلاط والجمعيات عندهم هي السبب لحفظ الطهارة أكثر مما في غير مدن كما هو مشاهد ومحقق إذ لا يتيسَّر العاشقين منهم أن يجتمعا على انفرادٍ على غير حذرٍ من عيون كثيرةٍ ولكنني أريد أن اعني انها لا تخلو من اضرارٍ كثيرةٍ، مادية ومعنوية للرجال والنساء والشبان والشابات. أما للرجال فلكون الرجل الذي تقضي امرأته أكثر أوقاتها بالزيارات والجمعيات تكون معيشته خالية من كل هناء وترتيب ويتكلف مصاريف غير ضرورية لأن امرأته لا بد من أن ترى حيناً بعد حين في بعض تلك الزيارات الكثيرة شيئاً جديداً من الملابس أو الحلى على غيرها فتقترح عليه مشترى مثله لها على غير لزوم. وأما للنساء فلكون خروجهنَّ من بيوتهنَّ للزيارات في بعض الأوقات واشتغالهنَّ في بعضها الآخر باستقبال الزائرات يشغلاهنَّ عن ترتيب بيوتهنَّ ومناظرة الخدَّام والاعتناء بأولادهنَّ فإن أكثر الأطفال والأولاد مهملون من امهاتهم وحتى دب الطفل تستأجر له أمه

خادماً يحمله ويطوف بهِ في الشوارع أكثر النهار وذلك بعد أن تكون قد أعطتهُ ما يشتري لهُ بهِ فاكهةً أو نقلاً فتعوده على التبذير والاسراف مع الرضاعة ومتى درج ومشى تطلعه من الصباح إلى المساء للُّعب في الأزقة والتبذير لكي تخلو لها الأوقات فيمكنها أن تصرفها بالزيارات واستقبال ومسايرة الضيوف فلذلك ترى أكثر البيوت قليلة الترتيب والنظافة وأكثر الأولاد مبذرين قليلي الحشمة والتربية وهذا عار عظيم على المرأة ومخلٌّ بقدرها واعتبارها في عيون الغرباء فضلاً عن أنه ربما كان سبباً لوقوع التناكد بينها وبين زوجها إذا كان محباً لترتيب البيت والاعتناء بالأولاد. وأما للشبان فلان كثرة الاختلاط تجعل مَن لم يكن منهم ذا تعقلٍ كافٍ لضبط نفسه يصرف كل أيام شبابهِ بالجمعيات والتهافت على وسائل الحظ والانشراح والتبذير عوضاً عن أن يعرفها بتحصيل الفوائد الأدبية والمادية التي تمكنه من أن يعدّ بها لأيام شيخوخةٍ عيشةً مقرونةً باللذة والسعادة ولا يتأسف عليها حينئذٍ إذ يكون قد اضاعهما في أيام شبابهِ العزيزة والثمينة. وأما للشابات فلأنه ظهور الشابة كل يوم وحضورها في الجمعيات بلا انقطاع وادمانها على محادثة الشبان تجعلها في اعينهم كشيءٍ اعتيادي تشبع منه العين فتزهد فيه النفس فتقلُّ بذلك رغبتهم فيها ويتعسر وجود طالبٍ لها. ولما كان كثيرون من الرجال العقلاء يتشكون من هذه العوائد المضرة فعسى أنهم يتمكنون من أبطالها شيئاً فشيئاً ويجعلون للزيارات والجمعيات ضابطاً واحداً واجباً يحسّن الهيئة الاجتماعية عوضاً عن أن يفسد نظام المعيشة كما تمكنوا في هذه السنين الأخيرة من تخفيف رغبة النساء في المصوغ والحلى مما كنَّ لا يعرفنَ الاكتفاء منهُ.

هذا وأننا قد نظرنا في التكلم عن هذه العوائد نظراً اجمالياً ولذلك لا بد من أن نقول أن كثيرين من الرجال والسناء غير جارين عليها بل هم متَّبعون طريقةً مناسبة في المخالطة والمعاشرة.

أما تعليم النساء فقد ابتدأوا أن يشعرو بوجوبهِ منذ بعض سنين وأكثر الآباء، الآن يعتنون بتعليم بناتهم القراءة والكتابة وشغل اليد والظاهر انهم سيتقدمون في ذلك شيئاً فشيئاً ولعل ذلك سيكون الواسطة لابطال العوائد المضرة إذ تتمكن المرأة بواسطة العلم ان تميز

المبـاديء الصحيحـة وتقتصـر علـى التمسـك بهـا فأنـه معلـوم أن مـن الأمـور التـي تـكاد تكـون مسـتحيلة إمـكان اقنـاع المـرأة الجاهلـة ولذلـك تكـون مانعـاً كبيـراً فـي اصـلاح العوائـد.

أمـا ملابسـهنَّ فقـد صـارت كملابـس الافرنـج إلّا أنهـنَّ مـا زلـنَ يرغبـنَ فـي لبـس الأثـواب البراقـة والمزركشـة بالقصـب ولـدى خـروج إحداهـنَّ مـن بيتهـا تلتحـف بـالأزار إلّا أنهـا لا تسـدل منديـلاً علـى وجههـا بـل تكتفـي بسـترهِ بيدهـا بطـرف الازار.

أمـا اعـراس النصـارى فقلمـا لا تكـون احتفاليـة ومنهـم مـن يجعـل الخطبـة احتفاليـة أيضـاً فيدعـو النـاس إلـى بيتـه فـي الليلـة التـي يعتمـد فيهـا علـى وضـع عربـون الخطبـة ولـدى اجتماعهـم يذهبـون جميعـاً رجـالاً علـى حـدةٍ مـا خـلا الخطيـب نفسـه إلـى بيـت الخطيبـة وبعـد جلوسـهم وشـربهم النارجيلـه واكلهـم المربـا يعطـي أحـد الاكليـروس المدعويـن أبـوي الخطيبـة العربـون المقـدَّم مـن الخطيـب علامـةً لعقـد الخطبـة ثـم يعـودون إلـى بيـت الخطيـب ويصرفـون تلـك الليلـة بالغنـاء والطـرب أمـا العربـون فيكـون غالبـاً خاتمـاً ومنديليـن أو قطعـة أخـرى مـن المجوهـرات عـوض الخاتـم وقـد اجتهـد بعـض القـوم منـذ بعـض سـنين بـأن يُقتصَـر فـي العربـون علـى منديليـن وخاتـم فضـة أو ذهـب خـالٍ مـن الحجـارة الكريمـة عنـد العمـوم دفعـاً للمضـار التـي تلحـق بغيـر المقتدريـن مـن تقديـم مـا هـو فـوق طاقتهـم مسـاواةً للآخريـن فجـرى علـى ذلـك كثيـرون. ومـن عوائدهـم أن الخطيبـة لا تتكلـم مـع ابـوي خطيبهـا وأقاربـه الأدنيـن ولا ترقـص أمامهـم ولا تـزور بيتـه ومنهـنَّ مـن لا تمـرّ عـن بابـه أيضـاً. وقـد كانـت العـادة قديمـاً أن تحتجـب الخطيبـة عـن خطيبهـا إلّا أن هـذه العـادة بطلـت وفـي أيامنـا هـذه يـكاد الخطيـب لا يفـارق خطيبتـه. أمـا العـرس فيبتـدىء قبـل الاكليـل بأسـبوع ويسـمون تلـك الليلـة ليلـة المشـورة فيذهـب أقـارب العريـس والمدعـوون إلـى بيـت العـروس ويعلنـون لهـم أن الاكليـل سـيكون بعـد سـبع ليـالٍ ثـم يعـودون إلـى بيـت العريـس ويصرفـون ليلتهـم بالغنـاء والانشـراح وتسـتمر الافـراح قائمـةً علـى قـدمٍ وسـاق فـي أغلـب الأوقـات فـي بيـت العريـس مـدة ذلـك الأسـبوع وقبـل الاكليـل بليلتيـن تكـون ليلـة تُدعـى ليلـة الكتبـة يذهـب فيهـا أقـارب العريـس والمدعـوون إلـى بيـت العـروس فيُفتَـح أمامهـم جهازهـا قطعـةً قطعـةً، ويُقيَّـد جميعـه فـي قائمتيـن مبيَّنـاً فيهمـا مـا قدمـه كلٌ مـن العريـس والعـروس علـى حـدةٍ وتُعطَـى احـدى

القائمتيـن لابـوي العـروس والأخـرى للعريـس ثم يُحمَـل الجهاز إلـى بيت العريـس ويعود إليـه المدعوون راجعيـن إلـى غنائهـم وطربهـم أمـا مـا يقدمـه العريـس فقـد يكـون قطعـةً أو أكثـر مـن المجوهـرات وبعـض ملبوسـات فاخـرة، وأمـا مـا تقدمـه العـروس فقـد يكـون مؤلفـاً مـن بعـض المجوهـرات والحلـي ومـن أعـدادٍ كثيـرة مـن كل نـوعٍ مـن الملابـس المختلفـة اكثرهـا أربعـة وعشـرون عـدداً وأقلهـا سـبعةً وقـد اجتُهـد فـي هـذه السـنين المتأخـرة فـي الاقتصـاد بذلـك. وحصـر مـا يقدمـه العريـس فـي قيمـةٍ معلومـة غيـر باهظـة وكذلـك مـا تقدمـه العـروس مـع الاقتصـاد فيمـا تقدمـه مـن الملبوسـات علـى سـبعة اعـدادٍ فقـط مـن كل نـوعٍ منهـا اتباعـاً للمبـدأ المـار ذكـره عنـد ذكـر الخطبـة وان مـن يريـد مـن الآبـاء أن يقـدم مـع ابنتـهِ أكثـر ممـا ذكـر فلـهُ أن يعطيهـا قيمتـه نقـداً بعـد زواجهـا عوضـاً عـن تقديمـهِ جهـازاً. علـى أن هـذه المبـادي لـم تتمكـن بعـد كمـا ينبغـي. ثـم فـي الليلـة المعيَّنـة للاكليـل تضـرب منـذ المسـاء آلات الطـرب بألحـان السـرور والافـراح وتصـدح النسـاء بترنيـم الهاهيـات وقـد يكـون مثـل ذلـك فـي بيـت العـروس أيضـاً وعندمـا ينقضـي الجـزء الأكبـر مـن الليـل يضيـع العريـس وذلـك بأنـه يختبـىء فـوق السـطوح أو فـي احـدى حجـر البيـت فيطلبـه أهلـه والمدعـوون فـلا يجدونـهُ فيصرخـون قـد ضـاع قـد ضـاع فهلمـوا لنفتـش عليـه ثـم يخـرج بعضهـم ويفتشـون عليـه واذ يجدونـه يضجـون بأصـوات التهاليـل والأغانـي ثـم يأتـون بـه، إلـى وسـط البيـت حيثمـا يخلـع بعـض أثوابـه فـي حضـرة الجمهـور ويلبـس أثـواب العـرس علـى نغـم التراتيـل الكنايسـية ثـم تُفـرَّق علـى المدعويـن الشـموع فيوقدونهـا ويخرجـون رجـالاً ونسـاءً سـائرين بالعريـس علـى نغمـات الموسـيقى وربمـا يضـرب الطبـل أيضـاً مـع ترنيـم الهاهيـات مـن النسـاءِ وعندمـا يصلـون إلـى بيـت العـروس تتقـدم النسـاء القادمـات مـع العريـس ويصطففـنَ واقفـاتٍ امـام العـروس التـي تكـون جالسـة فـي صـدر القاعـة علـى وسـائد فاخـرة يسـمونها المرتبـة مغمضـة العينيـن (وهـذا نـادر الآن) أو مطرقـة إلـى الأرض مغطَّـاة بخمـارٍ شـفَّاف احمـر وأبيـض اللـون فيقرّظـنَ حسـنها وجمالهـا بترنيـم الهاهيـات برهـة ثـم يجلسـنَ وبعـد تقديـم النارجيلـة والمربـا والقهـوة يجـري الإكليـل فـي بيـت العـروس أو فـي احـدى الكنائـس ثـم يعـودون بالعريـس والعـروس واقربائهـا مـا خـلا أنهـا (لأن مرافقتهـا لابنتهـا شـؤم فـي زعمهـم) إلـى بيـت العريـس

بالتهليل والأغاني كما أتوا ويقود العروس في اثناء الطريق امرأتان الواحدة عن يمينها والثانية عن يسارها وكلما وصلوا إلى أمام بيت من بيوت المعارف يخرج بعض أهل ذلك البيت ويرش العريس والعروس والمدعوين جميعاً بماء الزهر وتخرج النساء منهُ ويكشفنَ وجه العروس لينظرنَ رونقها وبهاءها وعندما يصلون إلى بيت العريس تُعطَى العروس قطعةً من العجين لتلصقها على ساكف الباب معتقدين أن ذلك فأل حَسَن ثم يرجع المدعوون إلى بيوتهم ما خلا بعض نساء من قريبات العروس، يأتين معها ويرقدنَ عندها تلك الليلة وفي الضحَى يأتي المدعوون ثانيةً إلى بيت العريس ويجلبون العروس وذلك بأن تخرُجَ من غرفتها لابسةً قبقاباً عالياً مغمضة العينين تقودها امرأتان عن يمينها ويسارها ويؤتى بها إلى قاعة الاستقبال على ضرب الموسيقى وترنيم الهاهيات ثم تُجلَس في صدر القاعة على المرتبة غاضة الطرف صامتةً واذا هي تعبت من الاغماض أو الاغفاء تُغيَّر هيئة جلوسها فيُدار وجهها إلى الحائط وظهرها إلى الجماعة ثم من ساعةٍ إلى اخرى يقودها بعض النساء إلى غرفتها ثم يرجعنَ بها لابسةً بدلةً غير التي كانت عليها بحيث تظهر ذلك اليوم في أكثر بدلاتها وفي اثناء ذلك يتقدم أبو العريس واقرباؤه ويقدم كلٌ منهم للعروس هديةً من الحلى والنقود ويسمونها نقطةً (وهذه العادة ألغيت من عهدٍ قريب) هذا ولا يزال الغناء والرقص وترنيم الهاهيات متصلة إلى المساء وحينئذٍ يمدُّ السماط للمدعوين فيأكلون ثم يشربون القهوة ويمضي كلٌ منهم إلى حال سبيلهِ. ومن العوائد القبيحة أنهُ إذا افتضَّ العريس عروسهُ يُشهَر دم بكارتها على خرقةٍ تُرسَل إلى بيت ابيها ليطمأنوا على انها ظهرت بكراً ويكاد يكون مثل هذه العادة في القبح أنهُ كلما جاء زائر ليهنىء العروسين تبادر العروس لتقبيل يدهِ رجلاً كان ام امرأةً إشارة إلى أنها قد افتُضَّت فأنها ما لم تفتض لا تلثم بواحدٍ من الزائرين. على أن هاتين العادتين تكادان تبطلان في أيامنا هذه. ثم في سابع ليلةٍ من ليلة العرس تأتي ام العروس لزيارة ابنتها وتُدعى تلك الليلة ليلة الأسبوع فيُدعى إلى بيت العريس جميع الذين كانوا مدعوين في ليلة العرس غالباً ويقضون تلك الليلة بالغناء والطرب أيضاً وبعد أيام تذهب العروس إلى بيت أبيها وهذه الزيارة الأولى تسمى عندهم ردَّة الرِجْل فتصدح لزيارتها نغمات الفرح والسرور عندهم ثم

أن كلاً مـن العريـس والعـروس يلتـزم بـردّ الزيـارة لـكل مـن أتـى لتهنئتهمـا ويُقـدَّم للعـروس فـي كل بيـتٍ تـردُّ لـه الزيـارة شـربات وحلويـات ونقـول ثـم يقـدّم للعروسـين كلٌ مـن أقربائهمـا وليمـةً أو ليلـة طـرب حافلـه وهكـذا تـرى أن العـرس عندهـم يكـون لـهُ ذَنَـب طويـل جـداً علـى أنـه فـي هـذه السـنين المتأخـرة قـد تـرك اكثرهـم كثيـراً مـن العوائـد هـذه.

أمـا ليالـي الطـرب التـي تُقـدَّم للعـروس أو لباعـث آخـر مـن البواعـث المسـرّة فيبتـديء المدعوون بالاتيـان إليهـا نحـو العشـاء وفـي الغالـب تكـون هـذه الليالـي حافلـةً حتـى يغـصُ البيـت بالمدعويـن وذلـك ناشـيء مـن انتشـار القرابـة واتسـاع الالفـة بيـن أكثـر النصـارى حتـى أن صاحـب تلـك الليلـة يـكاد لا يتـرك عائلـة مـن أمثالـه دون أن يدعـو بعضهـا أو جميعهـا فيجلـس المدعـوون مصطفيـن طبقـات وصفوفـاً رجـالاً ونسـاء فـي القاعـة المعـدَّة لذلـك علـى المقاعـد المرتفعة والكراسـي والبسـط المفروشـة فـوق الحصـر فـي أرض تلـك القاعـة بحيـث لا يبقـى فيهـا موضـع خـالٍ سـوى فرجـة صغيـرة مسـتديرة فـي وسـطها لأجـل الرقـص وكثيـراً مـا يكـون عـدد كبيـر مـن هـؤلاء المدعويـن صبيانـاً وبنـاتٍ فـي سـن الاثنتـي عشـرة سـنة أو دون ذلـك ومـع كل هـذا الازدحـام تُقـدَّم للمدعويـن النارجيـلات فتوضـع بيـن الجـلاَّس وكثيـراً مـا يصـادف بعضهـا صدفـة فتسـقط نارهـا فتحـرق البسـاط أو أثـواب الجالـس إلـى جانبهـا وقـد أجتُهـد كثيـراً فـي أبطـال هـذه العـادة وجَعْـل شـرب النارجيلـة فـي حجـرةٍ مخصوصـة منفـردة فحـال دون المـرام اعتيـاد النسـاء علـى شـربها واسـتثقالهنَّ مـن كثـرة الخـروج والدخـول فيطلبـنَ أن يُؤتـى بهـا اليهـنَّ حيثمـا هـنَّ جالسـات. ثـم تضـرب النوبـة فصـلاً كامـلاً ويجـري تقديـم القهـوة وبعـد ذلـك يبتـدىء رقـص النسـاء فيتقـدم لاسـتدعائهنَّ احـد الشـبان ويأتـي إلـى امـام كل واحـدةٍ منهـن كل واحـدة بدورهـا مبتدئـاً بالنسـاءِ المتزوجـات ويدعوهـا امـا هـي فـلا بـد أن تمتنـع برهـةً فيكـرر عليهـا الدعـوة والرجـاء مـراراً حتـى تنهـض وتأتـي إلـى الوسـط فترقـص علـى ضـرب الموسـيقى والغنـاء نحـو عشـر دقائـق ثـم تعـود وتجلـس فـي مكانهـا فيتقـدم الداعـي ويدعـو غيرهـا وهكـذا حتـى ترقـص جميـع المتزوجـات فيلتفـت إلـى دعـوة البنـات العـزب حتـى يرقصـنَ جميعـاً ثـم بعـد ذلـك قـد تضـرب النوبـة فصـلاً أو لا تضـرب ثـم يبتـديء رقـص الرجـال مـع النسـاء فيتقـدم رجـلٌ منهـم

ويدعو امرأة يختارها متزوجةً كانت أم عزباء لترقص معهُ ثم يقف كلٌ منهما في جهة في فسحة الرقص مقابلاً للآخر ويرقصان منتقلين لجهة اليمين غالباً تابعاً أحدهما الآخر حتى إذا انتهيا وجلسا ينهض شاب آخر ويرقص مع فتاةٍ أخرى وهلمَّ جرًّا وقد يرقص رجلان وامرأتان معاً على هذا النمط مقابلاً كل رجلٍ منهما امرأةً هذا وأن عادة رقص النساء مع الرجال أو بحضرتهم غير مألوفة عند سوى نصارى اللاذقية وبعض نصارى حلب ولذلك الذين يسمعون بها من نصارى المدن الأخرى فضلاً عن المسلمين يستهجنونها وهذا ناشىء من عدم ائتلافهم أو من قياسهم رقصة نساء نصارى اللاذقية على رقصة نساء بلادهم ذات الحركات المقرونة بالخلاعة المتطرفة المخلة بالأدب التي ينفر منها الطبع السليم والحال أن من أمعن النظر برقصة نساء نصارى اللاذقية يرى أنها لسيت إلّا عبارةً عن تنقُّل بسيط خالٍ من حركات الخلاعة يُطاف بهِ في دائرة الفسحة المعدَّة للرقص على ايقاعٍ معلوم يُعرَف عند أهل الموسيقى بالسفيان المصري فليس فيه شيء مما يخل بآداب الهيئة الاجتماعية. وهذه الرقصة تسمى عندهم الرقصة الاعتيادية ولهم رقصة أخرى تدعى العرجه وفي حلب تدعى الرقصة اللاذقانية وهي أن يقف الرجل بجانب المرأة عن يمينها ممسكاً يدها اليمنى بيده اليُسرى ثم يقدمان رجليهما اليسريين ويطأان بهما يميناً ثم شمالاً من غير أن ينتقلا ثم ينتقلان لجهة اليمين خطوتين ثم يعودان لتقديم الرجلين اليسريين وهلم جرًّا. وقد يرقص هذه الرقصة عدة رجال ونساء معاً دفعةً موحدة مصطفين صفاً طويلاً.

هذا وقد يتخلل الرقص والغناء تقديم أنواع من الحلويات والنقول يُطاف بكلٍ منها في دورهِ على المدعوين وفي ختام هذه الأنواع تقدم القهوة فتكون مؤذنة بالانصراف وقد يمتد السهر في بعض هذه الليالي إلى ما بعد طلوع الشمس.

ثم أن من مزايا نصارى اللاذقية الحميدة محبة الغريب واكرامه فمتى زار مدينتهم غريب معروف بالسماع أو بالعيان فلا بد من أن يكون ضيفاً لأحدٍ منهم كما أنه لا بد من أن يزورهُ جميعهم أو أكثرهم ليهنئوهُ بالسلامه ويتزاحمون على معاشرتهِ إذا كان مقبول المعاشرة وكثيرون منهم يصنعون لهُ الولائم واذا كانت لهُ قرابة مع احدى العائلات أو كانت معهُ امرأته

يستدعونهُ إلى ليالي طرب حافله ويجتهدون بإرضائهِ بكل طاقتهم.

وإذا مرض عند أحدهم مريض لا يلبث أن يستدعي لهُ الطبيب وينفق كلما يجب انفاقه على معالجتهِ وإذا مات يتقاطرون أفواجاً أفواجاً إلى مأتمهِ فيجلس الرجال وحدهم والنساء وحدهنَّ واما الميت فيوضع في وسط الحجرة التي تجتمع فيها النساء فيصطففنَ حولهُ ويطفق أهل الميت منهنَ بالبكاء والنوح والولولة والندب وكلما أتت امرأة استقبلنَها بالنوح والعويل وإذا كان الميت عزيزاً يحللنَ عليهِ شعورهنَّ ويلطمنَ على وجوههنَّ وصدورهنَّ ويستأجرنَ نساء مخصوصات ليساعدنهنَّ على الندب والعويل وهذه العادة أي استئجار النوادب لم تكن موجودة قبلاً في اللاذقية لكنها استُعملت منذ عهدٍ قريب اقتداءً ببعض مدن سوريا، ولا بد لكل امرأةٍ تحضر إلى المأتم من أن تغطي رأسها بمنديل أسود ويستمررنَ على النوح والبكاء بدون تعقل ولا شفقة على صحتهنَّ حتى يحين وقت تجنيزه وربما قضينَ على هذه الحالة من حين موته إلى حين تجنيزه مدة اثنتي عشرة ساعة أو أكثر إذا كان موته قد وقع في الليل ثم يُنقَل من بينهنَّ إلى التابوت على أصوات اللطم والعويل من جميع أهله رجالاً ونساء ثم يشيعه إلى المقبرة الرجال فقط دون النساء فأنهنَّ يلبثنَ في البيت منتظراتٍ رجوع الرجال من الجنازة وقد كانت العادة قبلاً أن تخرج النساء مع الميت ويشيعنهُ بالعويل والولاول لكنها أُلغيت منذ سنة 1858. وعندما يرجع الرجال من الجنازة تستقبلهم النساء بالولولة والبكاء فيمكثون ريثما يشربون القهوة ثم ينصرفون وتستمر النساء تتوارد وتنصرف والبكاء والنوح جاريين على الأسلوب المار ذكره طول ذلك النهار وعند المساء يجلس أهل البيت للعزاء فيأتي الناس ويعزونهم وهكذا في الليلة الثانية والثالثة أيضاً. أما النساء فيكررنَ المأتم في اليوم الثالث والتاسع والأربعين والشهر السادس والتاسع وتمام السنة وفي كلٍ من هذه الأيام نحو الظهر تجلس نساء البيت ويستعدون للبكاء والنوح فتتوارد النساء إلى تلك المناحه وكلما وفدت وافدة منهنَّ يستقبلنها بالبكاء والعويل ثم يصطففنَ جميعاً ويفتح أهل الميت وذوات قرابتهِ فصلاً من البكاء فتندبه كل واحدة منهنَّ بدورها حتى إذا انتهينَ تشرع كل مَن مات لها ميت من الحاضرات تندب وتذكر ميتها وتحمّل الميت الجديد أحمالاً من

السلام لـهُ ولئـن كان قـد مضـى علـى موتـهِ سـنون كثيـرة وكلمـا انتهـت النادبـة إلـى مقطـعٍ بكـت وبكـى معهـا الحاضـرات وبعضهـنَّ يسـترنَ أوجههـنَّ بالمناديـل متباكيـات لا باكيـاتٍ حقيقـةً (ولاسـيما إذا كان الميـت مسـناً أو غيـر عزيـز فـإن هـذه المآتـم تجـرى لـهُ حينئـذٍ اتباعـاً للعـادة وتتباكـى النسـاء فيهـا عـوض البـكاء وبعضهـنَّ يتمازحـنَ ويتضاحكـنَ سـراً) ثـم عندمـا ينتهـي ذلـك الفصـل يسـتدعينَ بالنارجيـلات وتـدور بينهـن الأحاديـث المختلفـة هنيهـةً ثـم يؤمـرون برفـع النارجيـلات ويشـرعنَ فـي فصـل بـكاء ثـانٍ علـى الأسـلوب الأول وهكـذا إلـى العصـر إذ ينفـض المجلـس بعـد شـرب القهـوة التـي تُقـدَّم فـي الفناجيـن وحدهـا دون الظـروف كمـا هـي العـادة فـي المآتـم عندهـنَّ.

أمـا الحـداد فجـارٍ عندهـم بـأن يلبـس أهـل الميـت واقاربـه السـواد رجـالاً ونسـاء واذا كان عزيـزاً يُفـرَش بيتـه بالفـراش الأسـود أيضـاً وينقطـع الرجـال عـن حلـق الوجـه أسـابيع والنسـاء عـن الحمـام أشـهراً كمـا ينقطعـون جميعـاً عـن سـماع الغنـاء والطـرب وعـن تقديـم زيـارات التهانـي بأنواعهـا. وليـس لمـدة الحـداد قانـون ولا حـدود معيَّنـة عندهـم بـل كلٌ يحـد المـدة التـي يسـتصوبها فكـره وخاطـره علـى أن الغالـب أن يحـدَّ الذكـر لأبيـه أو أمـهِ أو أخيـه مـدة سـنة والانثـى سـنة ونصفـاً أو سـنتين وهلـم جـرًا.

الفصل السادس

في لواء اللاذقية

أن لـواء اللاذقيـة كان ممتـداً مـن حـدود طرطـوس جنوبـاً إلـى حـدود الجبـل الأقـرع شـمالاً ومسـاحته مـن الجنـوب إلـى الشـمال نحـو 70 ميـلاً ومـن الغـرب إلـى الشـرق نحـون 25 ميـلاً وهـو مؤلـف مـن 14 مقاطعـة أو قضـاء الأولـى مقاطعـة الخوابـي فـي حـدود اللـواء الجنوبيـة وكان حكامهـا مسـلمين مـن بنـي عـذرا ويسـكنون قلعـة الخوابـي ويلقبـون اغـاوات وفـي هـذه المقاطعـة 83 قريـة أهلهـا نصيريـة واسـماعيلية ومسـلمون وروم ارثوذكسـيون الثانيـة مقاطعـة المرقـب وهـي إلـى الشـمال الغربـي مـن الخوابـي وكان حكامهـا مـن بنـي عـذار ايضـاً ويسـكنون فـي قلعـة المرقـب وهـي تنقسـم إلـى ناحيتيـن ناحيـة زمريـن وفيهـا 35 قريـة وناحيـة المرقـب وفيهـا 44 قريـة وسـكان هـذه المقاطعـة نصيريـة ومسـلمون ونصـارى مـن الـروم الارثوذكـس والموارنـة الثالثـة مقاطعـة القدمـوس وكان حكامهـا اسـماعيلية وهـم طائفتـان الحجاويـة والسـويدانية وكلهـم يسـكنون القدمـوس ويلقبـون امـراء وكان صاحـب الولايـة منهـم يسـكن فـي قلعـة القدمـوس وهـذه المقاطعـة تنقسـم إلـى ثـلاث نواحـي ناحيـة القدمـوس وفيهـا 59 قريـة وناحيـة جـرد العليقـة وفيهـا 58 قريـة وناحيـة الظهـر الغربـي وفيهـا 30 قريـة أمـا أهـل هـذه المقاطعـة فاسـماعيلية ونصيريـة وهـي إلـى جهـة الشـرق مـن المرقـب الرابعـة مقاطعـة السـمت القبلـي ويُقـال لهـا السـمت قبلـه وهـي إلـى الشـمال مـن مقاطعـة القدمـوس وتنقسـم إلـى ثـلاث حلـل حلـة بنـي ياشـوط وكان حكامهـا مـن بنـي مطـرد وبنـي عثمـان وهـم يسـكنون فـي قريـة الحضـان وبنـي أبـي عاصـي ويسـكنون فـي عيـن قيسـطو وحلـة الحمـام لبنـي جحجـاح وهـم يسـكنون فـي قريـة الحمَّـام وحلـة السـرامطه لطائفـة البشـالده وهـم يسـكنون قريـة بعبـدا. وديـر بعبـدا وبنـي غريـب وهـم يسـكنون قريـة الداليـه وجميـع هـذه الطوائـف نصيريـة ويلقبّـون مقدَّميـن وفـي هـذه المقاطعـة 59 قريـة أهلهـا نصيريـة الخامسـة مقاطعـة بنـي علـي وكان حكامهـا بنـي أبـي شـلحة مـن طائفـة النصيريـة وهـم يسـكنون فـي قريـة عيـن الشـقاق

ويلقبون مقدمين وفيها 22 قرية أهلها نصيرية. السادسة مقاطعة القرداحة وكان حكامها بني أحمد ويسكنون في قرية بتنبول وبني جركس في مرج معيربات وبني علي في قرية القرداحة وبني العيله وشهاب الدين فيها أيضاً وبني حصون في بشلاَّما والبراج وبني علوش في قرية كلماخو وجميعهم نصيرية ويلقبون مقدمين وهي تنقسم إلى أربعة أقسام النواصره والقراحله ومَتْوَر وساحل القرداحة وفي هذه المقاطعة 68 قرية أهلها نصيرية السابعة جبله وقرى وقف السلطان ابراهيم والشمسيات وفيها 36 قرية أهلها مسلمون ونصيريه الثامنه مقاطعة المهالبه وهي قسمان عمامرة المهالبة وساحل المهالبة وكان حكامها من بني غصن ويسكنون في قرية اللدين وبني خير بك ويسكنون في قلعة المهالبه وجميعهم نصيرية ويلقبون مقدمين وفي هذه المقاطعة 47 قرية أهلها نصيرية وفي قرية دباس منها بعض سكان من الروم الارثوذكس التاسعة مقاطعة بيت الشلف وهي أربعة أقسام المزيرعه وعمامره بيت الشلف وساحل بيت الشلف وجبل دريوس وكان حكامها بني أحمد وبني محمد وبني علي وهم نصيرية أيضاً ويلقبون مقدمين وفيها 113 قرية ومزرعة أهلها نصيرية وفي قريتي حبيت والمزيرعه منها بعض سكان من الروم الارثوذكس العاشرة مقاطعة صهيون وكان حكامها بني الجندي مصطفى ويسكنون في قرية الحفه وطائفة الارشوكية ويسكنون في قرية شير القاق وبني الجندي ابراهيم ويسكنون في منجيلا وطائفة الزناقفة ويسكنون في قرية الزنقوفة وجميعهم مسلمون ويلقبون أجناداً وفي هذه المقاطعة 53 قرية أهلها مسلمون ونصيريه وفي قرية الحفه وقرية شتبفو بعض سكان من الروم الأرثوذكس الحادية عشرة مقاطعة البهلولية وهي إلى الشمال الشرقي من اللاذقية وكان حكامها بني علي وبني شمسين وبني منصور وغيرهم وكلهم نصيريه ويلقبّون مقدمين وفيها 44 قرية أهلها نصيرية الثانية عشرة مقاطعة جبل الأكراد وهي إلى جهة الشمال الشرقي من البهلولية وكان حكامها عدة عشائر من المسلمين يلقبون اغاوات وفيها 121 قرية ومزرعة وأهلها مسلمون ونصيريه ما خلا قرية كنسبا فإن أكثر سكانها روم ارثوذكس وقريتي حلوز والهوينيه فإن جميع سكانها روم أيضاً وقرى عرامو والغنيميه فإن جميع سكانها ارمن غريغوريون الثالثة عشرة مقاطعة الباير وكان حكامها عدة عشائر من التركمان يلقبّون اغاوات وفيها 23 قرية أهلها مسلمون تركمان

ونصيريه ما خلا قرية القصب فإن سكانها روم الرابعة عشرة ناحية البوجاق وكان حكامها عدة عشائر من التركمان يلقبون اغاوات وفيها 30 قرية، أهلها مسلمون تركمان ونصيريه وبها تنتهي حدود لواء اللاذقية الشمالية المتاخمة للجبل الأقرع وأهالي هاتين المقاطعتين أي الباير والبوجاق التركمان لا يزالون لحد الآن يتكلمون اللغة التركية ولا يُعلَم الوقت الذي جاءوا فيه وتوطنوا في هذه الجهات. أما ساحل اللاذقية ففيه 75 قرية أهلها نصيرية. وهذه المقاطعات تُدعى جبل النصيرية وكانت تُدعىَ قديماً جبل اللكام وجبال بهراء وتنوخ. قال أبو اسحق الاصطخري ويُسمَّى (الجبل الممتد من جبل طورس في آسيا الصغرى) اللكَّام إلى أن يجاوز اللاذقية ثم يُسمَّى جبل بهراء وتنوخ إلى حمص (انتهى) وقد علمت مما مر أنهُ كان يحكم هذه المقاطعات كبراء أهلها ورؤساء عشائرهم فأنهم كانوا يتوارثون ذلك خلفاً عن سلف على أنهم كانوا يأخذون الولاية بالالتزام بمبلغ معلوم من حكام اللاذقية ويحكمون حسب أهوائهم واستمرت هذه الحال إلى حين دخول الحكومة المصرية سنة 1832 فنكلتهم وعزلتهم من مناصبهم وولَّت متسلمين غرباء ولما استرجعت الدولة العثمانية البلاد من محمد علي باشا صاحب الحكومة المصرية سنة 1840 اعادتهم إلى مناصبهم لكن بالمعاش لا بالالتزام واستمروا على هذه الحال إلى زمان التشكيلات سنة 1865 إذ نزعت الولاية من أيديهم وولت مديرين من قِبلَها كما هو جارٍ إلى هذا اليوم.

هذا وقد وجدت الطبيعة مدينة اللاذقية في مركزٍ جغرافي يستلزم الحاق جميع المقاطعات المذكورة، بحيث إذا انفصل عنه شيء منها يعود ذلك بالضرر على كلتا الجهتين وذلك لأن اللاذقية قد وجدت في الوضع الطبيعي اليق مركزٍ لتجارة أهل جميع تلك المقاطعات لكونها أقرب اليهن جميعاً من كل المراكز المهمة البحرية المعروفة في العالم التجاري فهي مرجع حاصلاتهم ومورد احتياجاتهم ولهم ولأهلها صوالح واحده مشتركة نظراً لسعة العلاقات والمعاملات بين الطرفين ولا بد لحفظ هذه الصوالح الجسيمة المتبادلة من أن يكون لهم جميعاً حكومة واحدة لها مركز واحد متوسط في المسافة بين هذه المقاطعات مقتدر على منع وقوع الخلل في هذه العلاقات والصوالح وليس من مركزٍ سياسي مناسب لذلك في تلك البقعة سوى مدينة اللاذقية والظاهر أن هذه الحقائق قد عُرفت

من قديم الزمان حتى أنهُ يمكن القول أن الحاق هذه المقاطعات جميعها بمدينة اللاذقية قد جرى منذ تأسيسها على أنهُ يكاد يكون من المحقق أنهنَّ كنَّ ملحقات بها منذ بداية مملكة الروم لأنه معلوم أنهُ في أيام القيصر قسطنطين الكبير قد رُتّبت السلطة الروحية على ترتيب السلطة المدنية وبما أن الابرشية العائدة لكرسي ميطروبوليتية اللاذقية منذ القديم للآن تشتمل على جميع المقاطعات المار ذكرها فيتضح أن جميعها كانت إذ ذاك تابعة في السلطة المدنية لحكومة اللاذقية ثم ولئن كانت اللاذقية لم تستمر على حالةٍ واحدة في المرجع وكثيرةً ما كانت حكومتها وحكومة طرابلس واحدة يتولاها حاكم واحد لكنه قط لم يخطر ببال واحد من أرباب السياسة في تلك الأزمان المختلفة أن يخلَّ بالنظام ويسلب من اللاذقية حدودها الطبيعية حتى غيرت الدولة العثمانية ترتيب ولاياتها التغيير المعروف بالتشكيلات سنة 1865 فقسم القومسيون الذي تألف في سوريا لترتيب الألوية والقضاوات لواءً للاذقية إلى قضاوات مستقلة كلٌّ منها مرجعهُ رأساً إلى طرابلس مراعاةً لبعض الصوالح الافرادية كما سيأتي بيان ذلك في محله فنجم عن ذلك تأخر للاَّذقية وأضرار عمومية للقضاوات المذكورة مادية ومعنوية ولذلك التزمت حكومة سوريا بعد مدةٍ أن غيرت بعض ذلك الترتيب والغت بعض القضاوات كما أنها لا بد من أن تغيرهُ بتمامهِ مع الوقت الذي لا بد من أن يكشف لها أن تحويل الأحوال عن مجاريها الطبيعية التي شهد بوجوب المحافظة عليها مرور عشرين قرناً ليس هو من سداد الرأي.

أما القضاوات المقسم إليها لواء اللاذقية الملغى في الحالة الراهنة فهي قضاءان قضاء اللاذقية وهي مؤلف من ساحل اللاذقية ومقاطعات البوجاق والباير والبهلولية وصهيون وجبل الأكراد وبيت الشلف والمهالبه. وقضاء جبله وهو مؤلَّف من مقاطعات أو نواحي (حسب اصطلاح الحكومة بعد التشكيلات) القرداحة وبني علي والسمت قبله والمرقب وزمرين والقدموس والضهر الغربي وجرد العليقه وقرى أوقاف السلطان ابراهيم والقرى الشمسيات وناحية الخوابي وما يأتي هو عدد سكان كلٍ من القضاءين.

قضاء اللاذقية

ساحل	ناحية	قرية	نصيريه	مسيحيون	مسلمون	اجمال
اللاذقية	عدد	عدد	نفوس	نفوس	نفوس	نفوس
وقرى الجسرين	1	75	10258	478	1206	11942
البهلوليه	1	44	4166	034	00	4200
البابر والبوجاق	2	63	0580	354	7306	8240
	4	182	15004	866	8512	24482
صهيون	1	053	1760	100	3930	5790
جبل الأكراد	1	121	112	100	7592	7804
بيت الشلف	1	113	7366	100	0000	7466
المهالبه	1	047	3664	00	00	3664
		8.516	27906	1166	20044	49106
نفس اللاذقية		00	00	2381	8819	11200
		8.516	27906	4547	28853	60306

قضاء جبله

قرى	ناحيه	قريه	نصيريه	مسيحيون	مسلمون	اجمال
الأوقاف	عدد	عدد	نفوس	نفوس	نفوس	نفوس
والشمسيات	1	46	4328	00	592	4920
السمت قبله	1	59	6716	00	00	6716
بني علي	1	22	3354	00	00	3354
القرداحه	1	68	5644	00	00	5644
(أو الكلبيه)						
المرقب	1	43	1414	712	2932	5058
زمرين	1	35	1652	1134	358	3144
الخوابي	1	82	5512	1194	578	7284
القدموس	1	58	5564	00	00	5564
الضهر الغربي	1	58	5224	00	00	5224
جرد العليقه	1	20	3666	00	00	3666
	10	481	43074	3040	4460	50574
نفس جبله[1]	00	00	00	00	3100	3100
	10	481	43074	3040	7560	53674

---

(1) الأصح أن عدد سكان جبله لا يزيدون عن ألفي نفس.

أعلم أن العدد الموضوع في عمود النصيرية لمقاطعات الخوابي والقدموس هو شامل للنصيريه والاسماعيليه الذين في تلك المقاطعات وعددهم في مقاطعة القدموس نحو ثلاثة آلاف نفس وفي ناحية الخوابي نحو خمسماية نفس.

واعلم أيضاً أن العدد المرقوم في القضاءين ينقص عن العدد الصحيح فأنه مأخوذ عن دفاتر الحكومة وهو معلوم أن الأهالي كتموا نفوساً كثيراً عن المحررين الذين عينوا من طرف الحكومة سنة 1866 لتقييد النفوس لكي يقل عدد الأشخاص الذين يُطلَبون سنوياً للدخول في العسكرية.

الفصل السابع

في الآثار والمدن الموجوده في لواء اللاذقية

أن من الآثار الموجودة في لواء اللاذقية حصن العيدو ودعاهُ أبو الفداء في تاريخه حصن العبد. والعيدو الآن قرية في جبل الأكراد وكان الحصن على جبل فوقها ولم يبق منه الآن إلّا رسوم بالية تكاد لا تتحقق وفي قرية العيدو ماء غزير يجري من عين تنفجر من اسفل الصخر الذي كان الحصن قائماً فوقه قيل أن ماء هذه العين كان يجري في اقنيةٍ إلى مدينة اللاذقية ولم تزل آثار بعض هذه الأقنية تُشاهَد إلى يومنا هذا. ومنها قلعة صهيون ذات قلعةٍ حصينة لا ترام من مشاهير معاقل الشام وبقلعتها مياه كثيرة تتجمع من الأمطار وهي على صخرٍ أصم بالقرب منها وادٍ وبهِ من المحمضات ما لا يوجد مثله في تلك البلاد وتظهر من عند اللاذقية وبينهما نحو مرحلة (انتهى) قلت ولم يبق الآن للمدينة من أثر أما القلعة فقد هدم أكثرها ولم يزل باقياً فيها ابراج قائمة وأقبية ثابتة وفيها صهريجان منقوران في الصخر عميقان وواسعان في الغاية أحدهما مظلم والثاني نيّر يُنزَل إلى اسفل كلٍ منهما بسلم منقور في الصخر وهي الآن مهملة موحشة وساحاتها الفسيحة يحرثها اهالي القرى المجاورة ويستعملونها للزراعة. ومنها قلعة المهالبة وهي حصن قديم في ناحية المهالبه قد خرب اكثرهُ الآن ولعلهُ هو الذي كان يُقال لهُ قديماً حصن بلاطنس ومنها قلعة المرقب وهي قلعة حصينة على جبل شاهق يرتفع نحو الف قدم عن مساواة البحر أحدثها المسلمون سنة 454 للهجرة قال ابن الوردي وفيها أي في سنة 454 موافقة سنة 1063 م عمَّر المسلمون حصن المرقب بساحل جبله وباعوهُ للروم بمال عظيم وقبضوهُ وجاء من الروم نحو من ثلاثماية رجل ليتسلموه فقتلوا منهم وأسروا الباقين وفدوهم بمالٍ كثير وكان بيعه للروم حيلة نصبها المسلمون فتمت وهي في شكل مثلث الزوايا واحدى زواياها مقابلة للغرب وحجارتها

تضرب إلى السواد ومحيطها ميل ونصف وفي أعلى جدرانها برجان مستديران الواحد من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب وقد ضرب اكثرها الآن وفيها كنيسة من أيام الصليبيين قد تحولت الآن جامعاً وقد صارت القلعة في هذه الأيام مسكناً لبعض الأهالي ولبني عذرا فيها دور فسيحة وعدد البيوت التي فيها 78 بيتاً سكانها مسلمون بينهم عائلة واحدة من الروم وفيها جامع (وهو الذي كان كنيسة) و10 دكاكين وفرن واحد. ومنها قلعة الخوابي وهي مأهولة الآن بالسكان وفيها 31 بيتاً سكانها مسلمون وجامع ودكانان وفرن.

أما المدن التي فيها فمنها مدينة جبله وهي مدينة قديمة على البحر إلى الجنوب الشرقي من اللاذقية وبينهما مسافة نحو 12 ميلاً وفيها الآن من السكان نحو 3100 نفس جميعهم مسلمون وعدد بيوتها 288 بيتاً وفيها جامعان و8 مساجد وسكة وماية وثماني وعشرون دكاناً وحمامان وثلاث طواحين وثلاث أفران ومعصرتان وبخارجها جامع فيه مزار قد اشتهر أنهُ قبر ابراهيم بن ادهم وهو ابراهيم بن ادهم بن منصور الزاهد من بكر بن وائل ولد ببلخ ورابط بالشام وقد ذكر ابن الوردي خبر وفاته في حوادث سنة 161 للهجره لكنهُ لم يعيّن المكان الذي توفي فيه وإنما نقل ما حكاه ابراهيم ابن ادهم عن نفسهِ فقال أنهُ كان ابن ملكٍ من ملوك خراسان فسار منها حتى صار إلى العراق ثم صار إلى الشام ثم قدم إلى طرطوس فاستأجرهُ شخص ناطوراً لبستانٍ فمكث في البستان أياماً كثيرة وأنهُ لما اشتهر اختفى وهرب من الناس وكان يأكل من عمل يدهِ كالحصاد والعمل في الطين وحفظ البساتين (انتهى) وأهالي جبله ينسبون المدينة إليه فيدعونها جبله الأدهمية قلت وفي اللاذقية مزار اشتهر أنهُ قبر ام ابراهيم ابن ادهم واللّه أعلم. ولمقام ابراهيم ابن ادهم قرىً وارضون وُقفت فيما يُقال في عهد المماليك الجراكسة سلاطين مصر على تكيةٍ في جامعهِ تُطعَم فيها الدراويش والمساكين وقد استولت الحكومة في أيامنا هذه على دخل الأوقاف المذكورة وجعلت نفقة التكية على عهدتها تنفقها على يد متولّ يتقلّد الولاية بالوراثة وتثبيت الحكومة ويُدعَى قائم مقام الأوقاف وهي الآن في بيت علي أديب في جبله والمتولي منهم الشيخ يَسين افندي.

ومن الآثار الموجودة في جبله بقايا مرسح لملاعب الرومانيين وهو على شكل قوس

دائـرة مقاعـده صفـوف حـول السـاحة المتوسـطة كل صـفٍ منهـا مرتفـع قليـلاً عمـا تحتـهُ ونصـف قطـر الدائـرة نحـو 150 قدمـاً والمحيـط مـن خـارج نحـو 450 قدمـاً وتحـت المقاعـد مرابـض كانـوا يضعـون فيهـا الوحـوش التـي يسـتحضرونها لتلـك الملاعـب واهـل جبلـه يسـمون هـذا المـكان قلعـةً وبخـارج جبلـه مدافـن صخريـة كثيـرة العـدد.

ومـن مـدن اللـواء أيضـاً قصبـة القدمـوس وفيهـا 127 بيتـاً سـكانها اسـماعيليه وجامـع و92 دكانـاً وحمـام وليـس فيهـا مـن الآثـار سـوى قلعتهـا.

هـذا وقـد ذكـر المؤرخـون القدمـاء عـدة مـدن صغـار مـا بيـن اللاذقيـة وطرطـوس وهـي بالتـوس ولـم يبـق منهـا الآن سـوى خراباتهـا علـى نهـر السـن ويدعونهـا البلـده. ثـم بنيـاس وهـي علـى شـط البحـر إلـى الغـرب الشـمالي مـن المرقـب قـال أبـو الفـداء فـي الجـغرافيا «المرقـب والبنيـاس للمرقـب اسـم للقلعـة وهـي قلعـة حسـنة البنـاء مشـرفة علـى البحـر وبنيـاس اسـم لبلدتهـا وبيتهـا قريـب مـن فرسـخ وهـي ذات أشـجار وفواكـه، قلـت ولـم يبـق مـن أثـار بنيـاس القديمـة شـيء وإنمـا هـي الآن اسـكلة تحتـوي علـى بعـض مخـازن حديثـة البنـاء. تُدعَـى بانيـاس ثـم مرقيـه ودعاهـا القدمـاء مراكيـا ومراتـوس وبقايـا قلعتهـا تُشـاهَد إلـى الآن وأمـام قلعتهـا علـى مرمـى سـهمين مـن البـركان فـي وسـط البحـر بـرج بُنـي بعـد مـوت الملـك بيبـرس وسـيأتي ذكـر ذلـك فـي محلـهِ وهـي الآن قريـة حقيـرة جـداً وقـد عـدا اسـترابون فـي هـذا الخـط تسـع مـدن وهـي ارتوسـيا (ولعلهـا طرطـوس) وسـيميرا وانهيـدرا وكارامـوس وبنيـاس وبالتـوس وغابـالا (جبلـه) وهرقليـه وبوسـيديون وعدهـا بلينيـوس سـبعاً وهـي سـيميرا وماراتـوس وانتـاداروس وكارنـي وبانيـاس وبالتـوس وجبلـه ثـم ذكـر هرقليـه وبوسـيديون بعـد اللاذقيـة لجهـة الشـمال وعليـه جـرى أكثـر الجغرافييـن وهـو الأصـح فأنـه موقـع هرقليـه هـو بيـن رأس ابـن هانـي ورأس البسـيط ولا يـزال لحـد الآن يؤتـى بحجـرٍ مـن هنـاك يُدعَـى الحجـر الهرقلـي نسـبةً لتلـك المدينـة. وموقـع بوسـيديون هـو البسـيط التـي هـي تحريـف لفظـة بوسـيديون. نعـم أن جميـع هـذه المـدن لـم تكـن ذات أهميـة إلّا أنهـا اسـتحقت أن تُذكـر فـي التواريـخ وجميعهـا قـد عفـت وزالـت ولـم يبـقَ منهـا مـا هـو ثابـت بعـض الثبـات إلّا مدينـة جبلـه فسـبحان الباقـي الدائـم الـذي لا يـزول.

الفصل الثامن

في صفات أهالي المقاطعات وأحوالهم

لقد علمت مما مرَّ أن أكثر سكان المقاطعات المار ذكرها نصيريه وهم في حالةٍ يُرثى لها من الجهل والغباوة والخشونة وقد جُمعت فيهم جميع الصفات الذميمة فإن من صفاتهم الكسل والكذب والخداع وحب السرقة وسفك الدماء والخيانة والدناءة وليس فيهم مأثرة تُحمَد إلى قرى الضيف وحماية النزيل على أنهم ربما اضافك منهم مضيف وحمى ذمارك ما دمت في بيتهِ فاذا انصرفت ارسل فسلبك في الطريق كل ما معك. وهم ينقسمون إلى عشائر فاذا قُتل قتيل من احدى العشائر قامت العشيرة كلها للأخذ بثارهِ من عشيرة القاتل واذا تصالح العشيرتان على ديةٍ معلومة عن القتيل تجمع عشيرة القاتل الدية من كلٍ من أفرادها وتوزعها عشيرة المقتول على كلٍ من افرادها واذا جاء رجل غريب وتعاهد أو كتب دمهُ كما يقولون هم إلى احدى هذه العشائر كان لهُ كواحدٍ منهم فاذا قُتِل طالبوا بدمهِ واذا قتل فرضوا عليهم دية المقتول كما أنهم يخصصونهُ لهم من الدية إذا كان القاتل غيره وبهذه النسبة يتمكن النصارى القليلون القاطنون بينهم أن يعيشوا غالباً بأمنٍ واطمئنان فإن كل فيئةٍ منهم مشتركة بالدم مع احدى العشائر ثم أن الفتن والقلاقل لا تنقطع من بين هذه العشائر فلا تكاد تمضي سنة دون أن تقوم فيها عشيرة على أخرى لأجل أسباب زهيده ويتحزب لكل من العشيرتين بعض العشائر الأخرى وتُصلَى بينهم نيران الحرب والقتال ولولا خوفهم من الحكومة لما هدأُوا بعض الأحيان عن الكفاح والنزال على أنهم متى رأوا الظروف تساعدهم تمردوا على الحكومة نفسها وتخلفوا عن أداء الأموال ولذلك تضطر الحكومة في أغلب الأوقات أن تسوق عليهم العساكر ولن تزال كذلك ما لم تقُمْ قوة دائمة بينهم وذلك بجعل نواحيهم قائم مقامية وأكثر مركزها في وسط جبالهم مع تقسيم باقي النواحي إلى قائم مقاميات

أخرى تُجعَل اللاذقية لا غيرها مرجعاً لجميعهن بحسب كونها اقرب مركزٍ مهم لهنَّ وعارفة ومختبرة احوالهنَّ واكثر من غيرها علاقةً مع أهاليهنَّ فبواسطة وجود القائم مقاميات بينهم التي يتبعها وجود مجالس وضابطة وجانب من العساكر التي لها عادة أن تقيم في نفس اللاذقية وجبله وحصول المحاكمات والاجراءات على حقها النظامي بدون مسامحة مع وجود المرجع الذي هو مدينة اللاذقية قريباً منهم بحيث تُلاحَظ فيه جميع الأعمال التي تقع في تلك القائم مقاميات يضطرون أن يلتزموا الهدوء والانقياد. وأما الاجراءات الموقتة التي اعتادت الحكومة أن تستعملها فلا يكون نفعها إلا موقتاً وذلك لأن النصيرية موصوفون بأن عقولهم في عيونهم فإن رأوا عقلوا واعتبروا ويزول اعتبارهم بحالما تزول المؤثّرات من أمام أبصارهم وهذا من الأمور التي عُرفت بالتجارب المتتابعة بمقدار تتابع السنين.

ثم أن كلاً من هذه العشائر تتألف من ثلاث طبقات الطبقة الأولى المشائخ وهم خَدَمة الدين وبينهم تفاوت في الغِنَى والعلم والنسَبَ والطبقة الثانية المقدمون وهم أصحاب الأرض والنفوذ وهم على تفاوت أيضاً في الغِنَى والجاه والنَسَب والطبقة الثالثة الفلاحون وهم العامة المساكين ويُحسَبون بالنسبة إلى ارباب الطبقتين الأوليين كالعبيد إذ ليس لهم ملك ولا تقدم في طائفتهم وعليهم الاتعاب والخدمة ومنهم الانفار العسكرية.

ومن عادة عشائر نصيرية الجبال انهم عندما تزول الفُتَن والاختلافات من بينهم تشتغل لصوصهم في شنّ الغارة على قرى الساحل وابناء السبيل وسلب كل ما يقع بيدهم وقد يشترك مع هؤلاء اللصوص كثيرون من المقدمين والمشايخ ولئن كانوا لا يخرجون معهم للسلب فيقاسمونهم على غنائمهم ويحفظون لهم اسلابهم عند الحاجة وجميع ذلك ناشيء عن الكسل وعدم حب الشغل فإن الرجال في الجبال قلما يعملون عملاً ومع أن أراضيهم جيدة بالنسبة إلى أراضي باقي جبال سوريا وفي أكثر قراهم عيون وينابيع من الماء الغزير الفائض فجميع ذلك مُهمَل وذاهب ضياعاً فلا يعتنون بالحراثة ولا يغرس الأشجار إلّا فيما ندر. ومعظم أشغال أهالي الجبال انما هو في التبغ وهو من أعمال النساء عندهم كما أن أكثر الأشغال الأخرى هي من اعمالهنَّ أيضاً ولذلك قد تقوم المرأة عندهم مقام امرأةٍ ورجلٍ

معاً مما هنَّ عليهِ من المنزلة الدنية بينهم وعدم معرفتهم قدرهنَّ كما سيأتي ولما كانت حالة الرجال في الجبال على هذه الصفة كانت الراحة والبطالة اللتين من نتائجهما الفقر تدعيانهم إلى السرقة والسلب والفتن وباقي الأعمال الفاسدة.

أما رجال قرى الساحل فلما كانوا تحت نظر الحكومة وكانت مواقفهم لا تمكنهم من التمرد كانوا غير قادرين أن يجدون ملهى عن الشغل فلذلك هم أقل كسلاً من أهالي الجبال واحسن حالاً ولئن كانوا يُحسَبون كسالى بالنسبة إلى غيرهم أما معيشتهم جميعاً فهي في اقصى درجة من الدناءة والخساسة فإن بيوتهم مبنية بالحجارة الصغيرة بغير هندام تُطيَّن بتراب الأرض وتُسقَف بالبلاَّن وهي أَولَى بأن تُسمَّى اكواخاً لا بيوتاً ينامون في الشتاء داخلها وفي الصيف على سطوحها ومنامهم يكون على حصرٍ أو على لبَّاد ويتغطَّى أكثر أهل البيت بلحافٍ واحدٍ وقليل منهم مَن يوقد مصباحاً في بيته واكثرهم ينامون زمن الشتاء مع حيواناتهم في بيتٍ واحدٍ أما مآكلهم فقلما يخالطها لحم وفي أكثر الأوقات يكتفون بأكل الخبز والبصل واشهر مآكلهم ما يسمونهُ المتبَّلة وهي تُعمَل من البرغل المسلوق واللبن الرائب أما ملابسهم فهي القميص الذي هو عبارة عن ثوبٍ طويل إلى القدمين والعباءة ويلبسون على رؤوسهم لبادة وعصبة ويتمنطقون بحبلٍ من شعر أو صوف وقليل منهم ما عدا النساء من يلبس السراويل وأقل منهم بما فيه النساء مَن يلبس الأحذية ولا يوجد فرق كبير بين المقدَّم فيهم والراعي من حيث السكن والمأكل إلّا نادراً. إلّا أن المقدمين احسن لباساً من العامة فانهم يلبسون غالباً طرابيش بشرابات طويلة ثقلها من 80 إلى 120 درهماً أو لبادات ويتعممون بجملة عصائب أو بزنار حرير ويلبسون سراويل أبيض أو من الجوخ أحياناً وزناراً عريضاً ويشكون غالباً أسلحة في مناطقهم وكذلك طبقة المشايخ تتميز بلبس العمائم البيضاء التي يسمونها شاشاً ومن طباعهم أنهم لا يبالون بالانتقال من حالة رخاء إلى حالة شدة فأنهم إذا اكلوا اكتفوا بأكل الحشيش بالملح وقد رأيت في بعض رؤوس جبل دريوس صبياناً منهم عراة الأجسام بالكليه وفي محلٍ آخر امرأةً عريانة تستَّرت من المارين وراء شجرة. ولا ريب أن من يرى حالتهم ويشاهد جبالهم وأراضيها ومياهها وقابليتها على

الخصوص لأنواع الأغراس وما هي عليهِ من الاهمال يحكم بأنهم من أكسل القبائل واشدهم توحشاً. أما الحالة العلمية عندهم في غاية التأخر وقلَّ من يعرف القراءة والكتابة منهم ما خلا مشائخهم الذين قرآءتهم وكتابتهم في غاية الركاكة والضعف وعندهم أن اللحن فيهما واجب وأن الاعراب غير ممدوح ولا يعرفون من الصنائع سوى ندف القطن وغزله غليظاً وحياكته خاماً سميكاً وصنعة السكافة وقلما يعرفون غير ذلك مما يستحق الذكر ولما كانت ديانتهم وديانة الاسماعيلية من الأسرار الغير المشهورة كان لا بأس من ذكر بعض مبادئها.

أن النصيرية فرعٌ من الطائفة الباطنية يعبدون بعض الأجرام السموية على أنها الامام علي بن أبي طالب الذي ينتحلون فيه الالهية وطقوسهم ممتزجة من طقوس النصارى والمسلمين واليهود والصابئين ونسبتهم هي إلى أبي شعيب محمد بن نصير العبدي البكري النميري واضع ديانتهم نشأ في أراضي الكوفة في الجيل الثالث للهجرة وكان شيخاً كثير الصلوات والأصوام فاختار من اصحابهِ اثني عشر رسولاً ينذرون بتعليمهِ ولما شاع أمره قبض عليهِ الوالي والقاهُ في السجن وكان للسجان جارية اخذتها الشفقة على الشيخ حتى سكر السجان ذات يومٍ واستغرق في نومهِ ففتحت السجن وأطلقت الشيخ ثم ردت المفاتيح إلى مكانها فلما استيقظ السجان رأى أن الشيخ قد هرب ولم يجد علامة لفتح السجن فزعم أن ملاكاً اطلقهُ واشاع هذا الخبر لكي ينجو من غضب الوالي وبلغ الشيخ ايضاً فكان يوكدهُ للناس ويزداد اجتهاداً في اذاعة تعاليمهِ وكتب كتاباً يقول فيهِ انا فلان الذي يُظَن بي انهُ ابن عثمان رأيت المسيح الذي هو كلمة اللّه وهو أحمد بن محمَّد بن حنيفه من ولد علي وهو أيضاً جبرائيل الملاك فقال انت القاري انت الجمل الحافظ الغضب على الكافرين أنت البقر الحامل خطايا المؤمنين أنت الروح أنت يوحنا بن زكريا. قيل انطلق هذا الرجل من أرض الكوفه إلى بر الشام واذاع تعاليمهُ هناك بين الناس الساذجين ثم قام بعدهُ رجل آخر اسمهُ محمد بن جندب وقام من بعد هذا عبداللّه الجنَّان الجنبلان وقام بعدهُ الحسين بن حمدان الخصيبي وهو أعظم من كل مَن جاء بعده وهو الذي اكمل صلاتهم وقيل انه هو الذي قبض عليه الوالي والقاه في السجن ولما عرضت لهُ فرصة هرب واشتهر بين اتباعه

أن السيد المخلص خلصه ليلاً وهم يكنُّون عن عليّ بالمعنى ويلقبونهُ امير النحل ويعتقدون انه خلق الحجاب والاسم وهو محمد وان الاسم خلق الباب وهو سلمان الفارسي وأن المعنى والاسم والباب هو ثالوث ويذهبون إلى أن سلمان الفارسي خلق الخمسة الايتام وهم المقداد بن أسود الكندي وأبو الدر القفاري وعبدالله بن روامة الانصاري وعثمان بن مصفون النجاشي وقنبر بن كادان الدوسي وان الخمسة الأيتام خلقوا كل هذا العالم الموجود وأن ترتيب السماوات والأرض بيدهم ويكنون عن المعنى والاسم والباب بقولهم ع م س أو عَمَس وهي أحرف مقتطعة من أوائل اسماء علي ومحمد وسلمان ويعتقدون أن المعنى أي عليًّا ظهر ظهورات كثيرة وفي كل ظهورٍ كان معهُ اسمهُ وبابهُ فيزعمون أنه في عهد آدم كان هابيل المعنى وآدم الاسم وحواء الباب وفي عهد نوح كان الفلك المعنى ونوح الاسم وحام الباب وفي زمن موسى كانت البقرة المعنى وموسى الاسم والعصا الباب وهلم جرًّا. وانهم في كل ظهوراتهم ما أكلوا ولا شربوا ولا تزوجوا وانهم لم يولدوا من نساءٍ بل نزلوا من السماء بدون أجسام وأن الأجسام التي كانوا يظهرون فيها انما هي أشباه وليست أجساماً حقيقية وتنقسم النصيرية إلى اربع فِرَق الأولى الكلازية والثانية الشمالية والثالثة عبدة الشفق ويدعون مواخسة والرابعة عَبَدة الهواء ويقال لهم غيبيَّة وجميعهم يتفقون على أن الشمس هي الاسم أي محمد ويختلفون في المعنى والباب فالكلازية يعتقدون أن القمر هو المعنى أي علي بن أبي طالب ويقدمون عبادتهم لهُ وأن السماء هي الباب أي سلمان الفارسي والشمالية يعتقدون أن السماء المعنى ويقدمون عبادتهم لها وأن القمر الباب وكذلك الطائفتان الأخيرتان كلٌّ منهما يذهب في هذين الشخصين مذهباً يوافق غرضه ويعتقدون أن علي بن أبي طالب سيظهر من عين الشمس قابضاً على كل نفس والأسد من تحتهِ وسيفهُ ذو الفقار بيدهِ والملائكة خلفه وسلمان الفارسي بين يديهِ والماء ينبع من بين قدميهِ ومحمد ينادي ويقول هذا مولاكم علي ابن أبي طالب فاعرفوهُ وسبحوهُ وعظموهُ وكبروهُ هذا خالقكم ورازقكم فلا تنكروه ثم انهم يعتقدون بتناسخ الأرواح وأن اتقياءهم عند الموت تنتقل أرواحهم من الهياكل الناسوتيه إلى هياكل نورانية فيصيرون كواكب وعندهم أن المجرَّة

أي درب التبانة هي نفس مؤمنيهم وأن الأشرار من طوائفهم إذا ماتوا تحل أرواحهم في المواشي التي تؤكّل إلّا إذا كانوا من الخاصة أي رتب المشائخ المرتابين في الديانة فأنهم بعد موتهم يصيرون قروداً والذين أعمالهم ممتزجة من حسنة وسيئة ينتقلون إلى هياكل بشرية من الطوائف الخارجة عن مذهبهم ويعتقدون أن اشراف المسلمين الراسخين في العلم إذا ماتوا تحل أرواحهم في هياكل الحمير وعلماء النصارى في هياكل الخنازير وعلماء اليهود في هياكل القرود وهم يتظاهرون لكل طائفة أنهم منها أوانهم أقرب إليها مذهباً من غيرها ويخرّجون ذلك بأنهم هم الجسد وباقي الطوائف لباس فأيُّ لباسٍ يلبسهُ الإنسان لا يضرُّهُ وأن مَن لا يتظاهر كذلك فهو مجنون لأنه ما من عاقلٍ يمشي عرياناً في السوق. على أنهم في الحقيقة يكرهون كل الطوائف وقد كان يُظَن من عهدٍ غير بعيد أن النصارى أحب إليهم من المسلمين لكن تحقق أخيراً أن هذا الظن لم يكن في محله وأنهم شديدوا البغض لهم وإنما تظاهرهم بمحبتهم مكر وخداع طلباً لمساعداتهم. وهم يكرهون أبا بكر وعثمان ويسمونهم الأضداد ويشتمونهم في صلواتهم كما أنهم يشتمون طلحه وسعد وسعيد وخالد ابن الوليد ومعاويه ويزيد والحجاج وعبد الملك بن مروان وهارون الرشيد ويطلبون من علي بن ابي طالب أن ينزل سخطه وعذابه على اسحق الأحمر واسمعيل بن جلاد والشيخ أحمد البدوي والشيخ أحمد الرفاعي والشيخ ابراهيم الدسوقي والشيخ محمد المغربي والشبل المرجان والشيخ عبد القادر الجيلاني وكل يهودي ونصراني والجلند بن كركر وعاقران الناقة قرقيدار وحبيب العطار ويشتمون المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي ولعَّابي القرود ومسَّاكي الحيات السود ويوحنا مارون وكل من يعتقد في عليّ بن أبي طالب آكلاً أو شارباً أو مولوداً وناكحاً ويطلبون من اللّه ابادة الدولة العثمانية والحكام المسلمين واستظهار الطائفة الخصيبية النصيرية. أما الصلوة فمفروضة عليهم في خمسة أوقات في اليوم فالفرض الأول صلاة الظهر لمحمد والفرض الثاني صلوة العصر لفاطمة والفرض الثالث صلوة الغروب للحسن بن علي والفرض الرابع صلوة العشاء لأخيه الحسين والفرض الخامس صلوة الصبح لمحسن سر الخفي ويستعملون البخور والخمر في بعض صلواتهم واذا مرَّ بهم أحد

خـارج عـن مذهبهـم فـي وقـت صلاتهـم تفسـد تلـك الصلـوة فيعـودون إلـى خلافهـا واذا حدثهـم لا يجـوز لهـم فـي ذلـك النهـار ذكرهـا أمـا شـيوخهم فينقسـمون إلـى ثـلاث رتـب الرتبـة الأولـى رتبـة الامـام والثانيـة رتبـة النقيـب والثالثـة رتبـة النجيـب والعامـه يطيعونهـم طاعـةً عميـاء ويقبلـون كلمـا يرسـمونهُ مـن الطقـوس معتقديـن بأنهـم معصومـون مـن الغلـط وقـادرون علـى منـع الضـرر كمنـع سـريان الأمـراض فـي جميـع النـاس والحيوانـات مهمـا كانـت ودواؤهـم الأحـراز والرُّقـيَ وهـم يعيشـون غالبـاً مـن هـذه الشـعبذة ومـن الأوقـاف والنـذور والزكـوة ونحـو ذلـك ولا يتجاسـر أحـد مـن العامـة أن يغيـظ شـيخاً منهـم لانـه، إذا حرمـه يمسـي بأسـوأ حـال إذ لا يعـود أحـد مـن النصيريـة يقتـرب منـه أو يخالطـه أو يكلمـه بكلمـة فيضطـر إلـى اسـترضاء الشـيخ بمـا عـزَّ وهـان ليحلَّـه مـن ربـاط الحـرم. والنصيريـة كافةً يعتقـدون أن الشـيوخ الخاصَّـة لا يضاجعـون نسـاءهم بـل يمـرُّون مـن فوقهـنَّ فيحملـنَ وكثيـرون مـن عامتهـم يعتقـدون »أنهـم لا يبـرّزون أيضـاً ومـن أقبـح طقوسـهم التـي يمجّهـا السـمع وينفـر منهـا الطبـع مـا ذكـرهُ صاحـب الباكـورة السـليمانية عـن شـيوخ الطائفـة الكلازيـة بأنهـم إذا زار أحدهـم الآخـر وبـات عنـدهُ قـدم لـهُ امرأتـه ويسـمون ذلـك الفـرض الواجـب والحـق الـلازم وللنصيريـة أعيـاد كثيـرة إسـلامية ومسـيحية ووثنيـة منهـا مـا هـو مـن الطقـوس الدينيـة ومنهـا مـا هـو للفـرح فأعيادهـم الدينيـة هـي عيد الغديـر فـي 18 ذي الحجـة وعيـد الأضحيـة فـي 10 منـه تـذكاراً لاسـماعيل بـن هاجـر وعيـد المهرجـان في 16 تشـرين الأول وعيـد البربـاره فـي 14 تشـرين الثانـي وعيـد ميـلاد المسـيح فـي 25 كانـون الأول وعيـد الغطـاس فـي 6 كانـون الثانـي ثـم عيـد 17 آذار و1 نيسـان و 4 و5 منـهُ أيضـاً وعيـد الغديـر الثانـي فـي 9 ربيـع الأول وعيـد ليلـة نصـف شـعبان وعيـد يوحنـا المعمـدان ويوحنـا فـم الذهـب والشـعانين والعنصره ومريـم المجدلانيـه والليلـة الأولـى مـن رمضـان والليلـة السـابعة عشـرة والتاسـعة عشـرة والحاديـة والعشـرين والثالثـة والعشـرين والسـابعة والعشـرين منـهُ وغيـر ذلـك مـن الأعيـاد والليالـي وأمـا أعيـاد الفـرح فهـي عيـد الفطـر وعيـد النحـر مـن أعيـاد المسـلمين ورأس السـنة الشـرقية فـي 1 كانـون الثانـي مـن أعيـاد النصـارى ويسـمونهُ عيـد القوزلـة. ولهـذه الأعيـاد أصحـاب معلومـة تنتقل إليهـم بالوراثـة خلفاً عـن سـلفٍ فمتـى وقـع عيـد مـن هـذه الأعيـاد يجتمـع النـاس إلـى بيـت صاحـب العيـد ويأتـي الامـام

ويجلس وتوضع أمامه خرقة بيضاء فيها محلب وكافور وشموع وورق الريحان والزيتون واناء مملوء خمراً ونقيع العنب والزبيب ويجلس نقيبان احدهما عن يمينهِ والآخر عن يسارهِ وينتخب صاحب العيد نقيباً آخر للخدمة ثم يشرعون في تقديم العبادة والصلوات إلى الامام عليّ واجراء طقوس يسمونها قداسات وفي ختام الصلوات والقداسات يقدم لهم صاحب العيد طعاماً فيأكلون وينصرفون.

ومن أهم قواعد دينهم المحافظة على كتمانهِ كل الحفاظ وعدم اباحته ولو أصبحوا في أعظم الخطر حتى خطر الموت وفاقاً لتعليم شيخهم الحسين بن حمدان الخصيبي حيث قال إذا قيل لكم ابيحوا وتبرؤوا فعجّلوا بمدّ اعناقكم ولذلك لا يسلمون الدين إلى احدٍ من أولادهم ما لم يبلغ من العمر ثماني عشرة أو عشرين سنة فاذا بلغ هذا السن وعوَّلوا على تسليمهِ اسرارهم الباطنة يجتمع منهم جمهور من الخاصة والعامة ويستدعونهُ إليهم ويجرون بعض طقوس ويصلون لأجل قبولهِ السر وبعد اربعين يوماً يجتمعون ثانيةً ويسقيه الامام كاس خمرٍ ويؤمره أن يقول سرّ ع م س كل يومٍ خمسماية مرة ثم بعد سبعة أو تسعة أشهر يجتمعون ثالثةً ويستدعونهُ ويصلُّون ويتلون بعض سُوَر من سُوَرهم ويجرون بعض طقوس ثم يكلفهُ منهم اثنا عشر كفيلاً متعهدين بأنهم إذا باح بالسر يأتون بهِ إلى الأمام ليقطّعوه تقطيعاً ويشربوا دَمهُ ويكفل هؤلاء الكفلاء كفيلان آخران أيضاً على أنهم يقومون بكفالتهم ثم يستحلفون الفتى مراتٍ كثيرة بالأجرام السموية وبعض كتبهم الدينية أنهُ لا يبيح بالسر ما دام حياً وبعد ذلك يشرعون بتعليمه اسرار عباداتهم وصلواتهم شيئاً فشيئاً. هذا ومَن اراد الوقوف على طقوس النصيرية وصلواتهم وعقائدهم بأكثر تفصيل فعليه بكتاب الباكوره السليمانيه في كشف أسرار الديانة النصيرية تأليف سليمان الأذَني الذي كان من أبناء شيوخهم وخرج عن مذهبهم بعد أن سلموهُ أسراره في مدينة اذنه بخمس سنين وذلك سنة 1856 واعتنق أولاً الديانة الموسويّة ثم تنصَّر وجاء إلى اللاذقية وأقام فيها مدةً طويلة ثم سار إلى مرسين وهناك شرع، مشائخ النصيرية يستميلونهُ ويتظاهرون لهُ بالوداد والحب والترحاب وما زالوا مع وعلى هذه الحال حتى أمِن وأركن إليهم فجعلوا يدعونه إلى بيوتهم في القرى ويصنعون

لهُ الولائم إلى أن توغَّل ذات مرةٍ في قراهم فكان ذلك آخر العهد بهِ.

أما النساء عندهم فليس لهنَّ شيء من الاعتبار حتى أنهم يكتمون عنهنَّ معرفة الديانة معتقدين أن النساء أحطُّ من أن تكون عليهنَّ واجبات دينية وانما قد خُلِقن للخدمة ولاستكمال خط الرجال وحفظ التناسل وانهنَّ من نسل ابليس اللعين عدو الله فلذلك محرَّم عليهنَّ معرفة دين اللَّه ومنزلتهنَّ عندهم لا تكاد تكون اسمى من منزلة الحيوانات وكلما زاد عند الرجل عدد النساء زادت دائرة أشغاله كما تزيد بزيادة الدواب والابقار مثلاً. وهم يشترون النساء بالثمن من آبائهنَّ ويتزوجون بهنَّ سفاحاً بدون سنةٍ أو كتاب والثمن من 500 إلى 5000 غرش وقد يكون أقل أو أكثر بالنظر إلى النسب والحسب وتعدد الزوجات مباح عندهم فيحل للرجل أن يتخذ منهنَّ كل العدد الذي يمكنه أن يشتريه ومنهم مَن يبيعون بناتهم إلى الغرباء كعبدات لأجل الخدمة ولما كانت النساء عندهم كالحيوانات كان من جملة عوائدهم البربرية المقايضة بهنَّ فكثيراً ما يتقايض رجلان منهم على امرأتيهما فيأخذ كلٌ منهما امرأة الآخر وربما كانت احداهما حبلى من رجلها القديم فينتقل معها الجنين إلى حيازة الرجل الجديد ومن عوائدهم انه إذا اشترى الشاب منهم بنتاً ليتخذها زوجة وكانت في قريةٍ غير قريتهِ يجري عرساً احتفالياً يدعو إليه كثيرين فيغنون ويطربون ويرقصون على ضرب الطبل والزمر رجالاً ونساء ثم يذهبون على ضرب الطبل والتهاليل واطلاق البارود إلى قرية الفتاة حتى إذا قربوا منها يخرج إليهم أهالي تلك القرية بالعصي والنبابيد والسكاكين قاصدين منعهم عن أخذ العروس فينتشب بين الفريقين الخصام والجدال الذي قد طالما يفضي الجلاد وكثيراً ما يقع من الفريقين عدة جرحى ويستمر القتال منتشباً حتى يتوسط بينهما بعض الوجوه والمشايخ فيوفّقون بينهما على أن يؤدّي العريس هبةً مالية إلى أهل قرية العروس وبذلك ينتهي الخصام إلّا إذا كان مع جماعة العريس بيرق كما جرت عوائدهم فأنهم يمنعونهم عن الدخول به إلى القرية مرفوعاً فاذا أبوا إلّا رفعه عاد النزاع والقتال إلى ما كانا عليهِ واحتاج الأمر إلى تراضٍ ثانٍ وبعد أن ينتهي من بين الفريقين كل نزاع يدخل العريس وجماعة القرية ويركّبون العروس على فرسٍ ويذهبون بها إلى قريتهم واكثرهم مثخَّنٌ بالجراح وفي أثناء

سيرهم يطوفون بالعروس في كل قريةٍ يمرون بها في طريقهم ويوقفونها امام بيت كبير القرية ويأخذون في الرقص والغناء حتى يأتي أهل البيت ويعطوا العروس هبة من الدراهم قدرها من 5 إلى 20 غرشاً بحسب قدر واعتبار أهل ذلك البيت وعند وصولهم إلى قريتهم يقفون أمام بيت الرجل فيصعد الرجل إلى سطح البيت وفي يدهِ قضيب طويل وكذلك كل مَن معهُ ومع العروس وعند دخول العروس البيت يتضارب الفريقان بقضبانهم بقصد أن يضرب الرجل عروسهُ بقضيبهِ مرةً أو أكثر ارهاباً لها لكي تتمكن هيبته في قلبها. وهذه العوائد لم تنحصر عند النصيرية فقط بل سرى بعضها بالعدوى إلى النصارى والمسلمين سكان الجبال أيضاً. واذا مات من النصيرية احدٌ يسرعون جداً بغسلهِ ودفنهِ وبعد أن يدفنوهُ يأكلون فوق قبرهِ خبزاً ويدعون لهُ بالرحمة وينصرفون وفي اليوم السابع بعد موتهِ يتخذون وليمة يسمونها اسبوع الميت فإن كان فقيراً جمعوا من أقاربه ما تيسَّر من المال وذبحوا الذبائح وطبخوا الطعام فيأتي الناس ويأكلون ويترحمون عليه وان كان غنياً ومن رتبة عالية عندهم اطلقوا فوق قبرهِ مقداراً عظيماً من البارود إذ يكون قد اجتمع للاسبوع الوف من الناس ثم يأكلون وينصرفون.

وللنصيرية مزارات كثيرة تكاد لا تخلو قرية منها فأنهم كلما مات منهم شيخ تقي أو رجل مضياف عدُّوهُ وليًّا وبنوا فوق قبرهِ قبَّةً وانتشرت بيهم زيارته وايقاد البخور على ضريحه ونذر النذور لهُ وهم يعتبرون المزارات بهذا المقدار حتى أنهم قلما يحلفون باللّٰه إلّا كذباً لكنهم لا يجسرون أن يحلفوا بأحد المزارات إلّا صدقاً على أنهُ قيل أنهُ في هذه المدة المتأخرة قد افتى شيوخ الطائفة الشمالية في جهة طرطوس وادنه بأن الحانث منهم بيمينهِ على مال النصراني أو مال الحكومة لا جناح عليه وأن هذه الفتوى ارسلت ونُشرت عند هذه الطائفة في جهات اللاذقية وأنهُ شوهد بعد ذلك أن بعضهم حلف كذباً ببعض المزارات التي لم يكونوا قبلاً يحلفون بها يميناً باطلاً لأجل أي مسئلةٍ كانت.

أما الاسماعيليون فهم بقايا الطائفة المشهورة التي كانت منتشرة في بر الشام وكان في يدها اشهر المعاقل والحصون وهي فرعٌ من الطائفة الباطنية التي تعتقد بوجود شيء

من الالوهية في علي ابن ابي طالب ولا يوجد خبر صريح عن تفاصيل معتقداتهم نظراً لشدة احتراسهم على اخفاء كتبهم الدينية ولم يسمع قط أن أحداً منهم افشى شيئاً من أسرار ديانتهم غير أنهُ يقال بتأكيد أن من جملة عقائدهم عبادة الفرج وانهم في الليلة الأولى من كل سنةٍ يكون عندهم عيد فيجتمع رجال كل قريةٍ منهم على حدةٍ في بيتٍ يغلقون بابهُ ويجرون بعض صلواتٍ وطقوس على ضوء المصابيح وبعد ذلك يطفئون تلك المصابيح ويفتحون باب البيت فتدخل إليهم نساء وفتيات القرية وفي وسط ذلك الظلام يأخذ كل رجلٍ منهم الامرأة التي يعثر بها ويضاجعها في ذلك المحل وعلى ذلك قد يتفق أن الأخ يضاجع أخته والابن أمهُ ويسمون هذا العيد القبيح عيد البقبيشه. أما هم فيتظاهرون بأنهم مسلمون سنّيون ويصلُّون في الجوامع ويصومون شهر رمضان ويتممون كل الفروض الإسلامية وهم أنشط وأقل جهالة وشراً من النصيرية قيل أن ما يأتي هو سورة من سُوَر صلوات الاسماعيلية وأنها منقولة عن كتبهم وهي هذه بحروفها.

«اذا جاءت الامرأة إلى عندك فاكشف عن ساقها الايمن يبين لك حبك ومحبوبك وغايتك ومطلوبك فاجذبه صوبك وقل وجهت وجهي إلى نور مولاي فاطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما من المشركين فتجد منهُ ومن شيخهِ شيئاً ليناً ثغر المباسم بشفتين وشاربين والعسل ينقط من شفتيه الاثنتين فاسجد عليه يا اعرابي لأنهُ باب المسجد كانت الجنة لها أربعة انهار من عسل مصفَّى وضبتها سرَّتها وأنهار من ماء صلبها هنيئاً لمن شرب من تحت فخذيها وتبتو يا بتبتو والشعر حوله انبتو يا حج مسعود منك خرجنا واليك نعود فريس المتقى ابن خد المنقى يا سيدي هوّن عليَّ أمور دينك من السرَّه إلى الركبه حسُّو حسُّو لا نشرك بهِ أبداً. (انتهى)

ولنذكر الآن حالة وعوائد الطوائف الأخرى التي في الجبال فنقول أن النصارى لما كانوا قليلي العدد ومتفرقين بين النصيرية والمسلمين غالباً فليس لهم عوائد مستقلَّة وإنما الذين هم بين النصيرية منهم فأكثر عوائدهم تشابه عوائد النصيرية والذين هم بين المسلمين فعوائدهم كعوائد المسلمين في الغالب وأما المسلمون فهم أقل جهلاً وأحسن حالةً وعيشةً

مـن النصيريـة ولأكابرهـم بيـوت مناسـبة واثـاث نظيـف وحيثمـا دخلـت مـن قراهـم تجـد منـزلاً عنـد كبيـر القريـة وخصوصـاً إذا كان مـن الأغـاوات ومـأكلاً مقبـولاً وفراشـاً نظيفـاً فـإن مـن عوائدهـم قـرى الضيـف وهـم منقـادون للحكومـة ولا يميلـون للتشـويش ولا للسـرقة وقطـع الطـرق مـا خـلا أهالـي مقاطعـة صهيـون فانهـم ولئـن كانـوا مسـلمين لكنهـم مماثلـون للنصيريـة فـي دنـاءة معيشـتهم وتعدياتهـم وحبهـم للفتـن وميلهـم للسـلب وقطـع الطـرق وسـفك الدمـاء وقـد طالمـا أضـروا بأبنـاء السـبيل وقـرى السـاحل ومـع أن لهـم مـا للنصيريـة مـن الجرائـم والذنـوب لـم تشـهر الحكومـة عليهـم قـط عصـا التأديـب التـي طالمـا اشـهرتها علـى النصيريـة ومـا ذلـك الا لتحـزب مسـلمي اللاذقيـة لهـم ومحاماتهـم عنهـم المحامـاة التـي تبعثهـم إليهـا العصبيـة والغيـرة المذهبيـة الغيـر المرتَّبـة التـي يتولـد عنهـا تمـادي الصهاونـة فـي الفجـور وارتـكاب المعاصـي وبالنتيجـة فـي الخطـأ بحـق أنفسـهم ولاضـرر بحـق عبـاد اللَّـه تعالـى علـى أن الصهاونـة مـع كل شـرورهم يتظاهـرون بطاعـة الحكومـة ويتـرددون إليهـا فـي الغالـب ولعـل الـذي يحملهـم علـى ذلـك بخـلاف النصيريـة اطمئنانهـم بـأن اتحادهـم مـع الحاكـم ووجـوه البلـدة فـي المذهـب يسـتر مسـاويهم كمـا هـو الواقـع وبواسـطة ترددهـم إلـى الحكومـة وعـدم تمنعهـم عـن الحضـور إليهـا حيـن الطلـب لا يُنسَـب إليهـم تمـرُّد عنـد أوليـاء الأمـور ويتمكـن مسـاعدوهم مـن سـتر زلاتهـم وقبائحهـم.

الفصل التاسع

في انهر لواء اللاذقية وحيواناته وحواصله

أما أنهر لواء اللاذقية فاثني عشر اثنان منها شمالي اللاذقية وهما نهر وادي قنديل ونهر العرب وأربعة بين اللاذقية وجبله وهي النهر الكبير ونهر الصنوبر ونهر المضيق ونهر الروس وستة إلى جنوبي جبله وهي نهر جريصون ونهر الملك ويقال لهُ نهر السن أيضاً وعند مصبهِ إلى الجنوب آثار مدينة بالتوس ثم نهر جوبر ونهر ابن برغل ونهر بانياس ونهر الحسين ومن هذه الأنهر ما هو صغير كالسواقي وذلك كنهر بانياس وغيره وجميع هذه الأنهر خالية من الجسور إلّا النهر الكبير فإن عليهِ جسراً بخمس قناطر بناهُ السلطان صلاح الدين الأيوبي وقد كاد يتعطَّل فرُمّم في أيام السلطان عبد الحميد خان بمدة قائم مقامية مظهر أفندي سنة 1859 وأما نهر الصنوبر فكان لهُ جسر بقنطره واحدة ولم يزل ثابتاً إلّا أن مياه النهر تحوَّلت من تحتهِ إلى جهةٍ أخرى فأصبح عديم الفائدة وكذلك نهر السن عليهِ جسر بخمس قناطر صغيرة وأما باقي الأنهر فقد كان عليها جسور قديمة إلّا أنها تهدَّمت وبقيت بلا ترميم كما هي العادة مع أن أكثر هذه الأنهر خطِرٌ في أيام الشتاء والربيع.

وأما حيوانات لواء اللاذقية فمنها الخيل والحمير والبقر والغنم والمعزى والجمال والجاموس والغزال والأرنب والخنزير البري والثعلب وابن آوى والضبع والدب ونوع من النمورة في أعالي الجبال وفيه كثير من أنواع الطيور الأهلية والبرية والماشية فيهِ قليلة والشاء التي تُذبح في اللاذقية للأكل تُجلَب من نواحي حلب.

أما حواصله فمنها الزيتون والتوت والميس والحور والازدرخت والنخل والجميز واللوز والجوز والصفصاف والسرو والآس والقطن والشرانق والعسل والشمع والاسفنج والصوف ومن الفواكه التين والعنب والتفاح والمشمش والكمثري والخوخ والدراقن

والليمون بأنواعه والرمان والصبير ومن الحبوب الحنطه والشعير والعدس والكرسنه والحمص والفول والذرة البيضاء والسمسم وهلم جرًّا. ومن الرياحين شجر الحناء وأنواع الورد والياسمين والقرنفل والفل والنرجس وما اشبه ذلك وفيها أيضاً أكثر أنواع الخضر والبقول التي تُؤكل وفي جبالها أنواع من التبغ أكثرها التبغ المسمى مدخوناً أو جبلياً ويُقال لهُ أبو ريحه أيضاً وسيأتي ذكره وفي مقاطعتي البوجاق والباير تكثر أشجار الصنوبر والبلوط فتُقطَع منها أخشاب للوقود والبناء وتُرسَل إلى القطر المصري. وقيمة هذه الحواصل السنوية تبلغ نحو خمسة وثلاثين مليوناً من الغروش. والأصناف التجارية منها التي تُرسَل للخارج هي الحنطة والشعير والتبغ والقطن والسمسم والذره البيضاء والاسفنج والصوف والأخشاب والشمع والشرانق. وأما باقي الحواصل فلا تزيد عن احتياجات الأهالي وبعضها ينقص أحياناً عن احتياجاتهم. أما الفواكه فأكثرها التين وهو أنواع كثيرة ويعتني الفلاحون بغرسهِ أكثر من غيرهِ لأنهم يقتاتون بهِ رطباً ويابساً أكثر أيام السنة إلّا أن صناعة تيبيسه غير متقنة فقليل من اليابس ما تقبل أكله نفوس غير الفلاحين أما العنب فهو أنواع كثيرة وقد كانت كرومه في الزمان القديم كثيرة بهذا المقدار في اللواء حتى أنها كان يُعصَر من ثمرها مقادير عظيمة من الخمر فكان للاّذقية تجارة واسعة فيهِ حتى لُقبّت بلاذقية الخمر وكان عُظمَاء الاسكندرية في أيام رونقها القديم يشربون في ولائمهم من خمر اللاذقية فانهُ كان أجود الخمور التي كانت تُرسَل إلى تلك المدينة الشهيرة من جهاتٍ مختلفة وما زالت كروم العِنَب تتأخر في جهات اللاذقية وعصير الخمر يقلُّ حتى زال الآن بالكلية وقد قلَّ وجود الكروم فيها ولا سيما منذ نحو 15 سنة إذ اصاب أثمارها وباء فاستمرت سنين متوالية لا تصح ولذلك قطع الأهالي أكثر الكروم ولم يبق منها إلّا القليل وكذلك جرى بشجر التوت أيضاً إلّا أنهم الآن عادوا لغرس هذين النوعين إذ ظهر أن الوباء قد زايلهما واخذوا يجدّدون تربية دود الحرير أما الزيتون فلم يكن منهُ في اللاذقية سوى الأشجار القديمة العهد التي مضى على غرسها أجيال ولم يكن يعتنى بهِ ففي سنة نحو 1840 بدا للخواجه الياس سعاده أن يغرس منهُ وشرع في العمل فغرس شيئاً فشيئاً كميةً وافرة فلما ظهرت أغراسه ونمت

تولدت الغيره عند باقي نصارى المدينة فحذوا حذوهُ مواظبين الغرس في كل هذه المدة حتى بلغ عدد الذي غرسوهُ لحد الآن نحو ثلاثماية الف غرسه كثير منها قد صار شجراً وابتدأ باعطاء الثمر ولذلك لا بد أن يكون في اللاذقية في المستقبل محصول وافر من الزيت. واكثر هذه الأغراس هي في القرى القريبة من المدينة مسلَّمة للفلاحين على أن يكون لهم نصف غلتها الربع بالملكية تحت خدمتها وفلاحتها على بقرهم لحينما تثمر والربع الآخر بالمساقاة تحت جنايتها بعد اعطاء الثمر. ومنها ما يُفلَح على بقرٍ من عند اصحابهِ الذين يستخدمون لفلاحته فلاحين بأجرة مالية لكي يتخلصوا من تمليكهم ربعه.

الفصل العاشر

في حالة الزراعة في لواء اللاذقية

أما الزراعة فولئن كانت قد تحسنت عن السابق بسبب انتقال أراضٍ كثيرة بالشراء من أيدي الفلاحين إلى أيدي أهل المدينة والمتمولين الذين يعتنون بتشغيل الأراضي وبذل المال على تحسينها واصلاحها طلباً لزيادة الدخل إلّا أنها لم تزل غير متقنة كما يجب وما برحت على الطريقة القديمة ومنذ ثلاث سنين اعتنى الخواجه شارل بزوجوسكي بإدخال طريقة جديدة فاستجلب أوائل للحراثة من المانيا مع عائلتين من الفلاحين الألمانيين واستخدم البغال والخيل في الفلاحة عوضاً عن البقر الجاري اصطلاح أهل اللاذقية عليه إلّا أن عمله هذا لم يصادف نجاحاً واقبالاً. قيل أن سبب ذلك سفر احدى العائلتين إلى بلادها وعدم كفاءة العائلة الثانية للقيام بالخدمة اللازمة للعمل. على أنهُ لا ريب في أنهُ إذا بدّلت الأوائل القديمة بأوائل جديدة صالحة لشق الأرض شقاً بالغاً وتنظيفها من الأعشاب وروعيت بعض ظروف لا بد من مراعاتها اتباعاً للمناخ وطبيعة الأراضي تتزايد الناتجات وتتضاعف الفائدة. أما أراضي اللواء فهي متوسطة في الخصب وتغُل الواحد سبعةً من القمح في السنة المعتدلة في الساحل وأما أراضي الجبال فتغلُّ أكثر من ذلك ولعل أراضي الساحل تزيد على ذلك لو لم يكن الفلاحون المؤلفون من طائفة النصيرية كسالى لا يخدمونها كالواجب أما اصحاب الأراضي ابناء البلد فأنهم يزارعون عليها الفلاحين بربع الخارج لكنَّ الفلاحين لا يكتفون بذلك بل يسرقون من البذار ومن علف البقر ومن السنابل وقت الحصاد ومن كل ما تصل يدهم إليه في الخفاء كما أن بعضهم يسرق بعضاً أيضاً ويطلقون الدواب بلا راعٍ فتدخل الأراضي المزروعة والمغروسة وترعى فيها فتعطل الزرع والأغراس وقد طالما اجتهد أهل البلد بإزالة هذه العادة المضرَّة فلم يتيسَّر لهم ذلك لادمان الفلاحين عليها وعدم اعتناء الحكومة والمجلس في تأديبهم.

الفصل الحادي عشر

في صنائع اللاذقية

أما الصنائع في اللاذقية فلا يوجد منها إلّا ما لا بد من وجودهِ في احقر المدن كالصباغة والخياطة والعقادة والصياغة والسكافة وصناعة الحدادين والتنكاريين والتجارة والبناء وعمل الفخار وما شاكل ذلك وجميع هذه الصنائع متأخرة لم يبلغ أحد من أربابها درجة الاتقان والمهارة في أحداها وكلها جارية على الأصول القديمة التي وُرثت عن الآباء والأجداد أما صناعة الحياكة فقد كان يعيش منها كثيرون قبلاً في اللاذقية ولئن لم يكونوا يحوكون سوى الأقمشة البسيطة كالخام والحرير للأقمصة وما شاكلهما لكنهُ بعد دخول الأقمشة الافرنجية إلى هذه البلاد أخذ يتناقص رواج المحوكات البلدية فضعفت فيها تلك الصناعة حتى أنها في أيامنا هذه لا توجد إلّا نادراً.

الفصل الثاني عشر

في تجارة اللاذقية

أن الأصناف التجارية التي تصدر من اللاذقية هي التبغ والحنطة والشعير والقطن والسمسم والذرة البيضاء والاسفنج والصوف والأخشاب والشمع والسمن والزيت والصابون وجلد البقر والغنم والخرق وعظام الحيوانات، وأهمها التبغ وهو جنسان جبلي وجدار فالجبلي هو ما يُعالَج بالتدخين فيكتسب اسوداداً مع لمعان ورائحة عطره يستفيدها من دخان الحطب الذي يُوقَد تحتهُ المسمَّى عذراً وهو من طائفة البلوط وسيأتي ذكر كيفية الاهتداء إلى معالجتهِ على هذه الصفة في محلهِ من التاريخ وهو يحصل في جبل الأكراد ودريوس وعمامرة وبيت الشلف وعمامرة المهالبة والنواصرة أما الجدار فهو ما يُترك بعد قطفهِ وجفافهِ على حالتهِ الطبيعية وتحتهُ أنواع جدار جبلي ومنقَّى ويُقال لهُ شك البنت أيضاً وهما يحصلان في المهالبه وساحل بيت الشلف وبايرلي أو انطاكي وهو يحصل في مقاطعتين الباير والبوجاق وطرطوسي وهو يحصل في بعض مقاطعات السمت قبله والمرقب والخوابي وأجود هذه الأنواع هو شك البنت على أن كلها أدنى قيمةً وأهمية في التجارة من الجنس الجبلي وقد كانت تجارة التبغ في الجيل الماضي محصورة في يد أرباب شركة مخصوصه سموها بالكرخانة فكانوا يجمعون كامل حاصلاته في خان الاسكله الذي جُعل وقتئذٍ مركزاً للكرخانه (ولذلك دُعي خان الدخان) وذلك تحت إدارة نظار ووكلاء وكتاب منهم وقد اكتسبوا هذا الامتياز بواسطة تعهدهم للحكام بالأموال الأميرية التي تُطلَب من الجبال فكانوا يساعدونهم على حصر التبغ بأيديهم بحيث لا يمكن لاحد أن يبتاع شيئاً منهُ من زرَّاعهِ خارجاً عن الكرخانة، وكانت اسماء أصحاب الأسهم في الكرخانة معروفةً عند الدوله في القسطنطينية فكانت في كل سنةٍ ترسل لكلٍ منهم جبةً مزركشاً على طوقها

اسمه بقصب الفضة وبهذا الاتفاق كانوا يحصلون عليهِ بأسعارٍ تناسبهم ومصاريف قليلة وفي أوائل هذا الجيل انحلت الشركة المرموقه وأُلغيت امتيازاتها فصار كلٌ من التجار يتاجر بالتبغ على حدةٍ غير أنهم كانوا يقطعون لكلٍ من أنواعهِ سعراً موحداً عمومياً، وذلك أنهُ في بداية موسمهِ كانت تذهب عمدة من التجار إلى الجبال وتقطع سعرهُ مع المقدمين والوجوه الذين كانت تلتزم غالباً أن تدفع لهم هبةً مالية ليهاودوها في السعر وكان تجار التبغ الجبلي يسلِّفون غالباً عليهِ نقوداً وبضائع للزرَّاع ويضيفون على ما يدفعونهُ سلفاً 25 في المايه فايضاً مقطوعاً ولو لم يكن قد دُفع الا قبل حلول الموسم بشهرين هذا فضلاً عن ربحهم بما يكونون قد دفعوهُ بضاعةً الذي لم يكن اقل من 10 في المايه وعن ربحهم بالتبغ نفسه فحصل تجار اللاذقية من هذه التجارة على ارباح جسيمه ونجحوا نجاحاً عظيماً ولا سيما النصارى الذين امتلكوا الحرية بالتظاهر والتجارة بعد دخول الحكومة المصرية سنة 1832 واستمرت هذه الحال سالكةً على هذا المنهج إلى سنة 1867 وكان يُشتَرى التبغ من الزراع بالحمل الذي هو 117 شكاً ومعدل سعره كان ما بين 110 غروش و80 غرشاً وإنما دعيت كل 117 شكاً حملاً لأنها كانت في الزمن السابق لا تزيد عن محمول دابةٍ ثم ما زال الزراع يصغّرون شكوكه لجرّ النفع بتكثير عدد الأحمال حتى أصبح الحمل ما بين 10 و6 أقات فقط ثم منذ سنة 1867 أخذت تجارة هذا الصنف بالتأخر والانحطاط وتجشَّم تجاره خسارات باهظة بسبب التقلبات التي أجرتها الدولة في رسم كمركه وقد كان هذا الرسم بعد خروج الحكومة المصرية من هذه الديار غرشاً ونصفاً على أقة العال وغرشاً واحداً على الوسط ثم جعلت الدولة تزيدهُ شيئاً فشيئاً حتى بلغت الزيادة ضعف الأصل وذلك قبل سنة 1862 وكانت الكمارك في الغالب تُعطَى بالالتزم من طرف الدولة لمدة سنة أو أكثر وسنة التزام كمرك التبغ تبتدي من شهر حزيران فكان ملتزموهُ في اللاذقية قبل نهاية مدتهم بنحو شهرين يتفقون مع التجار على تدنية الرسم في المدة الباقية لهم إلى نصف قيمته الأصلية ويعطونهم التسهيلات اللازمة ويدفعون لهم مصاريف قطع السعر ومنهم من كان يقرض التجار نقوداً وافرةً بعد احتياجهم لكي يسهل لهم أن امكنه شحن حاصل التبغ الجديد جميعه في المدة

الباقيـة مـن سـنة التزامـه وكانـوا يدعـون ذلـك تمرينـاً للشـروع، غالبـاً فـي شـهر مـارت (ادار) ومـع أنـهُ مـن شـروط امـر التفويـض الـذي كان يُعطـى للملتزميـن مـن قِبَـل الدولـة أنهـم لا يُسـمَح لهـم بـأن يزيـدوا أو ينقصـوا فلسـاً واحـداً مـن الرسـم المعيَّـن مـن طرفهـا وإن فعلـوا كانـوا تحـت القصـاص فلـم تكـن حكومـة اللاذقيـة تعترضهـم فـي اجـراء التمريـن مـع علمهـا بـهِ حـال كونـه يسـلب مـن الدولـة رسـم حاصـل سـنة كاملـة. وفـي سـنة 1862 ابطلـت الدولـة عـادة اعطـاء الكمـارك بالالتـزام وجعلتهـا شـعبةً مسـتقلة مـن ماليتهـا تحـت إدارة وزارة مخصوصـة فـي القسـطنطينية ورفعـت رسـم التبـغ. أعـلاه إلـى 24 غـرش وأدنـاه 6 غـروش علـى الأقـة ثـم نحـو سـنة 1865 جعلتـهُ 12 غرشـاً مقطوعـةً علـى كل أقـه مـن أي نـوع كان ثـم سـنة 1867 جعلتـهُ 6 غـروش فقـط وهـذا سـبَّب خسـارةً باهظـةً للتجـار لأنـهُ حـدث فـي وقـتٍ كان فيـه عندهـم كميـات وافـرة مـن التبـغ مدفوعـاً رسـم كمركهـا 12 غرشـاً علـى الاقـة وجـرّ ذلـك إلـى افـلاس كثيريـن مـن تجـارهِ فـي القطـر المصـري فهلـك بذمتهـم أمـوال كثيـرة لتجـار اللاذقيـة عـلاوة علـى خسـائرهم بسـبب تدنيـة الرسـم ومـن هـذا الوقـت ابتـدأت تجـارة التبـغ أن تتأخـر فـي اللاذقيـة وزهـد أهالـي القطـر المصـري فـي اسـتعمال التبـغ المدخـون ومالـوا إلـى الكورانـي محصـول جبـل لبنـان فقلَّـت قيمتـه فـي اللاذقيـة ولـم يعـد دخلـه للفلاحيـن يسـدُّ بعـض احتياجاتهـم فضـلاً عـن وفـاء الديـون التـي عليهـم للتجـار وبهـذا السـبب هلـك للتجـار أيضـاً بذمـة الفلاحيـن مبالـغ وافـره واقتصـروا مـن ذاك الحيـن عـن اعطـاء السـلف عليـه وصـاروا يشـترونُه حيـن حلـول موسـمه بالنقـد والـوزن مـن سـعر 3 غـروش إلـى سـعر 7 غـروش الاقـه كمـا هـو الحـال الآن وفـي سـنة 1871 رفعـت الدولـة رسـم كمركـه إلـى 8 غـروش علـى الاقـه وهـذا مـع قلـة رواجـه فـي القطـر المصـري قـد زاد تأخـر تجارتـه وغـدا الربـح منـهُ نـادر الحصـول.

ثـم قـد يُرسَـل جانـب مـن التبـغ الجبلـي فـي بعـض السـنين ال انكلتـره واوسـتريا وايطاليـا وفرنسـا إلّا أنـهُ فـي تلـك الممالـك لا يُعَـدُّ صنفـاً تجاريـاً يعتَمـد عليـه ومقطوعيتـه فيهـا محـدودة بنـوع يسـتلزم أن يكّـوّن الكميـات التـي تُرسَـل إليهـا منـهُ ذات حـدٍ مرتَّـب ولذلـك لا يتجاسـر جميـع التجـار علـى الارسـال منـهُ إليهـا خوفـاً مـن أنـهُ إذا تراكـم فيهـا يصـادف أكثـرهُ كسـاداً ينتهـي بـهِ إلـى التلـف.

أمـا باقـي الأصنـاف التجاريـة التـي تصـدر مـن اللاذقيـة فمنهـا هـو مـن الحواصـل المحليـة كالاسـفنج والشـرانق ومنهـا مـا هـو مختلـط مـن المحليـه ومـن حواصـل جهـات جسـر الشـغور وادلـب كالقطـن والصـوف والحبـوب وقـد يُجلـب مـن جهـات الجسـر وادلـب الزيـت أيضـاً لطبـخ الصابـون. وقـد جـرى تعديـل الأصنـاف الصـادره مـن اللاذقيـة وقيمتهـا سـنة 1872 فوُجـدت كمـا يأتـي:

قيمة	تبغ	سعر غرش الاقة	
غرش	غرش	اقـ 5	
	660000	132000	صادر إلى انكلتره
	14000	002800	صادر إلى اوستريا
	006500	001300	صادر إلى فرنسا
2226900	1546000	309200	القطر المصري
2226500	2226500	445400	
	10500	1400	الى انكلتره
	236250	31500	الى اوستريا
	504750	67300	الى فرنسا
	501750	66900	الى ايطاليا
	009000	01200	الى بروسيا
	050100	06680	الى بيروت
			وغيرها من البلاد العثمانية
1312450	1312450	174980	
	حنطه	سعر 20	
	غرش	كيله اسلامبولية	
	18000	0900	الى انكلتره
	31000	1550	الى فرنسا
	355800	17790	الى أساكل سوريه
404800	304800	20240	
	سمسم	سعر	
	غرش	اقه 20	
	77500	31000	الى فرنسا
	155000	62000	الى القطر المصري
			إلى أساكل سوريه
232500	232500	93000	
4176150			
	شعير	سعر 10	

	غرش	كيله إسلامبولية	
	10500	1050	الى فرنسا
007700	66500	6650	الى أساكل سوريه
	77000	7700	
	ذرة بيضاء	سعر 12	
	غرش	كيله إسلامبوله	
	240000	20000	الى انكلتره
	060000	05000	الى أساكل سوريه
00300000	300000	25000	
	اسفنج	سعر	
	غرش	اقه 50	
	180000	3600	الى اوستريا
	165000	3300	الى فرنسا
———	———	———	———
0345000	345000	6900	
0450000	شرانق صادر إلى فرنسا الـ 150000 سعر 40		
0625000	صابون إلى مصر وطرطوس وغيرهما اقه 125000 سعر 5		
0100000	صوف إلى انكلتره وفرنسا وايطاليا		
0120000	زيت إلى بعض أساكل سوريه وغيرها اقه 24000 سعر 5		
6193150			
0076800	سمن صادره إلى بعض أساكل سوريه وغيرها اقه 6400 سعر 12		
0018000	شمع عسلي إلى فرنسا وبعض البلاد العثمانية		
0700000	اصناف مختلفة كجلود المعزى والغنم والبقر وغير ذلك إلى فرنسا وخرق وعظام إلى انكلترا وأخشاب إلى بر مصر وغيرهنَّ إلى غيرها		
6987950			

أما الأصناف الواردة إلى اللاذقية فلم يتيسر تعديل مقدارها وقيمتها وهي مؤلفة من أقمشة الحرير والصوف والقطن المختلفة الأوروبية والرز الافرنجي والمصري والسكر والبن وزيت البترول وغير ذلك وقد كان تجار اللاذقية في أوائل هذا الجيل يجتلبون الأقمشة الأوروبية من قبرص وحلب ثم بعد ذلك صارت اللاذقية اسكلة لحلب عوضاً عن الاسكندرونة بسبب انسلاب الأمن الذي عرض في الطريق هناك فتواردت إليها المراكب الافرنجية وصار لتجارها علاقات مع تجار أوروبا فجعلوا يجلبون أكثر الأقمشة رأساً من

البلاد الافرنجية واستمر ذلك مدةً طويلة غير أن بعض الوكلاء في اللاذقية سلكوا مسلكاً سلب عنهم ثقة تجار حلب بهم فحولوا أشغالهم إلى الاسكندرونة ثانيةً مغتنمين فرصة عود الأمن إلى طريقها وفقدت اللاذقية ذلك المركز الذي كانت قد اكتسبتهُ. وكان أيضاً يُجلَب إليها كميات وافرة من الرز المصري وجلد الجاموس والحنَّاءِ فيقصدها تجار ادلب وحلب وكل تلك الجهات لمشترى ما يلزمهم من هذه البضائع ولكن في عهد الحكومة المصرية ادخل ابراهيم باشا إلى مدينة مرعش ونواحيها زراعة الرز ونما محصوله فيها. مع تمادي الأيام حتى صار يغني قسماً كبيراً من الأهالي عن الرز الغريب ثم أُضيف إلى ذلك دخول الرز الافرنجي مذ سنة 1860 إلى هذه البلاد ووروده إلى حلب عن طريق الاسكندرونه فضعفت بذلك تجارة الرز في اللاذقية وأُقتصَر منها على ما يكفي المدينة وجهاتها واكثر الرز الذي يُجلب إليها الآن انما هو من الافرنجي. أما جلد الجاموس والحنَّاء فقد انقطعت تجارتهما من اللاذقية أما الأول فلدخول صناعة الأحذية الافرنجية وأما الثاني فلقلة استعماله من هذه الجهات وتحوُّل ما يرد منهُ إلى حلب إلى طريق الاسكندرونه فانقطعت بذلك الأرباح الكثيرة التي كانت تحصل لتجار اللاذقية من هذه الأصناف وأما الأقمشة والبضائع الافرنجية وغيرها فتجلب في أيامنا هذه من مدينة بيروت وكذلك أكبر قسمٍ من الرز الافرنجي والسكر. ومع أن لكثيرين من تجار اللاذقية علاقات أكثر مما كان لهم في السنين السالفه من مدن أوروبا نظراً لازدياد الصادرات عن السابق فيستعيضون عن قيمة الصادرات بالنقود ولا يستبدلونها بأقمشة وذلك لأن البزازين وغيرهم في اللاذقية لا يميلون أن يشتروا من تجارها نوعاً أو نوعين من أنواع الأقمشة عندما يضطرون لجلب باقي الأنواع من بيروت بل يفضّلون أن يستجلبوا منها دفعةً موحدة كل لوازمهم فأنهم قد تعودوا أن كل واحد منهم يطلب من عميلهِ في بيروت أصنافاً متنوعة من حاصلات أقاليم مختلفة من أوروبا وآسيا بوقتٍ واحد مما لا يتيسَّر لتجار اللاذقية أن يتاجروا بهِ جميعه لكثرة أنواعهِ وعدم امتداد علاقاتهم إلى اقليم كل محصول منهُ.

أما السفن التي تحمل صادرات وواردات اللاذقية فهي تجارية وشراعية فمن التجارية

مـا هـو منتظـم يقـدم فـي أيـام معيَّنـة سـائراً فـي خـطٍ معلـوم ذهابـاً وإيابـاً وهـي البواخـر الفرنسـاوية التـي لشـركة الميسـاجيري والبواخـر الروسـية التـي للشـركة البحريـة والطـرق الحديديـة والتجاريـة والبواخـر الخديويـة التـي لخديـو مصـر وهـذه الأخيـرة متوقفـة عـن المسـير فـي خـط سـوريا الآن. ومنهـا مـا هـو غيـر منتظـم يقـدم بحسـب اللـزوم وفـي الجـدول الآتـي تـرى عـدد السـفن التجاريـة والشـراعية التـي دخلـت مرسـى اللاذقيـة سـنة 1872.

محمولها طونولاتو عددها

	محمولها	عددها	
تجارية			
	48043	50	فرنساويه
	34333	47	روسيه
	06328	09	عثمانيه
	03975	05	انكليزيه
	——	——	
1111192679	92679	111	
1111192679			

	محمولها	قدرها	
السفن الشراعيه			
	14500	672	عثمانيه
	00440	002	انكليزيه
	00083	001	يونانية
	00200	001	تحت بيرق اورشليم
	——	——	
6717615224	15224	676	
787.107902			

الفصل الثالث عشر

في دخل الدولة من لواء اللاذقية وخرجها

أن الأموال السلطانية المرتبة على قضائي اللاذقية وجبله هي أولاً ويركو الأملاك وهو مال مضروب على بيوت وسائر مسقفات أهالي المدن ثانياً ويركو التمتعات وهو مضروب على كلٍ من أهالي المدن بنسبة دخلهِ من تجارةٍ أو صناعة ثالثاً بدل العسكرية وهو مال مضروب على النصارى فقط مقابلةً لاعفائهم من الخدمة العسكرية الشخصية رابعاً عُشر المزروعات والأثمار خامساً رسم المعز والغنم وهذان القسمان تعطيهما الحكومة بالالتزام سنوياً على الغالب سادساً ويركو القرى وهو مال مضروب على أهالي المقاطعات باعتبار الذكور البالغين سابعاً الرسومات الكمركية وهو مالٌ يؤخَذ على الصادرات والواردات من البضائع ثامناً رسم الطابو وهو مال يُؤخذ على الأراضي لأجل إباحة حق التصرف بها أو اثبات صحة التفرغ عنها وانتقالها من يد متصرفٍ إلى يد آخر.

أما خرج الدولة في اللواء فهو مؤلف من معاشات المأمورين والكتاب والضابطين والعساكر النظامية والمصاريف النثرية وفي الجدول الآتي ترى تعديل دخل الدولة من قضائي اللاذقية وجبله وخرجها سنة 1872.

الدخل

غرش

دخل قضاء اللاذقية

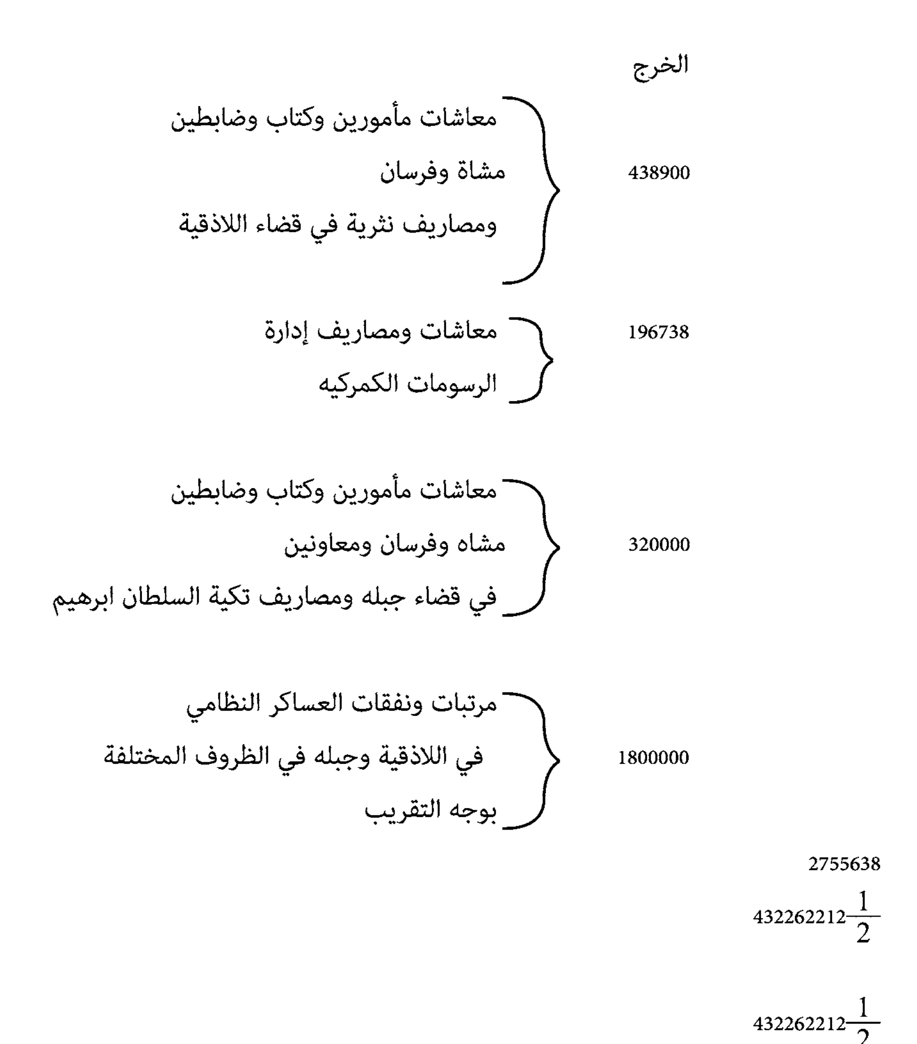
البيان	المبلغ	المجموع
ويركو املاك وتمتعات المدينة	1396064$\frac{1}{2}$	
ويركو القرى	335070	
بدل عسكريه	047723	
ذخائر مرتبة	001355	
رسم كمرك بما فيه جبله	2109242	
رسم طابو	192000	
عشر	1519674	
رسم ماعز وغنم	260000	46046701$\frac{1}{2}$

دخل قضاء جبله

البيان	المبلغ	المجموع
ويركو املاك وتمتعات المدينة	503720	
ووير كو القرى		
عشر وحاصلات الأوقاف والشمسيات[1]	1554000	
رسم ماعز وغنم	0296000	
بدل عسكريه	0029470	
رسومات مختلفه	0021500	
رسم طابو	0070000	
	2474590	2473590
		707826001$\frac{1}{2}$

---

(1) قرى أوقاف السلطان ابراهيم بن أدهم والقرى الشمسيات يؤخذ منها حامل، وهو عبارة عن ضعف العشر ومرتبات أخرى على أعمدة البيوت وعتيدها.



الخرج

المبلغ	البيان
438900	معاشات مأمورين وكتاب وضابطين مشاة وفرسان ومصاريف نثرية في قضاء اللاذقية
196738	معاشات ومصاريف إدارة الرسومات الكمركيه
320000	معاشات مأمورين وكتاب وضابطين مشاه وفرسان ومعاونين في قضاء جبله ومصاريف تكية السلطان ابرهيم
1800000	مرتبات ونفقات العساكر النظامي في اللاذقية وجبله في الظروف المختلفة بوجه التقريب

2755638

$432262212\frac{1}{2}$

$432262212\frac{1}{2}$

فتكون زيادة الدخل عن الخرج أربعة ملايين وثلاثماية واثنين وعشرين الفاً وستماية واثنين وعشرين غرشاً ونصف غرش.

الفصل الرابع عشر

في اعتبارات أخرى متعلقة بجغرافية اللاذقية

اعلـم أن منـاخ اللاذقيـة موصـوف بالاعتـدال والجـودة وهـي مركـز كرسـي مطـران للـروم الارثوذكـس تابـع للبطريـرك الانطاكـي وفيهـا لـكلٍ مـن دول انكلتـرا وفرنسـا وروسـيا والمانيـا وأميـركا والنمسـا واسـبانيا وايطاليـا وهولانـدا والدانمـارك واليونـان وايـران فيجـة أو وكيـل قنصـل وسـنطلق غالبـاً لفظـة قنصـل فـي تاريخنـا علـى أربـاب هـذه المناصـب بحـذف قبحيـة أو وكيـل للاسـتغناء عنهـا وجميـع هـؤلاء القناصـل وطنيـون أو متوطنـون وليـس لأحـدٍ منهـم معـاش مـن الدولـة المنصـوب مـن قِبلَهـا بـل كلٌ منهـم يتخـذ الوظيفـة لتحصيـل الشـرف والاعتبـار وحمايـة أشـغاله وأملاكـه.

وأعلـم أيضـاً أن كلمـا ذُكـر فـي هـذه الجغرافيـة إنمـا هـو باعتبـار الحالـة الراهنـة سـنة الشـروع فـي تأليـف هـذا الكتـاب التـي هـي سـنة 1873 مسـبحية فـاذا حـدث تغييـر مـا فـي السـنين المسـتقبله التـي نتصـل إلـى ذكـر حوادثهـا فـي مؤلفنـا فسـنذكر ذلـك التغييـر فـي محلـهِ مـن التاريـخ.

القسم الثاني

في تاريخ لاذقية العرب

لقد اعلمت التواريخ القديمة انهُ في المركز القائمة فيه مدينة لاذقية العرب الآن كانت في الدهور الأولى مدينة تُدعَى راميثا أي المرتفعة أو على ما في كتاب فيلون الجبيلي راماتاس مركبةً من راما واتاس والتأويل الاله السامي وكانت المدينة المتطورة شهيرةً بهيكلٍ عظيم كان فيها للزهرة وكانت مستقلةً عن فينيقية وبعضهم يحسبها من جملة فينيقية، وهي داخلة في أرض ميعاد بني اسرائيل حسب الرأي الأصح التي كان حدُّها الشمالي عند جبل الأقرع إلّا أن التواريخ لم تخبرنا أنها دخلت في حيازتهم والظاهر أنها انحطت أو خربت بالزلازل أو بأسباب أخرى مجهولة فجدَّد بناءها أحد قواد الاسكندر ذي القرنين وهو سلوقس نيقاتور (أي الغالب) مؤسس الدولة السلوقية في سوريا الذي تبوَّأ سرير مملكة سوريا سنة 301 قبل التاريخ المسيحي وسماها لادوكية باسم امهِ فقيل في تعريب هذا الاسم اللاذقية وقد بنى الملك المذكور عدة لاذقيات غيرها منها لاذقية فيرجيا ولاذقية بيسيديا ولاذقية لبنان وكانت بين حمص وبعلبك إلّا أن اللاذقية التي هي موضوع تاريخنا كانت اعظمهنَّ واكثرهنَّ شهرةً واعتباراً ولأجل التمييز بينها وبين المدن الأخرى المسماة باسمها قيل لها في القديم اللاذقية العظمى واللاذقية على البحر كما دعاها استرابون ولما افتتحها المسلمون دعوها لاذقية العرب. وقد بنى سلوقس المذكور مدينة انطاكية العظمى باسم ابيه وجعلها قاعدة مملكته ومدينة سلوقية التي كان موقعها قريباً من موقع السويدية الآن باسمهِ ومدينة افاميه على نهر العاصي باسم امرأتهِ وبنى أيضاً عدة مدن في مواقع مختلفة بهذه الأسماء إلّا أن المدن المذكورة هنا كانت أعظم كل ما سواها من المدن الأخرى المتفقة معها في الأسماء قال استرابون انطاكيه عند رفنه (وهو هيكل قد عفى اثرهَ وموقعهُ يسمَّى الآن طواحين بيت الماء) وسلوقيه في بياريا وافاميه واللاذقية على البحر هي مدن عظيمة وتسمَّى

اخوات لاتفاقها وكانت البقعة المبنية فيها اللاذقية وسلوقية وانطاكيه وافاميه تُدعَى قديماً تترابوليس وهي لفظة يونانية معناها اقليم المدن الأربع. واستمرت اللاذقية تابعة للدولة السلوقية إلى سنة 64 قبل المسيح إذ أتى الرومانيون تحت قيادة بومبايوس واستولوا عل سوريا فدخلت اللاذقية تحت سلطتهم في جملة مدن سوريا وكانت حكومة روميه إذ ذاك جمهورية وبعد ذلك بقليل تغلب جوليوس قيصر على رجال المجلس في روميه واستمال إليه الشعب والعساكر وسمَّى نفسهُ ملكاً وهو أول القياصرة فجعل اللاذقية حرَّة وسماها جوليا باسمهِ على ما رواهُ لاكويان في الشرق المسيحي مجلد 3 صفحة 79 وبعد مدةٍ اتفق بعض الأشخاص المحبين اعادة الجمهورية في روميه على قتلهِ وكان رئيسا هذه الفتنة رجلين من أرباب المجلس اسم احدهما كاسيوس والآخر بروتس فقتلوه بضرب الخناجر سنة 44 ق. م وبعد قتله هاج اصدقاؤه الذين اخصهم مرقص انطونيوس واوكتاڤيوس اوغسطوس ابن اخت جوليوس قيصر المقتول وغيرهما ونهضوا للأخذ بثارهِ والانتقام من المذنبين فهرب بروتوس وكاسيوس من روميه واتى كاسيوس إلى سوريا فانضمت إليه العساكر الرومانية التي كانت فيها واستولى على البلاد فجاء لمحاربته دولابلاً احد القواد الرومانيين مهر شيشرون الفيلسوف الروماني بعمارتهِ البحرية وعساكره وكان سكان اللاذقية يقاومون كاسيوس فدعوا إليهم دولابلاً وسلموهُ المدينة ولما بلغ ذلك كاسيوس الذي كان إذ ذاك في فلسطين جاءَ مسرعاً إلى اللاذقية وشدَّد عليها الحصار براً وبحراً إلى أن فتحها عنوةً فقتل حينئذٍ دولابلاً نفسه لكي لا يقع في يد عدوهِ ونهبت عساكر كاسيوس المدينة انتقاماً من أهلها وبعد موت كاسيوس باثر انتصار انطونينوس وأغسطس عليه تذكر انطونينوس ما عرض لسكان اللاذقية فأعفاهم من الجزية.

وفي سنة 193 مسيحية قُتل القيصر كومودس في روميه من بعض أعوانهِ ولم يكن لهُ وريث من صلبهِ واختلفت الآراء في انتخاب خليفةٍ لهُ فنادى جنود كل اقليم باسم قائدهم قيصراً وكان القائد في سوريا وقتئذٍ رجلاً يُدعَى بيشانيوس نيجر (أي الأسود) فبايعه عسكرهُ الملك وكانت العساكر المحافظة على سواحل ايطاليا قد بايعت قائدها سبتيموس

سيڤيروس فجدَّ سيڤيروس بالمسير إلى رومية وتبوَّأ تخت المملكة ولما استقرَّ لهُ الملك قصد سوريا لمحاربة نيجر وكانت اللاذقية تناظر مدينة انطاكيه وقتئذٍ على الدوام ولما كان أهل انطاكيه تعصبوا لنيجر تعصب أهل اللاذقية لسيفيروس بغضاً بانطاكيه ولما بلغ نيجر ذلك ارسل عساكرهُ إلى اللاذقية واخربها ولما وصل سيفيروس إلى سوريا انتشبت بينهُ وبين نيجر حروب رقصت لها الفرائص وانتصر سيڤيروس على نيجر فقتُل سنة 195 وكانت احدى مواقع الحرب في خليج اسكندرونه فكافأ حينئذٍ سيفيروس مدينة اللاذقية وأعادها إلى رونقها ومنحها الحق الذي للمدن الرومانيه وابطل امتيازات انطاكيه لانعطافها على نيجر وسمَّى اللاذقية سبتيما السيفيريه وجعل أهلها يُسمَّون سبتيميين نسبةً إليه ويُظَنُّ أنهُ هو الذي بُنيَت لتذكارهِ فيها قبة النصر المعروفة الآن بالكنيسة المعلَّقة وروى لاكويان أن سيڤيروس المذكور هو الذي منح اللاذقية شرف الميطروبوليتيه تحقيراً لانطاكيه وأنها قبل ذلك لم تكن متروبوليطية.

ولما استقلت زنوبيا أو زينب المعروفة عند العرب بزبيدة ملكة تدمر بمملكة المشرق في سنة 267 كانت اللاذقية تحت ولايتها في جملة سوريا ثم رجعت كباقي مدن سوريا تحت حكومة الرومان عندما استظهر القيصر أورليانوس على زنوبيا وقادها اسيرةً إلى روميه سنة 272 وأعاد مملكتها ولايةً من الولايات الرومانية.

وقد آمن أهل هذه المدينة بالمسيح في مبتدأ الانذار بهِ وكان أول اسقفٍ عليها لوكيوس الذي ذكرهُ بولس الرسول في رسالة روميه ص 16 عـ 21، كما روى لاكويان ويُطلَق على مطرانها لقب المتقدم على ثيوذورياذس كما يُستفاد من الذيتبيخا الآتية. «(فلان) مطران اللاذقية المقدسة الكلي الطهر والفصاحة المنتدب من اللّه والمقدَّم في الكرامة على ثيوذورياذس ابينا وسيدنا فلتكن سنوهُ عديدة» ولم أقف على منشأ هذا اللقب.

وفي الاضطهاد الذي أثاره على المسيحيين القيصر ديوكليتيانوس الذي تبوأ سرير مملكة روميه سنة 284 استشهد في اللاذقية تروفيموس وثالوس (انظر 11 ادار من كتاب الميناون) كما أنهُ استشهد فيها في زمانٍ لا يُعرَف بالتدقيق ديودوروس وذيوميذيس (انظر 11

ايلـول مـن كتـاب الميناون) وذكـر مؤلـف سـوريا المقدسـة أن الكنيسـة تعيـد لقديسـين شـهيرين تاواثيمـوس وباسـيليانوس مـن اللاذقيـة وقـال أن المؤمنيـن شـيدوا هيـكلاً عظيمـاً علـى اسـمهما علـى شـاطى البحـر هنـاك (انتهـى) قلـت ولعـلَّ المـزار الـذي علـى الشـاطيء المعـروف بمـاري طـادروس أو ثيـودوروس هـو قبـر الشـهيد ديـودورس المـار ذكـره الـذي تعيـد لـهُ الكنيسـة الشـرقية فـي 5 نيسـان وقـد التبـس علـى المتأخريـن فظنـوهُ ثيـودورس. أو هـو قبـر ثيـودورس أبـي الفقـراء الآتـي ذكـره.

ومـن أسـاقفة مدينـة اللاذقيـة اناطوليـوس الـذي كتـب مدققـاً فـي العلـوم الفلسـفية وقـرأ أسـفاراً عديـدة مـن الكتـاب المقـدس واشـتهر بفضائلـه كمـا ذكـر أوسـابيوس والقديـس ايرونيمـوس ثـم خلفـه جاورجيـوس ذكـرهُ ثاودوريطـوس وخلـف جاورجيـوس ثيـودورس الـذي كنـي أبـا الفقـراء لمزيـد رأفتـهِ وحضـر المجمـع النيقـاوي ومـن أسـاقفة اللاذقيـة ابوليّناريـوس نبـغ سـة 350 للميـلاد وكان معلمـاً للقديـس ايرونيمـوس وذهـب إلـى أن التسـليم لآريـوس بـأن الكلمـة فـي طبيعـة المسـيح تقـوم مقـام النفـس الناطقـة فـي شـأنهِ أن يعضـد تعليـم المجمـع النيقـاوي ويسـاعد فـي الـرد علـى آريـوس المذكـور وبنـاءً عـل ذلـك حـاول أبوليناريـوس هـذا أن يدخـل القواعـد الآتيـة فـي تعاليـم المجمـع النيقـاوي وهـي. أولاً أنـهُ لمـا كان لا يمكـن اجتمـاع كائنيـن تامين فـي شـخص واحـد بـدون أن يتولـد عـن ذلـك مسـخ كان لا يمكـن أن يجتمـع فـي طبيعـة المسـيح الـه تـام بإنسـان تـام. ثانيـاً أنـهُ ليـس فـي المسـيح نفـس ناطقـه فـإن الالـه التـام فيـه يقـوم مقامهـا. ثالثـاً أنـهُ ليـس فـي المسـيح الاَّ طبيعـة واحـدة وهـي ذات جهتيـن جهـة إلهيـه وجهـة بشـرية وأن الاتحـاد بينهمـا مـن شـأنهِ أن يحمـل علـى الحكـم بـأن لـكلٍ منهمـا مـن الصفـات مـا للأخـرى. ثـم لطَّـف رأيـهُ هـذا وقـال أن المسـيح لـم يكـن خاليـاً مـن كل النفـس بـل كان لـهُ جـزءٌ مـن النفـس الحاسـة بـهِ يبصـر ويسـمع إلّا أنـهُ كان خاليـاً مـن الجـزء النطقـي وذلـك مأخـوذ مـن فلسـفة أفلاطـون الـذي كان يقـول ان الإنسـان مؤلـف مـن ثلثـة جواهـر وهـي الجسـد والنفـس الحاسـة والنفـس الناطقـة ويُقَـال أن أبوليناريـوس كان يذهـب إلـى أن الثالـوث اختلافـاً فـي المقـام فـكان يلقـب الـروح القـدس بالعظيـم والابـن بالأعظـم والآب بالكلـي العظمـة وان مـن جملـة مـا ذهـب إليـه وجـوب اسـتعمال الطقـوس

اليهودية وقد حرم تعليمه في المجمع الاسكندري سنة 11/362 ومما يروى عنهُ أنهُ لما شاخ أودع الكتاب المتضمن تعليمه احدى تلميذاته في انطاكيه ولما علم بذلك ماري افرام السرياني وهو في تلك المدينة استعار ذلك الكتاب من تلك المرأة والصق أوراقه بغراء ثم ردهُ إليها ولما لقيه أخذ ماري افرام يجادله عن المواد التي ادرجها في كتابهِ أمام جمهور غفير واذ كانت الشيخوخة قد أضعفت ذهنهُ قال لماري افرام أن في كتابهِ رداً على كل اعتراضاته. ولما استحضر الكتاب ووجدهُ كقطعة من الخشب لا سبيل ال فتحهِ استشاط غيظاً وداسه برجليهِ واعتزل من هناك فتبعهُ الشعب وأوسعوهُ تعييراً وشتماً حتى غاب عن أبصارهم ويقال أنهُ اغتاظ جداً من تلك المعاملة حتى مرض ومات كمداً سنة 390 للميلاد وقد تبعهُ كثيرون ونسبوا إليه إلّا أن اتباعه زادوا بعض قضايا على تعاليمه لا محل لذكرها ههنا. وقد رأيت في بعض الكتب العربية المدوَّنة فيها أخبار المجامع السبعة المسكونية وأسماء الأساقفة الذين حضروا فيها أن ممَّن حضر في المجمع الأول لفكونيوس اسقف جبله وأنهُ حضر في المجمع الثاني سنة 362 بيفاسيوس اسقف اللاذقية ودومنس اسقف جبله وفي المجمع الثالث سنة 441 مكاريوس اسقف اللاذقية ذهب إليه في جملة من ذهب من الاساقفة مع يوحنا البطريرك الانطاكي وفي المجمع الرابع سنة 455 مكاريوس اسقف اللاذقية (لعلهُ هو نفسه الذي حضر في المجمع الثالث) وسابا اسقف بالتوس (وهي التي خراباتها على نهر السن وتعرف باسم البلده وقد مر ذكرها في الجغرافيا) وبوليكربوس اسقف جبله وفي المجمع الخامس سنة 553 استفانوس اسقف اللاذقية وورمانس اسقف جبله وفي المجمع السادس سنة 680 ثاوذورس اسقف اللاذقية وفي المجمع السابع سنة 787 ثاودورس اسقف اللاذقية. وروى أبو الفرج ابن العبري وذيونيسيوس بطريرك اليعاقبه أن أحد أساقفة اللاذقية اسمهُ قسطنطين كان يدافع عن مذهب القائلين بالطبيعة الواحدة فنفاهُ يوستينوس الملك سنة 518 ذكرهُ الخوري يوسف الدين الماروني في كتابهِ سفر الأخبار نقلاً عن السمعاني في المكتبة الشرقية في مقالته في المونوفيزيتيين وجه 90. ويقال أنهُ في الجيل السادس بُني دير الفاروس على اسم القديس جاورجيوس المشهور موقعه الآن ولفظه فاروس يونانية معناها

منارة ولعلهُ دُعي بذلك لارتفاعهِ.

وقد افتتح اللاذقية المسلمون العرب سنة 15 للهجرة موافقة سنة 637 مسيحية تحت راية أبي عبيدة وكانت في الجيل الرابع للهجرة مقاماً للأمراء التنوخيين وفيها توفي محمد ابن اسحق التنوخي الذي رثاهُ المتنبي بقصيدتهِ التي يقول في مطلعها.

اني لأعلَمُ واللبيب خبيرُ   أن الحيوة وإن حرصت غرورُ

الى أن يقول

وجوابهِ ولكلِ باكٍ خلفهُ   صعقات موسى يوم دُكَّ الطورُ

والشمسُ في كبدِ السماءِ مريضةٌ   والأرض واجفةٌ تكادُ تمورُ

وحفيف أجنحة الملائك خلفهُ   وعيون أهل اللاذقية صورُ

صور جمع اصور وهو المائل. يعني أن عيون أهل اللاذقية كانت مائلةً إليه أما لأنهم يحبونهُ فلا يصرفون عيونهم عنهُ وأما لأنهم يسمعون حس الملائكة فيميلون نحو الحس الذي يسمعون. وقد مدح المتنبي أيضاً الحسين ابن اسحق التنوخي في اللاذقية بقصيدةٍ قال في مطلعها

هو البينُ حتى ما تأَنَّى الخرائقُ   ويا قلب حتى أنت ممَّن تفارقُ

الخرائق جمع خريق وهو الجماعة والمعنى أن البين إذا جرى حكمه فلا تتأنى الجماعات عن الفراق ثم خاطب قلبه فقال وأنت أيضاً ممَّن افارقهُ يعني بمصاحبةِ الأحبة الراحلين. إلى أن قال

لك الخير غيري رام من غيرك الغنى   وغيري بغير اللاذقية لاحقُ

هي الفرضُ الأقصى ورؤيتك المُنى   ومنزلك الدنيا وأنت الخلائقُ

يقول غيري يطلب الغنى من غيرك ويقصد غير اللاذقية مدينتك، وأما أنا فلا أطلبهُ إلّا منك ولا أقصد إلّا مدينتك التي هي الفرص الأقصى الخ. ومداح أيضاً

علي ابن ابراهيم التنوخي فقال:

احـــــادٌ ام ســـــــداسٌ فـــي احـــادِ لُـيـيـلَـتـنـا الـمـنـوطـة بـالـتـنـادي

ان الشـطر الأول مـن البيـت هـو كنايـةً عـن ليالـي الدهـر يقـول أليلـةٌ واحـدة أم ليالـي الدهـر كلهـا ليلتنـا العظيمـة التـي امتـدت إلـى يـوم القيامـة. إلـى أن قـال.

وحـــــام بـــهـا الـــهـــلاك عـــلــى انـــاسٍ لـــهـــم فـــي الـــلاذقـــيـــة بـــغـــي عــــادِ

الضمير في بها عائد على الخيل التي كنى عنها في بيتٍ قبل هذا

فــكـــان الـــغـــرب بــحـــراً مـــن مـيـــاهٍ	وكــــان الـــشـــرقُ بـــحـــراً مـــن جـيـــادِ
وقــــد خـفـقـت لـــك الـــرايـــات فـيـه	فـــظـــلَّ يـــمـــوجُ بـــالـــبـــيـض الـــحـــدادِ
لـــقـــول بـــاكـــبـــد الابـــــلِ الأبـــايـــا	فـسـقـتـهـمُ وحـــــدّ الـــسـيـــف حـــادِ
وقــــد مـــزَّقــت ثـــوب الـــغـــيّ عـنـهـم	وقـــــد الـــبـــســتـهــم ثــــوب الـــرشـــادِ
فـمـــا تـــركـــوا الامـــــــــارة لاخـتـيـــارٍ	ولا انـتـحـلـوا ودادك مـــن ودادِ
ولاشـتـغـلـوا لـــزهـــدٍ فــــي الـتـعـالـي	ولاانـــــقـــــادوا ســــــروراً بـــانـقـيـــادِ
ولـــكـــن هــــبَّ خـــوفـــك فــــي حـشـاهـم	هـــبـــوب الـــريـــح فـــي رجـــل الـــجـــرادِ
ومـــــاتـــــوا قـــبـــل مـــوتـــهـــم فـــلـــمَّـــا	مـــنـــنـــتَ اعـــدتـــهـــم قـــبـــل الـــمـــعـــادِ

المستفاد مـن هـذه الأبيـات أن علـي بـن ابراهيـم التنوخـي كان يتولـى امـارة اللاذقيـة وأن بعـض سـكانها خرجـوا عليـه ونازعـوهُ الولايـة فحاربهـم واسـتظهر عليهـم وقادهـم إلـى الطاعـة والخضـوع لـهُ.

ولمـا زحفـت الجيـوش الصليبيـة مـن اوروبـا سـنة 1096 قاصـدة فتـح سـوريا وأورشـليم واسـتخلاصها مـن يـد المسـلمين كانـت اللاذقيـة علـى روايـة مؤرخـي الصليبييـن المدينـة الوحيـدة التابعـة لمملكـة الـروم فـي سـوريا وفـي ذلـك نظـرٌ فإننـي لـم أقـف فـي تاريـخٍ مـن التواريـخ التـي اطلعـت عليهـا علـى ذكـر كيفيـة دخولهـا تحـت سـلطة الـروم بعـد مـا تملكهـا العـرب ولبثـوا فيهـا أجيـالاً وكيـف أمكنهـا أن تثبـت وهـي بعيـدة ومنفـردة عـن مملكـة الـروم حـال كـون القـوات الإسلامية تحيـط بهـا مـن كل جهـةٍ اللَّهـم إلّا أن يكـون ذلـك جـرى بعهـدٍ بيـن قيصـر الـروم والحكومـة الإسـلامية وكيفمـا كان الأمـر فقـد أفادتنـا التواريـخ الصليبيـة أنـهُ فـي أثنـاء حصـار الافرنـج مدينـة

انطاكية سافر دوق نورمانديا احد القواد الصليبيين عن انطاكية وجاء إلى اللاذقية وأقام فيها مدة ثم رجع إلى المعسكر المحاصر انطاكيه بعدما استدعاهُ القواد رفقاؤهُ ثلاث مرات وفي غضون ذلك جاء إلى اللاذقية اثنتان وعشرون سفينةً فلمنكيه قرصانيه وخرج رجالها إلى البر ونهبوا المدينة وقتلوا بعض سكانها ثم بعد ذلك جاء إليها قرصاني آخر يُدعى غنيمير دي بولون قاصداً النهب أيضاً فاستظهر عليهِ أهل اللاذقية وأسروهُ ولما فتح الصليبيون انطاكيه وولوا عليها بوهيمند وساروا زاحفين إلى اورشليم كانت اللاذقية مركزاً لاجتماعهم فرافقهم بوهيمند إليها فودعهم ورجع إلى ولايتهِ وفي مدة وجودهم في اللاذقية استغل غودافروا دي بوليون الذي انتُخب فيما بعد ملكاً لأورشليم غنيمر القرصاني المار ذكره واطلقه من اسر اهالي المدينة فانضم بسفائنهِ ورجالهِ إلى الجيوش الصليبية وروى البرت الذي من مدينة اكس المؤرخ الصليبي ان غنيمر دي بولون المذكور ينبغي أن يكون هو الذي توصل إلى فتح اللاذقية ثم اهداها إلى رايموند كونت طولوزا وان رايموند ردَّها إلى قيصر الروم ولكن عل رواية غيره أن اليكيوس قيصر الروم هو الذي وهب رايموند كونت طولوزا مدينة اللاذقية كما ذكر ذلك مكسيموس مونروند في كتابهِ الفرنساوي المدعو تاريخ الحروب المقدسة المترجم للعربية بقلم البطريرك مكسيموس مظلوم في الفصل العاشر من المجلَّد الأول حيث قال «أن كونت طولوزا إذ حلف بأنهُ لا يعود راجعاً إلى أوروبا انفرد في ذاتهِ راجعاً إلى القسطنطينية حيثما اقتبلهُ القيصر اليكسيوس باكرامٍ كلي ووهبهُ مدينة اللاذقية».

هذا ولما سارت الجيوش الصليبية من اللاذقية حاصروا في طريقهم مدينة جبله تحت قيادة غودافروا واسطاكيوس وغيرهما من القواد وكان مستولياً عليها وقتئذٍ القاضي محمد أبو عبداللّه بن منصور المعروف بابن صليحه فلم يتيسَّر لهم افتتاحها ولما رحلوا عنها ارسل صاحبها ابن صليحه إلى طغتكين اتابك دقاق صاحب دمشق يطلب منهُ مَن يستلم منهُ جبله ويحفظها فأرسل إليها طغتكين ابنهُ تاج الملك بوري فتسلمها وأساء السيرة فكاتب أهلها ابن عمَّار صاحب طرابلس فارسل عسكراً فاجتمعوا وقاتلوا بوري فانهزم أصحابه وملك ابن عمار جبله وذكر في ترجمة ابن صُلَيحه قاضي جبله وهو ابو محمد عبداللّه بن منصور

بـن الحسـين التنوخـي ان والـده منظـوراً كان رئيسـاً أيـام كان الـروم مالكيـن لهـا علـى المسـلمين يقضـي بينهـم فلمـا ضعـف أمـر الـروم وثـب علـى جبلـه واسـتعان بالقاضـي جـلال الديـن بـن عمَّـار صاحـب طرابلـس فتقـوى بـهِ علـى مَـن بهـا مـن الـروم ونـادى بشـعار المسـلمين فانتقـل مـن كان بهـا مـن الـروم إلـى طرابلـس فأحسـن إليهـم ابـن عمـار وصـار إلـى منصـور بـن صليحـه منهـا مـال عظيـم واسـتمر علـى عادتـهِ فـي الحكـم فيهـا فلمـا توفـى منصـور قـام ابنـهُ أبـو محمـد مقامـه واحـب الجنديـة واختـار الجنـد فظهـرت شـهامته فـأراد ابـن عمـار أن يقبـض عليـهِ فاستشـعر منـهُ وعصـى عليـه وأقـام الخطبـة العباسـية فبـذل ابـن عمـار لدقـاق بـن تتـش مـالاً ليقصـده ويحصـره ففعـل وحصـره فلـم يظفـر منـه بشـيء وأصيـب صاحبـه اتابـك طغتكيـن بنشَّـابةٍ فـي ركبتـهِ وبقـي أثرهـا وبقـي أبـو محمـد بهـا مطاعـاً إلـى أن جـاء الافرنـج فحصروهـا فأظهـر أن السـلطان بركيـارق قـد توجـه إلـى الشـام وشـاع هـذا فرحـل الافرنـج فلمـا تحققـوا اشـتغال السـلطان عنهـم عـاودوا حصـاره فأظهـر أن المصرييـن قـد توجهـوا لحربهـم فرحلوا ثانيـةً ثـم عـادوا فقـرر مـع النصـارى الذيـن بهـا ان يراسـلوا الافرنـج ويواعدوهـم إلـى بـرج مـن أبـراج البلـد ليسـلموهُ إليهـم ويملكـوا البلـد فلمـا اتتهـم الرسـالة جهـزوا نحـو ثلاثمايـة رجـل مـن أعيانهـم وشـجعانهم فتقدمـوا إلـى ذلـك البـرج فلـم يزالـوا يرقـون فـي الحبـال واحـداً بعـد واحـد وكلمـا صـار عند ابـن صُليحـه وهـو علـى السـور رجـل منهـم قتلـه إلـى أن قتلهـم أجمعيـن فلمـا أصبحـوا رمـى الـرؤوس إليهـم فرحلـوا عنـهُ وحصـروه مـرةً أخـرى ونصبـوا علـى البلـد بـرج خشـب وهدمـوا برجـاً مـن ابراجـه وأصبحـوا وقـد بنـاهُ ابـو محمـد ثـم نقـب فـي السـور نقوبـاً وخـرج مـن البـاب وقاتلهـم فانهـزم منهـم وتبعـوهُ فخـرج أصحابـهُ مـن تلـك النقـوب فاتـى الافرنـج مـن ظهورهـم فولُّـوا منهزميـن وأُسـر مقدمهـم المعـروف بكنـد اصطبـل فافتـدى نفسـه بمـال جزيـل ثـم علـم ابـن صليحـه انهـم لا يقعـدون عـن طلبـه وليـس لـه مـن يمنعهـم عنـهُ فارسـل إلـى طغتكيـن اتابـك يلتمـس منـهُ انفـاذ مَـن يثـق بـه، لِيسـلم إليـه ثغـر جبلـه ويحميـه ليصـل هـو إلـى دمشـق بمالـهِ وأهلـهِ فأجابـهُ إلـى مـا التمـس وسـير إليـه ولـده تـاج الملـوك بـوري فسـلم إليـه البلـد. وروى البـرت الأكسـي المـؤرخ الصليبـي السـابق ذكـره انـهُ فـي أثنـاء حصـار أورشـليم زحـف بوهيمنـد بعسـاكره مـن انطاكيـة وبمسـاعدة سـفائن الجنوييـن والبيزاوييـن التـي

كان عددها نحو مائتين حاصر اللاذقية ناكثاً بمعاهدات السلم المنعقدة بين الصليبيين وقيصر الروم فاستولى المحاصِرون على برجين من ابراجها قائمين على شاطىء البحر وقتلوا بعض مَن كان فيهما من الروم وسملوا عيون الباقين وطرحوهم في البحر ثم بنوا جسرين فوق الخندق الفاصل بينهم وبين اسوار المدينة وضايقوها حتى كادوا يفتحونها وفي أثناء ذلك كان الصليبيون الذين ذهبوا لفتح أورشليم قد تملكوا المدينة المذكورة سنة 1099 وأقاموا غودافروا دي بوليون ملكاً عليها وعاد كثيرون منهم راجعين إلى بلادهم فلما وصل هؤلاء الراجعون إلى نواحي جبله سمعوا بحصار اللاذقية وكان في جملتهم الكونت رايموندي طولوزا فاغتاظوا من بوهيمند وارسلوا إليه رسلاً يطلبون منه أن يكفّ عن حصار المدينة احتراماً للاتحاد المنعقد مع قيصر الروم الذي يقدر أن يقلق راحة الصليبيين برجوعهم إلى اوطانهم فرفض بوهيمند اجابة الرسل ولبث مصراً على عزمهِ فاعتمد حينئذٍ الأمراء والجيوش المار ذكرهم ان يدفعوه عن حصار المدينة بالقوة إلّا أن اسقف بيزا استدرك الأمر بطريقةٍ اخرى فانهُ سار وقابل رؤساء عمارة الجنويين والبيزاويين وطلب منهم أن ينفصلوا عن بوهيمند فأجابوه لذلك ولما رأى بوهيمند أن أعماله قد انحصرت في قوتهِ الخاصة التزم أن يكف عن حصار المدينة وحينئذٍ جاءت الجيوش الصليبية من نواحي جبله ودخلت اللاذقية ومكثت فيها خمسة عشر يوماً في وسط الأفراح والحبور حيثما كان عندهم كل شيء غزيراً ثم تفاوض بوهيمند ورايموند بالصلح وعقدت بينهما عهود الحب والمصافاة. فعاد بوهيمند إلى انطاكيه وأما رايموند فبقي في اللاذقية. قلت ولعل رايموند بأثر ذلك سار إلى القسطنطينية فوهبه القيصر اليكسيوس مدينة اللاذقية كما ذكر آنفاً نظراً لما ابداه فيها من الحماسة والغيرة على حفظ عهود السلم ومقاومة بوهيمند.

ولما استقر رايموند المذكور الذي دعاه مؤرخو العرب صنجيل في اللاذقية زحف بجنودهِ على جبله وفتحها ثم حصر طرابلس وبنى بقربها حصناً وبنى تحتهُ مساكن فخرج ابن عمار صاحب طرابلس وأحرق المساكِن فانهدم بعض السقوف المحترقة برايموند فمرض أياماً ومات ونُقل إلى اورشليم. ثم تملك الصليبيون شيئاً فشيئاً البلاد والقلاع والحصون

التي في أعمال اللاذقية كمرقيه وقلعه المرقب وقلعة صهيون وحصن العيدو وذكر أبو الفداء أنهم تملكوا القدموس سنة 523 للهجرة موافقة سنة 1129 وانه في سنة 527 موافقة سنة 1133 اشترت الاسماعيلية حصن القدموس من صاحبه ابن عمرون وروى البطريرك استفانوس الدويهي الماروني في تاريخه في حوادث سنة 1130 مسيحيه ان بلدوين ملك اورشليم بعد موت بوهيمند والي انطاكيه اعطى ارملته التي كانت ابنة بلدوين المذكور اللاذقية وجبله وجعل انطاكيه تحت محافظة أمناء ذكره الخوري يوسف الدبس في كتابهِ سفر الأخبار وروى أبو الفداء أنهُ في سنة 584 هجرية الموافقة سنة 1188 م سار السلطان صلاح الدين الأيوبي زاحفاً بجيوشهِ إلى مرقيه فوجدها خالية ثم نزل تحت المرقب فوجدهُ لا يُرام فوصل جبله في ثامن جمادي الأول وتسلمها وجعل فيها سابق الدين عثمان بن الداية يحفظها ثم حصر قلعتي اللاذقية وملك المدينة وسلمها إلى ابن اخيه المظفر تقي الدين عمر فحصنها ثم حاصر صهيون وتسلمها بالأمان وسلمها إلى الأمير منكورس صاحب ابي قبيس من أصحابهِ ثم ملك عسكرهُ بلاطنس خالياً من الفرنج وحصن العيد وحصن الجماهرتين ثم سار السلطان عن صهيون ثالث جمادي الأخرى وروى ابن الأثير أن الفاتحين خربوا حينئذٍ كل أبنية اللاذقية الجميلة ولا سيما الكنايس ونقلوا مرمرها ذكرهُ موسيو بوجولا في رسائل رحلتهِ وقال أن سكان اللاذقية المسيحيين سلموا المدينة إلى صلاح الدين بدون قتال وانسحبوا إلى القلعتين وانهُ في أثناء ذلك جاء إلى مياه اللاذقية من جزيرة صقلية عمارة بحرية مؤلفة من ستين سفينة تحت قيادة اميرٍ يُدعَى مارغاريت وتقدمت لتدخل المينا واذ علم أميرها المذكور بتسليم المسيحيين بدون قتال احتدم عليهم غيظاً وتهددهم بقتل كل من يصادفه منهم بحد السيف فسلَّموا حينئذٍ أنفسهم إلى حكومة السلطان صلاح الدين متعهدين بدفع الجزية وذكر العماد الكاتب وهو كاتب صلاح الدين في تاريخه المسمَّى الفسيح القسي في الفتح القدسي. ما ملخصه أن قاضي جبله وفد على السلطان صلاح الدين وهو في جهة حصن الأكراد يحثهُ على قصدها ويقول أن الاشتغال بطرابلس مع استعدادها للحصار يذهب الزمان وأن جبله وما وراءها من المعاقل ليس دونها مانع ولا عنها مدافع فسار السلطان بعسكرهِ يوم الجمعة 4 جمادي الأولى سنة 584 قد وصل إلى طرطوس في 6

منهُ وفتحها ودك اسوارها الاّ برجاً للدواية فانهُ امتنع عليه فتركه ورحل عنهُ) 14 الشهر ونزل على مرقيه وقد خلت من أهلها فجاز عنها وسار تحت حصن المرقب ولم يكن بد من عبور ذلك المضيق وكان الفرنج قد حصنوا في البحر المراكب وسدوا المذاهب وذلك أن صاحب صقلية رام ان يكشف عن الفرنج أدبيته فجهز اسطولاً مؤلفاً من ستين قطعة فوصل في تلك الأيام تحت رياسة اميرٍ يُقَال لهُ مرغريط فحمى الطريق تحت المرقب بمراكبه فأمر السلطان بحمل الجفاتي إلى هناك وتصفيفها وتأليف الستائر واقعد من ورائها على مقابلة سفن القوم الكماة والرماة حتى تباعدت تلك السفن فرحل السلطان بعسكرهِ آمناً وجاز على بانياس وقد اجفل عنها الناس ووصل إلى نهر السن فازدحم العسكر عند ذلك النهر وليس عليهِ إلّا قنطره واحدة فتصادموا على ذلك الجسر وسار السلطان من فوق على سفح الجبل وعبر مع زمزمة عسكرهِ ونزل على بلدة وهي على شاطىء هذا النهر حصينة البناء قد حصنها الاستبار وقطعوا عنها سلوك الطريق بتعميق ذلك النهر فوجدها خالية من الانس وفي يوم الجمعة/ 18 الشهر أشرف على جبله وكان قاضيها قد سبق من المقدمة فخرج مسلموا البلد مستسلمين وعلت على السور الرأيات الناصرية ولجأ الفرنج إلى الحصنين اللذين أحدهما على المنيا والآخر في البلد وهو المعقل الأكبر فتوسط لهم قاضي جبله في أخذ الأمان بعد قبض الرهائن على أن يعيدوا من استرهنوهُ في انطاكية من أهله ويسلموا كل ما بهم من سلاح وعدة وخيل وذخيرة وعالة انتقل أهل الجبل إلى جبله طائعين وكان حصن بكرائيل قد تسلم من قبل فرتب فيهِ من حكم على ذلك الجانب وأهله وكانوا مذعنين لقاضي جبله وأقام السلطان في جبله أياماً حتى ازال شعثها وأكرم قاضي جبله ووقف عليه ملكاً نفيساً وصرفه من املاك أبانه وحكمه في ولاية حكمهِ وقضائه ورحل ثالث عشر الشهر يوم الاربعا وبات تلك الليلة بالقرب من اللاذقية وقد لاذ الفرنج من حصنها بجبل عاصم وهو ثلاث قلاع متلاصقات على طول التل فهاجمتها عساكر السلطان صبيحة يوم الخميس وحاميتها تدافع عنها أشد دفاع حتى أخذت عليهم النقوب، وبلغ النقب من الشمال في الطول ستين ذراعاً وفي العرض اربع أذرع ولما عرف من فيها أنهم مدركون وأنهم يؤخذون ولا يتركون صاحوا الأمان وذلك يوم الجمعة 25 من جمادي الأولى عشية فصعد إليهم قاضي جبله يوم

السبت غدوة وسلموا القلاع بما فيها من عدة وذخيرة واسلحة وخيل ودواب كثيرة وأمنوا على أنفسهم وأموالهم وانصرفوا بنسائهم ورجالهم وذريتهم وأطفالهم ودخل بعضهم في عقد الذمة وانتقل الباقون إلى انطاكية ثم ولي السلطان بالقلاع مملوكه سنقر الخلاطي وركب إلى البلد وطافه قال العماد الكاتب فرايتها بلدة واسعة الأقنية جامعة الابنية متناسقة المعاني متناشقة المغاني قريبة المجاني رحيبة المواني في كل دار بستان وفي كل قطر بنيان... أمكنتها مخرَّمة وأروقتها مرخمَّة وعقودها محكمة ومعالمها معلمة ودعائهما منظمة ومساكنها مهندسة مهندمة وأماكنها ممكنة ومحاسنها مبيَّنة ومراتبها معيَّنة وسقوفها عالية وقطوفها دانية وأسواقها فضية وآفاقها مضية ومعالمها مشرقة ومرافعها موفقة وأرجاءها فسيحة وأهؤاوها صحيحة لكن العسكر شعث عمارتها واذهب نضارتها وازعج ساكنيها وأخرج قاطنيها وملك دور المشركين للموحدين... ووقع في عدةٍ من الأمراء الزحام على الرخام ونقلوا منهُ أحمالاً إلى منازلهم بالشام فشوهوا وجوه الأماكن ومحوا سنا المحاسن. وقال ما ملخصه وبظاهر اللاذقية كنيسة نفيسة عظيمة قديمة بأجزاء الأجزاع مرصعه وبألوان الرخام مجزعة متوازية الزوايا متوازنة البنايا فلما دخلها الناس اخرجوا رخامها وشوهوا أعلامها وكسروا أجراسها وحكموا بعد الغنى بأفلاسها وافتقرت واقفرت ثم لما طابت النفوس وتجلى عن البلد بفتحة البوس عادت القوى إلى هذه الكنيسة وهي متشعثة ورغب مَن في البلد من النصارى والأرمن في اعطاء الجزية حباً للوطن فعاد مأهول الجناب وبتجار البحار مملو الرحاب وكانت شواني صقليه قد قابلت في البحر اللاذقية طمعاً في امتناعها فلم استسلم أهلها قصدت الشواني أخذ مركب من يخرج من أهلها لكونهم شغلوا عن حبوبها ببذلها فامتنعوا عن الانتقال وامنوا بعقد الذمة على النفس والمال وكان السلطان صلاح الدين يوم الرحيل من اللاذقية راكباً عند ميناها فطلب مقدم تلك الشواني أمانهُ ليصعد ويشاهد السلطان فأمنهُ حتى صعد فخاطب صلاح الدين بواسطة ترجمان وقال أنت سلطان عظيم وملك كريم قد شاع عدلك وذاع فضلك فلو مننت على هذه الطائفة واعدت عليها بلادها لطاعوك قريباً وبعيداً وأن ابيت وعدت على اهراق الدما جاء منه وراء البحر ملوك الفرنج بعساكر لا تقدر أن تقاومها وهؤلاء أهون منهم فاتركهم واصفح عنهم فقال السلطان

قد أمرنا اللَّه بتمهيد الأرض ونحن قائمون في طاعتهِ بالفرض ولو اجتمع أهل الأرض لتوكلنا على اللَّه في اللقاء ولم نبال باعداد الأعداء فعاد المقدم إلى شوانيه ورحل السلطان ظهر يوم الأحد 23 من جمادي واتجه نحو حصن صهيون وكان الطريق إليه في أودية من شعاب فقطع تلك الطرق في يومين وخيم على صهيون يوم الثلاثاء 29 وهي قلعة على ذروة جبل في مجتمع واديين بها محيطين من جانبين والجانب الجبلي قد قُطع بخندق عميق وسور وثيق والقلعة ذات أسوار خمسة كأنها خمس هضاب فأحاط العسكر بها يوم الاربعا ونقل السلطان خيمة إلى جانب الجبل وأقام الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب منجنيقين فانه اتصل بأبيه قبل الوصول إلى جبله من طريق حماه فاظهر على صهيون اليد البيضاء وكان في قرنة الخندق موضع لم يكمل تعميقه فتطرفوا من تلك القرية وتعلقوا بها إلى القلعة وتملكوا الذروة ومُلكت منه القلعة ثلاثة أسوار فطلب أهلها الأمان فقرر السلطان عليهم قطيعه وأغلقت دونهم الأبواب فجبى منهم القطيعة شجاع الدين طغرل الجاندار ثم خرجوا وسلَّم الحصن بجميع اعمالهِ وسائر ما حواهُ إلى الأمير ناصر الدين منكورس بن خمارتكين ثم رحل السلطان ثاني يوم فتح صهيون وتسلَّم قلعة العيدو وقلعة الجماهيريين وحصر بلاطنس ونُدب إلى كل حصنٍ من تسلمهُ وفي جمادي الأخرى سنة 586 قدم الملك المظفر تقي الدين لحفظ مدينة اللاذقية وجبله من عساكر ملك الألمان الذي قدم لإرجاع بيت المقدس ولما بلغت تلك العساكر إلى قرب اللاذقية خرج عليهم خيل اللاذقية وجبله وناوشتهم في اثناء الطريق. فاغدوا في السير حتى وصلوا إلى طرابلس وقد نقص مقدار نصفهم وفي محرم سنة 587 تسلم الملك المظفر تقي الدين ما في شرقي الفرات من البلاد التي كانت مع مظفر الدين مضافةً إلى ميافارقين فصارت معهُ جبله واللاذقية ومعره وحماه وسلميه والرها وحران وسمسياط والموزر وميافارقين. ثم في سنة 1157 وسنة 1170 مسيحية حدثت زلازل هدم بها جانب عظيم من اللاذقية.

وذكر مكسيموس مونروند في الفصل السابع من المجلد الثاني من تاريخه ما مفاده انه وفي سنة 1197 مسيحية (الموافقة سنة 594 هجرية، كانت اللاذقية وجبله من جملة البلاد التي أخلاها المسلمون بأثر انتصار الصليبيين على الملك العادل وامتلاكهم بيروت. وفي

ذلك نظرٌ فإن ابن الوردي روى في تاريخه في حوادث سنة 618 للهجرة الموافقة سنة 1222 م أن الملك الكامل وأخوته بذلوا إلى الصليبيين الذين كانوا وقتئذ قد فتحوا دمياط وتقدموا إلى جهة مصر تسليم القدس وعسقلان وطبريه واللاذقيه وجبله وجميع ما فتحه صلاح الدين من الساحل على أن يصالحوا ويسلموا دمياط فأبوا ذلك وذكر في حوادث سنة 620 الموافقة سنة 1224 م أن الملك الأشرف لما رجع من مصر إلى حلب ارسل عسكراً هدموا قلعة اللاذقية إلى الأرض ومن ذلك يستفاد أن اللاذقية كانت إلى ذاك الحين لم تزل تحت تسلط المسلمين وكيفما كانت الحال فالمستفاد من التواريخ باتفاق المؤرخين أنها في زمان السلطان قلاون كانت بيد الصليبيين كما سيتضح مما سيذكر وكانوا يتحصنون في الأبراج التي كانت على البحر.

وروى ابن الوردي أنه في سنة 660 للهجرة الموافقة سنة 1262 م وصل عماد الدين ابن مظفر الدين صاحب صهيون رسولاً من اخيهِ سيف الدين صاحب صهيون إلى الملك الظاهر بيبرس بهدية جليلة فقبلها وأحسن إليه وانهُ في سنة 667 الموافقة سنة 1269 تسلم الظاهر بلاطنس من عز الدين عثمان صاحب صهيون وفي سنة 671 الموافقة سنة 1273 م توفي سيف الدين أحمد بن مظفر الدين عثمان بن نكورس صاحب صهيون فسلم ولداه سابق الدين وفخر الدين صهيون إلى الملك الظاهر فأكرمهما وأعطى سابق الدين امرة طبلخانات. وفيها تسلم نواب الظاهر ما تأخر من حصون الاسماعيلية التي من جملتها القدموس وفي سنة 679 الموافقة سنة 1281 م استولى على صهيون وغيرها من الحصون سنقر الأشقر وهو قائد ارسلهُ قلاوون امير جيش الملك الظاهر نائباً للشام ثم بعد مدةٍ يسيره تسلطن قلاون في مصر وتسلطن سنقر الأشقر في الشام فجهز قلاون العساكر وارسلها لمحاربته فكسرتهُ فهرب من دمشق وسار واستولى على صهيون وغيرها من الحصون كما مرَّ. وفيها استأذن سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري نائب حصن الأكراد في الاغارة على بلد المرقب والفرنج فيه... وجمع عساكر الحصون وسار إلى المرقب فانكسر وهربت عساكره وأسر منهم الفرنج وقتلوا جماعةً وفي سنة 684 (الموافقة سنة 1286 م نازل السلطان قلاون حصن المرقب في

أوائل ربيع الأول وهو حصن الاستبار (أي الأوسبيتال أعني الرهبان ضياف الغرباء) عجيب في العلو والحصانة لم يطمع أحد من الملوك الماضين فيه ونُصبت عليه المجانيق... ولما تمكنت النقوب طلبوا الأمان فأمنهم رغبةً في بقاء عمارتهِ وحملوا ما قدروا عليهِ غير السلاح وصعدت إليه الصناجق السلطانية وتسلمهُ في ثامنة نهار الجمعة تاسع عشر ربيع الأول منها.

وذكر موسيو بوجولا في رسائل رحلةٍ أن السيد برثولومي صاحب مدينة مرقيه بنى بعد موت الملك الظاهر بيبرس (الذي كان قد استولى على مرقيه حسبما روى ابن الوردي) برجاً كبيراً في البحر أمام قلعة المدينة أقامهُ على سفنٍ مشحونةٍ بالأحجار أُغرقت إلى قاع البحر وجعل أحجار جدرانهِ متماسكة الواحدة بالأخرى بقضبانٍ من حديد وكل رصيف منها يعلوهُ طبقة من رصاص وجعلهُ مربع الشكل ذا سبع طبقات عرضهُ مقارب لطولهِ وفارغ كل جهةٍ منهُ 25 ذراعاً ونصف وسمك الحيطان 7 أدرع وبنى في البرج صهريجاً يكفي عند الحاجة لمحافظيه المؤلفين من ماية جندي وبنى وراء البرج ركناً يُستخدَم كملجأ عند اللزوم فكان هذا البرج منيعاً جداً حتى أن السلطان قلاون الذي استظهر على أقوى الحصون يئس من أخذهِ لقلة ما عندهُ من السفن اللازمة لحصرهِ في البحر إلّا أن أمير طرابلس الحَّ على السيد برثولي بالاستسلام فانتهى به الرجا والتهديد إلى أنهُ استسلم فهدم المسلمون البرج والركن بحيث لم يتركوا لهما أثراً قال ومن ذاك العهد يبتدي تاريخ خراب طلعة مرقيه أيضاً التي كانت في موقع ماراتوس التي تكلم عنها استرابون (انتهى).

وروى ابن الوردي، انهُ في سنة 686 للهجرة الموافقة سنة 1288 مسيحية حاصر حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة صهيون وضايقها بالحصار والمجانيق ثم تسلمها بالأمان من سنقر الاشقر وحلف لهُ ثم سار إلى اللاذقية وفيها برج للافرنج يحيط بهِ البحر فعمل طريقاً إليه وحاصره وتسلمهُ بالأمان وهدمهُ. قال موسيو بوجولا أنهُ في سنة 1287 اجتمعت جميع قوات قلاوون على اللاذقية التي كانت تجارتها وقتئذٍ تخيف تجار الاسكندرية وكان في وسط البحر برج منيع جداً يمنع من الوصول إلى المدينة وكان السلطان يقدّم رِجلاً ويؤخر اخرى في الهجوم عليها وفي اثناء ذلك حدثت زلزلة هائلة هدمت جانباً من البرج كما أنها

هدمت برجاً آخر يُدعى برج الحمام ومنارةً كانت تضيء للسفن ليلاً فتشجع قلاون بهذه الحادثة معتبراً إياها كعلامة معونة من اللّه وشدد الحصار على المدينة بآلاتِه المريعة وكانت هذه الآلات منصوبة على رصيفٍ من الحجارة مبني في البحر ولم يلبث أن فُتحت لهُ نافذة فحينئذٍ لم يعدُ المسيحيون يجرون على المدافعة فاستسلموا وخرِجوا من البلد بالكنوز التي أمكنهم حملها فهدم المسلمون ذلك البرج الكبير الذي كان يقوم مقام قلعةٍ للمدينة من جهة البحر إلى الأرض.

أقول وقد ذُكر في بعض النبذ ما ملخصه أن المسلمين لما استخلصوا اللاذقية من يد الصليبيين استولوا على كنيسة يوحنا الكبيرة وكنيسة بندلايمون وغيرها من الكنايس الكثيرة العدد التي كانت فيها ولم يبقوا للمسيحيين سوى عشر كنايس وهي دير الفاروس وكنيسة الليمون وكنيسة اندراوس الرسول ودير ماري نيقولاوس ودير ماري جاورجيوس ودير السيده وكنيسة ماري يعقوب وكنيسة ماري سابا وكنيسة توما الرسول والكنيسة المعلقة على اسم السيده.

وقد زار اللاذقية ابن بطوطه السائح المغربي في أواسط الجيل الرابع عشر وذكرها في كتابه المسمَّى تحفة النظار في غرائب الأمصار الذي كتبه سنة 1356 مسيحية فقال. ثم سافرت إلى مدينة اللاذقية وهي مدينة عتيقة على ساحل البحر يزعمون أنها مدينة الملك الذي كان يأخذ كل سفينةٍ غصباً (هو ملك ذكُر في القرآن في سورة الكهف أنهُ كان على عهد موسى النبي) وكنت إنما قصدتها لزيارة الوالي الصالح عبد المحسن الاسكندري فلما وصلتها وجدتهُ غائباً بالحجاز فلقيت من اصحابهِ الشيخين الصالحين سعيد البجاءِي ويحيى السلاوي وهما بمسجد علاء الدين ابن البهاء أحد فضلاء الشام وكبرائها صاحب الصدقات والمكارم... وقاضيها الفقيه الفاضل جلال الدين عبد الحق المصري المالكي فاضل كريم تعلق بطيلان ملك الأمراء (والي طرابلس) فولاَّهُ قضاها... وبخارج اللاذقية الدير المعروف بدير الفاروص وهو أعظم دير بالشام ومصر يسكنهُ الرهبان (انتهى).

وروى ابن الوردي انهُ في سنة 740 هجرية الموافقة سنة 1340 م شُنق ابن المؤيد شرف

الديـن ابـو بكـر الواعـظ المحتسـب نائـب الوكالـه باللاذقيـة خافـوا بطرابلـس مـن طـول لسـانهِ واتصالـهِ بأعيـان المصرييـن وقامـت عليـهَ بيِّنـة بألفـاظ تقتضـي انحـلال العقيـدة فحملـوا عبـد العزيـز المالكـي قاضـي القدمـوس علـى الحكـم بقتلـهِ وشـارك فـي واقعـةِ القاضـي جـلال الديـن عبـد الحـق المالكـي قاضـي اللاذقيـة (وهـو الـذي ذكـره ابـن بطوطـه كمـا مـر) فتعـب القاضيـان بجريرتـهِ وقاسـيا شـدائد.

وفـي سـنة 1363 اهتـم بطـرس لوسـينيان ملـك قبـرص بتجديـد حـرب صليبيـه فلـم ينجـح اهتمامـهُ فـي أوروبـا ومـع ذلـك غـزا بمسـاعدة جمهوريـة البندقيـة وفرسـان رودس وبعـض أنفـار مـن أوروبـا اسـكندرية واحروقهـا ثـم اتـوا بعـد مـدةٍ إلـى سـوريا فاحرقـوا طرابلـس وطرطـوس واللاذقيـة وغيرهـنَّ ثـم اسـتمرت اللاذقيـة تحـت ولايـة الدولـة الجركسـية إلـى سـنة 1517 إذ اسـتفتح السـلطان سـليم الأول العثمانـي سـوريا ومصـر فصـارت اللاذقيـة تحـت ولايـة الدولـة العثمانينـة كباقـي المـدن السـورية.

قلـت وقـد بحثـت كثيـراً لكـي أتوصـل لمعرفـة الزمـن الـذي خُـرب فيـهِ ديـر الفـاروس فلـم اعثـر علـى ذلـك وقـد رايـت فـي بعـض الكتـب مـا ملخصـه انـهُ فـي عهـد اندرونيكـوس قيصـر القسـطنطينية (وهـو الثالـث بهـذا الاسـم الـذي تملـك مـن سـنة 1386 إلـى سـنة 1392 والظاهـر أن الـروم فـي تلـك الأوقـات ولئـن كانـوا تحـت تسـلط المسـلمين كانـوا يلتـذون بـأن يذكـروا القيصـر الـذي يكـون متملـكاً فـي القسـطنطينية عندمـا كانـوا يريـدون تعييـن الزمـان المقصـود منهـم) كان فـي ديـر الفـاروس مـن جملـة الرهبـان راهـب حمـوي الأصـل يدعـى سـابا فاتفـق أن بعـض اعيـان المسـلمين ذهبـوا ذات يـومٍ إلـى الديـر لأجـل التفـرج وفيمـا هـم يجولـون فيـهِ ومعهـم الراهـب سـابا كدليـل وقعـت بينـه وبينهـم مجادلـة دينيـة بعثتهـم علـى أن يغتاظـوا منـهُ ويحنقـوا عليـه فرجعـوا إلـى المدينـة مضمريـن لـهُ السـؤء فـي اليـوم الثانـي جـاء رسـلٌ إلـى الديـر مـن قِبَـل القاضـي يسـتدعون إليـه سـابا الراهـب المذكـور فسـار معهـم ولمـا انتهـى إلـى مجلـس القاضـي الـذي كان موقعـه بجانـب ديـر السـيده أُلقيـت عليـهِ المسـائل التـي كانـت قـد أُلقيـت عليـهِ فـي الديـر فأجـاب عنهـا بمـا أجـاب بـهِ فـي اليـوم السـابق فاحتـدم عليـهِ القاضـي والحاضـرون فـي مجلسـهِ غيظـاً وألقـي فـي السـجن حيثمـا

لبث اياماً يُعرَض عليهِ أن يجحد أقواله السابقة وهو يأبى ذلك ولما لم يتيسر لهم اقناعه قتلوهُ شنقاً .

قلت وكان في دير الفاروس انجيل يوناني قديم العهد مكتوب على رقّ نبش بعد خرابهِ من بين التراب وحُفظ في كنيسة القديس جاورجيوس حيثما هو موجود حتى الآ ن ويُعرَف بانجيل الفاروس قيل أنه ناسخة ثاوذوسيوس رئيس الدياره الذي كان في الجيل الخامس وقيل لا بل أنهُ كُتب بعد ذلك العهد.

وذُكر في جغرافية ملطيرون الفرنساويه عند ذكر مدينة اللاذقية ما تعريبهُ «أن أحد اغاوات الأتراك جدَّد بناءها بعد ما خربت خراباً كاملاً باثر الأضرار التي أثارها في الأجيال المتوسطة التتر الأتراك. ومن الغرائب أن تجدد مدينة بواسطة مَن من شأنهم الاكتفاء «بالخراب» قلت لعلهُ أشار بالأضرار التي أثارها التتر والأتراك إلى الحروب التي حدثت بين تيمورلنك المغولي الذي افتتح سوريا سنة 1400 م وبين الدولة الجركسية ويُقال أن اللاذقية بقيت مدةً طويلة خراباً خالية من السكان أو فيها سكان قليلون على الأصح وجُعل مركز الحكومة في جبله وأطلق على اللواء لواء جبله. ولما تولى فخر الدين ابن معن أمير جبل لبنان من حدود حلب إلى حدود القدس سنة 1624 وجال في بعض مدن ولايته قدم إلى جبله فقدَّم لهُ أهلها النفقات ثلثة أيام وعشرين الف غرش فطيب خاطرهم ورتَّب أحوالهم ولما غضبت الدولة العثمانية عليه إذ شمَّت منهُ رائحة العصيان وأرسلت عسكراً لمحاربتهِ وخلعهِ من الولاية ارسل جعفر باشا وزير البحر من بيروت عسكراً إلى قلعة المرقب فاستولى عليها ثم قُبض على الأمير فخر الدين ورجعت اللاذقية وطرابلس تحت حكومة والٍ واحد كما كان الحال قبل ولاية الأمير فخر الدين. والمشهور إذ الذي جدَّد بناء بعض ما خرب من اللاذقية وأعادها إلى بعض ما كانت عليهِ من الأهمية هو من بني المطرجي ولعلهُ أرسلان باشا المطرجي الذي تولى على طرابلس سنة 1693 م أو واحد من سلالتهِ ومن ثَمَّ أعيد مركز الحكومة من جبله إليها إلّا أن الدولة استمرت تطلق على اللواء لواء جبله بحسب ما هو مقرر في قيودها إلى حين دخول الحكومة المصرية تحت راية ابراهيم باشا سنة 1832 كما سيأتي.

هـذا وقـد عُلـم مـن بعـض الكتـب الكنايسـيه أنـهُ فـي النصـف الثانـي مـن الجيـل السـابع عشـر قـام علـى الكرسـي الانطاكـي بعـد وفـاة البطريـرك مكاريـوس الحلبـي بطريـركان بوقـتٍ واحـد أحدهمـا كيرلُّـس حفيـد البطريـرك المتوفـي والآخـر ناوفيطـوس مطـران حمـاه وبعـد منازعـاتٍ طويلـة بينهمـا تنـزّل ناوفيطـوس عـن البطريركيـة واسـتقل بهـا كيرلُّـس وصاقـب ذلـك وفـاة المطـران الـذي كان وقتئـذٍ علـى اللاذقيـة فأعطيـت ابرشـية اللاذقيـة إلـى البطريـرك ناوفيطـوس المتنـزل مضافـاً إليهـا جسـر الشـغر والسـويدية ليعيـش بوارداتهـا فجـاء إلـى اللاذقيـة نحـو سـنة 1684 وأقـام فيهـا اربـع سـنين ثـم توفـي ودُفـن فـي هيـكل مـار موسـى مـن كنيسـة القديـس نيقـولاوس فشـرطن البطريـرك كيرلُّـس شماسـهُ اغناطيـوس مطرانـاً علـى اللاذقيـة سـنة 1688 واسـتمرت الجسـر والسـويدية ملحقتيـن منـذ ذاك الحيـن بأبرشـيتها واقـام اغناطيـوس مطرانـاً فيهـا خمسـاً وعشـرين سـنةٌ ثـم توفـي سـنة 1714 ودُفـن فـي هيـكل مـار موسـى أيضـاً وخلفـه نيكيفـورس القبرصـي وفـي أيامـه جـرى ترميـم كنايـس اللاذقيـة سـنة 1722 وقـد وقفـت علـى تاريـخ ترميمهـا ولا بـأس مـن ايـرادهِ هنـا بعـد تصحيـح عباراتـه مـع مـا فيـه مـن التطويـل لأن منـهُ يسـتدل عـل روح ذلـك العصـر وهـو أنـهُ فـي 9 تشـرين الثانـي 1133 للهجـرة فـي زمـن ولايـة أحمـد باشـا ابـن سـوار علـى طرابلـس وولـده مصطفـى بـك علـى مدينـة اللاذقيـة سـقط فـي نصـف الليـل حائـط كنيسـة مـاري نيقـولاوس الشـمالي وحـدث ارتجـاج عظيـم فـي المحلـة وفـي صبـاح اليـوم التالـي بعـد انتهـاء القـداس وانصـراف المسـيحيين مـن الكنيسـة سـقط الحائـط الغربـي بتمامـه وقـال مـؤرخ هـذه الحادثـة. فأخبرنـا بذلـك الحاكـم مصطفـى بـك فنـزل هـو والقاضـي واغـاوات البلـد وشـاهدوا الخـراب ثـم أمـر البـك برفـع الأحجـار وجمعهـا فـي جانـب الكنيسـة ناهيـاً عـن بنائهـا علـى أنـهُ لـم يـؤذن برفعهـا حتـى اخـذ ميئـةً وخمسـين غرشـاً مـن المسـيحيين. وبعـد ذلـك سـار إليـه بعـض أعيـان المسـيحيين وترجـوهُ أن يصيـر تقديـم عـرض حـال للدولـة يتضمـن الاسـتئذان بترميـم الكنايـس الخمـس الموجـوده فـي اللاذقيـة ويسـتحصل لهـم بـه؛ فرمانـاً شـريفاً فأجابهـم إلـى ذلـك وجمـع عنـدهُ مجلسـاً مولفـاً مـن قاضـي اللاذقيـة خليـل افنـدي ومفتيهـا عبـد الرحمـن افنـدي ومشـايخ المدينـة فكتبوا عرضحـال الاسـتئذان وختمـوهُ وأرسـلوهُ إلـى محمـد باشـا والـي طرابلـس وبعثـوا إليـه بمكتـوب قالـوا فيه

أن الذميين لا يقيمون في المدينة بغير كنايس وإذا نزحوا ينقص المال الأميري فلما اطلّع أحمد باشا على ذلك صادق على العرض وانفذهُ من جوحه دار إلى الدولة ومكثنا ننتظر أياماً وليالي حتى مضت نحو نصف سنة ولم يرد الفرمان وفي أثناء ذلك قدم من القسطنطينية رجل ارمني اسمهُ سنجوس من الصيارفه كان له دين على باشا طرابلس فذهب لزيارة القدس وبرجوعهِ منها مرَّ عل اللاذقية فرأينا من الضروري المخابره معه لأجل الفرمان إذ بلغنا أنهُ مسموع الكلام عند بعض أرباب الدولة فدعاهُ الخواجه جرجس لطف الله إلى وليمةٍ عندهُ دعا إليها المطران نيكيفورس القبرسي مطران اللاذقية ومن الكهنة الخوري الياس عرنوق والخوري موسى كريش (وهو مؤرخ هذه الحادثة في الغالب) ومن العلمانيين نصور خربان وبشاره موسى وفرح عقاد وبعد الفراغ من الطعام تداول جرجس لطف الله مع الصراف باللغة التركية في أمر الخمس كنايس وحدثهُ بكيفية تقديم عرض الاستئذان وأبطأ ورود الفرمان وترجاه ان يسعي في القسطنطينية للحصول عليه وفوضه بانفاق ما يلزم من الدراهم لأجل ذلك فأجابه الصراف بالايجاب وتعهد لهُ باستحصال الفرمان وعند سفرهِ كرّر الرجا لهُ بالحاحٍ أيضاً ثم انتظرنا بعد ذلك مدةً طويلة كانت ترد فيها مكاتيب منهُ تتضمن الوعد بصدور الفرمان من يوم إلى آخر مع وصف صعوبة استحصال فرمان كهذا بترميم خمس كنايس دفعةً واحدة. ثم بعد تعب جزيل ومصاريف وافره صدر الفرمان وورد إلى اللاذقية نهار السبت في 30 كانون الأول سنة 1134 للهجرة فاستدعى الحاكم جرجس لطف الله وبشرهُ بورودهِ وأرسلهُ ليبشر المطران ويخبره انهُ سيرسله إلى أحمد باشا ليصدر على موجبه بيورلدي ثم ارسل الفرمان نهار الأحد نحو الظهر إلى طرابلس فأعيد مرافقاً ببيورلدي من الباشا وكان ورودهما يوم الخميس (4 كانون الثاني فعزم البك أن يعقد مجلساً يوم الجمعة الموافق بارامون الغطاس فالتمس منهُ مراد الصراف الذي كان وقتئذٍ صرافاً في الحكومة أن يؤخر ذلك إلى ما بعد الغطاس فأجاب التماسه وفي يوم الأحد الموافق عيد القديس يوحنا المعمدان استدعى البك المطران نيكيفورس والخوري الياس عرنوق من كنيسة ماري نيقولاوس والخوري موسى الكيس من كنيسة ماري اندراوس والخوري نقولا الحبشي من

كنيسة ماري سابا والخوري موسى كريش من كنيسة ماري جاورجيوس والخوري سليمان من كنيسة السيده. ومن الأعيان الخواجه جرجس لطف الله وبشاره موسى والخواجه سلامه خربان والمقدسي عبداللّه الرشيدي فسرنا إلى دار الحكومة وجلسنا في الايوان ننتظر حضور اغاوات البلد والمشايخ قال وفيما نحن جالسون بالانتظار جيءَ برجل مسلم إلى أمام البك متهم بذنب عظيم فأمر بجلده فجلد أمامنا أكثر من خمسماية جلده ثم نُفي أيضاً. وبعد ذلك عُقد المجلس ودخلنا إلى داخل ووقفنا جميعاً، فأخرج البك الفرمان الشريف وأمر بقراءته أمام الجمهور ولما تمت قرآءته قال للحاضرين من المسلمين ما قولكم تأذنون لهؤلاء الذميين أن يرمموا كنايسهم حسب منطوق الفرمان السلطاني فقالوا جميعاً أن أمر مولانا السلطان مقرون بالسمع و الطاعة وكلنا نوافق على ترميم كنايس الذميين لأن منهم فائدة في المال الأميري في المدينة فأمر البك حينئذٍ بالركوب للكشف على الكنايس وركب هو والقاضي والمفتي والاغاوات والمشايخ وكانوا أكثر من مائة نفس وسرنا نحن أمامهم مشاة إلى كنيسة ماري نيقولاوس فدخلوا الكنيسة وعاينوا المهدوم وخمنوا الترميمات المقتضية لها من داخل ومن خارج وكتبوها في دفتر لكي لا يُزاد في البناء حجر واحد على ما كُتب ثم فعلوا كذلك في الكنايس الاربع الأخرى ولما ضمنوا ترميمات كنيسة السيده جرت محاوره طويلة لجهة ترميم بيت النساء لأنهُ كان يستدعي الهدم والبناء مجدداً نظراً لكثرة تشعثه وبعد جهدٍ جهيد اذنوا بذلك وهكذا في كنيسة ماري سابا ولما انتهى التخمين حصل فرح عظيم عند المسيحيين وفي اليوم الثاني نهار الاثنين /8 كانون الثاني صباحاً شرعنا في ترميم حائط كنيسة ماري نيقولاوس وحائط كنيسة ماري اندراوس الخارجيين وذهب المطران وجرجس لطف اللّه لكي يستخرجا أعلاماً بالبناء من القاضي فوجداهُ قد عدل عما صار عليه القرار من التخمينات بالأمس وقال لهما لا يمكنني اعطاء اعلامٍ حسب التخمين لأنني أخشى على نفسي فتوسلا إليه كثيراً فلم ينفعهما التوسل فوقعنا في حيرةٍ وارتباك لأننا كنا قد شرعنا في العمل بدون اعلام وهدمنا جانباً من بيت النساء في كنيسة السيدة وفي كنيسة ماري سابا فأوقفنا حينئذٍ العمل للحال وسرنا إلى المفتي وسار جرجس لطف اللّه

إلى حسين افندي كاتب الحكومة فاستدعى إليه القاضي وتحاور معهُ طويلاً بشأن اعطاء الاعلام فلم يجبه إلى ذلك. فصرفنا حينئذٍ البنائين من كنيسة ماري نيقولاوس نحو ساعتين حتى نستحصل رضى القاضي إلّا أن القاضي أنفذ من قِبلَهِ رسولاً يُدعَى قره محمد قامر البنائين أن يشتغلوا في الحائط الخارجي إلى حين صدور الأعلام ثم أن حسين افندي دعا النصارى فمضيا إليه وكان القاضي لم يزل عندهُ فطلب منا فتوى كنا قد اخرجناها من المفتي فدفعناها لهُ ولما قرأها القاضي قال أنني لا أقبل هذه الفتوى وإنما اريد فتوى تتضمن تسويغ هدم البناء المائل إلى السقوط وتعميره ثانيةً (مشيراً بذلك إلى بيتي النساء في كنيستي السيده وماري سابا) فذهب بعضانا إلى المفتي واخبروهُ بذلك فأعطاهم فتوى وافية بالمقصود لأنهُ كان مساعداً لنا لأننا كنا قد أخرجنا له العطاء فيما سبق فأخذوا الفتوى إلى القاضي الذي كان لم يزل عند حسين افندي فتُرجمت لهُ إلى التركية لأنهُ لم يكن يعرف العربية فلم تعجبه فأظهر حينئذٍ حسين افندي الغيظ ثم مضى القاضي من عنده إلى بيته فمضينا نحن إلى المفتي وأخبرناهُ بما جرى فقام ومضى إلى القاضي وحاورهُ كثيراً بحدَّةٍ وكان القاضي حديث العهد بالمجيء إلى المدينة فلم يكن يعرف أحوال ومشارب أهلها ثم بعد العناء والجهد الوافر اقتنع وكتب الاعلام نسختين متضمناً الاذن بالبناء على حسب التخمين وفي يوم الأربعاء صباحاً جاء نائب القاضي ومعهُ نسختا الاعلام واستدعانا للذهاب إلى حسين افندي فسار معهُ المطران وجرجس لطف اللّه فدفع النائب نسختي الاعلام إلى حسين افندي فقرأهما ثم دفع واحدةً إلى المطران وأعاد الثانية إلى النائب ليكون ناظراً على البناء لئلاً يحدث فيه تجاوز لما هو مقرر وأوصى المسيحيين بالاسراع في اتمام العمل بلا تماهل فانصرفوا من عندهِ وهم يكادون يطيرون فرحاً ثم جرى الشروع بالبناء في الكنايس الخمس في يوم واحد بنشاط وهمة لا مزيد عليهما فكان في كنيسة مار نيقولاوس عشرة معلمين وماية فاعل وفي كلٍ من باقي الكنايس ستة وسبعة معلمين وخمسون أو ستون فاعلاً وكان نائب القاضي يأتي كل يوم صباحاً ويقيم إلى المساء مناظراً للعمل وفي ظرف عشرين يوماً انتهى البناء والترميم في الكنايس الخمس وكنا في أثناء هذه المدة نستعطف خاطر الكبير والصغير من المشايخ

وغيرهـم مـن المسـلمين وبلغـت الدراهـم التـي بُذلـت فـي سـبيل هـذا العمـل سـبعة آلاف غـرس عـدا مصـروف البنـاء (انتهـى).

وفـي سـنة 1744 مسـيحية أظهـر أهـل الجبـال النصيريـة العصيـان علـى الحكومـة فلـم يتمكنـوا مـن بيـع حاصـل تلـك السـنة مـن التبـغ بسـبب انقطـاع المواصلـة بينهـم وبيـن أهـل المدينـة فعلقـوهُ فـي سـقوف بيوتهـم ودخـل عليهـم الشـتاء وهـم علـى هـذه الحـال فجعلـوا يوقـدون النـار فـي البيـوت كعادتهـم فـي كل شـتاءٍ للاصطـلاء مـن البـرد فالتصـق دخانهـا بالتبـغ المعلـق بالسـقوف فاسـودَّ لونـهُ وفـي السـنة التاليـة اصلحـوا أمورهـم مـع الحكومـة، ورجعـت المواصلـة بينهـم وبيـن أهـل المدينـة إلـى مـا كانـت عليـه فاشـترى منهـم التجـار ذلـك التبـغ بثمـن بخـس لاسـوداده وتغيُّـر هيئتـهِ بالتدخيـن وارسـلوهُ إلـى دميـاط كجـاري عادتهـم فوافـق طعمـهُ ورائحتـه مـذاق المصرييـن وراجـت سـوقه عندهـم وجـدَّ طلبـه فلمـا علمـت تجـار اللاذقيـة بذلـك أشـارت علـى أهالـي الجبـال أن يعلقـوا محصـول السـنة التاليـة ويدخنـوهُ كالـذي قبلـه ومـن ذلـك الحيـن جعلـوا يعالجونـهُ علـى هـذه الصفـة كل سـنة وهـو التبـغ المعـروف الآن بالجبلـي أو الأبـو ريحـه.

ويسـتفاد مـن الآثـار الكنائسـية، 4 تمـوز سـنة 1767 توفـي فـي اللاذقيـة البطريـرك الانطاكـي فيليميـون ودُفـن فـي هيـكل مـار موسـى مـن كنيسـة القديـس نيقـولاوس. هـذا وأننـا لـم نعثـر علـى مـا يُسـتَدل منـهُ علـى زمـان وفـاة المطـران نيكيفـورس وانمـا خلاصـة مـا اسـتدللنا عليـه انـهُ فـي سـنة 1783 كان علـى اللاذقيـة مطـران يُدعـى سيلبسـترس ثـم خلفـه يوانيكيـوس.

وفـي سـنة 1796 حدثـت فـي اللاذقيـة زلزلـه هائلـة كتـب عنهـا أحـد رجـال ذلـك الزمـان مـا ملخصـه «أنـهُ فـي يـوم الثلاثـاء خامـس عشـر شـهر نيسـان سـنة 1796 م الموافـق 18 شـوال سـنة 1210 هجريـة وهـي السـنة السـابعة مـن جلـوس السـلطان سـليم العثمانـي علـى تخـت القسـطنطينية فـي زمـن ولايـة عبداللّـه باشـا ابـن محمـد باشـا العظـم علـى دمشـق وولايـة موسـى باشـا علـى طرابلـس واللاذقيـة فـي السـاعة الثالثـة مـن النهـار حدثـت زلزلـه مريعـة هائلـة فـي اللاذقيـة وسُـمعت أصـوات مفزعـة كالرعـد القاصـف فـي جـوف الأرض فهُدمـت أكثـر منـازل المدينـة وقُتـل كثيـرون تحـت الـردم وكثيـرون سـقط فوقهـم الـردم فبقـوا تحتـهُ حتـى كُشـف عنهـم وأخرجـوا سـالمين

ومنهم مَن كسُرت وتعطلت بعض جوارحه وأما عدد الذين ماتوا تحت الردم فلم يُضبَط مقداره أما الذين سلموا فهربوا إلى البراري والبساتين وصنعوا لهم خياماً ومظلات أقاموا تحتها أشهراً ونَقَل صيادوا السمك الذين كانوا عند مصب النهر الكبير وقت حدوث الزلزله أن مياه النهر غارت وقتئذٍ وحكى غيرهم أن الأرض في بعض الأماكن كانت تنشق وتنفتح كالوديان ثم تنطبق وبعضهم رأوا السواقي والينابيع نشفت ثم خرج منها ماء أحمر كالدم. أما معظم الخراب فقد كان في الأماكن الواقعة في وسط المدينة إلى طرفها الغربي على أن الأماكن التي لم تسقط تزعزعت واضطر أصحابها إلى هدمها وبنائها مجدداً فكانت الرزيئة فيها عامة وأصبحت المدينة وسكانها في أسوأ حال وفيما هم في هذه الشدة وفد إليهم متسلماً محمد ابن العكش ابن السباعي ملتزماً مال اللاذقية من قِبَل موسى باشا والي طرابلس واللاذقية ومعهُ مايتا عسكري فجزعت المدينة لقدومه وكان المتقدم فيها ابرهيم آغا أبو بلطه وهو رئيس تجار كرخانة الدخان فسعى هو والتجار بجمع دراهم من التركمان والصهاونة وسكان بيت الشلف لأجل ارضائه خوفاً من وقوع محذور وفي شهر حزيران سافر المتسلم المذكور إلى حلب ومات فيها بعد شهر وفي سنة 1799 طُلب من اللاذقية مال ورجال إلى عكا للمعاونة على طرد بونابارته الذي كان قد أتى بالجيوش الفرنساويه لفتحها فذهب ابرهيم آغا ابو بلطه بعددٍ من الرجال إلّا أنهُ لم يقدر على جمع مؤنة كافية لهم فوعدهُ حنا كبه وهو رجل مسيحي من الروم الأرثوذكس ومتقدم بين تجار الكرخانة بأنهُ يسعى بارسال مؤنةٍ كافية لهُ بعد ذهابهِ بمدةٍ قصيرة فذهب وجعل ينتظر المؤونة الموعود بها فلم تُرسَل اليهِ فأقسم انهُ برجوعه إلى اللاذقية سيشنق جميع تجار الدخان وفي مقدِّمتهم حنا كبه لكنهُ مات بالطاعون في عكا ولم يبلغ مأربه وفي هذه المدة كان أهالي اللاذقية قد ضجروا من حكومة باشاوات الجرده وهم ولاة طرابلس واللاذقية وتضييقهم وشدتهم فإن هؤلاء الباشاوات كانوا يلتزمون مال طرابلس واللاذقية من الدولة ببدلٍ معلوم ويتعهدون بقيام الجرده أي بتقديم لوازم الحجاج إلى آخر حدود أرض الشام فإذا آن زمان الحج ضايقوا الأهالي بطلب الأموال والاكلاف على حسب ما يعنُّ لهم فكان سكان اللاذقية يطلبون طريقة للتخلص من

حكومة هؤلاء الباشاوات وكان حنا كبه الذي مرَّ ذكرهُ رجلاً حاذقاً مقداماً جسوراً محباً للتقدم فلم يؤخره كونه مسيحياً عن أن ينتهز الفرصة التي تقضي لهُ بالوجاهة والتقدم فجعل يتخاير مع وجوه مسلمي البلدة حتى اقنعهم بوجوب السعي في اكتساب الراحة بكل وسيلة وأن يفوضوا الأمر إليه فيستحصل لهم الاستقلال بما عنده من الوسائط والتعهد للدولة بمال اللاذقية رأساً بدون واسطة باشاوات طرابلس فوقع كلامه هذا موقع القبول والاستحسان في أعين القوم الذين كانوا يئنوُّن تحت حمل أثقال وأكلاف الباشاوات فأجابوهُ لذلك فشرع يستعمل الوسائط اللازمة للحصول على المقصود وارسل إلى القسطنطينية ميخائيل ديب أحد مسيحيي حلب لكي يسعى في ذلك بواسطة أخيه ثيودور زكي ديب المقيم فيها بوظيفة كاخيه امير الفلاخ والبغدان وكانت لهُ وجاهة لدى الوزراء ووكلاء السلطنة فاستحصل فرماناً يتضمن سلخ اللاذقية عن طرابلس وجعلها محصلية مستقلة متعلقة رأساً بالباب العالي وتعيين محصّل مسلم بكفالة حنا كبه الذي تعهد بتوريد مال لواء اللاذقية (الذي كان نحو مائتين وعشرة آلاف غرش سنوياً) فلما وصل الفرمان للاذقية وجرى اعلانه وبلغ ذلك الباشا الذي كان وقتئذٍ متولياً على طرابلس غضب وجمع عساكر من عكار والمرقب وتلك الجهات واتى بها إلى اللاذقية للانتقام من حنا كبه ولما بلغ ذلك حنا كبه شرع بعمل سورٍ للمدينة وتحصينها على قدر الاستطاعة وجمع اسلحة ومهمات ووزعها على الأهالي مسلمين ونصارى ووعد بهبةٍ مالية كل من يقتل شخصاً من الأعداء في ساحة الحرب ويأتيهِ برأسه. على أنهُ كان خائفاً من كثرة عساكر عدوهِ واقتدارها فقدَّر الانكسار واعدَّ سفائن في المينا ليهرب فيها بعائلتهِ اذا دارت الدائرة عليهِ ولما وصل الباشا إلى خارج اللاذقية بعسكرهِ دارت رحى الحرب بين الفريقين وكان حنا كبه ينشّط الأهالي ويجود على كل مَن أتاهُ برأسٍ من عساكر العدو ويعطيه وافره فتولدت الغيرة والحماسة عند الأهالي وثبتوا في ساحة القتال إلّا أن عساكر العدو ازاحتهم أخيراً عن مواقفهم وهجمت على المدينة ودخل بيرقدارها وشك البيرق في دار الحكومة وكاد الانتصار يتم إلى الباشا لكن من الاتفاق الغريب أنهُ فيما أن البيرقدار يشك البيرق إذا برصاصةٍ اصابته فخرَّ قتيلاً وسقط البيرق من يدهِ فكانت هذه

الحادثة كافيةً لاجفال عساكر الباشا ورجوعها فتشجع حينئذٍ الأهالي وهجموا عل عساكر الباشا الذين اصابهم الفشل والهلع فاستظهر عليهم الأهالي وما زالوا يفتكون بهم حتى اركنوا إلى الفرار فولوا مدبرين وولّى الباشا معهم ولم يزل الأهالي يتبعهونهم حتى مزقوهم كل ممزَّق وعادوا ظافرين فعظمت بذلك هيبة حنا كبه وامتد صيته وسطوته فدانت لهُ البلاد ساحلاً وجبلاً وصار أهلها يأتون لهُ بالمرتبات والأموال الأميرية واستخدم عندهُ عسكراً مشاةً وأرناوطاً وفرساناً واستحضر إليه عمر آغا كوله أحد أغاوات جبل الأكراد وجعله دالي باش أي رئيس الفرسان فكان إذا تمردت عليه احدى المقاطعات وتمنعت عن آداء الأموال يسوق عليها عساكره أو ينفذ إليها أهالي المقاطعات الأخرى وهكذا تمكن من إدراة الأمور وجرَّ جميع سكان لواء اللاذقية وجبله إلى الانقياد لهُ ثم شرع في بناء ترميم المساجد والكنايس التي هدمتها زلزلة سنة 1796 وأصلح بعض الطرق في المدينة والاسكله وفي غضون ذلك جاء إلى اللاذقية محمد باشا أبو مرق من اخصاء الصدر الأعظم يوسف ضياء باشا فاستقبله حنا كبه بمزيد الاكرام وانزلهُ في منزله وعيَّن لهُ النفقات والخدم كما يليق بشأنهِ فسرَّ بذلك أبو مرق غاية السرور وكتب إلى الصدر الأعظم يعلمهُ بقصته أما الجزَّار فلما بلغهُ أن أبا مرق ملتجيء عند حنا كبه كتب إليه يطلبه منهُ فأبى حنا كبه تسليمه فحنق عليهِ الجزار وفي أثناء ذلك وردت الأوامر من الصدر الأعظم باعادة أبي مرق إلى يافا كما كان وتحذير الجزار من التعرض لهُ فعاد أبو مرق إلى ولايتهِ وكتب إلى الصدر الأعظم يصِف لهُ الجميل الذي أولاهُ اياه حنا كبه ويطنب لهُ بمديحهِ ويلتمس مكافأته. أما الجزار فقصد الانتقام من حنا كبه وكاتب عدره آغا صاحب المرقب يهيجه على العصيان على حنا كبه والسعي بهلاكه فأجابه إلى ذلك وتمنع عن آداء الأموال مشهراً العصيان فساق حنا كبه العساكر لمحاربتهِ فتحصن عدره آغا في قلعة المرقب ولم يظفر بهِ حنا كبه فرجع عنهُ وكان عمر آغا كوله قد وقع اسيراً عند عدره آغا ولما وصل حنا كبه إلى اللاذقية ذهبت إليه امرأة عمر آغا كوله والتمست منه إنقاذ زوجها فكتب إلى عدره يطلبه منهُ ويخابره بالصلح فانفذه إليه وتقرر بينهما الصلح وقيل أن عدره آغا لم يطلق عمر كوله حتى أخذ عليهِ عهداً وميثاقاً بأنهُ يقتل حنا

كبـه. هـذا وكان حنـا كبـه قـد قـلَّ معـهُ المـال ومـلَّ مـن كثـرة المصاريـف والوظائـف فصـرف أكثـر الفـوارس الـي كانـت تحـت قيـادة عمـر آغـا كولـه وصـرف الارنـاؤط أيضـاً وكانـوا مسـيحيين فأشـار عليـهِ بعـض أقاربـه واصحابـه أن لا يصرفهـم لأنهـم يحمـون جانبـه فلـم يقبـل مشـورتهم أمـا عمـر آغـا كولـه فأظهـر الغيـظ والكـدر مـن صـرف عسـاكره وقـال أهـذه هـي المكافـأة التـي اسـتوجبها علـى اتعابـي وأسـري فـي خدمتـي لـهُ وجعـل يسـتغيب حنـا كبـه متطـاولاً ولمـا بلـغ ذلـك حنـا كبـه لـم يبـالِ بـهِ. وقـال انمـا هـو مـن بعـض خدّامـي ولا يجسـر علـى اجـراء شـيء ضـدي. لكـن عمـر آغـا كولـه كان قـد صمـم علـى قتلـه وكان عـدره فـي المرقـب والمسـلمون فـي اللاذقيـة يحثونـه علـى ذلـك ليتخلصـوا مـن حكومـة رجـلٍ نصرانـي فنـزل ذات يـوم إلـى خـان الاسـكله الـذي كان يُعـرَف وقتئـذٍ بخـان الدخـان وكان مركـز اقامـة حنـا كبـه ومقـر أشـغالِه فدخـل إليـه ومعـه بعـض رجالـه ثـم طلـب مـن حنـا كبـه علائـف العسـاكر فوعـدهُ بهـا فلـم ينكـفَّ عـن طلبهـا معجـلاً بقحـةٍ فانتهـرهُ حنـا كبـه فرفـع حينئـذٍ بارودتـه ليطلـق عليـهِ الرصـاص لكنـهُ ارتـدَّ ولـم يفعـل فاندفـع إذ ذاك رجـل يُقـال لـهُ الهيطلـي واطلـق الرصـاص علـى حنـا كبـه فقتلـهُ وكان عنـدهُ رجـل اسـمهُ ميتـا يونانـي الجنـس غنـي مـرَّ مسـافِراً علـى اللاذقيـة فحسَّـن لـهُ حنـا كبـه بالاقامـة فيهـا فأجابـهُ إلـى ذلـك وصـار خزنـداراً عنـدهُ فلمـا قُتـل قتلـوهُ معـهُ وكان قاتلـه رجـلاً يقـال لـهُ مصطفـى الـكلّ وحـدث ذلـك سـنة 1803 ولمـا قُتـل حنـا كبـه دهمـوا بيتـه ومنازلـه وضبطـوا جميـع موجوداتـه وأملاكـه ولـم يتركـوا لعائلتـه شـيئاً تعيـش بـهِ سـوى مـا أمكـن امرأتـه أن تخبئَـه مـن الحلـي عندمـا فاجأهـا خبـر قتلـه. وكان إذ ذاك قـد وصـل إلـى الصـدارة العظمـى عـرض ابـي مـرق المتضمـن مديـح حنـا كبـه وقبـل وصولـه كان قـد بلـغ إليهـا عـرض مـن والـي حلـب يتشـكى فيـه مـن حنـا كبـه بأنـهُ يهيـج علـي آغـا رسـتم احـد اغـاوات جبـل الأكـراد علـى الاغـارة والنهـب مـن الشـغر ونواحيهـا التابعـة ولايـة حلـب وأنـهُ قـد كاد يخـرب تلـك الجهـات وهـو رجـل نصرانـي قـد عتـا وتكبَّـر واضـرّ بالمسـلمين فلمـا اطلـع الصـدر الأعظـم علـى هـذا العـرض احتـدم غيظـاً إلّا أنـهُ فيمـا هـو علـى تلـك الحـال ورد إليـه عـرض ابـي مـرق الـذي كان محبوبـاً منـهُ وثيـق بصداقتـه فلمـا قـرأهُ سُـرَّ وقـال أن والـي حلـب كاذب وللحـال بعـث إلـى حنـا كبـه بخلعـة سـنية ودبـوس وغـداره ممـا كان يسـتعمله البـكاوات فـي تلـك الأيـام وأنعـم عليـهِ بلقـب بـك

وجاء بذلك من القسطنطينية بريد مخصوص ولما وصل البريد إلى انطاكيه بلغهُ خبر قتل حنا كبه فضرب بقلنسوتهِ الأرض وجعل يندب سوء حظّهِ على ما فاته من الهبة. ومن الاتفاق الغريب ما حكتهُ لي امرأة حنا كبه نفسها وأعرفها عجوزاً عمياء قد جاوزت الثمانين فقالت أنني في ليلة اليوم الذي قتل فيه رأيت في الحلم انني امضيت إلى الحمام ولما استحممت خرجت لكي البس ثيابي فلم أجد بينها عصابتي فلما انتبهت من النوم قصصت عليه ذلك الحلم فتشآم منهُ فقلقت لذلك ونهيته عن النزول إلى المينا في ذلك اليوم فلم ينتهِ... قلت ولما قتُل حنا كبه كان أبوهُ لم يزل في قيد الحياة وكان وحيداً لهُ فحزن عليه الحزن الشديد وحبس نفسهُ في بيتٍ لم يخرج منهُ إلى أن مات. وكان لحنا كبه ابنان أحدهما يُدعَى جرجس والآخر ديمتري وبنت تُدعَى ايرين فبعد قتله ذهبت امرأته بأولادها إلى طرابلس ثم أشير عليها ان تمضي إلى محمد باشا أبي مرق في يافا فلا بد أن ترى منهُ خيراً مكافأةً لمعروف زوجها معهُ ثم تزور بيت المقدس فاستحسنت هذا الرأي وسافرت بأولادها إلى يافا فاستقبلها أبو مرق أحسن استقبال وعين لها النفقات الجزيلة وعاملها أكرم معاملة وقال لها انها ستمكث عندهُ لأنهُ سيزوج ابنتها بسمعان صالح رئيس كتاب تلك الأياله ويربي ولديها الذكرين ويعلمهما لأنهما عندهُ بمنزلة ولدين لهُ ثم استدعى سمعان صالح واعلمهُ بالأمر وكان لسمعان صالح خطيبة أخرى فاعتذر فلم يقبل لهُ عذراً بل قال لهُ اعطِ خطيبتك تلك إلى ابنك (وذلك لأن سمعان صالح كان وقتئذٍ ارمل ولهُ ابن شاب من امرأته الأولى يُدعَى سالماً وعدة بنات) وخُذ أنت هذه فأنها جميلة وكريمة الحسب والنسب وهي بمنزلة ابنتي فهل لك أن ترفضها فخجل حينئذٍ أن يخالفه والتزم القبول أما أرملة حنا كبه فقد شقَّ عليها امر التغرب وحنت إلى وطنها وأهلها فتوسلت إلى أبي مرق أن يعفيها من الاقامة ويسمح لها بالعودة إلى بلدها فوعدها بإجابة مرغوبها ولما علم سمعان صالح بالأمر، وكان قد مال إلى الاقتران بالابنة راجع أبا مرق في ذلك وحمله على الأخلاف بوعدهِ وعدم السماح لأرملة حنا كبه بالرجوع ثم جرى عقد خطبة ابنتها على سمعان صالح. هذا وكان الجزار لم يزل يضمر السوء إلى أبي مرق وأبو مرق يتأهب للمدافعة فالتمست امرأة حنا كبه من سمعان صالح أن

يسمح لها بأن تذهب بأولادها إلى وطنها ثم تعود عندما تسكن الأحوال فأجابها إلى ذلك فسافرت إلى طرابلس.

وفي سنة 1804 شُرطن على اللاذقية المطران غفرئيل خليفةً للمطران يوانيكيوس وفيها توفير الجزار وتوجهت ولاية عكا على سليمان باشا فقرَّب سمعان صالح وولَّى على فلسطين باشا من غلمانهِ يُكنَّى ابا نبُّوت وسكنت الأحوال في تلك البلاد فانفذ سمعان صالح رسولاً إلى طرابلس ليذهب بأرملة حنا كبه وأولادها إلى يافا فحاولت التردُّد عن الذهاب غير أن معارفها قالوا لها لا حيلة لكِ إلّا بالذهاب لأن سمعان صالح قادر أن يأخذكِ جبراً نظراً لوجاهته عند سليمان باشا فامتثلت وبعد وصولها إلى يافا مع أولادها جرى عقد زواج ابنتها على سمعان صالح وأما ولداها جرجس وديمتري فبعد أن أقاما مدةً في يافا سافرا إلى القطر المصري فتوفي ديمتري فيه شاباً غريباً وأما جرجس فأقام عند باسيلي فخر المشهور في دمياط نظراً لصداقةٍ كانت بينه وبين أبيه وتثقَّف على يديهِ ثم صار يتنقل إلى فلسطين واللاذقية ولما قُتل صهرهُ سمعان صالح كما سيأتي توطن في اللاذقية وقضى حياته فيها غريباً وتوفى سنة 1857 وانقطعت بهِ سلالة حنا كبه من الذكور وكان جرجس كبه ظريفاً مزَّاحاً لذيذ المعاشرة لهُ مراسلات وتآليف هزلية مضحكة منها كتاب روضة العزبان الفه سنة 1824 في مدينة القدس وهو يتضمَّن تفضيل حالة العزوبة على حالة الزواج وشرح صعوبات الزواج وعواقبه وكتاب كبه وكرنبه ألفهُ سنة 1831 في مدينة غزة وهو يتضمن بيان الفرق الكائن بين العوائد والملابس الافرنجية والعربية على أسلوب جدالٍ بينهُ وبين كرنبه وهو اسم استنبطُ لرجل افرنجي ليس لهُ رسم في عالم الوجود ونسب إليه التحزب للملابس والعوائد الافرنجية وبنى مناقشته معهُ. وقد طُبع مؤخراً كتاب روضة العزبان في مصر ببعض تغيير محذوفاً منه اسم مؤلفه وهذا عيب على مَن طبعهُ. ولهذين التأليفين طلاوه مع كونهما غير معربين لأن مؤلفهما لم يكن يعرف قواعد العربية. أما أرملة حنا كبه فبقيت في فلسطين عند ابنتها مدةً تنوف عن عشرين سنة حتى قُتل صهرها سمعان وعلَّة قتله أن أبا نبُّوت والي فلسطين بعد أن تولى حكم تلك البلاد مدة طويلة سئمت الرعية من حكومته وافتعلت لهُ

سبباً أوجبه للذهاب إلى عكا. ولما عاد منها أغلِقَت في وجههِ أبواب يافا وهاج عليهِ الناس فخاف وفرَّ هارباً فنُسبت هذه الثورة إلى سمعان صالح اعتقاداً بأنهُ لو لم تكن له ارادة بها لأمكنهُ ردع الأهالي وبعد مدةٍ من الزمان تولَّى على دمشق بطريق الوكالة حسين باشا وكان من غلمان سليمان باشا رفيقاً لأبي نبوُّت ومحباً لهُ كأخٍ فلما أقيم وكيلاً في ولاية دمشق وكان مرجع حكومة فلسطين إليها قصد الانتقام من سمعان صالح وانفذ إليه أمراً يستدعيهِ فيه بالحضور إلى دمشق لتقديم محاسبة البلاد فاعتذر وارسل ولده سالماً بالمحاسبة فلما وصل إلى دمشق وضعهُ حسين باشا في السجن وأرسل يتهدد والده في قتلهِ إذا لم يأتِ بنفسهِ إلى دمشق فسار إليها وبوصوله وضعه في السجن وبعد ذلك بيومين شاع خبر قرب وصول الوالي الأصيل وكانت له معرفة بسمعان صالح فخشي حسين باشا من أنهُ يطلقه بعد وصوله فشنقه للحال وشنق معهُ صهره زوج ابنتهِ قسطنطين برهومه الذي كان قد رافقهُ من يافا ثم لما كان المساء حُلَّا من المشنقة فوجد قسطنطين برهومه لم يزل فيهِ رمق من الحيوه فتُرِكَ وبعد شفائهِ من تأثير الاختناق بُلص بمبلغ من الدراهم ثم العفو عن الاجهاز عليه ثم عاش بعد ذلك سنين كثيرة في مدينة الرملة واستمرت جوزة حلقهِ بارزةً من أثر الشنق. وأما سمعان صالح فكان قد قُضي عليهِ فأمر حسين باشا بوضعه في الحجرة المحبوس فيها ولده سالم وقفل الباب عليهما وفي الغد أمر بدفنهِ ثم أصدر الأوامر إلى يافا والقدس بضبط جميع موجوداته ومقتنياتهِ لجانب الحكومة فلم يسلم منها إلّا ما خبأته عائلته عند سماعها بقتلهِ، وما كان وديعةً في دير الروم ثم أُطلق سالم وعاد إلى القدس. وحسين باشا هذا، قد كان في زمن ولاية ابي نبُوت على فلسطين مدير كمرك في اللاذقية تحت اسم حسين آغا كما سيأتي. أما أرملة سمعان صالح فكانت قد ولدت منهُ ذكرين وهما الياس وموسى وثلاث بنات فلما قُتل زوجها صممت على الرجوع بأولادها وأمها أرملة حنا كبه إلى اللاذقية إلّا أن سالماً ابن زوجها منعها من ذلك فلبثت تنتظر فرصةً وفي أثناء ذلك مات ولدها الياس وهو فتىً ولما زحف ابرهيم باشا ابن محمد علي باشا من مصر بعساكرهِ على بر الشام سنة 1831 كان سالم في عكا فحاصرها ابرهيم باشا وهو فيها فانتهزت حينئذٍ امرأة ابيه الفرص وسار

أخوها جرجس كبه بها وبأولادها وبأمهِ إلى اللاذقية أما امهُ فقضت بقية حياتها عندهُ وعاشت طويلاً غير أنها عميت في أواسط عمرها وماتت قبل موتهِ ببضع سنين وأما ارملة سمعان صالح فزوجت بناتها في اللاذقية وفي سنة 1837 تزوج ابنها موسى بامرأةٍ أقامت معهُ أربعين يوماً وماتت فتزوج بأخرى ووُلد لهُ منها خمسة بنين ذكور عاش منهم ثلاثة وهم الياس وهو مؤلف هذا التاريخ، ولد في 26 كانون الثاني سنة 1839 وسليم ولد في 29 كانون الأول سنة 1844 ويوسف ولد في 23 أيلول سنة 1847 ولما كان موسى غير ناجح في اشغالهِ اضاع كل الميراث الذي خصهُ من ابيهِ ووقع تحت ثقل الدين في اللاذقية فسافر منها إلى القدس وأقام مع اخيهِ سالم وبقيت امرأته وأولاده في اللاذقية أما أمهُ فتنزهت في أواخر حياتها هناك وفي سنة 1862 توفي سالم في القدس ولهُ ابنان سمعان وصالح وسبع بنات. وكان لسمعان صالح أخ يُدعى خليلاً يتولى رياسة كتبة غزة وتوفي فيها قبل قتل اخيه ولهُ ولد ذكر يُدعَى سليمان ويكنَّى أبا دواود ثم في سنة 1867 توفي موسى والد المؤلف في القدس. هذا ما أردنا ذكرهُ من هذا القبيل على سبيل الاستطراد ولنرجع الآن إلى ما كنا في صددهِ من تاريخ اللاذقية فنقول.

انهُ لما بلغ الدولة في الاستانة خبر قتل حنا كبه أرسلت محصّلاً إلى اللاذقية فجاء إليها وشرع يستقصي عن قاتلي حنا كبه وموجوداته المضبوطة فدعاه أعيان المسلمين إلى وليمةٍ في قلعة المينا فسقط منه على أحد حيطانها وقيل لا بل هم دفعوهُ عنهُ فوقع في البحر فمات وبعد ذلك زحف إلى اللاذقية علي آغا رستم من جبل الأكراد برجالهِ واستولى عليها وادعى ان قصده الأخذ بثأر حنا كبه فجعل يجور على السكان ويصادر النصارى والملسمين فهجم عليهِ المسلمون وقتلوهُ في دار الحكومة ثم تولى عليها عبد الرحمن باشا وكان يُلقَّب جربان باشا لحكَّةٍ كانت في جلدهِ وكان قبل ذلك والياً في قبرص فجاء معهُ منها ألف عسكري من الأتراك وفرقة من الارناوط وفي ذات يوم دخل عليهِ كبير الارناوط وطلب منهُ العلائف فوعدهُ فلم يقبل بالوعد بل أصرَّ على الطلب فانتهرهُ الباشا فخرج إلى خارج فأطلق عليهِ الرصاص فأخطأهُ فأمر حينئذٍ جربان باشا بالقاء القبض عليهِ وقتله وقتل جميع الأرناؤط معهُ

فهجم الجنود والأتراك على الأرناؤط وفتكوا بهم وقتلوا أكثرهم وفرَّ الباقون فقطع جربان باشا عشرين رأساً من رؤوس الأرناؤط المقتولين وارسلها إلى الاستانة مدعياً أنها رؤوس المتمردين الذين قتلوا حنا كبه وغيره من الحكام فانعمت الدولة عليهِ ورفعت رتبته ووجهت عليه ولاية جده فتعين بعدهُ عمر آغا كوله متسلماً في اللاذقية ومصطفى آغا هارون تفنكجي باشي (أي رئيس الضابطه) وابرهيم آغا صاغصون كبير انكشاريه وكان هذا الأخير مستبداً بالأحكام وبيدهِ الحل والعقد ولم يكن لعمر آغا كوله من المتسلمية إلّا الاسم وفي نحو سنة 1808 عزل عمر آغا كوله وعُين أحمد بك متسلماً مكانه من قِبَل صهره يوسف باشا والي دمشق وفي أيامهِ اسلم دوجّي والعامة يسمونهُ الغوجي وكان وكيل قنصل انكلترا فيها وسبب إسلامه أنه اعتمَّ ذات يوم بعمامة بيضاء وخرج إلى السوق فحيَّاهُ بعض أعيان المسلمين بتحية الإسلام عن غير روية فردَّ عليهِ السلام ولما انتبه له وعرفهُ هاج وهاج معهُ الحاضرون من المسلمين فخاف دوجّي منهم واسلم تخلصاً من القتل. وقيل لا بل أنهُ اسلم عن قبول ورضى ليتزوج بخادمةٍ مسلمةٍ عندهُ كان قد احبَّها وتعلق بها. ثم بعد ذلك سافر إلى جبل لبنان وارتد فيه إلى النصرانية وقد اسلم غيرهُ كثيرون من النصارى في هذا الحين ومن بعدهِ بسبب الاضطهاد والظلم. أقول ولعلَّ مَن يطلع على تاريخنا ويرى فيه أن قنصل انكلترا كان يتعمم بالعمامة يعدُّ ذلك من جملة الأمور المستغربة. على انهُ في الأوقات التي نحن بصددها لم يكن أحد في اللاذقية وغيرها من بلاد الدولة العثمانية يجسران يظهر باللباس الافرنجي بدون خطرٍ على حياتهِ من فتك المسلمين بهِ فكانت القناصل تلتزم أن تلبس الجبة والقنباز وتعتم بالعمائم كما أنهُ كان إذا أتى مركب افرنجي إلى اللاذقية لا يجسر قبطانه، أن يخرج إلى البر بدون أن يؤخذ لهُ إلى المركب ملابس وطنيه ليلبسها قبل خروجهِ. وفي سنة 1810 وجهت ولاية الشام على سليمان باشا علاوة على ولاية عكا، فأرسل عثمان آغا طرطوسي متسلماً للاذقية ولما وصل إليها القى القبض على ابراهيم آغا الصاغصون وعلى مصطفى آغاهرون فنفى ابرهيم آغا إلى صيدا، وكان ذلك آخر العهد بهِ ونفى مصطفى آغاهرون إلى حماه فتعين فيها تفنكجي باشي والأصح أن عثمان آغا طرطوسي إنما تعيَّن من قِبَل مصطفى

آغا بربر الذي عيَّنهُ سليمان باشا متسلماً لطرابلس واللاذقية وأن نفي ابرهيم آغا الصاعصون ومصطفى آغاهرون انما جرى بعد هذا التاريخ وذلك في العهد الذي فيه قرضت الدولة زمرة الانكشارية، فانهما كانا منهم وكيفية وقوع القبض عليهما هي أن مصطفى آغا بربر قدم إلى اللاذقية ومعهُ فرقة من العساكر خرج وجوه المدينة لاستقباله فدخلها باحتفال عظيم ليلة عيد الفطر ولما قابله الانكشارية ترحب بهم ووعدهم بانعامات وافرة وأمرهم أن يصرفوا نهار العيد بالحظ والسرور وأن يحضروا إليه ثاني يوم العيد فانصرفوا من عندهِ مسرورين ولما جاء الميعاد اجتمع ابرهيم آغا الصاغصون ومصطفى آغاهرون وسائر اغاوات الانكشارية واتباعهم وساروا بملابسهم الرسمية إلى مصطفى آغا بربر وكان مصطفى آغا المذكور قد وضع عساكره في المراكز الموافقة من دار الحكومة فلما وصلت الانكشارية دخل اغاواتهم عليه فاستقبلهم بالاكرام وبعدما جلسوا عندهُ برهةً وشربوا القهوة أمر بنزع سلاحهم فانكروا منهُ هذه المعاملة وسأله كبيرهم ابراهيم آغا الصاغصون قائلاً: هل أنا أيضاً ممَّن ينبغي أن يسلموا سلاحهم فوضع يدهُ مصطفى آغا بربر على القربينه التي كانت أمامه مع عدة أسلحة (وذلك لأن حكام تلك الأيام كانوا إذا جلسوا يضعون بجانبهم أسلحةً متنوعة). وقال لهُ نعم وأنت أيضاً فهجمت حينئذٍ العساكر وأحاطوا بالانكشارية ونزعوا اسلحتهم وقادوهم إلى السجن ثم جرى نفيهم وكان ممَّن نفى ابرهيم آغا الصاغصون ومصطفى آغاهرون كما ذكر. وكان حسن آغا شومان بيرقدار الانكشارية حين حدوث هذه الواقعة في قرية دمسرخو التي كانت في التزامهِ (وذلك لأن اغاوات الانكشارية كانوا يأخذون قرى الساحل بالالتزام ويستولون حواصلها) فلما بلغه ما وقع برفاقهِ في المدينة ركب جواده وأطلق لهُ العنان قاصداً الآستانة بنية تقديم الشكوى إلى رئيس الارطة التي كانوا تابعين لها فلما بلغ الآستانه رأى أن الدولة قد أوقعت بجميع الانكشاريه وأن ذلك جرى بعهدٍ من السلطان محمود لقرضهم من المملكة فاستولى عليه الرعب والخوف ورضي من الغنيمة بالإياب فرجع متنكراً إلى طرسوس ثم جعل يترامى ويكاتب من يتوسط لهُ لدى الحكومة في اللاذقية حتى أذن لهُ بالرجوع إليها والإقامة فيها بصفة تاجر فعاد إليها لازماً حدَّهُ.

وفي زمن ولاية مصطفى آغا بربر على طرابلس وعثمان آغا طرطوسي على اللاذقية اظهرت النصيريه العصيان فجرد مصطفى آغا بربر العساكر وزحف بها لمحاربتهم فاستظهر عليهم وقتل منهم نحو مايتين وثمانين نفساً وأرسل بعض رؤوسهم إلى الاستانة صحبة تتري مخصوص فصدرت الإرادة السنية بالعفو عنهم وكف القتال.

وأقام عثمان آغا طرطوسي متسلماً في اللاذقية مدةً طويلة وتضاعف في أيامهِ ذل النصارى وقد أمرهم أن يلبسوا السواد المحض من العمامة إلى الحذاء على أنهُ لم يكن يبلصهم أو يعذبهم وكان عادلاً في الحكم. وفي أثناء مدته كان حسين آغا مديراً في كمرك اللاذقية. وهو الذي توجه عليهِ أخيراً لقب باشا وقتل سمعان صالح جد المؤلف في الشام كما مرَّ ذكر ذلك، وكان حسين آغا يكره عثمان آغا طرطوسي ويعتبر نفسهُ حاكماً في الأسكله كما أن عثمان آغا حاكم في البلد ومما يُحكى أنهُ كان في أيامهِ حداد نصراني في الاسكله فمرَّ بهِ ذات يوم فارس من المستخدمين عند عثمان آغا وأوصاهُ على نعالٍ لفرسهِ ثم بعد أيامٍ عاد إليه وطلب النعال فاعتذر ووعدهُ إلى الغد فاغتاظ الفارس منهُ وشتمه وضربه فسمع حسين آغا الضوضاء. وسأل ما الخبر ولما أخبر بالقصة غضب واستدعى بالفارس وأمر بطرحه عن فرسه وخربهُ بخشية القبان حتى غشي عليه ثم القاه في البحر قائلاً هذا جزاء من يتطاول على من كان في حماي. وحسين آغا هذا هو الذي بنى السبيل الذي في إدارة الكمرك في الاسكله واجرى إليه الماء في أقنيةٍ تحت الأرض من بستان ماري يعقوب الذي وراء الخان وبنى السوق الذي بجانب البحر من جهة الجنوب ورصف بعض عقبة السفكون التي في الطريق المؤدية من اللاذقية إلى حلب.

وفي سنة 1816 قدم إلى اللاذقية البطريرك الانطاكي سيرافيم فشكا إليه بعض وجوه المسيحيين من اطوار المطران غفرئيل وافراطهِ في شرب الخمر وطلبوا خلعه وفي أثناء اقامته بدا لهُ من سلوكه ما رجَّح لديهِ صحة الشكوى واحسَّ المطران بتغيير خاطر البطريرك عليهِ فهرب في حالة سكرهِ من القلاية إلى بيت موسيو لانوس قنصل فرنسا طالباً حمايته ولما علم بذلك البطريرك طلبه من القنصل فسلمه إليه فأخذه معهُ محفوظاً إلى القسطنطينية حيثما أقام

سنتين ومع أن المطران المذكور كان غير محبوب من أكثر وجوه مسيحيي اللاذقية قد كان محبوباً من العامة والفقراء لأنه كان يحسن إليهم فاتفق أن حنا غالي رئيس سفينة من اللاذقية سافر إلى الاستانة فصادف فيها المطران وكان هو ونوتيته يحبونهُ ففرحوا برؤيته ودعوهُ إلى العودة معهم إلى اللاذقية وقدموا عرضاً إلى البطريرك كنواب عن شعب اللاذقية يلتمسون منه اعادته فأجابهم إلى ذلك وعند السفر نزل معهم المطران وسافروا بهِ إلى اللاذقية ولما بلغ الشعب خبر قدومه اظهروا الرضى بما حصل وعاملوهُ بالحسنى وكانت عودته سنة 1818.

وفي نحو سنة 1821 خرج عبداللّه باشا والي عكا عن طاعة الدولة فسلخت الدولة طرابلس واللاذقية عن ولاية عكا واعادتهما ايالةً تحت حكم والٍ واحد يتعهد بقيام الجرده كالقديم وولت عليهما حسين باشا فأقام مدة ثم عُزل وتعيَّن مكانه محمد باشا ابن المن وفي أيام ولايته مرَّ رجل فرنساوي في سوق اللاذقية متعمماً بعمامةٍ بيضاء فاعترضهُ بعض المسلمين واهانهُ فاشتكى إلى قنصله فأرسل القنصل ترجمانه عطااللّه عازار ليكشف الأمر فجاء الترجمان إلى السوق وسأل عمَّن اهان الفرنساوي ولما اهتدى إليه سأله عن سبب اهانته للفرنساوي فأجابه لكونه متجاوزاً حدَّهُ ومتعمماً بعمامةٍ بيضاء فقال لهُ إنما تعمم بها بحق المعاهدات الدولية فاغتاظ الرجل من الترجمان وشتم المعاهدات الدولية ثم هاج وهاج المسلمون معهُ وادعوا على الترجمان انهُ شتم الشرع الشريف وهجموا عليهِ ففرَّمن بين أيديهم فتبعوهُ فاعتكف من مدخلٍ قريب ودخل بيت قنصله أما هم فلم يزالوا ثائرين وسائرين حتى وصلوا إلى أمام بيت القنصل وكان قد أُغلق بابه قبل وصولهم فأكثروا من الجلبة والصياح والشتايم والتهديدات ثم رجعوا عنهُ وكان ابن المن حينئذٍ في طرابلس فأرسلوا يعلمونهُ بالخبر على حسب مدعاهم وأرسل القنصل يعلمه بهِ على حسب مدعاهُ ومدعى الترجمان أما هو فلم يركن إلى احد الطرفين بل وعدهما أنهُ سيأتي ويحقق الأمر بنفسهِ وبعد مدةٍ جاء إلى اللاذقية وجعل يحقق ويستقصي سراً وعلناً فتأكد صحة ما ادعاهُ القنصل وترجمانه فقاصَّ الطرف الآخر ونفى الشيخ ابرهيم حكيم قاضي اللاذقية مع مفتيها إلى جزيرة ارواد فأقاما فيها مدةً فساء المسلمين سلوكهُ هذا وحنقوا عليهه ثم زعموا أنهُ

نصيري لأنهُ كان يراعي جانب النصيرية وقيل أنهم تحققوا ذلك من اجتماع النصيرية إليه ومن لهجته باللغة العربية فأنها كانت كلهجتهم ومنهم من يقول بتأكيدٍ أنهُ تزوج سراً باحدى بناتهم فجعلوا ينتظرون فرصةً للفتك بهِ وكان الجندي أحمد من أبناء الطريفي تفنكجي باشي فعزلهُ ابن المن ولما دخل شهر رمضان ارسل منادياً ينادي في الأسواق أن كل من يجلس في القهاوي ويقامر بالورق فجزاؤهُ الحبس فذهب بعض أبناء الطريفي وجلس في القهوة وجعل يقامر تعرُّضاً ولما سمع الباشا بخبره ارسل فحبسه فهاج حينئذٍ أبناء الطريفي وساروا إلى الشيخ محمد المغربي يستشيرونهُ في قتلهِ، فأومأ إليهم بيدهِ ان اقتلوهُ فاندفعوا حينئذٍ ركضاً وتبعهم جمهور كبير من المسلمين. وهجموا عليهِ في دار الحكومة وقتلوه وقتلوا معهُ كاتبه عطى اللّه سليمان فتولى بعدهُ سليمان باشا العظم وأرسل متسلماً إلى اللاذقية علي آغا خزنة كاتبي.

وفي سنة 1822 حدثت في اللاذقية زلزلة هائلة هدمت فيها أبنية كثيرة فهرب الناس من البيوت وأقاموا في البساتين تحت الخيام مدة طويلة قال موسيو بوجولا السائح الفرنساوي الذي زار اللاذقية سنة 1831 في رسالات رحلته ما تعريبه: «أن مدينة سلوقس هذه (اي اللاذقية) قائمة في أرضٍ بركانية والظاهر أنها تتزلزل بلا انقطاع حتى انهُ يصعب عليها أن تثبت متمكنة وهي لا تنتهي من الاشتغال في النهوض من سقطة خراباتها وقد كانت زلزلة سنة 1822 مشؤومة على هذه المدينة بنوع الخصوص لأن انتقاضها قلب حاراتٍ منها برمتها حتى أن خانها الكبير لم يتمكن من الثبات... والاسكله تتألف من طريقين على جانبيهما مخازن عريضة قد خربت نصف خراب في الزلزلة الأخيرة (انتهى) ثم عُزل سليمان باشا العظم وخلفه علي بك المرعب ويُدعى علي بك الأسعد وهو من عكار فجاء إلى اللاذقية نحو سنة 1825 وكان عبداللّه الياس احد وجوه مسيحيي اللاذقية كاتباً ومقرباً عنده ثم غضب عليهِ وقتله خنقاً وضبط موجوداته قيل أن سبب غضبه عليهِ أنهُ أمرهُ أن يكتب لهُ أسماء أغنياء البلدة من المسلمين والنصارى ليصادرهم لأجل مصروف الجرده فاعتذر فغضب عليه واتفق لهُ من هيج غضبه واغراه بأن يبلصه مطمعاً اياه بأن منهُ وحدهُ يمكن الحصول على

المبلـغ الـلازم مـن النقـود فبلصـه بمبلـغ وافـر ووضعـه فـي السـجن ولـم يطلقـه حتـى قبـض منـهُ المبلـغ تمامـاً، ولمـا اطلقـه سُـعي لديـه أنـهُ عـازم علـى السـفر إلـى الشـام ليشـكوهُ إلـى واليهـا فألقـى القبـض عليـه ثـم استحضر شـاهدين شـهدا عليـه أنـهُ طعـن فـي الشـيخ محمـد المغربـي وقـال أنـه مـن الواجـب طـرده مـن البلـده فحُكـم بقتلـه فقتلـه خنقـاً كمـا مـرَّ.

ثـم فـي سـنة 1826 عُـزل علـي بـك المرعـب وتولـى مكانـهُ اميـن باشـا فعيـن مصطفـى آغـا هـرون كاخيـه عنـدهُ يُقـال أن اميـن باشـا هـذا كان مـن المماليـك البحريـة الذيـن كانـوا فـي مصـر ولمـا قتلهـم محمـد علـي باشـا والـي مصـر إذ اسـتدعاهم إلـى قلعـة القاهـرة بوسـيلة لعـب الجريـد نجـا اميـن بـك (حسـبما كان يلقـب وقتئـذ) بواسـطة الفـرار علـى جـوادهِ إذ اطلـق لـه العنـان فوثـب مـن فـوق سـور القلعـة إلـى خارجهـا وعندمـا اقتـرب الجـواد مـن الوصـول إلـى الأرض تفلـت منـهُ اميـن بـك وألقـى نفسـه عنـهُ فوصـل إلـى الأرض سـالماً أمـا الجـواد فتحطـم وقُتـل ثـم تـوارى اميـن بـك وفـرّ مـن القطـر المصـري إلـى الاسـتانة حيثمـا دخـل فـي خدمـة الدولـة ومـا زال ينتقـل فـي المناصـب حتـى وجهـت عليـهِ ميـر ميرانيـة طرابلـس واللاذقيـة.

وفيهـا توفـي المطـران غفرئيـل فـي قريـة السـويدية ودُفـن فيهـا وذلـك فـي السـنة الثانيـة والعشـرين مـن رياسـتهِ. وفـي سـنة 1828 حـدث طاعـون فـي اللاذقيـة مـات بـهِ كثيـرون وممـن مـات الشـيخ محمـد المغربـي وكان عنـد المسـلمين بمنزلـة ولـي عظيـم وُلـد فـي سـوس مـن اقليـم تونـس فـي بـلاد المغـرب مـن سـلالة أحمـد ابـن التاجـر سـنة 1774 ونشـأ فيهـا ثـم جـاء إلـى سـوريا وحـلَّ أولاً فـي مدينـة حلـب فلـم تُقبَـل فيهـا تعاليمـه فسـار إلـى ادلـب فطُـرد منهـا ثـم جـاء إلـى اللاذقيـة فصـادف فيهـا قبـولاً وترحابـاً وكان بشوشـاً كثيـر الصدقـات فصيحـاً اجتـذب إليـه الالبـاب ببلاغـة الخطَـب التـي كان يلقيهـا كل نهـار جمعـة فـي الجوامـع وقيـل أنـهُ كان ذا فراسـةٍ غريبـة أيضـاً وأنـهُ كثيـراً مـا أخبـر عـن امـورٍ قبـل حدوثهـا فحدثـت كمـا قـال فعـدَّ المسـلمون لـهُ ذلـك مـن الكرامـات واعتقـدوا بـهِ الولايـة ورفعـوا منزلتـه إلـى الغايـة وصـاروا يعتبـرون أقوالـه وأوامـره ونواهيـه كوحـي ومـن جملـة تعاليمـه أن مـال ودم وعـرض النصيريـة حـلال ومنـهُ نشـأ هـذا الاعتقـاد عنـد مسـلمي اللاذقيـة وكانـت اقامتـه فـي منـزل محمـد آغـا خزنـه دار فلمـا توفـي وغُسـل ازدحـم المسـلمون علـى

تملية أوعيتهم من غسلتهِ وجعلوا ينضحون بها أجسادهم تبرُّكاً فأصابت عدوى الطاعون كثيرين منهم وماتوا ثم دفنوه في الطرف الجنوبي من قلعة الزيتون شرقي المدينة وبنوا على قبرهِ جامعاً شاهقاً ظريف البناء وهو جامعه المشهور انفقوا على بنائهِ نحو الفي كيس.

وفي هذه الاثناء أُلغيت باشاوية الجردة من طرابلس واللاذقية وصار الحاقهما إلى عكا فعُيّن عليهما متسلماً مصطفى آغا هرون فأقام في طرابلس ووضع ابنهُ كنج آغا في اللاذقية وكيلاً وفي أيامه ورد امر من الدولة بقتل ثلاثين شخصاً من أعيان مسلمي اللاذقية قصاصاً على قتلهم محمد باشا ابن المن فأرسل كنج آغا أعوانه إلى ساحل اللاذقية فشرعوا يقتلون كل مَن صادفوهُ منفرداً من النصيرية حتى قتلوا ثلاثين شخصاً واتوهُ برؤوسهم فأرسلها إلى والي عكا على أنها رؤوس الأعيان المطلوبة وأرسلت من عكا إلى الاستانة وفي سنة 1829 عُزل مصطفى آغا هارون وخلفه شاهين آغا فأقام محمد آغا خزنه دار وكيلاً لهُ في اللاذقية وورد امر من والي عكا بمصادرة مصطفى آغا هارون وولده كنج آغا بألف كيس فألقى محمد آغا خزنة دار القبض على مصطفى آغا وسجنه وأما كنج آغا فهرب واحتمى في بيت الخواجه لازري قنصل النمسا. وكان كل يومٍ يصير اخراج مصطفى آغا من السجن وجلده وطلب المال منهُ ثم يعاد إلى السجن وفيما هو على هذه الحال ورد أمر من عكا بالعفو عنهُ وتعيينه متسلماً لطرابلس واللاذقية ففرَّ محمد آغا خزنة دار إلى عكا واقام فيها مدةً ثم استحصل امراً بعزل مصطفى آغا هرون عن طرابلس واللاذقية وتعيينه هو متسلماً للأذقية وكان محمد آغا المذكور رأوفاً بالنصارى فكانوا يفرحون بتوليتهِ لأنه لم يكن يتعرض لضررهم كما كانوا يحزنون بتولية مصطفى آغا هرون وابنه كنج آغا لانهما كان يضطهدانهم ويبلصانهم ويعذبانهم العذابات المتنوعة ويُحكَى انه في ايام ولايتهما كان يُحمَى صدر النحاس حتى يصير كالجمر ثم يُحبَس عليه النصراني المقصود بلصه وتعذيبه ويوضع كعبان على صدغيه ويشدَّان حتى تبرز عيناه وتوضع حلمة ثدي المرأة تحت طبقة صندوق ويُغلَق ثم يُقفَل عليها وما شاكل ذلك من العذابات القاسية البربرية التي تقشعر منها الابدان. قيل أن مصطفى آغا المذكور القى ذات يومٍ القبض على رجل مسيحي يُقال لهُ فرح الاسود وأودعهُ السجن

وجعل يعذبه بالعذابات المختلفة المار ذكرها فذهبت امرأته وترامت على الخواجه لازري قنصل النمسا لكي يشفع بزوجها ويتوسط امره فأرسل القنصل ترجمانه إلى مصطفى آغا يسأله بلطفٍ عن ذنب فرح المذكور فلما دخل عليهِ وجد أمامهُ مملواً عناباً وهو يأكل منهُ فحيَّاهُ متأدباً فأمر لهُ بالجلوس فجلس ثم سأله بتلطفٍ من طرف القنصل عن ذنب المسجون فقال لهُ كلُ من العناب فأكل ثم بعد برهةٍ أعاد عليهِ السؤال فقال لهُ كُل من العنَّاب فأكل ثم سأله ثالثةً فقال لهُ وما هذا القنصل الذي اتيت من قِبَلهِ لعلَّ كل مَن كان افرنجياً ووضع على رأسهِ منفخاً صار قنصلاً هل تريدون أن تعرفوا ذنب المسجون قل لي ما اسمه فقال اسمهُ فرح قال وما لقبه قال الأسود قال أو سمعت قط أن الفرح يكون أسود أو ما كفاهُ هذا الذنب أذهب وأخبر قنصلك ان جزاء هذا الرجل كذا مبلغاً متى أوردها يُخلَّى سبيله ثم لم يطلق حتى باعت امرأته كل موجوداته وأدَّت المبلغ المطلوب. ومما يُحكَى انهُ في أيامهِ نزل ذات ليلة التفنكجي باشي ومعهُ بعض انفار الضابطه وتسلقوا على جدار كنيسة ماري نيقولاوس وسرقوا ما فيها من الأواني الثمينة فلما أصبح الصباح وظهر للمسيحيين وقوع سرقةٍ في الكنيسة عرضوا ذلك إلى مصطفى آغا هارون فأرسل التنفكجي باشي نفسه لإجراء الكشف والبحث عن المسروق فلما وصل إلى امام الكنيسة اجتمع إليه بعض المسيحيين فجعل يتأمل في الجدران ثم قال لا يوجد محل لتهمة أحدٍ بهذه السرقة سوى خوري الكنيسة لأنني لم أرَ مكاناً قابلاً لنزول اللصوص منهُ إليها فقال لهُ واحد من النصارى الحاضرين من الممكن أن يكون اللصوص قد تسلقوا ونزلوا إليها من المحل الفلاني من الجدار لأنهُ قابل لذلك فهجم التنفكجي باشي حينئذٍ عليه وصفعهُ على وجههِ قائلاً ينبغي إذا أن تكون انت السارق لأنك عرفت الطريق ثم مضى بهِ إلى السجن حيثما لبث أياماً وكان اطلاقه بمقام تعويض عن المسروقات ويُحكَى أيضاً انهُ ذات ليلة نزل التفنكجي باشي واستدعى قندلفت كنيسة ماري اندراوس وطلب منهُ مفتاح الكنيسة تحت التهديد فدفعه لهُ ففتحها وسلب جميع أوانيها الثمينة ثم قفل الباب وأعاد المفتاح إلى القندلفت قائلاً لهُ إذا اخبرت أحداً بما جرى فلا تلُم إلّا نفسك فمضى القندلفت خائفاً ومحتاراً ولما أصبح الصباح وفُتحت الكنيسة افتقد

خوريها الأواني فوجدها جميعها مسروقة فعرض المسيحيون ذلك للحكومة ومضت أيام ولم يحصلوا على ثمرة ثم حدثهم القندلفت تحت السر العميق بكل ما جرى معهُ فعذروهُ والتزموا السكوت خوفاً على حياتهِ. هذا وقد عرفت مما سبق كيف تدرج مصطفى آغا هرون إلى المتسلمية ويقال أنهُ كان في الأصل قهواتياً ثم صار تفنكجي باشي بعد أن دخل في زمرة الانكشارية كما علمت. وأما محمد آغا خزنه دار فقد كان أبوهُ علي آغا امين خزينه عند بعض الباشاوات ثم توطن في اللاذقية وذلك في زمن ابي بلطه الذي كان قبل حنا كبه وكان هو وأبو بلطه كأخويه (الأصح أن علي آغا خزنه دار وابرهيم آغا ابا بلطه كانا أخوين نسيبين وهما من المماليك).

ثم في سنة 1831 زحف ابرهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر المشهور بعساكرهِ لفتح البلاد الشاميه وحاصر عكا فقدم إلى اللاذقية من قِبَل الدوله عثمان باشا حاكماً على طرابلس واللاذقية وعلوش باشا والياً لعكا، ومعهما أبو حطب قائداً للعساكر ونحو 8 آلاف عسكري فأقاموا في اللاذقية نحو أربعة أشهر وابرهيم باشا على عكا، ثم سار عثمان باشا إلى طرابلس وعيِّن مصطفى آغا هرون متسلماً للأَذقية وبقي علوش باشا في اللاذقية مدة حتى بلغه فتح ابرهيم باشا مدينة حلب فهرب إلى طرسوس وسار معهُ مصطفى آغاهارون فجاءت عساكر ابرهيم باشا واستولت على اللاذقية سنة 1832 وعُين محمد آغا خزنة دار متسلماً لها مدةً قصيرة ثم عُزل وتعين عوض سعيد آغا عنتابي. واعلم أن جميع الحكام الذين مرَّ ذكرهم قبل حنا كبه وبعده كانوا كباقي حكام الدولة العثمانية في سائر المدن يأخذون الولاية بالالتزام فيحكمون في الرعية بحسب أهوائهم وكان حكمهم قاسياً جافياً فكانت الأهالي عموماً والنصارى خصوصاً في كل وقتٍ تحت خطر الحبس والبلص والجلد والعذاب والقتل وكان النصارى يُعامَلون بالإذلال والاهانة ليس من الحكام فقط بل من الأهالي المسلمين أيضاً فكانوا يعدُّون أنفسهم سعداء إذا اكتفى الحاكم بابقائهم في الذل والهوان ولبس السواد وتكّرم برفع الضرب وصنوف العذابات عنهم وكان أصحاب الدكاكين منهم يصرفون نصف نهارهم في خدمة جيرانهم من المسلمين فكان إذا اقتضى للمسلم حاجة

يسخر بقضائها المسيحي الذي لم يكن يتجاسر أن يتأخر عن قضائها ولو كان في معظم ثقلهِ وكان شتم دين المسيحي وملتهِ وصليبه وما شاكل ذلك على أدنى سببٍ فاشياً ومباحاً حتى للسَفَلة الرعاع من المسلمين في الشوارع والأسواق وكانت بعض أبواب الكنايس يوجد مكان المفتاح من القفل منها محشوًّا بالنجاسة كل صباح أحدٍ وكان كلما مرَّ احد الخوارنه في شارعٍ من الشوارع يجتمع وراءهُ أولاد المسلمين ويرشقونهُ بألفاظ الاهانات والشتائم.. وكانت تعديات المسلمين الخفية على النصارى تُلقَى فيها التهمة على النصارى أيضاً فيقاصُّ بعضهم علاوةً على ما يكون قد جرى على البعض الآخر من التعدي كما علمت مما مرّ ومما يُحكى انهُ لما هرب الناس في زلزلة سنة 1822 من البيوت واقاموا تحت الخيام في البساتين اجتمع بعض عائلات من النصارى وضربوا خيامهم في محلٍ واحدٍ وكانوا كل ليلةٍ يسهر منهم جماعة يطوفون حول الخيام لحراستها ففي ذات ليلة نحو نصف الليل فيما كانت احدى النساء منكبَّة على السرير ترضع طفلاً لها إذا برجلٍ تعلق برأسها قاصداً نزع ما عليهِ من الحلي فتعلقت بأهداب ثوبهِ وصرخت وكان الحراس قريبين منها فركضوا ودهموا ذلك اللص وأمسكوهُ واوثقوهُ ولما أصبح الصباح ذهبوا إلى الحاكم وأخبروهُ بالقصَّة فأرسل بعض الضابطين ليأتوهُ باللص ومضى المشتكون النصارى في حال سبيلهم مؤمنين أن الحكومة تؤدبه ثم بعد برهةٍ جاء بعض الضابطين يستدعي زوج المرأة لمواجهة الحاكم فسار معهُ ولما مثل بين يدي الحاكم قال لهُ يا خبيث أما كفى ان امرأتك عاشقة لهذا الرجل وهي التي استدعته ليأتيها ليلاً حتى انكم اتهمتموهُ أيضاً بالسرقة وهو رجل مسلم تقي ثم قال للضابطين ألقوهُ فألقوهُ إلى الأرض وجلدوهُ حتى غشي عليهِ فكان ذلك بدلاً من جزاء السارق. وما زال النصارى يكابدون شدائد واهانات كهذه إلى حين استيلاء ابرهيم باشا المشار إليه.

انتهى المجلد الأول. ويتلوهُ المجلد الثاني

الجزء الثاني

من كتاب

آثار الحقب في لاذقية العرب

تأليف
الياس صالح اللاذقي

عُفي عنهُ

لما استولى ابرهيم باشا على اللاذقية ساوى بين عموم الأهالي فيها كما في سائر البلاد التي استولى عليها ورفع عن النصارى الذل والاضطهاد ومنحهم الحرية في أملاكهم وموجوداتهم ومتاجرهم فدخلوا من ذلك العهد في عصرٍ جديد منهُ يبتدي تاريخ تقدمهم وثروتهم وجعل المحاكمات وفحص الدعاوي والأمور المختلفة بيد المجالس تتألّف من جميع الطوائف فكانت الحكومة الاجرائية مقيَّدة بهذه المجالس إلّا فيما ندر. فتغيَّرت الحال مع أهل الإسلام وثقل على طبعهم تقدم النصارى وامتداد سطوة القناصل والافرنج فأبغضوا حكومة ابرهيم باشا وحركوا سراً سكان الجبال النصيريه والمسلمين على التمرد والعصيان فخلعوا الطاعة وانتهزوا فرصة فروغ اللاذقية من العساكر المصرية وجاءوا بجماهيرهم من الجبال ودهموا المدينة ودخلوا دار الحكومة وانتشروا في الأسواق ودخل قوم منهم بعض بيوت النصارى المتطرفة ونهبوها فارتاع النصارى واختباؤا في بعض البيوت وفي السفن التي كانت راسيةً وقتئذٍ في المينا. ثم أن النصيرية حاصروا سعيد آغا متسلم اللاذقية في داره ولما بلغ خبر ذلك ابرهيم باشا اصدر أمراً إلى سليم بك احد امراء اللواء في العساكر المصرية فجاء إلى اللاذقية بفرقه من العساكر ومعهُ امراء من جبل لبنان وهم الأمير خليل ابن الأمير بشير الشهابي المشهور والأمير أفندي والأمير جهجاه والأمير سعد الدين والأمير أحمد برجالهم فلما بلغ النصيرية ذلك فروا هاربين من المدينة فجاء سليم بك والأمراء بعساكرهم وخيموا في قرية البهلولية ففرَّ النصيرية من تلك المقاطعة فغنمت العساكر مواشيهم وغلاتهم ومتعتهم وأحرقت بعض قراهم ثم ارسل سليم بك عسكراً يحرق القرى القريبة منهم فالتقاهم النصيرية والتحم القتال بين الفريقين وكانت الدائرة على العسكر المصري فولّى منهزماً إلى المعسكر فسار إليهم الأمير جهجاه بألف مقاتل فانهزمت النصيرية أمامهم

فأحرقوا لهم نحو ثلاثين قريةً وفي الغد سار الأمير خليل والأمير أفندي والعرب الهنادي وبعض الفرسان المصرية وشنوا الغارة على قرية جبلايا فقابلهم النصيرية فقُتل من الفرسان المصرية ثلثة من حاملي البيارق ثم دارت الدائرة على النصيرية فانكسروا وقُتِل منهم خمسة رجال وأحرقت لهم العساكر قرىً كثيرة وقُتل من عسكر الأمير خليل رجلان ثم نهض سليم بك بالعساكر من البهلولية إلى مقاطعة صهيون وكان سكانها قد حاصروا في القلعة فخيمت العساكر شماليها فجاء من مقاطعة بيت الشلف نحو ألفي مقاتل ليدهموا العساكر فاشتبكت معركة بين الفريقين كانت الدائرة فيها على النصيرية فقُتل منهم 15 رجلاً ومن عساكر الأمير خليل رجلان ثم هجم العسكر على القلعة وتسلموا ثلاثة أبراج منها ووضعوا فيها نحو ماية مقاتل فأضرموا نار الحرب على المحصورين وعند نصف الليل طلب المحصورون الأمان فأعطوهم الأمان ففروا هاربين من القلعة ودخلتها العساكر ثم حضر أهل مقاطعة دريوس وسلَّموا وانتقلت العساكر إلى مقاطعة بيت الشلف فحضر أهل المزيرعه والعمامره وسلموا وكان أهل بيت ياشوط والسرامطه والقراحله قد ربطوا نهر السن فوصل إليه خمسماية مقاتل مرسلون من قِبَل الأمير بشير الشهابي نجدةً للعساكر فاشتبكت الحرب بينهم وبين النصيرية فانهزم اللبنانيون وقُتل منهم 36 رجلاً ومن النصيرية ستة رجال فلما بلغ خبر هذه المعركة إلى المعسكر جاء الأمير سعد الدين والأمير أحمد بعسكرهما مع ثلثماية فارس مصريين ففرَّ النصيرية أمامهم هاربين فأحرق اللبنانيون مساكنهم وقتلوا منهم 8 رجال ومن الغد زحف العسكر على تلك المقاطعات ونهبها وأحرق أكثر قراها ثم سلَّم أهالي مقاطعة القرداحة وتعهدوا بتقديم أسلحة المقاطعة جميعها فقدموا بعضها واعتذروا عن تقديم الباقي فنهض سليم بك بالعساكر للمقاطعة ولما وصلوا إلى أوَّلها شرع العسكر ينهبون ويحرقون، فانهزم النصيرية إلى الجبال فنهب العسكر قراهم وأحرقوها ثم صعدوا إلى الشعرة وأحرقوا نحو 50 قرية ثم رجعت العساكر اللبنانية إلى بلادها أما العساكر المصرية فلبثت حتى مهدت كل أحوال الجبال شيئاً فشيئاً وجمع جميع أسلحة أهاليها ونشرت الأمن في جميع أطرافها بنوعٍ لم يسبق لهُ مثيل.

وفي هذه الأثناء أي في سنة 1834 شُرطن على اللاذقية المطران ارثاميوس خليفةً للمطران غفرئيل ثم عُزل سعيد آغا عن متصرفية اللاذقية وخلفه خليل آغا ورده الدمشقي. وكان امّياً جاهلاً فلم يلبث أن عُزِل وعُيّن الحاج يوسف بك شريّف أحد أعيان حلب مديراً للاذقية وطرابلس وكانت اقامته في اللاذقية وجرت الأحكام بإدارته على أتم نظام وفي أيامه تم جمع السلاح من النصيرية وقُتل معظم رؤسائهم واشقيائهم وقتل أيضاً عبداللّه آغا عدره صاحب قلعة المرقب وكان من الرجال المعدودة وسبب قتله أنهُ أهان ضابطاً من ضباط العساكر المصرية وهو مارّ في ناحية المرقب فشكاهُ الضابط إلى ابرهيم باشا فأصدر أمره إلى حكومة اللاذقية بقتلهِ ولما اطلعت الحكومة المذكورة على الأمر كتمته بالسر العميق واستدعت عبداللّه آغا إلى اللاذقية ولما قدم إليها قُبض عليهِ فضُرب عنقهُ في وسط السوق وكانت العساكر واقفة في السوق فكان كل مَن أراد من أصحاب الدكاكين أن يقفل دكانهُ طلباً للانصراف عن ذل المشهد تمنعهُ العساكر من الانصراف فكان ذلك اليوم شديداً على المسلمين. وفي هذه الاثناء توفي مصطفى آغا هرون وكان بعد دخول الحكومة المصرية من جملة أعضاء المجلس في اللاذقية.

وفي سنة 1840 اتفق مع الدولة العثمانية بعد أن تبوأ سرير السلطنة السلطان عبد المجيد خان دول روسيه وانكليتره والنمسا وبروسيا على اخراج الدولة المصرية من سوريا وانتشرت بوارج الدول المتحدة في موانيها لطرد ابرهيم باشا وجاءت منها بارجة انكليزية إلى مياه اللاذقية واطلقت المدافع على المدينة اطلاقاً غير مقصود بهِ خرابها بل للتهويل على العساكر المصرية لتخرج منها فلم يلحق بالمدينة ضرر وخرجت بقايا الجنود المصرية منها وعُيّن فيها متسلماً من قِبَل الدولة العثمانية محمد آغا خزنه دار فاستمر نحو سنة ثم عُزل سنة 1841 وجُعلَت حكومة اللاذقية مقسومةً إلى إدارتين مستقلتين إدارة ضابطيه وإدارة مالية فعُيّن محمود حلمي بك مأموراً للضابطه وشاكر أفندي مأموراً للماليه وفي سنة 1842 عُزل الاثنان وعُيّن فضلي بك للضابطه وصالح أفندي للماليه ثم عزلا سنة 1843 وجرى تغيير الترتيب فتحولت الحكومة إلى قائم مقاميه وجُعلت المصالح المالية تحت إدارة مدير بمعية

القائم مقام وعُيّن بهذاد آغا قائم مقاماً. هذا ولما خرجت الحكومة المصرية ورجعت الحكومة العثمانية بقي ترتيب المجالس على ما كان عليهِ في عهد الحكومة المصرية غير أن مسلمي اللاذقية شرعوا يتظاهرون بالتعديات والتطاول على النصارى مفكّرين أنهُ قد جاء الوقت لارجاعهم إلى حالة الذل والاضطهاد القديمة واتفق انه سنة 1844 اسلم الخوري عبداللّه احد خوارنة الروم الأرثوذكس فيها وسبب ذلك أنهُ كان في اللاذقية وكيل قنصل لدولة اليونان يُدعَى ديمتري وكان متزوجاً في بلادهِ فادعى أن زوجته ماتت وطلب الزواج بكاترين ابنة الخوري ميخائيل النحال فلم يؤذن لهُ المطران ارثاميوس بذلك ما لم يستحضر ورقة شهادة من مطران مدينتهِ تُعلن صحة وفاة زوجته فترقب ديمتري فرصة غاب فيها المطران عن المدينة واستحضر الخوري عبداللّه فكلّله على كاترين المذكورة واتفق بعد ذلك بأيام قليلة أن حضر ابنٌ لديمتري المذكور من بلدهِ وانذهل من زواج ابيه واعلن أن امّهُ لم تزل حيّة، فلما عاد المطران من سفرهِ وعلم بذلك اطلق حرماً كبيراً على ديمتري وزوجته الجديدة وعلى الخوري عبداللّه أشرك فيهِ معهم كل مَن يخالط أحداً منهم أو يكلمه أو يقبله في بيتهِ فكان الخوري عبداللّه يجول من مكانٍ إلى آخر في المدينة ويترامى على كبير الطائفة وصغيرها ليتوسطوا أمرهُ فلم يكن أحد يرد عليهِ جواباً بل كان كل مَن صادفهُ منها يحوّل وجههُ عنهُ لكي لا يراهُ ولا يكلمه واستمر على ذلك أياماً حتى ضاقت بهِ الدنيا بما رحبت ولم يبقَ لهُ احتمال فمضى إلى مشايخ المسلمين واسلم فقبلوهُ بالترحاب واحتلفوا به غاية الاحتفال وبعد أيامٍ من إسلامهِ طافوا بهِ في المدينة يوم احد بجمعٍ غفير لأجل ختانهِ وهم يعزفون بالآت الطرب ويضربون الطبول ويطلقون البنادق فبلغوا في طوافهم إلى امام دير الرهبان الفرنسيسكانيين وكان شعب اللاتين مجتمعاً فيه لاستماع القداس فوقف الجمهور أمام الباب وجعلوا يصيحون ويضجون بالشتايم واللعنات فاعترضهم بعض مَن كان داخل الدير وسألهم الانصراف فهاجوا عليه وازداد ضجيجهم وصراخهم وهجموا على الدير فأغلق بابه دونهم فجعلوا يطلقون عليهِ الرصاص فانذعر الذين كانوا داخل الدير وكان في جملتهم الخواجه لوسين جفروا قنصل فرنسا والخواجه بليه قنصل النمسا والخواجه مازوليه

قنصل روسيا وعائلاتهم وغيرهم من الرعايا الفرنساويين فهربوا إلى دار الخواجه لوسين جفروا قنصل فرنسا الملاصقة للدير تسلُّقاً على الجدران ولما اشعر بذلك جمهور المسلمين الهائجين تحولوا إلى بيت القنصل المومي إليه وحاصروهُ واستمروا على هذه الحال إلى أن جاء الشيخ صالح الطويل أحد معتبري مشائخهم وفرَّقهم فاستدعى الخواجه لوسين جفروا بهذاد آغا القائم مقام طلباً للأمنية فجاء إليه مع بعض الأعيان والوجوه لكنهم عوضاً عن أن يتلطفوا بهِ وبباقي الافرنج ويعدوهم بقصاص أرباب الفتن اظهروا عدم الاكتراث بما وقع لا بل أن الحاج محمد صوفان أحد أولئك الوجوه تطاول على الخواجه جفروا بالكلام وانصرفوا من عندهِ بلا نتيجة فأعرض حينئذٍ واقعة الحال إلى قنصلة الجنرال في بيروت وكذلك قنصل النمسا وروسيا فجاءت بعد أيام سفينة حربية فرنساوية وسفينة نمساوية ونقلتا الفرنساويين والنمساويين الموجودين في اللاذقية إلى جزيرة أرودا ثم ورد أمر من الولاية في بيروت إلى الحكومة بارسال جماعة من الوجوه ورؤساء الفتنة مقيَدين إلى بيروت وكان من جملتهم الحاج محمد صوفان السالف الذكر والشيخ مرزوق والحاج مصطفى شريتح وغيرهم فأرسلوا وبعد مدة جاءت سفينة عثمانية من بيروت حاملةً المجرمين المذكورين ومعها طابور عسكر وجاء على أثرها البارجتان الفرنساوية والنمساوية ومعهما الفرنساويون والنمساويون الذين كانوا في جزيرة أرواد ثم استدعى القائم مقام جماعة الفرنساويين والنمساويين وجميع قناصل الدول لأجل اجراء قصاص المذنبين بحضورهم حسب الأمر الوارد لهُ فذهب الفرنساويون والنمساويون وتراجمين سائر القناصل إلى دار الحكومة مع قبابطين البارجتين وضابطهما وتُلي أمامهم الأمر الوارد بقصاص المذنبين وذلك بجلد كلٍ منهم عدداً معيَّناً ثم ألقي كلٌ منهم وجُلد بدورهِ ولم يكن يُنقَّص لأحدٍ منهم عن العدد المعيَّن إلّا إذا استجار بدولة فرنسا أو بالمذهب المسيحي أو بالصليب ولما جُلدوا جميعاً ذُهب بهم إلى بيت قنصل فرنسا وسُئل إذا كان قد رضي بهذا القصاص فأجاب بالرضى كتابةً ثم ساقهم الضابط العسكري الذي كان معهم إلى السفينة فسارت بهم إلى بيروت ليقضوا مدة النفي التي حُكم عليهم بها. فكانت هذه الحادثة عبرةً اعتبر بها المسلمون مدة طويلة. هذا وقد

ذكرنـا أن الخواجـه يوسـف مازوليـه وكيـل قنصـل روسـيا كان فـي جملـة الذيـن وُجـدوا فـي الواقعـة وهـو مـن رعايـا دولـة فرانسـا فلمـا جـاءت البارجـة الفرنسـاوية ذهـب هـو وعائلتـه مـع مَـن ذهـب فيهـا مـن الفرنسـاويين إلـى جزيـرة أرواد ولمـا بلـغ ذلـك الخواجـه قسـطنطين باسـيلي قنصـل جنـرال روسـيا فـي بيـروت اغتـاظ منـهُ لعـدم انتظـارهِ امـره والتجائـهِ إلـى الفرنسـاويين فـي هـذه المسـألة ثـم عزلـه مـن وكالـة القونسـلاتو فشـق ذلـك عليـهِ وارسـل ترجمانـه الخواجـه اليـاس مرقـص ليتوسـط امـره عنـد القنصـل الجنـرال فذهـب ثـم عـاد وقـد تعيَّـن ترجمانـاً للقونصلاتـو الجنراليـه ومديـر أشـغال وكالـة قنصلاتـو اللاذقيـة واعتـذر للخواجـه مازوليـه بأنـهُ لـم يقبـل ذلـك إلّا بعـد أن بـذل فـي أمـر اعادتـهِ جهـد المسـتطيع ورأى أن القنصـل الجنـرال مـن المسـتحيل أن يعيـد الوظيفـة إليـه وانـهُ التـزم إذ ذاك أن يمتثل أمـر القنصـل الجنـرال باتخـاذ إدارة القونسـلاتو علـى نفسـهِ. ثـم بعـد مـدةٍ عُيّـن الخواجـه اليـاس مرقـص المومـى إليـه اصيـلاً فـي وكالـة قونسـلاتو روسـيا فـي اللاذقيـة. ثـم عُـزل بهـذاد آغـا مـن قائـم مقاميـة اللاذقيـة وخلفـه خمسـة قائـم مقاميـن متعاقبيـن وذلـك مـن سـنة 1845 إلـى سـنة 1850 وهـم حليـم بـك وجعفـر بـك وشـاكر أفنـدي ومسـرور بـك وصالـح بـك وفـي سـنة 1846 توفـي الخواجـه قسـطنطين ويتالـي قنصـل هولانـدا وسـاردينيا فرُفـع الصليـب فـي جنازتـهِ وهـي أول مـرةٍ تجـرأ فيهـا نصـارى اللاذقيـة علـى الخـروج بالصليـب أمـام موتاهـم فـي الأزقـة والشـوارع وخلفـه فـي قنصليـة هولانـدا ولـده الخواجـه ثيـودوري وفـي قنصليـة ساردينيا ولـده الخواجـه اسـكندر وفـي سـنة 1848 انتشـر الهـواء الأصفـر فـي سـوريا وامتـد إلـى اللاذقيـة واسـتمر فيهـا نحـو ثلاثـة أشـهر وفـي سـنة 1850 عُـزل صالـح بـك القائـم مقـام وخلفـه أميـن بـك وفيهـا جـاء حسـين باشـا الفريـق إلـى اللاذقيـة لاجـراء القرعـة العسـكرية وهـي أول قرعـةٍ عسـكرية جـرت فيهـا فأجراهـا فـي صهيـون وجبـل الأكـراد ثـم انتقـل إلـى بيـت الشـلف (وباقـي مقاطعـات النصيريـة) فقابلـهُ أهلهـا بالسـلاح فعـاد إلـى اللاذقيـة أمـا أهالـي بيـت الشـلف فاسـتدركوا الأمـر وقدمـوا ضـدهُ الشـكايات إلـى الولايـة ونسـبوا لـهُ مـن سـوء التصـرف والارادة مـا ينشـأ عنـهُ نفـور العامـه وعصيانهـم فعُـزل مـن هـذه المأموريـة وجـاءَ مكانـهُ طاهـر باشـا فأجـرى القرعـة فـي بيـت الشـلف وباقـي مقاطعـات النصيريـة بالتـي هـي أحسـن جاريـاً علـى مـراد رؤسـاء المقاطعـات ثـم

بعد ذلك أجرى القرعة في نفس اللاذقية وفي سنة 1851 عُزل امين بك القائم مقام وخلفه مصطفى أفندي وفيها نُسب إلى كنج آغاهرون ارتكاب الرشوة وكان يتقلد الوظائف في مجالس اللاذقية وفي مأمورية تحصيل المال في الجبال فطُلب إلى بيروت وحُجز فيها تسعة أشهر ثم اتفق أن بعض نساءٍ من عائلة ميساق آغا احد الصيارفة الأرمن المنظورين في الآستانة الذي كان ملتزماً كمارك سوريا كنَّ مسافراتٍ برًّا فخرج عليهنَّ بين جبله وبانياس علي الحجاج من كبار اللصوص مع جماعة وسلبوهنَّ جميع ما معهنَّ فتداخل حينئذٍ كنج آغا في بيروت متعهداً باسترجاع المسلوبات إذا فوُّض إليه امر ذلك فعيَّنهُ الوالي مأموراً لاستردادها وعاد إلى اللاذقية بهذه الوسيلة ثم اجتهد باستخدام الوسائط والأساليب اللازمة فاسترجع أكثرها وفي سنة 1852 عُزل القائم مقام مصطفى أفندي وخلفه اسماعيل حقي بك وفيها جاء إلى اللاذقية محمد أمين باشا والي ايالة صيدا (التي كان مركزها في بيروت وكانت اللاذقية قائم مقامية تابعة لها) وأقام فيها نحو 30 يوماً ومما أجراهُ تبديل أعضاء المجلس وابعاد محمد آغا خزنه دار وكنج آغا هرون وعبد الرزاق افندي فتاحي النائب ومصطفى أفندي المفتي عن تقلد الوظائف والمأموريات في الحكومة قيل وفيما هو في اللاذقية جاءهُ خبر عزلهِ عن أيالة صيدا فسافر منها وفي سنة 1853 عُزل اسماعيل حقي بك وخلفه مصطفى بك وفي أيامهِ جاء أحد أولاد جبور من نصارى قرية المزيرعة إلى قرية فديو في ساحل اللاذقية فسُمَّ فيها ومات وقد سبق فذكرنا في قسم الجغرافيا كيفية ارتباط بعض أهالي الجبال ببعضها بواسطة ما يسمونهُ كتابة الدم ولما كانت نصارى المزيرعة مرتبطة بكتابة الدم مع عشيرة بيت الشلف هاجت العشيرة المذكورة ودهم جماعة منها قرية فديو فنهبوها وكانت البلاد فارغة من العساكر النظامية لاشتغال الدولة بالحرب مع دولة روسيا المعروفة بحرب القرم فأرسلت حكومة اللاذقية فرساناً غير نظامية من السلك المعروف بالباشيبو زوق فنهبوا واحرقوا بعض قرى في بيت الشلف كقصاصٍ على نهبهم فديو وفي سنة 1854 عُزل القائم مقام مصطفى بك تحت تهمة ارتكاب الرشوة وخلفه علي بك وكان رجلاً عادلاً وصارماً يناسب ظروف الوقت الذي تولى فيهِ فانهُ بسبب خلو اللاذقية من العساكر النظامية

كان قد وقع فيها الخلل وضعفت سطوة الحكومة وطمع المسلمون في النصارى واجروا عليهم بعض تعديات فلما تولى علي بك انفذ الأحكام على حقها مستعملاً الصرامة في الاجراءات بمقدار ما كانت تستدعي الظروف فانتظمت الحال في المدينة ولزم كلٌ حدَّهُ وفيها جاء إلى اللاذقية نعيم افندي نسيب وامق باشا والي أيالة صيدا مأموراً بتحصيل مطلوبات الكمرك من التجار وكان التجار قد حجزوها تحت فرق التعريفه وذلك أن الدولة كانت قد وضعت تعريفة جديدة للكمارك دنَّت فيها رسم كمرك الدخان عن التعريفه التي قبلها فملتزموا كمارك سوريا اخفوا التعريفة الجديدة واستمروا يستولون الرسم بحسب التعريفه القديمة ودام ذلك نحو خمس سنين دفعت فيها التجار زيادات باهظة ثم اشتهرت التعريفة الجديدة ولُوحظ فيها تاريخ العمل بموجبها فانكشف الفرق للتجار فحجزوا ما كان يُطلَب منهم إلى الكمرك تحت هذا الفرق فلما جاءَ نعيم افندي ضايق الذين هم من رعايا الدولة العثمانية منهم أشد مضايقة وتهدد الحمايات أي الذين هم تحت حماية قناصل الدول الأجنبية الذين كانوا كثيري العدد في ذلك العهد فأنهُ كان لكل قنصل ثلاثة تراجمين أو أربعة ونظيرهم قواسه وكاتب وأمين مخزن وسمسار وعدَّة خدام ولكلٍ من التراجمين والكاتب سمسار وخدمة كما أن لكل من التبعة الأجنبية سمسار وأمين مخزن وخدمة أيضاً فكان يؤلَّف من هؤلاء الحمايات العدد الأكبر من نصارى المدينة ولم يكن للحكومة تسلط على أحدٍ منهم وانما كانت تلتزم أن تلتفت إلى قناصلهم في جميع ما يتعلق بهم عند الاقتضاء ولذلك لم يتمكن نعيم افندي من انفاذ مأربه بهم وأما الذين هم من تبعة الحكومة من التجار فقد استحصل منهم كلما هم حاجزوهُ بعد مضايقة شديدة. وفي السنة المذكورة قدم إلى اللاذقية القس لايد الإنكليزي وهو من كنيسة البروتستانت الاسقفية للتبشير بين النصيرية بالديانة المسيحية واشترى قطعة أرض في قرية بحمرا من مقاطعة القرداحة وبنى فيها مدرسة على مصروفه. وفيها وقع خلاف بين الخواجه اسكندر ويتالي قنصل ساردينيا وبين قنصلهِ الجنرال في بيروت فاستعفى من الوظيفة وتولج بها الخواجه لوسين جفروا قنصل فرانسا. وفيها دخل رجل من أهالي القرداحة إلى مقثأةٍ في المهالبة وقطف منها خيارة فأطلق صاحبها

الرصاص عليه فقتله فهاج أهالي القرداحه وثاروا على المهالبة وعظمت الفتنة وتحزب أهالي ساحل بني علي للمهالبة وأهالي بيت الشلف وجبل بني على للقرداحة فجرت بين الفريقين وقائع قُتل فيها عدة قتلى وكان وقتئذٍ القائم مقام علي بك في البهلولية مشتغلاً بتحصيل المال ولم يكن عندهُ من القوة ما يكفي لردع الطرفين وإطفاء الفتنة فأرسل لأحدهما محمود آغا خزنة دار وهو ابن محمد آغا خزنة دار وللآخر قره محمد آغا من وجوه البائر وكان كلٌ منهما دالي باش أي ضابطاً على نحو ماية فارس من الباشيبوزق لكي يستحضر كلٌ منهما وجوه الفريق الذي ذهب إليه بالأساليب الحسنة فمضيا ولم يتمكنا من إحضارهم إلّا بإعطائهما لهم صك أمانٍ على أنهُ لا يمسُّهم ضرر أو اهانة فحضر من القرداحة المقدمون اسماعيل عثمان وحسن الشندي وحبيب مخلوف ومن المهالبة محمد هيفا وخير بك وغيرهما مؤملين أن القائم مقام يصالحهم مع بعضهم ثم يطلقهم لكنهُ قد خاب أملهم لأن القائم مقام أرسلهم إلى اللاذقية فوُضعوا في سجنها فشق عليهم ذلك وعلى محمود آغا خزنه دار نظراً لصك الأمان المُعطى منهُ واعتبر سجنهم مخلاً بشأنهِ وشرفه فاستعفى من مأموريته. أما علي بك فكان على ما قيل من نيتهِ أنّهُ عندما يكون قد تمم تحصيل المال في البهلولية وصهيون وجبل الأكراد وعاد للاذقية يأخذ عليهم التعهدات الكافية بعدم الرجوع إلى الفتنة ثم يطلقهم معتبراً أن ذلك أكثر لياقةً في شأن وسطوة الحكومة إلّا أنهُ لم يتم لهُ المقصود فإن صقر فاضل مقدم قرية البودي في جبل بني علي وغيره من مشايخ القرداحة جمعوا نحو ثلثماية رجل وجاءوا بهم إلى اللاذقية ودخلوها ليلاً وهجموا على دار الحكومة وكسروا باب السجن وأخرجوا المسجونين وذهبوا بهم إلى أماكنهم وقيل أن ذلك لم يتم إلّا باتفاقٍ بينهم وبين أبي خليل طريفي التفنكجي باشي ولعله لا يبعد عن التصديق. أما مقدموا المهالبة فبعد خروجهم من السجن لم يذهبوا لمقاطعتهم لكي لا يتهموا بالاشتراك في هذا العمل بل بقي بعضهم في اللاذقية والبعض الآخر توجهوا إلى القائم مقام وأخبروهُ بالحادثة فاحتدم القائم مقام غيظاً لما في ذلك من الخلل على ناموس الحكومة واستأذن من حكومة الايالة لأجل جمع نفر عام لقصاص العصاة أهالي القرداحة والمتحزبين لهم ولما حصل

على الإذن دعا إليه رجالاً من أهالي المدينة والمقامات فاجتمع عندهُ نحو الفي مقاتل من المدينة وصهيون وجبل الأكراد والباير والبوجاق والقدموس وباقي المقاطعات المنقادة للطاعة والتقوا جميعاً في جبله حيثما كان قد ذهب القائم مقام ينتظر اجتماعهم ثم جعل أولاً يخاطب العصاة ويحرّضهم بكتاباتهِ على الانقياد طالباً منهم حضور المقدمين للسجن كما كانوا ردًّا لكرامة الحكومة وأن يتَعهدوا بالمال والاقلاع عن الفتن والتعديات لكي يصير العفو عنهم وتخلية سبيلهم فكانت ترد منهم أجوبة مبهمة غير وافية بالمرام تتضمن الإقرار بالطاعة والخضوع لأوامر الحكومة إلّا أنها لا تتضمن شيئاً فيما يتعلق بحضور المقدمين والتعهد بالأموال وما شاكل ذلك فنهض حينئذٍ القائم مقام بمن اجتمع عندهُ من النفر العام إلى قرية بشلاما المتوسطه بين القرداحه والنواصره وكان معهُ من وجوه اللاذقية عبد الرزاق افندي فتاحي وعلي آغا هرون والحاج محمد صوفان مؤملاً أنهُ بحلولهِ في تلك القرية ينتشر الرعب بين العُصاة واذا لم يمتثلوا نصائحه وانذاراته يدهمهم بالرجال ويفتك بهم إلّا أنهُ تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن لأنهُ فيما هو مشتغل بالإنذارات والاستعدادات وأهالي القرداحة واحزابهم في اليوم الثالث من حلولهِ في تلك القرية قبل الغروب في الوقت الذي كان فيه كلٌ من النفر العام مشتغلاً بعلف فرسهِ ولم يكن احدٌ منهم متوقفاً أو متأهباً للقتال فلما دهمهم الرجال وانقضوا عليهم باطلاق الرصاص من كل جانب استوى عليهم الانذهال وأخذ منهم الرعب والخوف كل مأخذٍ ولما كانوا خالين من كل ترتيب ونظام وليس لهم ضباط أو قواد لم يمكن جمعهم وصفهم للقتال بل هبَّ كلٌ منهم إلى فرسهِ والقى نفسهُ فوقها واطلق لها العنان طالباً النجاة بالفرار وجعل كل واحدٍ يسبق الآخر بالهرب وفي لمحة بصرٍ تفرقت تلك الجموع بفشلٍ وخيبةٍ لم يسبق لهما مثال وظهر منهم من الخوف والجبن ما لا مزيد عليه فلما رأى القائم مقام علي بك ذلك الفشل اشتعلت بهِ نار الحمية وركب جوادهُ واستلَّ سيفهُ وصرخ بالهاربين يشجعهم ويحرضهم على الرجوع إلى ساحة الحرب ثم اندفع على العصاة ليحمّل جماعة على الاقتداء بهِ فلم يكن منهم من يلتفت لصراخهِ وتحريضاتهِ ولم يبقَ حولهُ إلّا بضعة فرسان من جملتهم قره علي أحد أغاوات مقاطعة الباير الذي قُتل في

تلك المعركة وفيما كان علي بك على تلك الحال اصابته رصاصة قاتلة فلما أحسَّ بها لوى عنان فرسهِ طلباً للرجوع لكنهُ لم يقدر أن يتمكن على ظهر جوادهِ بل سقط عنهُ عما قليل وانطرح على الأرض مضرجاً بدمائهِ فتم بذلك تفرق جماعة عنهُ وأمسى منقطعاً وحيداً بين زمرة العُصاة الذين سكروا حينئذٍ بخمرة الانتصار وغنموا موجودات المعسكر واجتمع مقدموهم واصطفوا حول القائم مقام وكان على ما قيل لم يزل بين حي وميت وجعلوا يهزأون بهِ ونزعوا عنهُ ثيابهُ وألبسوه ثياباً من عندهم وما زالوا يحتقرونهُ ويعيرونهُ حتى اسلم الروح وفي الغد جيءَ بجثتهِ إلى اللاذقية ودُفنت جنوبي جامع الشيخ المغربي رجع كلّ من النفر العام إلى بيتهِ ثم تولى وكالة القائم مقامية رجل يُدعَى محمد آغا مدةً ثم عُيّن عبد القادر ناجي باشا قائم مقاماً وجاء من الاستانة بمعية محمد نديم باشا الذي عُيّن وقتئذٍ والياً لايالة صيدا عوضاً عن وامق باشا ومرَّ بطريقه على اللاذقية وكان عبد القادر ناجي باشا طرابلسي الأصل شاعراً لبيباً ولكنهُ لم يكن خبيراً بإدارة الأحكام وبعد وصول محمود نديم باشا إلى بيروت ارسل شكري افندي من ارباب مجلس الايالة إلى اللاذقية مأموراً بملافاة الأمور ومرافقاً بأمرٍ يتضمن العفو عن نصيرية الجبال فاعلنهُ لهم وتداخل معهم بالتي هي أحسن مكتفياً منهم بالاقرار بالطاعة والوعد بأداء المال والكف عن الخصومات والفتن فذهب بذلك دم القائم مقام علي بك هدراً كأنهُ لم يكن شيئاً مذكوراً وشمخت أنوف النصيرية ولم يعودوا يبالون بالحكومة البتة وكثر السلب وقطع الطرق والفتن فاصطلت نار فتنةٍ بيد أهالي بيت الشلف وأهالي البهلولية وشن رجال بيت الشلف الغارة على حرف شقيتا واحرقوا بعض قراهُ وسلبوا اغنامها وأبقارها فهاجت الضغائن بين الفريقين وجعل كلٌ منهما يتخذ أحزاباً من أهالي المقاطعات الأخرى فابتدر المقدم ابرهيم جديد من مقدمي بيت الشلف وتظاهر بالميل لاطفاء الفتنة واصلاح ذات البين وسار إلى قرى حرف شقيتا مستدعياً مشايخها ووجوهها للصلح وبعض مفاوضات كثيرة اقنعهم بأن يذهب سبعة من مشايخهم معهُ تحت عهدتهِ وذمامهِ إلى بيت الشلف وهناك يتم الصلح بينهم وبين وجوه تلك المقاطعة بشروط موافقة للطرفين وكان ذلك منهُ حيلةً عليهم فأنهُ بعد أن وصل بهم إلى بيت الشلف

هجم أهلها عليهم بالسلاح وقطعوهم جميعاً إرباً إرباً. أما حكومة اللاذقية فلم تتجرأ على إطفاء الفتنة بالقوة وإنما نهض القائم مقام بفرقة من العساكر والباشيبوزق ونصب خيام الاقامة في بعض قرى الساحل وجعل يرسل كل يوم بعض فرسان من الباشيبوزق ليصادموا رجال بيت الشلف لذين كانوا يأتون ليدهموا قرى الساحل فوقع بين الفريقين بعض مناوشات ومعارك أعظمها معركة اشتبكت بينهما في قرية القنجره كانت الدائرة فيها على النصيرية وظهرت فيها لعبداللّه آغا طريفي وجبرا منصور شجاعة فإنهما حصرا بضعة رجال من النصيرية في مزارٍ ولما كان المزار غير مسقوف قحما جداره بجواديهما وفتكا بالمحصورين فيهِ وجاءا برؤوسهم إلى المعسكر ثم توسط الجندي عثمان الأحمد مدير صهيون الأمر وهدأت الفتنة وعاد المعسكر إلى اللاذقية. وفي سنة 1856 عزل عبد القادر ناجي باشا وخلفه مظهر أفندي وعاد النصيرية في أيامهِ إلى ما كانوا عليه من التمرد والطغيان وجعلوا يعبثون في القرى والسواحل فكان يرسل فرسان الباشيبوزق لتحمي بعض الساحل فتشتبك بينهم وبين النصيرية بعض معارك قلما يفوز بها الباشيبوزق ومن جملة هذه المعارك معركة التحمت بين محمود آغا خزندار وكان دالي باش وبين نصيرية القرداحة وكان محمود آغا قد دهم بفرسانهِ بعض قرى القرداحة واستاق ماشيتها ودوابها وفيما هو راجع إلى جبله دهمه رجال القرداحة واصطلت نار الحرب بين الفريقين فكان جانب من فرسان محمود آغا يخفر الماشية والجانب الآخر يشتغل بالمدافعة فتغلب عليهم النصيريه وكسروهم شر كسرة وقُتِل في المعركة المذكورة عزت آغا ابن اخي محمود آغا خزندار واسترجع النصيرية ماشيتهم ودوابهم وشقَّ على بيت الخزندار قتل عزت وعرض أهالي القرداحة عليهم بعد ذلك ديئتهُ فأبوا قبولها قائلين انهم لا يبيعون دمهُ بثمنٍ وفي سنة 1857 عزل مظهر أفندي وخلفه حسن آغا وفي سنة 1858 عُزل حسن آغا وخلفه شاكر أفندي وفيها انكسرت على شط اللاذقية جنوبي عين السندلكس سفينة بخارية تُدعَى سانت اندريا انكليزية كانت سائرةً ليلاً وكان البحر ثائراً والظلام حالكاً وكان قبطانها وضباطها سكارى فضاع رشدهم ولم يهتدوا إلى سواء السبيل فلطمت السفينة بصخر قريب من الشط وانكسرت وكانت مشحونة بضائع

متنوعة فاشتراها من السيكورتاه وهي في البحر الخواجه الياس مرقص ودخل بذلك معهُ شركاء فجعلوا ينتشلون البضائع فوجدت كميات وافرة وربحوا بها أرباحاً عظيمة، وفي سنة 1859 عُزل شاكر أفندي وعُيّن مظهر أفندي قائم مقاماً للاذقية مرةً ثانية وفيها فُصل الخواجه الياس موسى الياس عن قنصلاتو انكليتره وكانت قد انتقلت إليه عن والده منذ عهد الحكومة المصرية وعُيّن قنصلاً مكانه الخواجه جون فوستر كريرس رجل انكليزي جاء إلى اللاذقية وتقلد هذه الوظيفة. وفيها عزمت الدولة على ضرب وتنكيل النصيريه لغلوهم في العتو والتمرد والتمنع عن أداء المال الأميري فارسلت طابورين من العساكر النظامية أحدهما ششخاته والثاني بياده تحت قيادة أمير الآلاي علي بك وعُيّن مظهر أفندي رئيساً للإدارة الملكية فسارا بالعساكر النظامية المذكوره وبنحو مايتي فارس من الباشيبوزق ونصبا خيام الاقامة في قرية حبيت من بيت الشلف ومكث المعسكر هناك مدةً بدون أن يجري شيئاً لأن أمير الآلاي لم يوافق على استعمال الحركات الحربية في تلك الجهة نظراً لعدم موافقة المركز فنهضت العساكر من بيت الشلف وخيمت في مكانٍ يُدعى الفوار بقرب جبله وجرى استدعاء مقدمي القرداحه والبودي إلى المعسكر فحضر مقدموا القرداحة وتخلف صقر فاضل مقدم البودي عن الحضور وكانت قد انتشبت بينه وبين مقدمي القرداحة عداوة فأظهروا الطاعة والانقياد للحكومة واتفقوا معها على نشر لواء الحرب على البودي وتنكيل صقر فاضل وضربوا لذلك أجلاً مسمًّى ثم عادوا إلى أماكنهم لاجراء الاستعدادات اللازمة فلما بلغ صقر فاضل ذلك الخبر كاتب مقدمي القرداحة يخطّئهم في اتحادهم مع الحكومة ضدَّهُ ويحذّرهم عاقبة الأمر مبرهناً لهم أن الحكومة بعد أن تنفذ مآربها معهُ بمساعدتهم تحوّل قوتها عليهم وتفتك بهم فتكاً ذريعاً ثم يحرضهم على أن يتحدوا جميعاً على الحكومة بحيث لا يمكنونها من أن تقوى عليهم بالتقسيم فلما بلغت مكاتبته لهم وقع لديهم رأيهُ بالاتحاد موقع القبول والاستحسان وبعثوا لهُ بأجوبة تتضمن التعويل على رأيهِ والاتحاد معهُ قولاً وفعلاً ضد الحكومة. أما القائم مقام وأمير الالاي فلما جاء الميعاد المضروب بينها وبين مقدمي القرداحة ولم يحضروا إلى المعسكر كتب إليهم يستدعيانهم للحضور إلى

المعسكر لأجل الشروع فيما قرَّ عليه القرار فماطلوا وترددوا عن الحضور وبدا منهم ما يدل على النكث بعهدهم فاغتنم حينئذٍ صقر فاضل الفرص وجاء إلى المعسكر وترامى على أمير الالاي والقائم مقام مظهراً التذلل والخضوع وحلف لهما يمين الانقياد والطاعة حتى ثم أطلعهما على الأجوبة الواردة لهُ من مقدمي القرداحة وبالغ في الطعن فيهم وفي الشرح عن فسادهم وخيانتهم وأنهُ لا يليق بالحكومة أن تثق بمواعيدهم لأنهم ليسوا أهلاً للتحالف وانهُ إنما هو الذي يقوم بتعهدهِ وقولهِ لأولئك الانذال وأنهُ مصداقاً لذلك وبرهاناً على صدق تعهدهِ بالطاعة وخدمة الحكومة بخلوِ من النية لا يخرج من المعسكر حتى تتم جميع الاجراءات فقُبل كلامهُ هذا عند الحكومة وأمنتهُ وحولت افكارها لتكنيل اهالي القرداحة فوجَّهت ذات يوم فرسان الباشيبوزق إلى اطراف تلك المقاطعة فاشتبكت بينهم وبين أهلها معركة قوي فيها النصيرية على الباشيبوزق ودفعوهم إلى الورءا وضايقوهم أشد المضايقة وكان أمير الالاي والقائم مقام وباقي المأمورين الملكية والعسكرية ينظرون إلى ذلك من على تلٍ مشرفٍ على ميدان القتال ويشاهدون تقهقر الباشيبوزق وفوز النصيرية فتأثر منه ذلك بكيباشي يدعى علي آغا وخفق جنانهُ للقتال وتوسل إلى أمير الالاي أن يوذن لهُ بأن يزحف ببعض انفار من العساكر النظامية للفتك بالنصيرية وبعد جهدٍ أذن لهُ بالذهاب ببلوكين من عساكر الششخانه فسار لساعتهِ ولما اشعر فرسان الباشيبوزق بقدوم عساكر الششخانه انتشروا مصطفين في وجه النصيرية ليواروا عنهم مجيء الششخاته إلى أن يكونوا قد اقتربوا منهم وجعلوا يشغلونهم باطلاق الرصاص وبعد برهةٍ انفصل فرسان الباشيبوزق إلى شطرين وظهرت عساكر الششخانه من ورائهم واطلقت البنادق والمدافع دفعةً واحدة على النصيرية فزعزتهم وما برحت تطلق عليهم الرصاص والكرات (الكلل) حتى مزقتهم كل ممزق وقتلت منهم نحو ماية رجل فولّى الباقون هاربين وللنجاة طالبين ثم قطع الباشيبوزق روس المقتولين وجاءوا بها إلى المعسكر ورجعت عساكر الششخانه وأمامها الموسيقى العسكرية تضرب بألحان النصر والظفر وفي الغد انفذت الحكومة أوامر إلى العصاة تستدعيهم إلى الاستسلام والانقياد وتحثهم على حقن دمائهم وأن يتخذوا لأنفسهم عبرةً من المعركة التي

جرت بالأمس بأنهم لا يقدرون أن يثبتوا أمام العساكر النظامية السلطانية فجاوبوا بأنهم لا يستسلمون ما لم يجربوا أنفسهم مرةً أخرى بمحاربة العساكر ثم شرعوا يتجمعون ويتأهبون للقتال وانحاز لمساعدتهم أكثر عشائر جبال النصيرية حرصاً منهم على حفظ ذمامهم وعدم تمكين الحكومة من الفوز عليهم ثم اشتبك القتال بينهم وبين طابور الششخانه وفرسان الباشيبو زق وكان عدد النصيريه في هذه المعركة على ما قيل نحو ثمانية الآف مقاتل ولعلَّ في ذلك مبالغة ولم تمضِ برهة من الزمان حتى دارت الدائرة على النصيرية وانكسروا أي انكسار فتشتت شملهم وتبدَّد جمعهم وصار بعضهم يطرحون أنفسهم في الوديان وآخرون يلتجئون وراء الصخور والغابات وآخرون يتسلقون إلى اعالي الجبال هرباً من نيران البواريد الششخانه والمدافع وقُتل منهم في تلك المعركة كثيرون وكان ذلك اليوم شديداً عليهم لقوا فيه من الأهوال ما مكَّن في قلوبهم خوف محاربة العساكر النظامية إلى ما شاء اللّه. وفي اليوم التالي جاء مقدموهم إلى المعسكر مترامين وطالبين الأمان وتعهدوا بأداء الأموال الأميرية ومصروف المعسكر وسلموا أولادهم رهائن للحكومة فأرسلوا للاذقية واستمروا في سجنها حتى قام آباؤهم بتعهداتهم عن آخرها. أما مظهر أفندي القائم مقام فلبث في المعسكر في جبله لأجل استيفاء المال وكان معهُ عبد الرزاق أفندي فتاحي فاتفقا على ارتكاب الرشوة واجريا لهذه الغاية من الظلم والغدر أموراً كثيرة وابتلعا أموالاً وافره ومن الفظايع التي أجرياها أنهما ارتشيا من أحد المقدمين على قتل الشيخ نصر أحد مشايخ النصيرية المعتبرين فاستدعياهُ بالأمان فلما وفد عليهما تهدداهُ وارتشيا منهُ أيضاً وبعد ذلك ارسلا غلمانهما إليه ليلاً فقتلوهُ واخفوا جثته ولما انتهت الاجراءات عاد القائم مقام ومَن معهُ إلى اللاذقية وفي تلك الاثنا اجرى أحمد آغا عبد القادر مدير الخوابي على أهالي قرية بهرميل إحدى قرى مديريته وهم نصارى من الروم الارثوذكس جوراً وظلماً وصادرهم بمالٍ غير شرعي فنفروا من القرية بنسائهم وأولادهم وجاءوا إلى اللاذقية يتظلمون إلى الحكومة فلم يأخذ القائم مقام وتعصب مع مَن في المجلس من أعضاء المسلمين إلى أحمد آغا عبد القادر فتداخل بذلك وكلاء قناصل الدول الافرنجية وجرت بينهم وبين القائم مقام مراسلات كانت ثمرتها

مضاعفة تعصبه لأحمد آغا عبد القادر فكتبوا بذلك إلى قناصلهم الجنرالية في بيروت فلم يجدِ ذلك نفقاً واستمر أهالي بهرميل مشتتين في اللاذقية يقاسون شديد البرد والجوع مدة الشتاء ولما لم يروا فائدة من طول مكثهم ذهب كلٌ منهم في الربيع إلى مكان طلباً للرزق وهجروا قريتهم بالكلية. وفيها أي في سنة 1859 قدم إلى اللاذقية الخواجه ضدس والخواجة بيتي الأميركانيان وهما قسيسان من الكنيسة البروتستانتية الجمهورية وباشرا فتح مدارس في المدينة وفي جبال النصيرية لنشر مذهبهم وبهما تأسَّست جمعية المرسلين الاميركانية في اللاذقية ولما مات القس لايد الإنكليزي أوصى للجمعية المذكورة بمدرسته بحمرا. وفي سنة 1860 كانت حادثة سوريا المشهورة ابتدأت الفتنة فيها بين الدروز والموارنة في لبنان ثم اتسعت واتحد بها المسلمون مع الدروز في بعض الأماكن فأوقعوا بالنصارى ولا سيما في دمشق حيثما ذبحوا منهم ميئاتٍ واحرقوا جميع منازلهم وبيوتهم بعد سلب ما فيها فخاف النصارى في باقي مدن سوريا واشترك بهذا الخوف نصارى اللاذقية أيضاً ولا سيما عندما شاع خبر مذبحة دمشق بواسطة أحد السفن الحربية الإنكليزية التي جاءت إلى اللاذقية لابلاغ الخبر إلى حاكمها والوقوف على مقدار استعداده لوقاية نصارى المدينة فأنها بعد أن رست خرج قبطانها إلى البر وقابل الخواجه كريرس قنصل انكليتره وسار معهُ لمقابلة مظهر أفندي القائم مقام وخلا مع القنصل وبعض متوظفي القنصلاتو وأخبرهُ سراً بحادثة دمشق وسألهُ هل عندهُ من القوة ما يتكفل بوقاية نصارى اللاذقية حتى إذا كان في افتقارٍ للآلات الحربية والرجال يُخرج لهُ من بارجته ما هو في افتقارٍ لهُ وإلّا فإنهُ يطلب منهُ صكاً يتعهد بهه بوقاية النصارى فالتمس القائم مقام منهُ مهلة بعض ساعات لإعطاء الجواب ثم جمع للحال أعضاء المجلس المسلمين من الأعيان والوجوه وقص عليهم الخبر وطلب منهم ضمانة العاقبة إذا أرادوا أن لا يقبل مساعدة من البارجة الإنكليزية فأعطوهُ صكاً عليهم جميعاً يتعهدون فيه بحماية النصارى ويتخذون على أنفسهم مسؤولية كل خطر يقع عليهم من المسلمين ولما حصل على هذا الصك أعطى الجواب إلى القبطان الإنكليزي بعدم الافتقار إلى مساعدة خارجية وتعهد لهُ كتابةً بحماية النصارى من كل خطر ولما عاد القبطان والقنصل

من دار الحكومة انتشر خبر مذبحة دمشق في المدينة فحزن لذلك النصارى واستولى عليهم الارتياع ولم يكن تعهد القائم مقام للقبطان الإنكليزي كافياً لتلطيف خوفهم الباطني ولم يسكن روعهم حتى ورد الخبر بقدوم فؤاد باشا ناظر الخارجية من الاستانة إلى سوريا لتمهيد الأحوال وقدوم عشرة الآف جندي فرنساوي إلى بيروت للمحافظة مع قدوم سفائن حربية من قبل أكثر الدُوَل الافرنجية جعلت تتناوب زيارة كلٍ من مدن سوريا البحرية فكان في أكثر الأيام يوجد في مرسى اللاذقية بارجة أو أكثر ودام ذلك إلى نهاية توطيد الراحة والأمن في سوريا وبعد مجيء فؤاد باشا إلى بيروت قدم خورشيد باشا والي أيالة صيدا الذي جرت الحادثة في أيامهِ إلى اللاذقية وأقام فيها نحو عشرة أيام ثم عاد راجعاً إلى بيروت وفي مدة وجوده في اللاذقية كانت تلوح على وجههِ لوائح التفكر وانزعاج الضمير ولا عجب في ذلك فأنهُ بعد وصوله إلى بيروت حُجز عليه ثم حُكم عليه بالنفي بعد سلخ جميع رتبهِ عنهُ لاشتراكهِ أو لتقصيرهِ في الحادثة كما حُكم على أحمد باشا والي دمشق بالقتل هذا وممَّن ظهرت لهُ مآثر حميده من المسلمين في زمن خوف النصارى في اللاذقية في العهد المرقوم محمود آغا خزندار فأنهُ أظهر كمال الغيرة عليهم وشعائر المروؤة وكان يجول على أكابرهم ويطمأنهم ويعدهم بالمساعدة والذب عنهم باخوتهِ ورجالهِ حتى الموت ثم أنهُ ذات صباحٍ وُجد أمام باب دار الخواجه الياس مرقص قنصل روسيا وفي أماكن أُخرى من حارات النصارى أوراق مكتوبة بلا امضاء تتضمن احتقاراً وشتماً للدين المسيحي وتهديداً للنصارى عموماً ولهُ خصوصاً فارتاعت لذلك النصارى وارسل الخواجه الياس مرقص المومى إليه اخاهُ وترجمانهُ الخواجه اسبريدون مرقص إلى بيروت حاملاً رسالاتٍ منهُ ومن باقي قناصل اللاذقية إلى قناصلهم الجنرالية يعلمونهم بذلك وبعد أسبوع عاد المومى إليه ببارجة روسية قدمت لتطمين النصارى وبعد أيام جاء من قِبَل فؤاد باشا رأوف بك احد البكباشية معاوني حربهِ لأجل الفحص والتحقيق عن مصدر تلك الورقة فجعل يجمع في دائرة الحومة الأهالي أصحاب الخطوط غير المشهورة من المسلمين والنصارى ويستنسخهم صوراً عليها ليقابل بينها وبين الخطوط فكان أقربهنَ إليها شبهاً خط ميخائيل ابن الخواجه استور يعقوب عضو

طائفة الأرمن في المجلس فوقعت الشبهة عليه بكتابتها فألقي القبض على الخواجه استور وأودع في السجن حكماً بأنهُ ولئن كان ابنهُ الكاتب لكنهُ هو صاحب هذه الحركة بناءً على ما كان يُنسَب له من حب الفُتَن والتشويش لمقاصد ذاتية على أن رأوف بك قصد القاء القبض على ابنه ميخائيل أيضاً لكنهُ لم يتمكن من ذلك لكونه وُجد من حمايات قونصلاتو فرنسا ثم جرى استنطاق الخواجه استور في المجلس فقويت عليهِ الشبهة وأرسل إلى بيروت في شهر تشرين الأول سنة 1860 وسِجن فيها مدةً ثم خُلّي سبيله بناء أن لا يعود إلى اللاذقية على أنهُ بعد مدةٍ استحصل امراً بالعفو المطلق وعاد إليها وفي هذه السنة توفي محمد آغا خزندار الذي تولى حكومة اللاذقية مدةً قبل دخول الحكومة المصرية كما ذكر في محلهِ وفيها قدم إلى اللاذقية اسمعيل باشا المجرى المعروف عند الافرنج باسم الجنرال كميتّي لافتقاد أحوالها من قِبَل فؤاد باشا ولما كان النصارى والقناصل متأثرين من سلوك مظهر أفندي القائم مقام في مسألة نصارى بهرميل وغيرها من أعمالهِ الجائرة مع النصيرية وشوا بهِ إلى اسماعيل باشا وحدثوهُ بأعمالهِ المشتركة مع عبد الرازق أفندي وما اجرياهُ من الظلم في جبال النصيرية وما ابتلعاهُ من الرشوة وكان اسماعيل باشا شديد الانفعال فبلغ منهُ الغيظ مبلغاً حملهُ على القاء مظهر أفندي وعبد الرزاق أفندي في السجن والشروع في التحقيق عليهما قبل الاستئذان عن ذلك من فؤاد باشا ثم عرض لهُ عما فعل ويُقال أن فؤاد باشا خطَّأهُ في عملهِ لكنهُ اضطر أن يجاريه حفظاً لاعتبارهِ وانفذ لهُ أمراً بعزل مظهر أفندي من القائم مقامية وتعيين عزت افندي مكانه أذنهُ بمداومة التحقيق بمعرفة عمدةٍ تحت رياسة عزت افندي القائم مقام الجديد فأجرى اسمعيل باشا تعيين العمدة وشرعت في التحقيقات ورؤية الدعاوي المتصدرة من بعض الأهالي على مظهر أفندي وعبد الرزاق أفندي على أن مظهر أفندي قد كان متجلداً ولزم الانكار المجرَّد في جميع حركاتهِ وسكناتهِ فلم يزلّ بكلمة وأما عبد الرزاق افندي فكان منحلَّ العزيمة واقرَّ بارتكابات شتى فعلها بالاشتراك مع مظهر افندي في جملتها قتلهما الشيخ نصر ولما تمَّ استنطاقهما أرسلا مع عمدةِ التحقيق إلى بيروت بناءً على امر فؤاد باشا لأجل إبراز الحكم عليهما في المجلس الكبير وبعد مراجعة الاستنطاقات

فيه حكمُ بنفي عبد الرزاق افندي نفياً مؤبداً عن اللاذقية وحرمان مظهر أفندي من خدمات الدولة على أن هذا الحكم لم يستمرَّ مفعولهُ ثابتاً فإن عبد الرزاق افندي توجه إلى الاستانة وأقام فيها نحو سنةٍ ثم استحصل فرماناً بالعفو عنهُ والاذن لهُ بالرجوع إلى وطنه فعاد إلى اللاذقية كما أن مظهر افندي بعد سنين قليلة استخدمتهُ الدولة وعينتهُ قائم مقاماً لطرسوس ثم في أثناء وجود اسمعيل باشا في اللاذقية حدث خصام فيها بين الروم واللاتين وسببه ان الروم شرعوا بتجديد كنيسة ماري سابا وكان في دار الكنيسة بعض قبور للاتين فجاء بعضهم وقصدوا أن يفصلوا القطعة التي كانت فيها تلك القبور عن دار الكنيسة بحائطٍ ليستقل بها اللاتين فاعترضتهم الروم وتصدر للمناضلة عن ذلك من طرف الروم الخواجه الياس مرقص قنصل دولة روسيا فتعصب اسمعيل باشا للاتين واشتدت المحاوره لأجل ذلك في دار الكنيسة فيما بين الخواجه الياس مرقص وبين اسماعيل باشا والخواجه لوسين جفروا قنصل فرنسا والخواجه الفونس لازري قنصل النمسا ثم توقف العمل بناء ان يصير حل هذه المسألة بواسطة القناصل الجنرالية في بيروت ثم كتب كلّ من قنصل فرنسا وقنصل روسيه إلى قونصلهِ الجنرال فجاء من قِبَل كلٍ من الجنرالين مأمور إلى اللاذقية ولدى البحث وُجد أمر قديم من سليمان باشا والي عكا، ورد بأثر منازعة جرت بين الروم واللاتين نظير هذه المنازعة يتضمن الحكم بأن الكنيسة والمقبرة التي فيها جميعاً ملك الروم وليس لهم شريك فيهما فحينئذٍ اتفق المأموران على اعطاء القطعة الواقع عليها النزاع إلى اللاتين بثمنٍ قدره ألف فرنك تُدفع إلى طائفة الروم وتم ذلك. ثم سافر اسمعيل باشا المجري إلى بيروت فوقع بينه وبين فؤاد باشا تنافر بعثه على الاستعفاء من خدمة الدولة والتوجه إلى انكليتره ومات فيها بعد عهدٍ غير بعيد ثم في ربيع سنة 1861 قام عزت افندي القائم مقام بفرقته من العساكر إلى جبال النصيرية لأجل التحصيلات وفي أثناء وجودهِ فيها انتشرت رائحة فتنةٍ في جبل الأكراد ضد نصارى قرية كنسبا فإن محمد آغا يونسو احد آغاوات جبل الأكراد وأكثرهم سطوةً ونفوذاً كان وقتئذٍ مديراً في جسر الشغور فجاء إلى جبل الأكراد لأجل قطع سعر الدخان مع نصارى كنسبا السماسره وبعض تجار اللاذقية النصارى وقصد قطعه بسعرٍ باهظٍ فلم يوافق

التجار والسماسره على ذلك فاغتاظ منهم وتهددهم ثم هيَّج اغاوات جبل الأكراد والأهالي على عدم ايفائهم شيئاً من مطاليبهم بدعواهُ انها جميعها أرباح ربحوها من جبل الأكراد واستعمل غير ذلك من التهديدات ظناً منهُ أن الظروف تساعده مع أن فؤاد باشا كان لم يزل ما بارح سوريا فخاف نصارى كنسبا العاقبة وكتبوا إلى المطران والقناصل يعلمونهم بالقصة ولما بلغ عزت افندي هذا الخبر ارسل بالحال علي آغا هرون وجبرائيل افندي عطاللّه إلى جبل الأكراد لأجل اصلاح ذات البين واطفاء الفتنة بالحكمة فلم يتمكنا من ذلك وازداد هيجان الفتنة عوض انطفائها حتى أن آغاوات جبل الأكراد أعطوهما جواباً خطياً تحت امضائهم واختامهم بأنهم لا يضمنون سلامة نصارى كنسبا من الخطر فسارا من جبل الأكراد إلى الباير وعرضا منهُ إلى عزت افندي واقعة الحال فتكّدر من ذلك وأمرهما بالرجوع إلى البلده ثم ارسل عوضهما مصطفى افندي مفتي اللاذقية وبكباشي العساكر النظامية والياس افندي صوايا فساروا إلى جبل الأكراد وكانت جمعية الأهالي فيهِ قد انفضَّت على عزم الايقاع بالنصارى فاجتمعوا مع محمد آغا يونسو ثم جمعوا عنده الآغاوات والوجوه وتداخلوا معهم بالأساليب الحسنة وحلُّوا ذلك المشكل وحددوا سعر الدخان بقيمةٍ مناسبة واستحصلوا صكاً من أغاوات جبل الأكراد بضمانة سلامة مسيحيي كنسبا من الخطر وكان الحصول على جميع ذلك بحكمة وحسن تصرف الياس افندي صوايا ثم عادوا ناجحين وسكنت بعد ذلك الأحوال وفي خريف السنة المرقومة ارسل شرواني زاده رشدي افندي مفتي مأمورية اصلاحات سورية يشور على عزت افندي قائم مقام اللاذقية أن يقبل مأمورية أقلام جبل لبنان بمعية داود باشا الذي عُيّن متصرفاً للجبل المذكور فقبل وسار إلى بيروت وخلفه في قائم مقاميةِ اللاذقية ابراهيم باشا وكان المعسكر لم يزل في جبل النصيرية فسار إليه وأقام مدةً فيهِ مشتغلاً بالتحصيلات وألقى القبض في اثناء ذلك على مقدمي القرداحة وارسلهم إلى بيروت فتبعهم القس ضدس الأميركاني وتوسط أمرهم بواسطة المأمور الذي كان من قِبَل دولة انكليتره في قومسيون اصلاحات سورية الدولي فأُطلقوا وعادوا إلى القرداحة وفي نيسان سنة 1862 عُزل ابراهيم باشا وكان مدمناً على شرب المسكرات فمرض

في اللاذقية ولبث بعد عزلهِ مدة مريضاً ثم سافر إلى الاسكندرية ومات فيها ثم خلفه في قائم مقامية اللاذقية صالح بك وفيها في أيلول قدم إلى اللاذقية عمر باشا الداغستاني الفريق بمأمورية الإصلاحات والتحصيلات ومعهُ نظيف افندي مأموراً ملكياً فسار عمر باشا بفرقةٍ من العساكر إلى جبل النصيرية وأقام فيه مدة ثم عاد إلى اللاذقية وبقيت فرقة العساكر في الجبل لأجل التحصيلات. وفيها تحققت حكومة حلب مظالم وتعديات محمد آغا يونسو مدير جسر الشغور وعلمت أنهُ بنى حصناً في قرية شنبر وذخَّرهُ بالبارود والرصاص فأرسلت إليه العساكر فقبضوا على ابنهِ رشيد آغا ونهبوا الحصن وهدموهُ أما هو فهرب إلى اللاذقية والتجأ في بيت الخواجه كريرس قنصل انكليتره ولما بلغ عمر باشا الداغستاني ذلك أرسل فطلبه من القنصل فلم يسلّمه اياه فأرسل عسكراً يحرس منافذ البيت كيلا يهرب ثم كتب كلٌّ من عمر باشا وقنصل انكلتره إلى ولي امرهِ في بيروت واقعة الحال وكان أهالي الجسر يطلبون من الحكومة إرسال محمد آغا يونسو إلى انطاكيه ليحاكموهُ فيها على المظالم التي عاملهم بها لكون أنطاكية هي مرجع مديرية الجسر وهي أقرب مجالاً للأهالي أما محمد آغا يونسو فكان يحاذر ذلك فقر القرار فيما بين الولاية وقونصلاتو جنرالية انكليتره في بيروت أن يصير تسليم محمد آغا يونسو للحكومة على شرط أن تصير محاكمته في اللاذقية لا في انطاكيه فسلمه الخواجه كريرس إلى حكومة اللاذقية واستمر مدةً في سجنها تحت الاستنطاق والمحاكمه ثم أُرسل إلى بيروت حيثما أقام مدةً ثم جرت تخلية سبيله وفيها في شهر أيلول عاد عمر باشا الداغستاني إلى بيروت وفي شهر تشرين الأول قدم أحمد باشا والي صيدا من بيروت إلى اللاذقية مصحباً معهُ بعض أعضاء المجلس الكبير للتحقيق على ما كان قد انتشر من اخبار ارتكاب الرشوة وعدم الاستقامة في مأمورية القرعة العسكرية التي كانت تجري وقتئذٍ في جبال النصيرية ولدى وصوله استدعى إليه مأموري القرعة وهما علي رضى بك امير الالاي وكنج آغا هارون ووضعهما في السجن ووضع معهما علي آغا هارون مأمور الأملاك ثم اطلقه بعد أيام قليلة وعاد إلى بيروت مصحباً معهُ علي رضى بك وكنج آغا فحُجز علي كنج آغا في بيروت نحو ثمانية أشهر ثم جرت تخلية سبيله وعاد إلى اللاذقية ثم مدَّ

السلك التلغرافي منها إلى طرابلس وبيروت وفيها استعفى صالح بك من قائم مقامية اللاذقية وخلفه اسكندر بك وفي شهر كانون الثاني سنة 1863 تم ربط سلك التلغراف من اللاذقية مع حلب وديار بكر حيثما هو مربوط من الطرف الواحد مع بغداد ومن الطرف الثاني مع الاستانة وفيها في شهر نيسان وقع شقاق في المرقب بين بني عذراء المسلمين وبين بني عرنوق النصارى فسار بنوا عذرا برجالهم لمهاجمة قرية المتن فخرج أهاليها المسيحيون مع بني عرنوق لدفعهم فجرت بين الفريقين معركة ذهبت بأثرها مجروحان من كل طرف ثم جمع بنو عذرا أهالي القرى من جهات المرقب وزمرين وغيرهما وقصدوا قرية المتن ثانيةً فلما أحس بهم المسيحيون هربوا بغتةً فدخل بنو عذرا القرية ونهبوها وسلبوا امتعة الكنيسة ولما ورد الخبر إلى اللاذقية سار اسكندر بك القائم مقام إلى مكان الحادثة وسافر المطران ارتاميوس مطران اللاذقية وجبرائيل افندي عطااللّه عضو طائفة الروم في المجلس إلى بيروت وقدما الشكوى إلى أحمد باشا قيصرلي الوالي فجاءَ معهما بنفسهِ إلى المرقب براً وقبض على سبعة عشر شخصاً من رؤساء الحركة المسلمين واستحصل قسماً من المنهوبات وردهُ بعينهِ إلى أصحابهِ ثم أخذ تعهداً من الأهالي المسلمين بارجاع بقية المسلوبات في برهة 15 يوماً على أنهم إن لم يجدوها ويردوها يدفعوا قيمتها العادلة وأنهم يلتزمون عدم صدور قباحة من أحد منهم ويسلمون كل مَن يرتكب شيئاً من ذلك إلى الحكومة لكي تجري جزاءه وأن كل مَن يتهاون بتسليم المذنب يُقاصُّ بذنبهِ ثم سمح للمنهوبين بستة آلاف غرش فوق ما تعوض عليهم للاعانة على معاشهم وعاد بعد ذلك إلى بيروت مصحباً معهُ المقبوض عليهم من بني عذرا وبعد وصوله إلى بيروت نفى بعضهم إلى ما وراء الاستانه نفياً موقتاً فمات أكثرهم في المنفى وعاد بعضهم بعد أن قضوا المدة المعيَّنة إلى المرقب.

وفيها عاد عمر باشا الداغستاني بمأمورية الإصلاحات والتحصيلات أيضاً إلى اللاذقية وسار بفرقةٍ من العساكر إلى الجبال وأقام فيها اشهرا وسلك مع النصيرية باللين فكانت أمور التحصيلات والقرعة العسكرية تجري ببطؤ وكاد يحصل تشويش وخلل بواسطة فساد اسماعيل عثمان أحد مقدمي القرداحة فأنهُ أغرى أهل النويصرة مع التظاهر بالعصيان وكان

عندهـم إذ ذاك موسـى ابـن الخواجـه اليـاس موسـى اليـاس قنصـل انكليتـره سـابقاً كان مرسـلاً مـن قِبَـل ابيـه وعمـهِ الخواجـه يعقـوب اليـاس قنصـل بروسـيا لأجـل تنزيـل دخانهـم الـذي كانـا قـد اتفقـا معهـم عـل دفـع ثمنـه إلـى الحكومـة مـن أصـل المـال المطلـوب منهـم فحجـزوهُ عـن النـزول إلـى البلـد مـا لـم يدفـع لهـم ثمـن الدخـان المذكـور غيـر قابليـن بدفعـه للحكومـة فبلـغ أبـاهُ وعمـهُ ذلـك فأرسـلا يطلبانـهِ مـن عمـر باشـا وكان اسـماعيل عثمـان كتـب إليـه يخبـره عـن تظاهـر النواصـره بالعصيـان ويثلـب بحقهم تظاهـراً بـأن لا مداخلـة لـهُ معهـم فارتبـك عمر باشـا في ذلـك واحتار مـا بين أن يرسـل العسـاكر لتنكيلهم وأن يسـتعمل وسـايط أخـرى وكان عنـده يومئـذ اليـاس افنـدي صوايـا فعـرف أن فـي الأمـر حيلـة عالمـاً أن أهالـي النواصـره لا يقـدرون علـى اشـهار رايـة التمـرد والعصيـان إلّا بموافقـة ورضـى اسـمعيل عثمـان وباقـي مقدمـي القرداحـة وتسـلطهم عليهـم نظـراً لانحصـار جبلهـم مـن كل ناحيـة بمقاطعـة القرداحـة فاسـتأذن مـن عمـر باشـا بـأن يذهـب هـو وحـدهُ ويصـرف هـذا الأمـر بـلا حاجـةٍ إلـى إرسـال العسـاكر فـاذن لـهُ فسـار وبلـغ مسـاءً إلـى القرداحـة فلـم يشـاهد اسـمعيل عثمـان فيهـا فإنـهُ كان فـي جبـل النواصـره فبـات تلـك الليلـة فـي القرداحـة واجتمـع إليـه مقدموهـا يسـألونهُ عـن سـبب مجيئـهِ فأفهمهم أنـهُ ذاهـب إلـى النواصـرة مـن قِبَـل عمـر باشـا ليـرى سـبب عصيانهـم فلمـا فهمـوا منـهُ ذلـك أرسـلوا بالحـال يخبـرون اسـماعيل عثمـان سـراً بالأمـر فنهـض حـالاً وجـاء إلـى القرداحـة ليلاً وفـي السـحر اجتمع باليـاس افنـدي صوايـا وجعـل يحـذرهُ مـن الذهـاب إلـى النواصـره ويهـوّل عليـه الخطـر الـذي يحيـق بـهِ إذا سـار إليهـم فتأكـد اليـاس افنـدي حينئـذٍ الحيلـة وأجابـهُ أنـهُ لا يمكنـهُ إلّا أن يتمـم أمـر عمر باشـا فلما رأى اسـمعيل عثمـان اصـراره علـى الذهـاب خشـي مـن أنـهُ إذا تركـه يذهـب تنكشـف حيلـه ومفاسـده فترجـاهُ أن يبقـى فـي القرداحـة وتعهـد لـه باحضـار موسـى اليـاس وتسـكين أهالـي النواصـره واسـتحضر موسـى اليـاس فأرسـل إلـى ابيـه وعـاد اليـاس افنـدي إلـى المعسـكر فسـرَّ عمـر باشـا بمـا أجـراه. وفيهـا أي فـي سـنة 1863 توفـي الخواجـه ثيـوذوري ويتالـي قنصـل هولانـدا وخلفـه فـي وظيفتـه ابـن اخيـه الخواجـه نقـولا ويتالـي وفيهـا عـزل اسـكندر بـك القائـم مقـام وخلفـه اسـمعيل بـك وعـاد عمـر باشـا الداغسـتاني إلـى بيـروت وفـي ايـام اسـمعيل بـك وقعـت فتنـة بيـن طائفـة الـروم منشـأها أن الخواجـه

الياس مرقص وكيل قونصل روسيه تنافر مع اسمعيل بك فكتب اسمعيل بك لهُ تحريراً دفعه إلى جبرائيل افندي عطا اللّه ليوصله لهُ ويبلغه كلاماً شفاهياً فسار إليه وأعطاه التحرير فلما قرأهُ غضب وطرح التحرير إلى الأرض وتكلم مع جبرائيل افندي عطا اللّه كلاماً حاداً فأجابهُ بمثله واشتبك بينهما خصام بسبب ذلك فاضمر حينئذٍ الخواجه الياس مرقص الشر إلى جبرائيل افندي عطااللّه وحصل بعد مدةٍ على عرضحال مختوم من كثيرين من الطائفة باسم الحكومة المحلية يتضمن طلب عزله من عضوية المجلس وتعيين جرجس افندي ميخائيل الياس الذي كان أمين صندوق الحكومة عوضه فلما بلغ جبرائيل افندي عطا اللّه ذلك جاء إلى الياس افندي صوايا وطلب منهُ أن يساعده هو وأصحابه في هذه المسألة فساعدوهُ وجرى استحصال عرض حال من الطائفة ضد ذاك العرض يتضمن أن العرض الأول ختم فيه كثيرون بالحيله بدون أن يعرفوا حقيقة مضمونه وكان المطران ارثاميوس متحزباً للخواجه الياس مرقص وقد دفع لهُ ختمهُ يكتب ما يختارهُ عن لسانهِ للحكومة وكانت الحكومة المحلية متحزبة لجبرائيل أفندي عطا اللّه فبعد تبادل مكاتبات حادة بين الجهتين رُفعت القضية إلى حكومة الايالة فصدر أمر الوالي لحكومة اللاذقية بابقاء جبرائيل افندي عطا اللّه في عضوية المجلس وعدم الالتفات لتحريك المتحزبين ضدهُ فاستمر في العضوية إلى حين التشكيلات التي سيأتي ذكرها التي في قوانينها تعيين الاعضاء بالانتخاب فأنتُخب حينئذٍ جرجس افندي ميخائيل الياس باتفاق الحزبين حسماً للنزاع.
أما نصيرية الجبال فقد كانوا في أيام اسمعيل بك كما في أيام القائم مقامين الذين سلفوهُ حتى وفي حال وجود عمر باشا والعساكر في الجبال غير سالكين سلوكاً تاماً في سبيل الطاعة والانقياد للحكومة وكانوا حيناً فحيناً يتعدون على ابناء السبيل ويسلبون ما يقع بأيديهم وكانت الحكومة تتساهل في صرف الأمور معهم سواء كان من جهة التحصيلات أم من جهة القرعة العسكرية أما مسلوبات الأهالي ومطاليب وحقوق التجار فقلما كان يُلتفَت إليها كما هو الحال في أكثر الأوقات إذا لم نقُل في جميعها على أن اسمعيل بك كانت لهُ غيره على وقاية المزروعات في قرى الساحل حيثما تنتهي سطوته فكان يلزم كل صاحب دابةٍ أطلقت على المزروعات بدفع جزاء

نقدي بلا تساهل فسلمت بذلك مزروعات تلك السنة من الأضرار التي طالما تصيبها من جراء اطلاق الدواب فيها كما هي عادة النصيرية الذميمة التي قلما يعتني أحد من حكام اللاذقية بابطالها وفي شهر نيسان سنة 1865 غيرت الدولة ترتيب الايالات في مملكتها وضمتها إلى ولايات ودعت هذا التغيير تشكيلات فجعلت أيالة صيدا وأيالة الشام ومتصرفية القدس ولاية واحدة مقسومة إلى ألوية والألوية إلى قضاوات والقضاء إلى نواحي وجعلت لقب حاكم اللواء قائم مقاماً وحاكم القضاء مديراً فتالف في سوريا قومسيون (عمدة) من كبار المأمورين لترتيب الألوية والقضاوات وكان حمدي بك قائم مقام طرابلس إذ ذاك منسوباً إلى بعض أعضاء القومسيون المذكور فلكي يوسعوا دائرة حكومةِ الغوا لواء اللاذقية وقسموه إلى قضاوات وألحقوها جميعها إلى طرابلوس فضاقت دائرة حكومة اللاذقية وقُسم لواءها القديم إلى أربعة قضاوات مستقلة أي كلٌ منها مرجعه إلى طرابلس مركز المتصرفية رأساً وهي قضاء اللاذقية وقد تألف من المدينة والساحل والبهلولية والباير والبوجاق وقضاء صهيون وقد تألف من نواحي صهيون وجبل الأكراد وبيت الشلف والمهالبة ومركزه قرية بابنا وقد عُيّن مديراً لهُ محمود آغا خزنذار وقضاء جبله وقد تألف من نفس جبله وقرى الوقف والشمسيات ونواحي بني علي والقرداحة والسمت قبله وقد عُيّن مديراً لهُ على آغا هرون وقضاء المرقب وقد تألف من نواحي المرقب وزمرين والخوابي والقدموس ومركزه قلعة المرقب. وقد عُين في اللاذقية سعداللّه بك مديراً والياس افندي صوايا كاتب مال عوض مدير المال وكان قبل ذلك معاوناً لهُ ثم جرى تغيير هيئة الإدارات فأقيم في اللاذقية مجلس إدارة تنقسم اعضاؤهُ إلى قسمين اعضاء طبيعية أو دائمة وأعضاء غير طبيعية أو موقته فالأعضاء الدائمة هم النائب والمفتي والرؤساء الروحيون وكاتب المال والأعضاء المؤقتة هم الذين يجري انتخابهم بمعرفة الأهالي ويتغير كلٌ منهم أو يتجدد انتخابه كل سنتين وهم أربعة أعضاء اثنان مسلمان وواحد روم وواحد ماروني وهذا المجلس من متعلقاته جميع الأمور الأميرية والسياسية ورئيسه المدير ومجلس دعاوي يتألف من أربعة أعضاء مسلم وروم وأرمني ونصيري وجميعهم من الأعضاء الموقتة يتغير أو يتجدد انتخاب كلٍ منهم كل

سنتين ومن متعلقات هذا المجلس فصل الدعاوي الحقوقية والجنائية ورئيسه النائب ولكلٍ من هذين المجلسين كاتب لكنهُ ليس لهُ صوت في المجلس على أن من هؤلاء الكتاب مَن يحصر إدارة المجلس بيدهِ إذا كان ذا استعداد ولئن لم يكن لهُ صوت فيه. ومجلس بلدي يتألف من رئيس مسلم وأربعة اعضاء اثنين مسلمين وواحد روم وواحد ماروني وكلهم ينتخبون بمعرفة الحكومة وليس لانتخابهم مدة معيَّنة ومن متعلقات هذا المجلس اصلاح البلدة واجراء التحسينات فيها ووارداته تبلغ نحو خمسة وعشرين ألف غرش سنوياً وهي رسومات مرتبة على المجزر والسمك وغيرهما خلا ما يدخل من الجزاء النقدي وجميعها تستهلك بلا فائدة للمدينة لأن نصفها يستولي عليه مجلس بلدية طرابلس مركز اللواء ولا أدري بأي حق والنصف الآخر يُصرَف علائف للرئيس والكاتب وثمن مفروشات وترميمات في دار الحكومة ومع أن المجلس البلدي ينبغي أن يكون من أهم المجالس لأنهُ يشخّص بهيئتهِ كل أهالي المدينة فهو بالعكس حطيط المقام ولا تنظر إليه الحكومة بعين الاعتبار فلذلك استنكف معتبروا المدينة من الانتظام في سلك اعضائهِ فبات بلا أهمية. ثم قُسمت المدينة إلى دوائر وجُعل لكل دائرة مجلس مؤلف من مختار وأربعة اعضاء وجُعل للنصارى دوائر مستقلة منهم غير مختلطة مع دوائر المسلمين ومن متعلقات مجلس الدائرة أن ينوب بأزاء الحكومة عن اهالي دائرته في انتخاب أعضاء المجالس والأمور العمومية على أنهُ يقال في مجالس الدوائر ما قيل المجلس البلدي فهي نظيره بلا أهمية. ثم عُيّن في كل قريةٍ من القرى مجلس مؤلف من مختار واعضاء. ومتعلقاته كمتعلقات مجلس الدائرة في المدينة. وفي السنة المذكورة شُرع بتوسيع أسواق المدينة بواسطة هدم مصاطب الدكاكين التي كانت بارزة على مساواة أبوابها ورصف الأزقة والشوارع على مصروف الأهالي على أن الرصف المذكور ليس بشيء حَسَن فإن حجارته خشنة محدبة تتلف الأحذية وتوجع الأقدام وفيها قدم حمدي باشا قائم مقام اللواء إلى اللاذقية وأحال مال قرى الساحل إلى عشر وأعطاه بالالتزام في المزايدة وكانت قبل ذلك مالاً مقطوعاً ثم عاد إلى طرابلس وجاء بعد ذلك مرةً ثانية وسار إلى صهيون لأن مقدمي بيت الشلف كانوا قد تخلفوا عن تقديم الأنفار العسكرية

للقرعة فكتب محمود آغا خزندار مدير صهيون إلى حمدي باشا يفيدهُ عن تخلفهم وينسبهم إلى التمرد والعصيان غير أن سعداللّه بك مدير اللاذقية كتب إليه بعكس ذلك ونسب محمود آغا إلى التعصب ضدهم وذلك لأن المقدمين كانوا قد قدموا عرضاً إلى سعداللّه بك يعلنون فيه طاعتهم واستعدادهم لتقديم الأنفار إلّا أنهم لا يريدون أن يكونوا ملحقين إلى مديرية صهيون ويطلبون الحاقهم إلى مديرية اللاذقية فجاء حمدي باشا ليكشف حقيقة الأمر ثم سار إلى بيت الشلف فاستقبله المقدمون مظهرين لهُ الطاعة والانقياد ووعدوهُ بتقديم الانفار بعد أيام ولما جاء الميعاد اخلفوا بوعدهم وما زالوا يعدونه ويخلفون حتى ملَّ من الانتظار وأخيراً بعثوا إليه بعض أنفار غير أهلٍ للعسكرية فتأكد إذذاك خبثهم وعدم خلوصهم وقيَّد أنفارهم جميعاً عسكراً بلا قرعة. وفيها توفي المطران ارثاميوس في قرية المتن من أعمال المرقب في السنة الحادية والثلاثين من رياسته ووقع شقاق بين الروم لعدم اتفاقهم على شخصٍ ينتخبونهُ خلفاً لهُ فأصلح البطريرك الانطاكي السيد ايروثيوس بينهم بانتخابهِ الشماس ملاتيوس دوماني الدمشقي ورسامته اياه مطراناً لهم ثم استرضى الحزبين المختلفين فقبلاهُ وجاء إلى اللاذقية في شهر تشرين الثاني من السنة المذكوره. وفيها توفي الخواجه بندلي زخريا وكيل قونسلوس اليونان في اللاذقية وهو أخو المطران ارثاميوس فولجت قونسلاتو بيروت الخواجه الياس مرقص بإدارة الوكالة موقتاً فنوي على استحصال الاصالة وجعل يسعى بذلك فوقع هذا الأمر موقعاً مؤثراً على الخواجات ويتالي لأنهم اعتبروهُ تعدياً عليهم لكونهم يونان الأصل ولهم الأولوية بالقنصلية على الأجنبي فنشأت عن ذلك فتنة بينهم وبين الخواجه الياس مرقص وتحزب اليونان جميعهم للخواجات ويتالي واستدعوا فصل الخواجه مرقص عن الإدارة الموقتة وتعيين الخواجه اسكندر ويتالي ويكلاً اصيلاً للقونسلاتو فورد الأمر من وزارة اليونان باجابة التماسهم واستلم الخواجه اسكندر ويتالي الوظيفة. وفيها انتشر الهواء الأصفر في سوريا ممتداً إليها من الحجاز عن طريق القطر المصري وعم فيها كل المدن ما خلا مدينة اللاذقية فأنها سلمت منهُ بمفردها بين جميع المدن السورية وذلك من الغرائب مع أنها ولئن كانت قد جرت فيها قوانين التحفظ لم تسلم من التعرض

للخطـر إذ قـد التجـأ إليهـا عـدد وافـر مـن النـاس هاربيـن مـن القطـر المصـري وغيـره حامليـن رائحـة هـذا الوبـاء المريـع لكنهـا مـع ذلـك قـد سـلمت منـهُ بسـرٍ غريـب ثـم دخلـت سـنة 1866 وفيهـا جـاء إلى اللاذقيـة مأمـورون مـن قِبَـل حكومـة الولايـة وعـدوا نفوسـها ومسـقفاتها ورتبـوا علـى أهالـي المدينـة عمومـاً رسـم التمتعـات وعلـى النصـارى خصوصـاً رسـم العسـكرية علـى تعديـلٍ جديـد وعلى المسـقفات رسـم الويركـو وذلـك بمعرفـة مجالـس الدوائـر وبعـض أعضـاء أضيفـوا إليهـم مـن قِبَـل الحكومـة ولمـا انتهـى ذلـك صادقـت مجالـس الدوائـر علـى دفاتـر هـذه الرسـومات الكائنـة بيـد المأموريـن المذكوريـن بـدون أن تُجمَـع مبالغهـا وتُفقَّـط لفضلـةٍ مـن مجالـس الدوائـر فـزاد المأمـورون بعد ذلـك مـا أرادوهُ على رسـم كل اسـم استحسـنوا أن يزيـدوا رسـمه وترسـخ ذلـك فـي دفاتـر الحكومـة علـى الأهالـي ولحقهـم بواسـطة غـدر ولا سـيما النصـارى فـإن أكثـر الزيـادة ضُمّـت عليهـم وقـد غُـدروا أيضـاً بواسـطة عـدد الأنفـس التـي نزحـت منهـم مـن المدينـة وتوطنـت فـي مُـدن أخـرى واضافـة رسـم عسـكريتها عليهـم وهـو يبلـغ نحـو عشـرة آلاف غـرش سـنوياً علـى النصـارى لـم يدفعـوا ذلـك وتشـكو للحكومـة لأجلـهِ ولا يزالـون يلتمسـون منهـا رفعـه عنـه وهـو يتقيـد عليهـم فـي جملـة البقايا من سـنة إلـى أخرى. وفيهـا تمرد أهالـي جبـل دريـوس فسـار إليهـم محمـود آغـا خزنـدار مديـر صهيـون ببعـض العسـاكر واحـرق بعـض قراهـم وتمـرد اهالـي القرداحـة فتقـدم حمـدي باشـا مـن طرابلـس وسـار إلـى تلـك المقاطعـة بشـرذمةٍ مـن العسـاكر وأحـرق قراهـم. وفيهـا عُـزل علـي آغـا هـارون مديـر قضـاء جبلـه وخلفـه طاهـر افنـدي وعُـزل الخواجـه اسـبريدون ويتالـي مـن قنصليـة أميـركا وتعيـن مكانـه الدوكتـور داود مثينـي الاميركانـي وفيهـا أحـدث القبطـان ميشـيل الفرنسـاوي الفنـارات أي المنـارات لهدايـة المراكـب فـي شـطوط سـوريا باتفـاق مـع الدولـة العثمانيـة فانشـأ فـي اللاذقيـة فناريـن أحدهمـا فـي قلعـة المينـا ثابـت لـون نـوره أحمـر للدلالـة علـى المراسـي والآخـر فـي راس ابـن هانـي دوَّار لـون نـوره اعتيـادي للدلالـة علـى وجـود الـرأس. ثـم دخلـت سـنة 1867 وفيهـا عُـزل سـعداللّه بـك عـن اللاذقيـة وخلفـه حالـت بـك وهـو صهـر راشـد باشـا والـي سـوريا زوج اختـه وعُـزل محمـود آغـا خزنـدار عـن صهيـون وخلفـه زاكـي افنـدي وفيهـا غيـرت الدولـة القـاب المأموريـن فجعلـت لقـب حاكـم اللـواء متصرفـاً وحاكـم القضـاء قائـم مقامـاً

ولقب كاتب مال القضاء مدير مال ولم يكن في حكومة اللاذقية مديراً مستقلاً للتحريرات بعد التشكيلات بل كانت كتابة التحريرات فرعاً من فروع مديرية المال فجُعلت في هذه السنة دائرة مستقلة وعُيّن ابرهيم افندي حكيم مديراً لها وعُدَّ في جملة الاعضاء الدائمة في مجلس الإدارة وفيها عُزل طاهر أفندي من قائم مقامية جبله وخلفه علي رضى أفندي وفي هذه الاثناء كثرت الشرور والفتن في جبال النصيرية وانتشرت لصوصهم في الطرقات وتفاقمت التعديات والخطف على أبناء السبيل ومما زاد الأحوال خلالاً تفريق القوة عن الجبال بواسطة تقسيم لواء اللاذقية فكان إذا عانت نصيرية احدى القضاوات في قضاء آخر وسلبوا راحة سكانه لا يتوصل حاكم ذلك القضاء إلى تأديبهم لكونهم تحت تسلط حاكم غيره. ولما عظم الاختلال تشكت حكومة اللاذقية من ذلك فقدم إليها خورشيد باشا متصرف اللواء من طرابلس لأجل الإصلاح وأقام بعض أيام في اللاذقية حيثما وقف على بعض حقائق من جهة أحوال النصيرية ثم سار إلى جبله وألَّف فيها معسكراً من الجنود النظامية ومن الأهالي الذين استدعاهم من المقاطعات الإسلامية وسار به وصدم قرية البودي التي هي أمنع قرية في جبل بني علي فاشتبك القتال بين أهلها والمنحازين إليهم وبين العسكر فتغلبت النصيرية على العسكر ودفعتهم إلى الوراء فوقع الفشل بينهم ورجعوا على الأعقاب وتبعت النصيرية أثرهم وأوقعت بهم وما زالوا يولون الأدبار حتى انتهوا إلى جبله وقد قُتل منهم كثيرون فساء ذلك خورشيد باشا وقرر الواقع إلى الولاية فانجدتهُ بطابور من العساكر النظامية فقام به وبالعساكر الأخرى ودهم البودي ثانية على أهلها والمنحازين إليهم وقتل منهم كثيرين وأحرق جانباً من القرية ثم عاد إلى جبله ظافراً فاستولى حينئذٍ الرعب على جمهور النصيريه وصار كل فريقٍ منهم يتظاهر بالطاعة والانقياد وعدم الاشتراك مع أصحاب القلاقل وقدم بعض المقدمين إلى خورشيد باشا يظهرون خضوعهم فكان كل ما وفد إليه وافد منهم يستقبله بالبشاشة واللين ويُطلق لهُ الحرية بالذهاب والحضور ويعدهُ بالإكرام والحسنى حتى استأنسوا جميعهم واستأمنوا على نفوسهم ولم يبق للخوف من باعث عندهم ولما شعر منهم بذلك قام من جبله إلى صهيون واستدعى إليه جميع مقدمي ورؤساء النصيرية

بوسيلة أن لهُ مذاكرات معهم عائدة لخيرهم فسعوا جميعاً إليه آمنين مطمئنين فجعل يلاطف كل قادم منهم كعادته ويستميله بالحديث والمذاكرة ولما عرف أنه قد كمل وفدهم واجتمعوا جميعاً في محل واحدٍ أمر فرقةً من العساكر فانطبقت عليهم من كل جانب وقبضت على جميعهم وقيدتهم وكانوا اثنين وسبعين نفساً كلهم من المقدمين والوجوه وفي جملتهم الشيخ ابرهيم سعيد أكبر مشائخ فرقة الكلازية وساقتهم إلى جبله وكان خورشيد باشا قد كتب إلى الولاية فجاءَتهُ باخرة عثمانية فشحنهم فيها من جبله إلى طرابلس وأودعوا في قلعتها وهذه هي المرة الأولى التي وقع فيها هذا المقدار من مقدمي ووجوه النصيرية من جميع المقاطعات دفعةً واحدة في يد الحكومة ثم أن خورشيد باشا سار من جبله إلى اللاذقية وشرع في تمهيد الأحوال وأصدر بيورلديات إلى القائم مقاميات تتضمن بعض تعليمات وهذه صورة البيورلدي الصادر منهُ إلى قائم مقامية اللاذقية بحروفهِ.

مفاخر الأماجد والأكارم حاوي المحامد والمكارم قائم مقام اللاذقية رفعتلو حالت افندي دام مجده وعمدة العلماء الكرام مكرمتلو نائب افندي ومفتي افندي زيد علمهما ومفاخر الأماجد اعضاء مجلسي الإدارة والدعاوي ووجوه المملكة وأعضاء مجلس التجارة والبلدية وقومسيون الأملاك رفعتلو وفتوتلو وحميتلو افنديه واغاوات زيد مجدهم ومفاخر الاماثل مختارين واعضاء مجالس الدوائر وعموم اختيارية الأهالي زيد قدرهم المنهي اليكم كما قد صار معلوم الجميع أنهُ بناء على الأوامر والإرادة الكريمة المعطاة لنا من جانب عالي الولاية الجليلة بحق اصلاح احوال قضاءي جبله وصهيون واستئصال جماعة الاشقياء وقطع عنصر الشقاوة والفساد الممتد من القديم إلى الآن في القضاءين المذكورين وإعادة الأمنية العمومية لمركزها واستحصال راحة الأهالي وديعة رب الكبريا بيد الخلافة العظمى فحين وصولي إلى طرابلس شام مركز المتصرفية المتحوله لعهدتي قد تجردت لحضوري بالذات فوراً لهذا الجانب قبل أن آخذ أقل راحة وحيث بوصولي إلى ههنا قد وجدت أن اشقياء نصيرية أولئك القضائين قد تمادوا بالفضائح من قتل ونهب وسلب وقطع الطرقات حتى ما بقي امنية لابناء السبيل بالمرور في طريق اللاذقية وجبله

بـدون وجـود عسـاكر ضبطيـه لأجـل المحافظـة ومـن الجملـة تجاسـروا علـى قتـل أونباشـي العسـاكر الشـاهانيه ونفـر ضبطيـه وخلافهمـا أيضـاً بالطريـق المذكـور كمـا تضمنـت لـي مفصلات قبائحهـم مـن مضابطكـم ومضابـط قضـاء جبلـه ورابورتـات جنـاب وكلاء قناصـل الـدول الفخيمـة المتحابـة المعطـاة لـي ببحـث احـوال هـؤلاء الاشـقياء الذيـن قـد أعطونـي برهانـاً حاضـراً أيضـاً علـى شـقاوتهم بحضـور جماعـةٍ منهـم بعـد وصولـي للاذقيـة بيوميـن ثلاثـة إلـى قريـة القنجـره الكائنـة بمسـافة سـاعة زمـان عـن البلـدة وشـلَّحوا ثلاثـة أربعـة أشـخاص معلوميـن مـن أهالـي اللاذقيـة بـذاك المحـل وجرحوهـم واغتصبـوا منهـم مـا كان معهـم الأمـر الـذي قـد اثـرَّ بنـا جـداً وبـدون أخـذ راحـة أيضـاً قـد هرعـت بالعزيمـة لمركـز قضـاء جبلـه حيـث وجـدت نواحـي القرداحـة وجبـال الكلبيـه والبـودي التابعـات للقضـاء المذكـور أكثـر شـراً وشـقاوةً وطغيانـاً عـن غيرهـم وبالتـوكل علـى العنايـة الصمدانية والاسـتمداد بروحانيـة حضـرة سـيد المرسـلين شـرعت بإجـراء الإصـلاح علـى مـا تقضيـه المواقـع والأحـوال وتوفيقـاً للمعدلـة السـنية الملوكانيـة قـد بذلـت بـأول الأمـر أنـواع النصائـح اللازمة إلـى أهالـي تلـك المحـلات ليتجـردوا عـن هـذا التمـرد والشـقاوة ويهرعـوا إلـى تحـت أقـدام الحكومـة السـنية مسـلمين اشـقياءَهم وسـالكين جـادة الطاعـة والاسـتقامة قـولاً وفعـلاً ولكـن حيـث مـا حصـل لذلـك النصـح مـن تأثيـر فصـار سـوق العسـاكر الملوكانيـة المظفَّـرة علـى المحـلات اللازمـة واجـراء التربيـة العادلـة بحقهـم وبظـل الموفقيـه الملوكيـة صـار القبـض حربـاً وقهـراً وتدبيـراً علـى رؤسـائهم واشـقيائهم ورؤسـاء بيـت الشـلف وأشـقيائها المحركيـن الفسـاد والقـوة العاملـة لتمـرد الأهالـي عـن الانقيـاد واعطـاء الأمـوال والقرعـة الشـرعية ومطاليـب الحكومـة السـنية والقاطعيـن الطرقـات والسـالبين الأمنيـة مـن الخـاص والعـام وصـار ارسـالهم لمركـز المتصرفيـة مـع اعطـاء التأمينـات العموميـة لجميـع أهالـي الجبـال الذيـن يوجـودون مـن الآن فصاعـداً بصـورة الطاعـة والانقيـاد وسـوق مأموريـن لتلـك النواحـي مـع تسـيارالبيورلديات القاطعـة لأجـل القبـض علـى كل نفـس وجـد فـي جماعـة الاشـقياء وهـا أنـهُ مـن جـراء الإرهـاب الـذي حـلَّ بسياسـة السـطوة القاهـرة الملوكانيـة فـي قلـوب الجميـع فأولئـك الذيـن كان لهـم العـادة مـن القديـم إلـى الآن أن يمشُّـوا الاشـقياء علـى الفضائـح والحـرام ويمنعـوا تسـليم مـن تطلبـه الحكومـة

منهم قد اضحوا الآن باقر المهابة والرعب يمسكون مَن يقع بيدهم من اشقيائهم المتهورين ويسلمونهُ لجانب الحكومة كما صار منظور جميعكم ذلك وإن يكن بظل السطوة الملوكانية قد جرى من الإصلاح ما يتكفل ديمومة الراحة والامنية وتمتعت الأهالي داخلاً وخارجاً بحرية المرور في الصحارى والجبال كما أنهم اعلنوا ممنونيتهم من ذلك بالمحاضر التي قدموها لنا بواسطتكم وسيقع باليد أيضاً من كان مختفياً من الاشقياء وقطاع الطريق ويصير استراحة الناس من شرهِ وعلى آمال اكمال الاجراءات الإصلاحية قد اخترت الاقامة مدةً مناسبة بهذا الطرف غير أنهُ كما هو غني عن البيان أن ديمومة الامنية والاستراحة المطلوبة يحتاج أيضاً لوضع قضية الضبط والربط بصورة لا تقبل الفساد والخلل وأن الحكومة المحلية تعرف على الدوام اعتناءها بذلك فوان يكن قضاء اللاذقية لا يُعتبَر بمثابة قضاءي جبله وصهيون بكثرة الاشقياء وايصال التعدي والاذى والتخلف عن الانقياد غير أنهُ كما هو أمر محقق بأنهُ لا يخلو من وجود أشخاص اشقياء بهِ حتى ونفس اللاذقية أيضاً لا تخلو من وجود أشخاص مشبوهي الأحوال وبالجملة فلا بد من وجود اشخاص بالساحل والنواحي صايرة بيوتهم مأوى الحراميه والمجهولين الأحوال كما وعلى ما صار الاستخبار يوجد بالساحل أكثر الأهالي مألوفين على السرقة والتعدي على محصولات بعضهم بعض أما طمعاً وأما مكيدةً وضرراً وعلى هذه الصورة فكثيراً يصبحوا وليس على أشجارهم نصف ثمرها وحيث ذلك مغاير الرضى العالي بالكلية وموجب سلب الأمنيه مع تخديش الراحة وتكوّن الشر والمقال بين الأهالي فلأجل عدم وجود مجال إلى شخص الفرد بعد الآن أن ينوجد بصورة التعدي والفساد قد روي بتعيين الاجراءات اللازمة لهذا الخصوص وافراغها بالتسعة بنود الآتي شرحها لتكون من الآن فصاعداً دستور العمل وهو انهُ:

أولاً يصير اجراء اصول الكفالة المتسلسلة في كل قرية ومحل بناء أن كل شخص من الأهالي يتكفل من آخر والآخر من غيرهِ إلى أن ينوجد جميع الأهالي بوجه الافراد مرتبطة بكفالات والذي لا يوجد له كفيل أما لكونهِ مجهول الأحوال أو لسبب اطوارهِ المنفوره سيكون بالطبع عرضةً للتهمة ويجري بحقهِ النظام العالي وعلى هذه الصورة لا يبقى شخص

مجهول وحيث كان ذلك أول الاسباب المتممة لأمر الراحة العمومية فيقضي سرعة المبادرة لاجراه أولاً بنفس البلدة ثم وبسائر المحلات ذات الأهالي وأخذ سندات تعهدية ممهورة بذلك.

ثانياً بما أن المحلات التي يعبر عنها قرايا ومزارع هي عبارة عن كم بيت قلائل واذا وقع سرقة بتلك القرية والمحل من أحد أهاليها أو من جماعة أغراب أو اتى إليها حراميه لعند احد منهم فلا يخلو الأمر من معرفة أهاليها بذلك فيقتضي جلب مختارين ومجلس اختيارية كل قرية بقريتها لمجلس القضاء ويصير ربطهم بتعهد وكفالة على أنهُ إذا وُجد بينهم شخص مشبوه أو لهُ اسبقية بالسرقة ولو كان حبة زيتون أو بكونه يطق للحراميه أو له تردد ومخالطة مع جماعة الأشقياء فعلاً أو رأياً بمجبورين أن يمسكوهُ ويسلموهُ حالاً للحكومة ويبينوا أحواله بمضبطه مخصوصه وإن وقع منهم أدنى مسامحة بذلك فهيئة القرية تكون مسؤولة عن تلك الجناية وأولئك الأشخاص على أشد درجة المجازاة القانونية ولكي لا يبقى لهم عذر فليكونوا مأذونين بناء إذا تمرد ذاك الشخص الحرامي عن تسليم حاله وأشهر السلاح فيصير مقابلته منهم بالمثل ومسكه بأي حالٍ كان وجلبه بموجب نظام الدولة العلية لدار الحكومة.

ثالثاً حيث كان نقل السلاح ممنوع تحت إرادة سنية قاطعة فغير مأذون إلى أحد خلاف الضبطية أن ينقل سلاحاً بلا تذكرة رخصة حسب النظام وكل شخص ينقل سلاح بلا تذكرة فمجبورين مختارين الدوائر والقرايا ومجالس الاختيارية على جلبه وتسليمه للحكومة وكل محل يصير به تسامح بهذا النظام فالجزاء يلزم مختارين ومجالس اختيارية ذاك المحل.

رابعاً حيث ممنوع نظاماً نقل خانه من قرية إلى قرية بلا رخصة من جانب الحكومة فليؤخذ تعهد على مختارين ومجالس القرايا بناء انهُ إذا أراد أحد من قريتهم ينقل خانته فمجبورين لعرض الكيفية بمضبطه للحكومة ولا يدعوهُ ينقل خانته بلا رخصة وهكذا القرية التي يريد الانتقال إليها لا تقبله بلا مضبطة رخصة تكون بيده من مجلس قريتهِ مبنية على رخصة الحكومة ومَن يتعدى ذلك فسيجازى بموجب القانون العالي وإن صار كتم كيفيته

فهيئة القريتين يكونوا مسؤولين شديداً عن ذلك.

خامساً حيث قضية المرور هي من أهم الأمور الانضباطية وكان من النظامات السنية غير جائز إلى أي أحدٍ أن يسافر من قضاء إلى غيرهِ بلا تذكرة مرور من مركز ذاك القضاء فيقتضي الإعلان إلى الجميع بناءً ان لا أحد من أهالي اللاذقية يتوجه إلى قضاء آخر بلا تذكرة فيصير مسكه وتسليمه لجانب القائم مقامية لتعامله بموجب نظام المرور وكل قرية التي يحضر إليها شخص من قضاء آخر بلا تذكره ولا تحضّر للحكومة فهيئة تلك القرية تكون تحت الجزاء النقدي والمسؤولية الشديدة وعلى الخصوص ينبغي التدقيق بقضية نظام المرور فوق الغاية بنفس البلدة على الذين يحضروا أو يتوجهوا براً وبحراً.

سادساً حيث كان جانب المدعى عليهم لجانب مركز القضاء متوقف على أخذ تذكرة احضارية بيد المدعي من جانب الحكومة وعرضها على خصمه والى الآن ما صار اعتبار هذا النظام كالواجب ويوجد اشخاص يحاولوا عن الحضور ويحصل لهم المحاماة من مختارين ومجالس اختيارية قراياهم وبهذه المحاولة يصير لهم مجال للهروب فلأجل لا يبقى بعد الآن مجال لهروب المدعى عليه فليؤخذ تعهد منساير القرايا كل قرية بقريتها على أنهُ عند صدور تذكرة احضارية بطلب شخص لأجل دعوى ما فإذا حضر خصمه فمجبورين بأنهم لا يتركوا لهُ مجال للهروب وأن يحضروهُ للحكومة حيث نظراً لبعد المسافة عن المركز فبينما يعطي المدعي الخبر ويحضر ضبطيه بطلب خصمه فيصير مرور وقت طويل وفرص لهروبه وعلى هذه الصورة تقع حقوق ودعاوي الخلق بالمشاكل والتأخير والمختارين والمجالس التي تتهاون بإجراء ذلك على الوجه المشروع فليكونوا تحت مسؤولية وضمانة الدعوى التي على ذاك الشخص.

سابعاً كل شخص الذي يكون تحت دعوى جنائية ينبغي رؤية الدعوى عليه تطبيقاً للقانون العالي في قومسيون التحقيق الذي صار تشكيله مختلطاً بهذه الاثنا موقتاً باتفاق العموم من الذوات الموثوق بهم.

ثامناً حيث بظل المعدله الملوكانيه قد ترتب لكل قرية مختارين ومجالس اختياريه

مخصوصاً لرؤية وتسوية أمورها وجميع أموالها وتسليمها لصندوق المال وذلك مجرداً لعدم ترك مداخله إلى الرؤساء والمقدمين الذين اتخذوا من القديم إلى الآن الأهالي كأغنام لهم يأكلوا خيراتهم ويحرموهم ملذاتها فقد صار لغو لفظة مقدم بناء بعد الآن لا يعود يتقاس بها أحد لا من رؤساء ولا خلافهم وكلمن يتقاس أو يلفظ هذا الاسم يكون تحت المسؤولية.

تاسعاً قد أُعطي التأمين والعفو العمومي بناء أن الاهالي يتمتعوا بحرية التردد لمحلات مقصدهم إن كان اللاذقية أو القرايا لأجل أشغالهم الذاتية ولوازمهم المقتضية بشرط أن يكونوا بحد ادبهم وغير ناقلين السلاح فيقتضي توفيقاً للمعد له السنية عند حضور اشخاص من هكذا جماعة لنفس اللاذقية أو لمحلٍ ما فيكون لهم الحماية والصيانة توفيقاً للمعدلة السنية والغاية حيث كما تقدم الشرح أن ديمومة أمر الراحة والأمنية العمومية متوقف على اعتناء الحكومة المحلية باجراء أمور الضبط والربط بالدقة والاعتناء على الوجه المحرَّر وانفاذ القانون العالي فعلاً بدون مراعاة خاطر ولا مسامحة فالمأمول من درايتك المسلمة أنت أيها القائم مقام المنصف بحسن الروية والصداقة والاقدام الذين اثبتهم لي بالفعل منذ حضوري للاذقية إلى الآن أن تبادر بالحال لاجراء وانفاذ هذا البيولدي على الوجه الأتم لنهاية عشرين يوم من تاريخه وتقيدوا لطرفنا بمضبطه عمومية عن إجراء ذلك بظرف المدة المذكورة وتعتني فوق الغاية بعدم وقوع الخلل على شيء منهُ وإذا وجد أحد في حالٍ وحركة مغايرة للوجه المطلوب فجنابكم مأذونين باجراء مجازاته القانونية بأول درجة وهكذا أنتم جميعاً أيها الافندية والاغاوات المخاطبون يلزم أن تكونوا يداً واحدة في رفقتلو قائم مقام افندي المومى إليه لإجراء العمل بالوجه المحرر حالاً واستقبالاً بالفعل وتبذلوا غيرتكم واعتناكم بهذا الخصوص فوق العادة لأن هذا جميعه عائد لخير البلاد والأهالي وتجعلوني بذلك متشكراً من جميعكم وبالعكس لا سمح أنَّه إذا انوجدتم بصورة التراخي والاغفال فتكونوا معاتبين ومسؤولين شديداً والغاية بلزم الاعتناء بالاتفاق للحركة بالوجه المحرر واستحصال الدعوات الخيرية وقتاً بوقت من طرف الجميع للجانب العالي الملوكاني ولحضرة صاحب الدولة والي الولاية الجليلة الأفخم وبناء عليهِ صار تسطير هذا البيورلدي

مـن ديـوان متصرفيـة لـواء طرابلـس شـام وارمـكاه اللاذقيـة ليكـون العمـل والحركـة بموجبـه اعتمـدوه (5 جمـادي الاخـرى سـنة 1284 (انتهـى بحروفـه)).

ثـم أن خورشـيد باشـا اسـتمر مقيمـاً فـي اللاذقيـة فقـوي نفـوذ الحكومـة وشـوكتها فـي جبـال النصيريـة وانحلـت عزائـم أهاليهـا بعـد ابعـاد المقدميـن والرؤسـاء فأصبحـوا كالأغنـام بيـن يـدي الجـزار فشـرهت نفـس خورشـيد باشـا إلـى تحصيـل النفـع الذاتـي إذ رأى الفرصـة مناسـبة لذلـك وكان قـد ضـرب علـى النصيريـة مبلغـاً تحـت مصروف المعسـكر وسـعى بجمعـه ثم ورد لـهُ أمر مـن الولايـة باعفائهم منهُ فأخـذ مـا جمعـهُ لنفسـهِ وكذلـك اسـتحصلوا لهـم عفـواً عـن الانفـار الذيـن كُتبـوا بالعسـكرية بـلا قرعـة فـي أيـام حمـدي باشـا وباعهـم ايـاه بثمـنٍ اسـتولاهُ منهـم ثـم التفـت إلـى اطـلاق المسـجونين فـي قلعـة طرابلـس فـكان يتفـق مـع اقـارب كل أحـدٍ منهـم علـى مبلـغ معلـوم يدفعونـهُ لـه ثم يطلقـه وبمأنـهُ كان قـد مهَّـد سـبيلاً لمقاصـده فـي الولايـة إذ أنـهُ كتـب إليهـا عنـد القائـهِ القبـض علـى المقدميـن والرؤسـاء أن أكثرهـم لا يسـتوجبون سـوى سـجن موقـت وكانـت الولايـة قـد رأت نجاحـه فـي الإجـراءات فاعتمـدت عليـه وأركنـت إليـه وكانـت تجيبـه بالإيجـاب علـى كل التمـاس يتضمـن إطـلاق أحـد المسـجونين أو غيـر ذلـك فبهـذه الوسـاطة أطلـق أكثرهـم وجمـع بذلـك مـالاً وافـراً بالاشـتراك مـع الخواجـه اليـاس مرقـص وكيـل قونسـلوس روسـيا فأنـهُ اتفـق معـهُ واعتمـد عليـه فـي جميـع أمـورهِ وكان يسـتجلب خواطـر جميـع النـاس بالتـودد والتلطـف ولا سـيما القناصـل فاسـتمال بذلـك أكثـر القلـوب إليـه وممـا قـوَّى اسـتمالة أهـل المدينـة إليـه اظهـاره لهـم ميلـه واعتمـاده علـى السـعي بجعـل اللاذقيـة متصرفيـة وإرجاعهـا إلـى رونقهـا القديـم بالحـاق المقاطعـات التـي سُـلخت عنهـا بهـا واجتهـاده فـي تحسـين طرقاتهـا فانـهُ أصلـح أكثـر عقبـة السـفكون ووسـع الطـرق المؤديـة مـن المدينـة للاسـكلة ولا سـيما الطريـق الشـمالي وهـو أعظمهـا فأنـه فتـح لـه منافـذ جديـدة محـولاً مأخـذه القديـم ليجعلـه مسـتقيماً علـى قـدر الامـكان وكان يشـتغل فيـه بيـدهِ ليشـوق الأهالـي علـى اقتفـاء اثـرهِ واجتهـد بتحويـل نهـر الصنوبـر إلـى مجـراه القديـم الواقـع تحـت الجسـر لكنـهُ لـم يتمـم هـذا العمـل. وفـي هـذه السـنة عُـزل علـي رضـى افنـدي مـن قائـم مقاميـة جبلـه وخلفـه سـليمان افنـدي وعُـزل زاكـي افنـدي مـن قائـم مقاميـة صهيـون وخلفـه

نظيف افندي وهو الذي اتى اللاذقية مأموراً ملكياً مع الفريق عمر باشا الداغستاني سنة 1861 وفيها أيضاً عقد راشد باشا والي الولاية مجلساً عمومياً في بيروت مؤلفاً من جميع متصرفي الألوية ومن عدد معلوم من اعضاء المجلس والوجوه من كل لواء وقضاء للنظر في صوالح مُدن الولاية فسار خورشيد باشا إلى طرابلس واستدعى إليه الأعضاء الواجب أن يرافقوهُ إلى المجلس العمومي من لواء طرابلس فسار إليه من اللاذقية الانفار المطلوبة من الاعضاء والوجوه من المسلمين والنصارى وكذلك من صهيون وجبله والمرقب وبناء على وعد خورشيد باشا بالمساعدة كتب أهل اللاذقية عرضاً إلى الوالي وقدموه مع اعضاء مدينتِهم وهذه صورة العرض.

إنه غير خافٍ علوم دولتكم الشريفة ما كانت عليه مدينتنا اللاذقية في الزمن القديم من الشهرة والثروة واتساع المتاجر والزراعات والمناتج ومن الأمور المسلَّمة أن ذلك لم يقم إلّا بمناسبة ما وهبتها اياهُ يد الطبيعة من حسن المركز والموقع الجغرافي والملحقات الداخلية واتصالها بجبالٍ وأرضٍ مخصبة ذات قابلية لانتاج محصولات مختلفة ووافرة غير أنهُ نظراً لتقلب الأحوال والعوارض التي داهمتها أخذت في الانحطاط شيئاً فشيئاً حتى انتهت إلى الحالة الحاضرة التي وإن يكن جعلتها حقيرة بالنسبة إلى شهرتها الأولى لكنها لا تُعدُّ حقيرة بالنسبة إلى اخواتها باقي اساكل سوريا لأنهُ وإن يكن رونقها القديم قد زالت آثاره لكن موقعها وقابليتها وجبالها وأراضيها لم تزل هي هي وبالوسائل اللازمة ترجع إلى ما كانت عليه من التقدم والعمران لأن عمرانها القديم لم يكن ناتجاً من أسباب خارجية يزول بزوالها كغيرها من المدن التي انحطت بل من وضعها الأصلي وبما أن مدار كل حركة تجارية كانت أو زراعية متوقف على وجود أمنية دائمة وكانت أهالي جبالها وهي جبال النصيرية في حال التوحش والتمرد وفي غالب الأوقات يوجدون في درجة الاختلال والتشويش فمن قلة الامنية التي كانت تحدث من وقت إلى آخر من جراء تعدي هؤلاء اقتصر الناس في الزراعة والغرس فأخذت المحصولات في التناقص ونجم عن ذلك تقهقر التجارة والأضرار على الأموال الأميرية أولاً لقلة الرسومات والأعشار بسبب قلة المحصولات وثانياً لتراكم البقايا

نظراً للفقر الناتج أما على سكان السواحل والأهالي الطائعين فمن الزهد في الأعمال الزراعية الحاصل من انسلاب الأمنية وأما على أهالي الجبال فلتمردهم والتهائهم بهذه السلب الوقتية عن فائدة الأشغال الدائمة فبناء على ذلك كان اصلاح هذا الحال مفتقراً لجعل اللاذقية مركزاً أقوى مما كان عليه في زمن القائم مقامية التي كانت قبل التشكيلات الجديدة ليكون أشد مهابةً وسطوة على أهالي الجبال يغني بارهابهِ الدائم عن الاحتياج إلى سوق العساكر واحتمال تكاليفها سنوياً لأجل التحصيلات وباقي مطلوبات الحكومة السنية كما هو جارٍ وأكثر أمنيةً لأهالي السواحل والمدينة كما قد شوهد ذلك بالتجربة عند وجود مأمورين كبار وبالعكس عند تفريق القضاوات وتدنية مركز اللاذقية الأمر الذي زاد الاختلال حتى قاد سعاد تلو حميد باشا في العام الماضي لضرب الجبال واحراق قرية كلماخو ولكن عند رجوعه وعدم وجود سطوة دائمة رجع الحال إلى أكثر مما كان عليه من الاختلال والتشويش وانسلاب الأمنية إلى حين تشريف صاحب السعادة خورشيد باشا المتصرف الحالي وإجراء ما قد أجراهُ من الإصلاحات الجليلة والآثار الجميلة وايجاد الأمنية الذي من اقتضاء حكمتهِ الباهرة عدم رجوعه بالسرعة إلى طرابلس المركز البعيد وإقامته بمدينتنا هذه الأمّ الطبيعية لهذه الجبال فاستمرت المهابة موجودة في الجبال والإصلاحات غير متزعزعة وآخذة في الازدياد فبذلك مع ما يبذلهُ يوماً فيوماً من الغيره السامية على توطيد الإصلاحات وتمهيد الطرق والسعي بتنظيف المينا والتشويق بتوسيع دائرة الزراعة والغرس قد جعل هذه المدينة تشعر بالانتعاش وترى في مرآة هذه الأعمال الحسنة تشخيص عمرانها القديم الذي كانت تحجبه براقع الاختلالات وقلة الأمان فتواجدت الرغبة بالزراعة والغرس وجرى الشروع بأعمال الأراضي التي كانت مهملة من الزهر وبحوله تعالى وبالظل الملوكاني الظليل ستتضاعف الخيرات والناتجات غير أنهُ لما كان من الأمور الواضحة عندنا التي لا يشوبها ادنى ارتياب انهُ متى تحرك سعادة المتصرف المشار إليه بالعودة من هذا الطرف تظهر رؤوس الاشقيا ويرجع الاختلال إلى اشد مما كان عليه بحسب المعهود والمجرب من حركات وأطوار أهالي الجبال وتعود كل هذه الإصلاحات كأنها لم تكن ولا يضمن استقلال

الأمنيـة إلّا دوام وجـود اللاذقيـة مركـزاً عاليـاً وكان جـل المقصـود العالـي مـن التشـكيلات الجديـدة إنمـا هـو عمـران البـلاد والأهالـي وترقـي الـواردات الأميريـة وراحـة الحكومـة حتـى أنـهُ عندمـا شـوهد عـدم موافقـة بعـض المراكـز تحولـت إلـى غيرهـا مجـرداً لاصـلاح الحـال فبنـاء عليـه نتجاسـر بتقديـم هـذا العـرض محضـر العمومـي لاعتـاب دولتكـم مـع اثنيـن مخصوصيـن مـن ذوات مدينتنـا وهمـا اسـمعيل افنـدي صالـح وعبداللّـه افنـدي كوميـن متراميـن علـى سـاحة عنايـة دولتكـم وغيرتكـم أن يصيـر التعطـف بتوطيـد مـا جـرى مـن الإصلاحـات فـي مدينتنـا ومتعلقاتهـا علـى أسـاس الـدوام والزيـادة وذلـك بالتفضـل بجعـل مدينتنـا هـذه مركـزاً للمتصرفيـة الأمـر الـذي لا يؤثـر أدنـى تشـويش علـى مدينـة طرابلـس المركـز الحالـي لأنهـا بحسـب انسـلاخ مـا كان تابعـاً لهـا مـن الجبـال وانضمامـه إلـى متصرفيـة لبنـان مـع تهـذب أهالـي باقـي أطرافهـا بالنسـبة إلـى أهالـي جبالنـا وبُعدهـا عـن باقـي قضـاوات اللـواء لـم يكـن فيهـا الأهميـة واللـزوم اللـذان فـي مدينتنـا وكيفمـا كان مركزهـا تكـن فـي حـال الانتظـام ولا سـيما أن اتخاذهـا مركـزاً لـم يـأتِ بشـيء مـن اصـلاح اللـواء بـل زاد بـهِ التشـويش والاختـلال وبذلـك يصيـر احيـاء خيـرات هـذه الجهـة العائـدة للحكومـة السـنية والأهالـي الذيـن بتواجـد الأمنيـة الدائمـة تتضاعـف اهتماماتهـم بالأشـغال الزراعيـة والصناعيـة فتكسـبهم الثـروة التـي تجعلهـم يـؤدون المطلوبات الأميريـة بأوقاتهـا بـدون تأخيـر بقايـا كالماضـي وتنتـج لهـم محصـولات تضاعـف الـواردات العشـرية والرسـومات وبمـا أن المحسـنات الجليلـة والآثـار الجميلـة الصـادرة مـن عنايـة دولتكـم الغزيـرة قـد شـملت اطـراف وأكنـاف الولايـة السـعيدة بذاتكـم السـامية فنتأمـل أن يكـون لهـؤلاء العبيـد النصيـب الأوفـر منهـا باجابـة اسـترحامنا فـي جعـل مدينتنـا مركـزاً لهـذه المتصرفيـة ولوالـي حيـنٍ لأجـل التجربـة وظهـور الفـرق وبذلـك تتضاعـف الابتهـالات الصميميـة والدعـوات الخيريـة بتأبيـد وتأييـد شـوكة واقتـدار السـلطنة السـنية وازديـاد عمـر واقبـال دولتكـم وينطبـع فـي جبـاه عمـوم سـكان هـذه الديـار منـةً لأيديكـم الكريمـة لا تمحوهـا يـد الزمـان وفـي كل حـال وأوان الأمـر لحضـرة افندينـا ولـي الأمـر والاحسـان (انتهـى بحروفـهِ).

قلـت ولمـا وصـل منتخبـو اللاذقيـة إلـى بيـروت مـع خورشـيد باشـا وقدمـوا العـرض المذكـور إلـى راشـد باشـا والـي الولايـة وجـرت المذاكـره بـه قـر القـرار علـى إلغـاء قائـم مقاميـة

صهيـون فقـط والحاقهـا باللاذقيـة ثـم عُـزل قائـم مقـام جبلـه سـليمان افنـدي وعُيـن مكانـهُ رفعـت بـك ابـن خورشـيد باشـا فغـضّ خورشـيد باشـا الطـرف عـن المسـاعدة فـي الغـاء قائـم مقاميـة جبلـه والحاقهـا باللاذقيـة وصـار الاكتفـاء بالحـاق صهيـون فقـط بهـا كمـا انـهُ بعـد مـدة ليسـت بطويلـة أُلغيـت قائـم مقاميـة المرقـب بعـد تعاقـب أربعـة قائـم مقاميـن فيهـا وهـم أميـن افنـدي وعبداللطيـف افنـدي سـلكه وخليـل افنـدي ومحمـد آغـا انجـه وأُلحقـت بقائـم مقاميـة جبلـه وهكـذا صـار لـواء اللاذقيـة الملغـى مقسـوماً إلـى قائـم مقاميتيـن قائـم مقاميـة اللاذقيـة وقائـم مقاميـة جبلـه. وفي السـنة المذكـورة توفـي الخواجـه لوسـين جفـروا ويـس قونسـلوس فرنسـا ووكيـل قونسـلوس ايتاليـا وشـيعت جنازتـه باحتفـال عظيـم وأرسـل خورشـيد باشـا فرقـة مـن العسـاكر فسـارت فـي الجنـازة علـى نغمـات الموسـيقى العسـكرية وكان ذا جـاهٍ واعتبـارٍ جزيليـن وقـد اسـتعفى مـن وظيفتيـه قبـل وفاتـهِ لاسـتيلاء مـرض الفالـج عليـه وخلفـه فيهمـا ولـده الخواجـه ادولـف جفـروا. ثـم لمـا كان أكثـر رؤسـاء ومقدمـي الجبـال قـد اطلقهـم خورشـيد باشـا بالتتابـع علـى مـا سـبق بيانـه هـان عليهـم الرجـوع إلـى مفاسـدهم وتمردهـم لأنهـم اعتبـروا أن كل ذنـبٍ يُغفَـر بواسـطة المـال وأن القصـد فـي مسـكهم إنمـا كان لأجـل تحصيـل الانتفـاع الذاتـي سـيما وقـد رأوا أنـه لـم يُفـرَق بيـن المذنـب والبـري منهـم ولئـن كان وجـود هـذا الأخيـر نـادراً بينهـم فجعلـوا يتدرجـون فـي العـود إلـى اطوارهـم السـالفة وفيمـا كان عبداللّـه آغـا طريفـي مديـر المهالبـه وبيـت الشـلف موجـوداً فـي عمامـرة بيـت الشـلف مـع بعـض العسـاكر النظاميـة والفرسـان لأجـل تحصيـل المـال قابلـهُ أهالـي بعـض القـرى بالسـلاح باغـراء المقـدم محمـد خليـل الـذي كان قـد أُطلـق حديثـاً مـن قلعـة طرابلـس ولـو لـم يُسـتدرَك الأمـر لاشـتبكت بيـن الفريقيـن معركـة. وهكـذا نـرى أن الاجـراءات التـي حصلـت بأيـام خورشـيد باشـا اقترنـت بشـائبةٍ جعلتهـا قليلـة الجـدوى.

وفـي سـنة 1868 توفـي حالـت افنـدي القائـم مقـام فـي اللاذقيـة ودُفـن فـي المولويـه وكان ذا اخـلاقٍ كريمـة فأسـف عليـه النـاس ثـم خلفـه مصطفـى افنـدي وفيهـا عُيّـن الخواجـه نقـولا ويتالـي فيجـه قنصـل لدولـة انكليتـره فـي اللاذقيـة عوضـاً عـن الخواجـه كريرسـن الـذي كان قـد اسـتعفى مـن الوظيفـة ورحـل مـن المدينـة. وفيهـا أطلـق باقـي المسـجونين مـن النصيريـة فـي قلعـة طرابلـس

وكان قد عُزل خورشيد باشا من المتصرفيه وخلفه كامل باشا ثم جاء كامل باشا إلى اللاذقية وسار إلى جبال النصيريه وجال فيها ولعدم خبرته بأحوال أهلها عاملهم معاملة المتمدنين ولما كان من طبعهم التوهم بأن من يتلطف بهم يكون تلطفه فاشياً عن الضعف وقصر الباع كانت معاملته لهم سبباً لازدياد فسادهم والعود إلى ما كانوا عليه من التمرد والعدوان ثم في هذه السنة عُزل مصطفى افندي قائم مقام اللاذقية وخلفه سعدالله بك وهي المرة الثانية وكان خلل أحوال الجبال يزداد في أيامهِ وفي سنة 1869 عُزل سعدالله بك وخلفه صالح بك وفي أيامهِ سارت لصوص من صهيون ليسرقوا بعض قرى بيت الشلف فاحسَّ بهم أهلها واطلقوا عليهم الرصاص فقتلوا رجلاً منهم وفر أصحابه راجعين إلى صهيون فثار اهالي صهيون جميعاً وحشدوا للأخذ بثار المقتول وكان أهالي بيت الشلف قد ضجروا من تعديات لصوص صهيون على قراهم فقصدوا الانتقام أيضاً وتجمعوا وانحاز إليهم جماعة من مقاطعات النصيرية الأخرى ودهموا قرية تفيل المتاخمة بيت الشلف من صهيون فقابلتهم رجال صهيون واشتبكت المعركة بين الفريقين فاستظهرت النصيرية أهالي بيت الشلف وأحزابهم على المسلمين أهالي صهيون ومزقوهم كل ممزّق وقتلوا منهم جماعة ثم أحرقوا قرية تفيل وعادوا إلى أماكنهم ولما رأت حكومة اللاذقية امتداد الاختلال والتشويش عرضت الواقع إلى المتصرفية فقدم إلى اللاذقية رأوف باشا متصرف اللواء وكان قد تعيّن بعد عزل كامل باشا من المتصرفية وبعد أن وقف على حقائق الأحوال بنفسهِ عرض عنها إلى راشد باشا والي الولاية الذي كان وقتئذٍ في بيروت فقام منها وجاء بنفسهِ إلى اللاذقية بطريق البر فوصلها في 8 أيار سنة 1870 وأقام فيها يومين ثم اتجه إلى جبله مرافقاً برأوف باشا المتصرف ونصب خيام الاقامه في عين طبرجه من مقاطعة بني علي وفي 12 منهُ قدم إلى اللاذقية بحراً علي رضى باشا فريق العساكر النظاميه وقومندان موقع بيروت وسار إلى عين طبرجه في اليوم نفسهِ وفي اليوم الثاني ترتبت تحت رياسة الفريق المشار إليه وإدارة رأوف باشا المتصرف هيئة عسكرية مؤلفة من طابورين من المشاة ومأيتي خيال نظامي ومدفعين من مدافع الجبال وسيقت هذه الفرقة على النواصرة التي هي نقطة استناد تلك الناحية وفي

ظـرف نحـو أربعـة سـاعات ضُبطـت تلـك القـرى وتشـتت اهاليهـا بعـد أن تركـوا فريقـاً منهـم موتـى وجرحـى ثـم أُحرقـت القـرى المذكـورة بأجمعهـا وتُركـت قاعـاً صفصفـاً بقصـد أن لا تسـكنها الأهالـي فيمـا بعـد بـل يُعطَـوا محـلاً آخـر للسـكن علـى أن هـذا القصـد لا يتوصـل إلـى إجرائـهِ بالفعـل لأن الأهالـي بعـد أن تبعـد القـوة عنهـم يجـددون بنـاء قراهـم بسـهولةٍ لقلـة اكلافهـا عليهـم وبسـاطة مـواد انشـائها ممـا يوجـد بكثـرةٍ فـي جبالهـم وغاباتهـم كمـا جـرى فـي قريـة البـودي التـي جـدد اهاليهـا بناءهـا بحـال مـا بعـدت القـوة فـي زمـان متصرفيـة خورشـيد باشـا عنهـم حتـى التـزم راشـد باشـا فـي 14 الشـهر المـار ذكـرهُ أي ثانـي يـوم احـراق النواصـره انـهُ ارسـل إليهـا فرقـةً مـن العسـاكر فأحرقتهـا أيضـاً وقبضـت علـى جانـبٍ مـن أهاليهـا واغتنمـت قسـماً مـن مواشـيها وأبقارهـا بعـد تشـتت مـن بقـي مـن أهلهـا. ثـم أرسـلت فرقـة أخـرى لناحيـة القرداحـة فأحرقـت نفـس القرداحـة مـع معظـم قـرى الناحيـة وأوثقـت بعـض أهاليهـا والباقـون تشـتتوا فـي الأوديـة والجبـال وأرسـلت فرقـة ثالثـة إلـى ناحيـة القراحلـة وأدخـل جانـب مـن المقبـوض عليهـم فـي السـلك العسـكري ووُضـع أكثـر مقدمـي النواحـي المـار ذكرهـا فـي السـجن وبعـد اتمـام هـذه الإجـراءات فـي قضـاء جبلـه قـام راشـد باشـا بجانـب مـن العسـاكر إلـى الجبـال التابعـة قضـاء اللاذقيـة عـلاوةً علـى العسـاكر الموجـودة فيهـا ونصـب خيـام الإقامـة فـي قريـة عفـاره مـن قـرى ناحيـة بيـت الشـلف وللحـال بـادر اهالـي جبالهـا يقدمـون خضوعهـم وانقيادهـم لأوامـره وتعهـدوا بتسـليم السـلاح ودفـع الأمـوال وتقديـم انفـار العسـكرية ومصاريـف المعسـكر وشـرعوا باتمـام تعهدهـم ولـم يتخلـف عـن الحضـور سـوى أهالـي حبيـت وجبلايـا وكيميـن والمزيرعـة فسـيقت فرقـة مـن العسـاكر وأحرقـت كل بيـوت النصيريـة الهاربيـن مـن القـرى المذكـورة ولمـا كان فـي بعـض هـذه القـرى سـكان مـن المسـيحيين ارسـل الوالـي محافظيـن إلـى بيوتهـم فأحرقـت القـرى دون أن يمـس بيتـاً مـن بيوتهـم ضـرر ثـم سـار الوالـي المشـار إليـه مصحوبـاً بفرقـة مـن العسـاكر إلـى رؤس الجبـال وانقـضَّ علـى قريـة شـطحه فـي ملـزق حمـاه فأحرقهـا وأحـرق غيرهـا مـن القـرى فـي الملـزق وضبـط مواشـيها وأبقارهـا وانعطـف إلـى جبـل كلبيـة حمـاه عائـداً عـن طريـق جبلـه وبعـد أن أقـام يومـاً فـي جبلـه عـاد إلـى قريـة عفـاره وفـي 7 حزيـران رجـع منهـا إلـى جبلـه مرافقـاً بـرأوف باشـا متصـرف اللـواء وباقـي المأموريـن وقسـمٍ مـن

العساكر وأبقى القسم الآخر في عفاره مع قائم مقام اللاذقية صالح بك وأما الفريق علي باشا فأنهُ قدم رأساً إلى اللاذقية وسافر منها في 11 الشهر المذكور إلى بيروت ثم لدى وصول الوالي إلى جبله أمر باجراء محاكمة المقبوض عليهم من النصيرية في مجلس مؤلف من ضباط عسكرية ومأمورين ملكيه تحت رياسة رأوف باشا المتصرف فحُكم على أربعةٍ منهم بالقتل وهم اسبر درويش واسمعيل عثمان من مقدمي القرداحة وسلطان فاضل مقدم البودي وتامر هويجه من بيت ياشوط وعلى أربعة عشر رجلاً بالنفي وجرى اطلاق الباقين الذين وُجدوا أبرياء ثم شُنق الأربعة المحكوم عليهم بالقتل سحر الثلاثا في 14 حزيران أحدهم وهو تامر هويجه في اللاذقية والثلاثة الباقون في جبله ومن الاتفاق الغريب أن هؤلاء الثلاثة وهم اسبر درويش واسماعيل عثمان وسلطان فاضل قد شُنق أباؤهم بوقتٍ واحدٍ معاً أيضاً في عهد الحكومة المصرية ثم أن النصيرية تعهدوا بتسليم ثمانية آلاف قطعة من السلاح للحكومة وسلموا أكثرها إلّا أن ما سلموهُ كان من السلاح القديم العديم النفع فلم ينقص بواسطة تسليمهِ شيء من قوتهم ولما تم شنق الأربعة الأشخاص المار ذكرهم سار راشد باشا الوالي من جبله عائداً إلى مركز الولاية بطريق البر وذلك بعد أن أعطى تعليماتٍ تتعلق بتتبع الاجراءات والإصلاحات ليُسلَك بموجبها ونشر بين النصيريين قبل إيابه الاعلان الآتي.

صدر مرسومنا هذا إعلاناً إلى طائفة النصيرية القاطنين في جبال جبله واللاذقية والسواحل البحرية بوجه العموم تحيطون علماً.

لا يخفاكم أنكم لما انخدعتم باغواء مقدميكم وكباركم واملتم آذانكم إلى اغراء أرباب الفساد المتوطنين في بلادكم وجواركم عمدتم إلى ارتكاب الجرائم والكبائر وانغمستم في أوحال العصيان وأمست السرقات وقتل النفوس وقطع الطرقات لكم من جملة العادات ونبذتم وراء ظهوركم تنبيهات العمال وكم من مرةٍ حاولت الحكومة السنية ابعادكم عن مثل هذا العدوان وساقتكم بقليلٍ من التربية إلى طريق الاذعان وجاءتكم بخلق الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس فظننتم ذلك عجزاً منها وتقصيراً وازددتم تمرداً وغروراً وتقاعدتم عن ايفاء مرتباتكم الأميرية وامتنعتم عن أداء القرعة العسكرية وأفرطتم في التسلط على المارّين

والعابريـن والمسـافرين مـن ابنـاء السـبيل والمأموريـن ومـا غادرتـم منكـراً ولا تركتـم عمـلاً مسـتقبحاً إلّا وكنتـم لـهُ فاعليـن فلـم يسـع الحكومـة الصمت عـن عدوانكـم وكان فرضاً علينـا تعجيل تأديبكـم وابقائكم عنـد حدكـم لمقصـد تأكيـد مبانـي الأمـن فـي الولايـة السـورية وانقيادكـم إلـى الطاعـة كسـائر التبعـة والرعيـة وقـد شـاهدتم مـا فعلـت العسـاكر المظفـرة بزمـرة الأشـقياء مـن التنكيـل ومـا لاقـاه العصـاة مـن عـادل الجـزاء وقـد كان فـي رغبتنـا أن نعاملكـم بمـا هـو فـوق ذلـك مـن شـديد التربيـة وانمـا وجدنا الاكتفـاء بمـا جـرى الآن اليـق لنحـو الرعيـة وأن العفـو أوفـق فـي شـأن الدولـة العليـة ولمعرفتنـا أنكـم قـد عرفتـم اقتـدار السـلطنة السـنية واسـتعداد عمالهـا فـي كل آنٍ لتدميـر أهـل البغـي والطغيـان وفيمـا نالكـم عبـرة مؤثـرة لكـم ولامثالكـم فسـبيلكم أن تسـلكوا مـن الآن فصاعـداً مسـلك التابعيـن منقاديـن دائمـاً للطاعـة وانفـاذ أوامـر الحكومـة العليـة مثابريـن علـى ايفـاء مرتباكـم الأميريـة وقرعتكم العسـكرية والشـرعية مبتعديـن غايـة البعـد عـن قطـع الطرقـات واجـراء الشـقاوات لترتعـوا فـي بحبوحـة الأمـن وروض الأمـان فـي ظليـل ظـل حضـرة ولـي نعمتنـا بـدون امتنـان مولانـا السـلطان خلَّـد اللَّـه سـرير ملكـه العالـي إلـى آخـر الـدوران وليكـن معلومـاً بأنـهُ إذا عدتـم فيمـا بعـد إلـى ركـوب مطيـة الغـرور وسـلكتم سـبيل أهـل الشـرور ونبذتـم الأوامـر والتنبيهـات وتقاعدتـم عـن إيفـاء القرعـة والمرتبـات فتـدور عليكـم الدائـرة وتكـون النعـل لكـم حاضـره وتخـرب اطلالكـم والديـار وتُقْلَـع منكـم الآثـار وتمسـون بـدون ملجـأ ولا نصيـر ويكـون مصيركـم بئـس المصيـر فأذعنـوا إلـى هـذا النصـح والإنـذار الأخيـر واعرفـوا قـدر نعمـة العفـو الـذي نلتمـوهُ الآن واطـردوا مـن بينكـم أهـل الشـقاوات لئـلاً يتسـببوا فـي مضرتكـم ومَـن سـلك منكـم سـبيل الاعتسـاف والعـدوان فاقبضـوا عليـه وسـلموهُ إلـى الحكومـة لتؤدبـه وتدفـع عنكـم بـلاء شـره وأن أعجزكـم مسـكه فأخبـروا بـهِ عمالكـم لتريحكـم مـن مكـره وتتخلصـوا مـن تهمـة الاشـتراك معـهُ وتُنقـذوا مـن المجـازاة بسـوء فعلـهِ ونحـن قـد اجرينـا التنبيهـات الفعالـة علـى عمالكـم ليعاملوكـم بالرأفـة والرفـق والمرحمـة ويمنعـوا عنكـم الظلـم والتعـدي ويـدرأوا عنكـم المضـرات وينظـروا فـي أموركـم ومصالحكـم بالعـدل والحـق فـإن لـم ينهجـوا هـذا المنهـج فشـأنكم أن تشـكوا حالكـم إلـى الحكومـة السـنية الرئيسـية لتردعهـم وتمنـع أذيتهـم عنكـم وتعتنـي بتربيتهـم أمـا أنتـم فاحـذروا

أن تقابلوا أحداً منهم بالتحقير لئلاً تقعوا في الأمر الخطير والحكومة السنية هي دائمة الاستعداد لمساعدتكم وقصارى مطلوبها إنما هو استراحتكم ورفاهيتكم وازدياد سعادة أحوا لكم ونجاحكم فأنكم تبعتها ومن جملة رعيتها فاقلعوا إذا عما يجلب لكم المذلة والهوان والخسران وانهجوا جادَّة الاستقامة والصواب فها قد أنذرناكم فاعتبروا يا أولي الألباب (انتهى).

ثم بعد أن سافر الوالي المشار إليه من جبله قدمت لهُ أهالي اللاذقية العرض الآتي.

أن المنن العظيمة التي طوقت بها يدي احسانات دولتكم اجياد هؤلاء العبيد بما قد تفضلت بمباشرتهِ بالذات من الاجراءات الجليلة والإصلاحات السامية الجميلة في جبال النصيرية من أساساتها الراسخة إلى رؤوسها الشامخة هي من يقصّر كل شكرٍ عن إيفاء ما يجب لها فإن من قابل عتو وفساد وعدوان أهالي الجبال المذكورة منذ سنين كثيرة قد سلبوا فيها راحة العباد وامنية البلاد وأوغلوا في التعديات على أبناء السبيل وأهل العرض والقرى المطيعة من القتل والسلب والغارات بما وجدتهُ عناية دولتكم الجليلة الآن من الأمنية واستئصال عرق الفساد وجمع الأسلحة واستعمالها الرفق والمرحمة مع الأبرياء الطائعين والقصاص المريع بحق العتاة الطاغين واجرائها من التربية والتدابير السامية ما يتكفل بتوطيد الراحة العمومية وابقائها بهذه الحوالى حضرة صاحب السعادة رأوف باشا المتصرف الأفخم الذي طالما أبان وهو سمعة دولتكم من شعائر الهمة والحزم والأقدام ما قيدنا بقيد المحنونية والشكر الجزيل لسعادته لأجل توطيد الإصلاحات وتتبع آثار الباقين من الاشقياء الذين التجاؤوا متخبئين في الأوكار والكهوف نظير أذل الوحوش من مهابة وسطوة دولتكم يعرف مقدار الفضل والاحسان الذي ترتب لفخامتكم على سكان هذه النواحي الذين بعد أن كانوا فريسةً لمخالب ذوي الخيانة والغدر أضحوا بظل ظليل سيف العدل الملوكاني يرتعون بمراتع الأمن والاستراحة كما أنهُ مَن راقب الهمة السامية والحزم الباهر الذي اظهرتهُ عناية دولتكم مع المتاعب التي تحملتها بمباشرات الإجراءات بالذات وقصد الأماكن التي لم تُنَل قبل الآن ووطئها واحراقها تلك القرى الكائنة مأوى وملجأ لجماعة اللصوص

وحشـرات الفسـاد مـن كل فـجٍ التـي لـم تطأهـا قـدم اصـلاح لا قبـل ولا بعـد التسـخير[1] وعـرف مـا هنالـك مـن أوعـار المسـالك وصعـب المراقـي الفائقـة التصـور ورأى الموفقيـة التـي قارنـت أعمـال خديوانيتكـم بأسـرها الأمـر الـذي أوقـع الاشـقياء أنفسـهم سـكان تلـك الأوعـار في أتـم الحيـرة والاندهاش والارتبـاك حاسـبين أن مـا حـق بهـم يـكاد يكـون مـن الأعمـال السـحرية يقضـي بـأن المنـة والآلاء التـي تسـتوجب لأيـادي فخامتكـم الجليلـة علـى هـؤلاء العبيـد لا تمحوهـا يـد الاعصـار ولا ينسـخها كـرور الأيـام ولمـا كانـت محسـنات دولتكـم هـذه التـي طالمـا كنـا نحسـب أن التمتـع بجـزءٍ منهـا هـو مـن أجـل النِعَـم قـد حركـت احساسـات هـؤلاء العبيـد للضجيـج بـلا فتـور بالأدعيـة لـدوام تأييـد شـوكة واقتـدار حضـرة ولـي نعمتنـا بـدون امتنـان افندينـا وسـلطاننا الأعظـم دام سـرير ملكـه مـا دام العالـم الـذي مـن جملـة إحسـانات ذات ملوكانيتـهِ العليـة التـي لا يفيهـا شـكر تسـليمها زمـام الولايـة الجليلـة ليـد غيـرة خديوانيتكـم وكان اقتضـاء الحـال الـذي اسـتدعى حركـة ركاب دولتكـم السـامي بالعـودة مـن جبلـه دون أن تتشـرف مدينتنـا برجـوع فخامتكـم إليهـا قبـل السـفر قـد مـلأ صـدور هـؤلاء العبيـد أسـفاً وكـدراً وعاقنـا عـن إيصـال رنيـن أصـوات ادعيتنـا وتشـكرتنا إلـى آذان خديوانيتكـم الشـريفة حسـياً نتجاسـر بتقديـم عـرض حـال العبوديـة لحضـور فخامتكـم السـامية بعـرض وبيـان تقيدنـا بسلاسـل الأدعيـة والتشـكرات الأبديـة واثقيـن بغيـرة واحسـان دولتكـم انـهُ بعـد أن تشـرفت جهاتنـا بحلـول ركابكـم السـامي فيهـا وانجلـت قابليتهـا واسـتعدادها لنظـر فخامتكـم سـتصبح بظـل ظليـل العواطـف الرحيمـه الملوكانيـه ملحوظـةً بعيـن عنايتكـم الكريمـة ومشـمولةً بالالتفـات العالـي وبـكل حـالٍ وزمـان الأمـر والفرمـان لحضـرة مَـن لـهُ الأمـر افضـى (انتهـى).

أمـا رأوف باشـا فسـار مـن جبلـه إلـى اللاذقيـة وأقـام فيهـا لأجـل انفـاذ التعليمـات وتوطيـد الإصلاحـات وبقيـت فرقـة مـن العسـاكر فـي قريـة ديفـه مركـز مديريـة بيـت الشـلف انتقلـت إليهـا مـن قريـة عفـاره المجـاورة لهـا تحـت إدارة قائـم مقـام اللاذقيـة صالـح بـك وفرقـة فـي جبلـه تحـت إدارة قائـم مقـام ذلـك القضـاء نـور الديـن افنـدي وهـو الـذي خلـف رفعـت بـك بعـد عزلـهِ وبوشـر

(1) إن الدولة تدعوا للاستيلاء على سورية بعد إخراج ابراهيم باشا منها تسخيراً.

في انفاذ التعليمات التي منها بناء بعض مراكز في الجبال لاقامة العساكر النظامية وفتح طريق بين اللاذقية وحماه مبتدأ فيه من جبله مخترقاً جبال النصيرية فشُرع في بناء مركز في قرية المزيرعة من ناحية بيت الشلف وفي فتح طريق حماه وعُيّن لهُ مهندساً رجل فرنساوي يدعى ديونه واذ جرت في ناحية دريوس حركة مخالفة للتعليمات سار إليها قائم مقام اللاذقية صالح بك بجانب من العساكر التي معهُ وأحرق بعض قراها والقى القبض على مقدمها بدران بدور وعدةٍ من وجوهها كما أنهُ ألقى القبض تدريجاً على أكثر المقدمين واشقاهم وجرى نفيهم إلى قلعة عكا ولبثت العساكر مقيمة في الجبال إلى اوائل الشتاء فتمكنت بذلك الإصلاحات وانتشر الأمن والراحة في الجبال انتشاراً عاماً وسطا على أهاليها الرعب والخوف من شوكة الحكومة حتى ان فارساً واحداً من فرسانها كان يخيف أهالي قريةٍ برمتهم على أنهُ يجب ههنا أن نقول أن الفرسان كانوا يتجاوزون حدود الاعتدال في سلوكهم مع النصيرية مجرداً لنفع الذات كما هو دأبهم فكثيراً ما كان بعضهم يتعدى على مَن يراهُ من النصيرية أو يتعرَّض له مخصوصاً ويقبض عليه مدعياً أنهُ مرسلٌ ليقوده إلى المعسكر ولا يطلقه حتى ينال منهُ رشوةً وكثيراً ما كان يأتي بعضهم إلى قريةٍ من القرى ويسلبون منها ما يشاؤون على أنهُ للمعسكر مع أنهُ يكون لأنفسهم لأن المعسكر وقتئذٍ لم يكن يأخذ من أحدٍ شيئاً إلّا بالثمن فاحتمل بذلك أفراد النصيرية والقرى تعدياتٍ كثيرة من هذا القبيل من الفرسان ولا سيما المستخدمين منهم من أهالي صهيون وهذه التعديات لم تكن مقصورةً على الأشرار منهم فقط بل كانت تجري على الضعفاء والأرامل وكل مَن ساقهُ سوءَ حظه إلى الوقوع بين يدي أحد هؤلاء الفرسان ومع أن النصيرية عموماً هم أمة باغية مفطورة على أضرار الناس إن لم يكن بالقوة فبالخيانة ولا تستحق الشفقة فأعمال كهذه غير شرعية ضد الضعفاء منهم هي ما يستدعي الشفقة ولا بد ههنا من الملاحظة على نقص الإصلاحات المار ذكرها من جهة عدم قصاص أهالي صهيون وعدم القبض على أحدٍ منهم مع أن لصوصهم كانت اصل الفتنة الأخيرة التي انتشبت بينهم وبين أهالي بيت الشلف على أن هنا النقص لا يعزى إلى الوالي راشد باشا بل إلى صالح بك القائم مقام وباقي المأمورين الذين لم يبلغوا الوالي المشار إليه الحقائق على

صحتها إذ لا ريب أنهُ لو علم بحقيقة أطوارهم لما غضَّ الطرف عن مجازاتهم نظراً لما عُرف بهِ في الولاية السورية من حيث الإصلاح وازالة عرق الفساد اينما كان منبتهُ وعدم كونهِ ذا تعصبٍ مضر يبعثهُ على غض الطرف عن سيئة المسيء لمجرد العلاقة المذهبية ومن الأدلة على ذلك أنهُ إذا عرف أنهُ يوجد في بعض قرى صهيون وجبل الأكراد شرذمة من النصارى يقتضي لها التفات مخصوص من قِبَل الحكومة لتكون أمينة على راحتها طلب قبل سفرهِ من جبله وجوه جبل الأكراد وصهيون ولما عُلّق المقدمون النصيرية على المشنقة استدعاهم إليه وأراهم المعلَّقين قائلاً لهم اعرفوا جيداً أنكم لستم عند الدولة اعز من هؤلاء المشنوقين لأنكم جميعاً رعاياها بدرجة متساوية واذا علمتم ذلك فاعرفوا أنكم إذا أسأتم إلى النصارى القليلين الموجودين بينكم وتعديتم عليهم بما يغاير رضى الدولة تصيرون إلى ما صار إليه هؤلاء المقدمون ثم أمرهم بالانصراف ولهم مما رأوهُ وسمعوهُ عبرةٌ يعتبرون بها وهكذا كان لا يهمل شيئاً من واجبات ما يصل خبره إليه.

ثم في السنة المذكورة شُرع في بناء قشلة الرديف المعروفة بالديبو في اللاذقية شرقي قشلة العسكرية العمومية ومنذ ذاك الوقت شرعت الحكومة تجمع انفار الرديف كل سنةٍ من أهالي القضاء ويجري تعليمهم الحركات العسكرية مدة شهرين وجرى نظير ذلك في جبله أيضاً وبُنيت فيها ديبو محاذية لدار الحكومة.

وفي السنة نفسها توفي السيد عبدالرزاق افندي فتاحي كان شاعراً أديباً تولى قضاء اللاذقية مدةً طويلة وكان مرفوع الشأن والمقام إلّا أنهُ في السنين الأخيرة من حياتهِ عُزل من القضاء ولما كان قليل ذات اليد ضاقت بهِ المعيشة فقضى عيشةً ضنكة وفي هذه السنة سافر إلى الآستانة ثم عاد منها متولياً منصب القضاء لكنهُ مات بعد برهة وجيزة من وصوله.

وفيها توفي أيضاً الخواجه الياس مرقص وكيل قنسلوس دولة روسيا نشأ يتيماً وكان ذا جرأةٍ وإقدام في الأعمال التجارية لا يبالي بالأخطار في سبيل التقدم وتحصيل المال وكان كريماً جواداً وقد خدمه التوفيق فحاز ثروةً وجاهاً واعتباراً لم يحزهنَّ غيرهُ من نصارى اللاذقية في عصره إلّا أنهُ كان حادَّ الطبع محباً للتسلط يرغب أن يكون الجميع منقادين إليه

فـي كل أمـر فكثـرت بسـبب ذلـك مخاصماتــه مـع النـاس. وبعـد وفـاة قصـدت قونسـلاتو روسـيا الجنراليـة فـي بيـروت أن تعيـن ولـده الخواجـه جرجـس مكانـه فرفضـت الحكومـة قبولـه لكونـهِ مـن رعايـا الدولـة العثمانيـة الذيـن لا يجـوز تعييـن قناصـل منهـم فـي بلادهـا للـدول الأجنبيـة بمقتضـى المعاهـدات الدوليـة الجديـدة فولَّجـت عمــهُ الخواجـه اسـبريدون مرقـص اخـا المتوفـي وترجمـان القونسـلاتو بإدارتهـا موقتـاً.

وفيهـا فـي كانـون الأول عُـزل صالـح بـك مـن قائـم مقاميـة اللاذقيـة وخلفـه أحمـد بـك شـرّيف وهـو حلبـي الأصـل ابـن اخـي يوسـف بـك الـذي كان مديـر طرابلـس واللاذقيـة فـي زمـان الحكومـة المصريـة. ثـم دخلـت سـنة 1871 وفيهـا مُـدَّ سـلك التلغـراف بيـن اللاذقيـة وجزيـرة قبـرص فـي البحـر وعُيّـن فـي مركـز تلغـراف اللاذقيـة إدارة اللغـات الافرنجيـة ـ وفيهـا توفـي الخواجـة الفونـس لازري وكيـل قونسـلوس دولـة النمسـا والمجـر ودولـة اسـوج وعيـن مكانـه فـي وكالـة قونسـلاتو دولـة النمسـا والمجـر ابـن شـقيقة الخواجـة الفونـس جفـروا وأمـا وكالـة قونسـلاتو دولـة اسـوج فجـرى الغاؤهـا.

وفيهـا لُطـخ بـاب كنيسـة مـاري جاورجيـوس للـروم الارثوذكـس بالغائـط فـي إحـدى الليالـي ولمـا شـوهد ذلـك عنـد الصبـاح اظهـر أحمـد بـك القائـم مقـام كـدره مـن هـذا الأمـر وأمـر بتغييـر بـاب الكنيسـة ببـابٍ جديـد علـى مصـروف المجلـس البلـدي واشـتغل باجـراء البحـث والاسـتقصاء عـن فاعليـه فوقعـت الشـبهة علـى بعـض أوبـاش المسـلمين فألقـى عليهـم القبـض وجـرى اسـتنطاقهم فثبـت عليهـم ذلـك وأرسـلوا إلـى طرابلـس وسُـجنوا فيهـا مـدة ثـم أُخلـي سـبيلهم. وفيهـا توفـي عالـي باشـا الصـدر الأعظـم وخلفـه محمـود نديـم باشـا فغـزل راشـد باشـا مـن ولايـة سـورية وأقـام مكانــهُ صبحـي باشـا فلمـا اسـتقر فـي الولايـة اصـدر امـرهُ لـكل الألويـة بتغييـر اعضـاء المجالـس جميعـاً بـدون اسـتثناء وانتخـاب غيرهـم ولمـا ورد هـذا الأمـر إلـى اللاذقيـة بوشـر فـي الانتخـاب وكان حينئـذٍ انطانيـوس افنـدي ديـب نعمـه عضـواً لطائفـة الـروم فـي مجلـس الإدارة وجرجـس افنـدي مخائيـل اليـاس عضـواً لهـا فـي مجلـس الدعـاوي ففُصـلا وجـرى التشـبث بانتخـاب عضويـن غيرهمـا مـن الـروم واعضـاء أُخـر مـن باقـي الطوائـف وكان وقتئـذٍ السـيد ملاتيـوس مطـران اللاذقيـة

غائباً في انطاكيه بالوكالة من قِبَل البطريرك الانطاكي السيد ايروثيوس للنظر في أمور رعيتها فاجتمعت جمعية التفريق وناب فيها عن المطران وكيله مخائيل افندي سعاده فانتخبت من طائفة الروم ستة انفار بحسب النظام ثلاثة لمجلس الإدارة وهم مخائيل افندي سعاده نفسه والخواجه عبداللّه ابرهيم وانطانيوس افندي سعاده كومين وثلاثة لمجلس الدعاوي وهم الخواجه جرجس عبداللّه الياس وعبداللّه افندي كومين والمؤلف. على أن مخائيل افندي سعاده استعفى من وضح اسمهِ مع أسماء المنتخبين فلم تقبل جميعة التفريق استعفاءَهُ ولما كان كثيرون من الطائفة المذكورة يتهافتون على الانتظام في سلك اعضاء المجالس وكان منهم الخواجه جبرائيل الياس فاجتمع مع بعض العامة وجاء بهم إلى جبرائيل افندي عطاللّه وكان رجلاً يحب السيادة والتصدر فاغروهُ بأن الانتخاب الذي جرى انما هو إهانة عليه لأن وكيل المطران لم يستشرهُ عمَّن يجب انتخابهم من الطائفة مع أنهُ من الذين يجب استشارتهم بل أدخل بالانتخاب مَن أرادهُ بالاستبداد وهيجوهُ بمثل هذا الكلام إلى التظاهر والسعي بعدم قبول المنتخبين فهاج معهم وتفاوض مع الخواجه اسبر بدون مرقص واخوته فقر قرارهم على المجاهرة بعدم قبول المنتخبين وجُذب من يقدرون على جذبهِ من الطائفة لحزبهم. أما الذي حمل الخواجات مرقص على أن يقتفوا اثر جبرائيل افندي عطااللّه مع أن ليس لهم عذرهُ لأن مخائيل افندي سعاده كان قد استشار اكبرهم الخواجه انطانيوس مرقص وبرأيهِ أدخل عبداللّه افندي كومين بالانتخاب فإنما هو رغبتهم في أن يقع الانتخاب على صهرهم عبداللّه افندي كومين في مجلس الدعاوي وخوفهم من أن وجود هؤلاء المنتخبين معهُ يحول دون انتخابه نظراً لميل أحمد بك القائم مقام لهم مع اعتقادهم بأن وقوع الانتخاب على غير عبداللّه افندي كومين من هؤلاء المنتخبين لا يوافق صوالحهم وبناء عليه قصدوا ابطال هذا الانتخاب واقامة انتخاب جديد ينتخَب فيه مع عبداللّه أفندي كومين بعض اقربائهم أو أشخاص بلا أهمية ليكون راجحاً عليهم معتقدين أن بهذه الحركة أيضاً ينبهون في احساسات القوم بعض الوجاهة التي كانت لعائلتهم وخسرتها بعد وفاة اخيهم المرحوم الياس مرقص فاستدعوا للاجتماع في القلايه مساءً بعض الطائفة وجمهوراً من العامة

والاسافل منها ولما انعقدت الجمعية تفاوضوا بحماقةٍ في أمر الانتخاب وصرخوا بعدم قبولهم بهِ وطلبوا أن يكون الخواجة نقولا حنا مرقص في جملة المنتخبين وطعنوا في انطانيوس افندي سعاده كومين احد المنتخبين وكان حاضراً في الجمعية فاشتبك بينه وبينهم الخصام وصرخ الخواجه يوسف مرقص بصوت جهير أننا لا نقبل أن يكون المنتخبون من الفراماسون وكررت اخوته هذا القول فعلا الضجيج والضوضاء من الأسافل الذين كانوا في الجمعية فشرع من كان فيها من ذوي الحشمة بالانسحاب وانفضت الجمعية على هذه الحال المعيبة أما الذي حملهم على المجاهرة بنسبة المنتخبين إلى الفراماسونية فإنما هو شروع صبحي باشا والي الولاية بأثر وصولهِ إلى دمشق في عزل كثيرين من النصارى في الولاية من مأمورياتهم وان بعضهم من الفراماسون فتوهم بعض الناس أن عزلهم إنما هو لكونهم فراماسون مع أنهُ كان سياسة مخصوصة كما سيأتي ثم أن المتحزبين ضد الانتخاب بعثوا بخبرٍ شفاهي إلى الحكومة مضمونهُ عدم قبولهم بالمنتخبين والتماس تجديد الانتخاب وارسلوا إلى سيادة المطران في انطاكية رسالةً تلغرافية يعلمونهُ بذلك أيضاً ويطلبون منهُ أن يرسل رسالةً تلغرافية إلى حكومة اللاذقية يؤيد فيها طلبهم أما حكومة اللاذقية فبعثت برسالةٍ تلغرافية إلى المطران تطلب فيها بيان رأيه وأفكاره بهذه المسألة فورد لها منهُ جواب مضمونهُ المصادقة من طرفه على المنتخبين الذين صادق عليهم وكيله مخائيل افندي سعاده ولما وصلها هذا الجواب ما عادت التفتت إلى مقال المتحزبين ضدهم ووزعت أوراق الانتخاب إلى الدوائر والقرى لاجل تقرير الاصوات فهذا ما كان من جهة الروم وأما ما كان من جهة الأرمن فأنهم لما كانت طائفتهم قليلة العدد في نفس اللاذقية لم يكن فيها مَن هو أهل لمنصب العضوية سوى الدكتور يعقوب افندي ملكون العضو السابق أو أحد أخويهِ فانتخبت جمعية التفريق اخويه عبداللّه وجبرا ورجلاً ثالثاً معهما يدعَى حنا الطحان وكان طحاناً بالفعل وكان الخواجه استور يعقوب وأولاده يطمعون في أن ينال أحدهم العضوية إلّا أن الحكومة المحلية لم تكن تصادق على ذلك أما من جهة استور نفسه فلوجود أوامر سابقة تحرمه من الاستخدام في دوائر الحكومة وأما من جهة أولاده فلعدم استقامة أحوالهم وكانوا

جميعاً يكرهون يعقوب افندي ملكون وعائلته مع كونهِ صهرهم فقدموا عدة تلغرافات للوالي ممضية منهم ومن بعض اقربائهم مضمونها التماس تغيير الانتخاب الذي أجرته جمعية التفريق من طائفتهم لأنهم يرفضون قبول عبداللّه وجبرا ميلكون بين المُنتخَبين لأسبابٍ منها انهما ينتميان إلى الفراماسون الذين اخوهما منهم أما الوالي فأحال النظر في ذلك إلى الحكومة المحلية فلم يستفيدوا شيئاً وبقي الانتخاب على ما كان عليه. وأما طائفة الموارنة فقدمت تلغرافات إلى الوالي مضمونها أنه ليس في طائفتهم مَن فيه الأهلية للعضوية سوى اسكندر افندي شدياق العضو القديم ولذلك تلتمس ابقاءَهُ فلم يجبها الوالي لطلبها وحتم بوجوب انتخاب عضو جديد فانتخبت منها جمعية التفريق يوسف شدود من العامه سنة 1871 وآخرين معهُ، وأما النصيرية فكان عضوهم القديم الشيخ مسلّم حاتم من فرقة الشمالية وكانت فرقة الكلازية قدمت عرضاً تتشكى فيه من أن عضوية المجلس من النصيرية قد استقل بالتعاقب فيها أشخاص من فرقة الشمالية خلافاً لقاعدة المساواة ولذلك تلتمس أن يُنتخب في هذه المرة العضو النصيري من الكلازيه فانتخبت جمعية التفريق اثنين من الفرقة الكلازيه المذكورة والشيخ سليمان حاتم من الشماليه. وقد جرت مسئلة الانتخاب هذه في شهر كانون الأول سنة 1871 وفيه فُصل الياس افندي صوايا من مديرية المال بأمرٍ من صبحي باشا بلاجنحة وخلفه محمد بك اليكن من أهالي طرابلس وفُصل ايضاً السيد محمد سعيد افندي الحسيني القدسي الذي تعيَّن نائباً للاذقية بعد وفاة عبد الرزاق افندي وخلفه محمد سليم افندي الدمشقي وكان كلا المفصولَيْن مشهوداً لهما بالامانة والاستقامة والدراية وفي كانون الثاني سنة 1872 عُزل ويسي باشا متصرف اللواء وهو خلف رأوف باشا وعين مكانهُ حقي بك وعُزل قائم مقام اللاذقية أحمد بك وخلفه محمد صالح افندي الكردي الاصل وكان أحمد بك مشكور السياسة في اللاذقية إلّا من الفرنساويين الذين فيها لنفور وقع بينهم وبينهُ بأثر مطالبته اياهم ببقايا كانت متراكمة عليهم من مال ويركو الأملاك ثم صدر أمر الوالي صبحي باشا بكف الشغل في طريق حماه وعزل المهندس وذلك بعد أن كان تمهَّد نحو 8 ساعات منهُ وأنفق عليه مبلغ من النقود من مال الأهالي وكلفهم اتعاباً كثيرة وهذا مما يستحق

الأسـف ثـم عُـزل نـور الديـن افنـدي قائـم مقـام جبلـه وخلفـه اسـعد أفنـدي، وكان نـور الديـن افنـدي قـد بنـى فـي جبلـه داراً جميلـة للحكومـة فأمسـك بدعـوى كثـرة مـا أنفقـه عليهـا مـن المـال مـع أنـهُ بمقتضـى تخميـن المهندسـين كانـت تسـاوي تلـك النفقـة ومصروفهـا لـم يكـن مـن مـال الحكومـة بـل مـن مـال الأهليـن ولـم يشـكُهُ أحـد منهـم إلّا أن السـبب الباطـن فـي التضييـق عليـه هـو انتمـاؤهُ إلـى راشـد باشـا وفلتـات لسـانهِ فتعصـب عليـه صبحـي باشـا و حقـي بـك وبقـي نحـو سـنتين تحـت الدعـوى. ثـم أُهمـل أيضـاً بنـاء المركـز الـذي شُـرع فـي بنائـهِ في قريـة المزيرعـة للحكومـة وأسـتدِلَّ بذلـك وبغيرهِ مـن اعمـال صبحـي باشـا أن غايتـه مغايـرة والغـاء جميـع مشـروعات سـلفه راشـد باشـا مـع مـا فيهـا مـن الخيـر والنفـع العـام وكان راشـد باشـا بعـد الإصلاحـات التـي أجراهـا فـي جبـال النصيريـة وضربـه اياهـم مـن الجهـة الواحـدة بسـيف العـدل كحاكـم صـارم هيـأ لهـم مـن الجهـة الأخـرى ضمـاد المرحمـه كاب شـفوق إذ نظـر شـقاءهم وتعاسـة أحوالهـم فاسـتحصل أمـراً سـامياً باعفائهـم مـن البقايـا الباهظـة المتراكمـة عليهـم منـذ ثلاثيـن سـنة وبالسـماح لهـم بهـا لكـون تحصيلهـا منهـم يفضـي بهـم إلـى الخـراب التـام كمـا أنـهُ بواسـطة مأمـوري البقايـا قسَّـط عليهـم البقايـا الممكنـة التحصيـل لاجـال معلومـة تناسـب احتمالهـم فلمـا تولـى صبحـي باشـا رسَّـخ عليهـم البقايـا مـرَّة ثانيـة والغـى التقاسـيط وشـرع القائـم مقام صالـح افنـدي يطالبهـم بهـا دفعـةً واحـدة فـكان ذلـك سـبباً للضـرر عـوض النفـع للحكومـة لأن الأهليـن بعـد أن كانـوا يدفعـون كل قسـط يسـتحق عليهـم مـن البقايـا تخلفـوا عـن الدفـع بالكليـة ثـم لـدى تولي حقـي بـك المتصرفيـة ومحمـد صالـح افنـدي القائـم مقاميـة كانـت أوراق انتخـاب الأعضـاء أرسـلت إلـى طرابلـس فسـافر إليهـا مـن اللاذقيـة جبرائيـل افنـدي عطااللّـه ومعـهُ جرجـس افنـدي مخائيـل اليـاس العضـو السـابق الـذي كان مـن حزبـهِ وكان قصدهمـا الظاهـر فـي هـذه السـفرة التظلـم مـن حكومـة اللاذقيـة لكونهـا حصَّلـت منهمـا مبلغـاً عـن ذمـة ابـي بشـاره أميـن صنـدوق الخزينـة المتوفـي المكفـول منهمـا علـى أن قصدهمـا الباطـن كان المداخلـة بمسـألة الانتخـاب وتوفيقهـا علـى حسـب أهـواء حزبهمـا فتداخـلا مـع المتصـرف بالوسـائط وطعنـا لـه فـي أكثـر المنتخبيـن بكونهـم تراجميـن عنـد الأجانـب وانهـم ربمـا لا يسـتعفون مـن ترجمتهـم فمـال إليهمـا المتصـرف بذلـك وأجابهمـا علـى انتخـاب

عبداللّـه افنـدي كوميـن عضـواً فـي مجلـس الدعـاوي علـى أنـهُ لـم يجبهمـا علـى عـدم انتخـاب انطانيـوس افنـدي سـعاده كوميـن فـي مجلـس الإدارة لكونـهِ ليـس لـهُ علـة الترجمـة وكان قـد سـافر إلـى طرابلـس الشـيخ مسـلم حاتـم مـن طائفـة النصيريـة الشـمالية وقـرر انتخـاب اخيـه الشـيخ سـليمان حاتـم وسـافر أيضـاً بعـض المنتخبيـن المسـلمين وهـم أسـعد آغـا هـرون ومحمـد افنـدي الأزهـري وقـررا الانتخـاب لأنفسـهما وكان إذ ذاك صالـح افنـدي القائـم مقـام فـي طرابلـس قادمـاً إلـى اللاذقيـة يسـتلم زمـام القائـم مقاميـة فعـادوا مـن طرابلـس بمعيتـه وبموجـب أوامـر المتصرفيـة التـي جـرى عليهـا القـرار تعيَّـن فـي مجلـس إدارة اللاذقيـة اعضـاء أسـعد آغاهـرون وأحمـد آغـا خزنـدار مـن المسـلمين وانطانيـوس افنـدي سـعاده كوميـن مـن الـروم ويوسـف شـدود مـن الموارنـة وفـي مجلـس الدعـاوي محمـد افنـدي ازهـري مـن المسـلمين وعبداللّـه افنـدي كوميـن مـن الـروم وحنـا الطحـان مـن الأرمـن والشـيخ سـليمان حاتـم مـن النصيريـه إلّا أن أحمـد آغـا خزنـدار إذ لـم يـرَ للأعضـاء منزلـةً واعتبـاراً عنـد صالـح افنـدي القائـم مقـام اسـتعفى بعـد أيـام قليلـة مـن عضويـة مجلـس الإدارة وعُيـن مكانـهُ اسـمعيل افنـدي صالـح ولقائـلٍ ههنـا أن يقـول أن تعييـن الأعضـاء إنمـا يكـون بأكثريـة أصـوات الشـعب بمقتضـى نظـام الانتخـاب فكيـف تصـح المداخلـه لأجـل رفـع مَـن لـهُ اكثريـة الأصـوات ووضـع مـن لـهُ الأقليـة فالجـواب ان مسـألة الانتخـاب والأصـوات انمـا هـي رسـم لا فعـل إذ فـي الحقيقـة والواقـع أن الشـعب لا صـوت لـهُ فـي الانتخابـات لأن جمعيـة التفريـق المؤلفـة مـن أعضـاء الحكومـة كمـا علَّمـت انفـاً هـي التـي تنتخـب أشـخاصاً يناسـبونها بقطـع النظـر عـن الشـعب وتعـرض أسـماءهم علـى دوائـر الشـعب فـي أوراق مخصوصـة لتقـرر كل دائـرة صوتهـا فيهـا علـى مَـن تختـارهُ مـن هـؤلاء المنتخبيـن فـاذا انتهـى تقريـر الأصـوات واعيـدت الأوراق إلـى الحكومـة فـإن وجـدت الحكومـة أن الذيـن لهـم أكثريـة الأصـوات هـم أكثـر المنتخبيـن موافقـة لهـا صادقـت عليهـم وعينتهـم وإلّا فتعيَّـن غيرهـم ممَّـن هـم أكثـر ملايمـة لهـا ولئـن كانـت لهـم أقليـة الأصـوات فمـن هـذا تـرى أن مـدار الانتخـاب انمـا هـو علـى المأموريـن أولاً وآخـراً لا علـى الشـعب هـذا مـا نـراهُ جاريـاً الآن. أمـا وصـول صالـح افنـدي القائـم مقـام الجديـد إلـى اللاذقيـة فـكان فـي أول شـهر شـباط سـنة 1872 ولـدى اسـتلامه زمـام القائـم مقاميـة عامـل القناصـل

معاملة غير مألوفة فلم يحتفل بهم عندما زاروهُ زيارة السلام وحوَّل الضابطين ببعض مطلوبات من التراجمين دون أن يخاطب بذلك قناصلهم حسب النظام وتهدد بعضهم بالحبس وطالبهم بالمال المحجوز منهم على الكمرك تحت فرق التعريفه فتأثر من ذلك بعض القناصل وقابلوهُ بالمثل غير محتفلين بهِ عندما ردَّ لهم زيارة السلام فوقع بينهم وبينهُ النفور وتبادلت بين الطرفين المكاتبات الرسمية بصدد تحويله بالتراجمين بدون مخابرتهم فكان لا يكترث بكتاباتهم ثم طالب قنصل فرنسا الخواجه أدولف جفروا بمال ويركو الأملاك الذي على الفرنساويين بشدةٍ وكان معظم النفور واقعاً بينه وبين قنصل فرنسا المومى إليه وبين الخواجه يعقوب الياس قنصل المانيا فاشتكى كلٌ منهما إلى قنصلهِ الجنرال على القائم مقام وكان المومى إليه في أثناء محاوراتهِ مع القناصل يشدد على المسيحيين بطلب المال مع بقايا ويركو العسكرية مع كونها مقسَّطة لآجال معيَّنة ووضع كثيرين منهم في السجن وجمع أكابرهم وطلب منهم المال المنظور برمتهِ فوعدوهُ إلى مجيء المطران الذي كان غائباً في انطاكية ليوزعوهُ ويجعلوا لهُ تسوية فلم يقبل منهم هذا المقال واجباهم أن ليس للمطران مداخلة في ذلك وأنهُ لا يطلبه إلّا منهم واذا لم يوجد في الطائفة سوى واحدٍ مقتدر فيحصله جميعه منهُ ثم أوقفهم في دار الحكومة برهةً ولم يخلّ سبيلهم حتى وعدوهُ بالشروع في توريد المال المذكور فتضايق المسيحيون من هذه الحال ورأوا معاملة جديدة غير مألوفة انتشر بواسطتها روح التعصُّب ضدهم في المأمورين والأهالي المسلمين وعُرف إذ ذاك أن سياسة محمود نديم باشا الصدر الأعظم متجهة لكسر شوكة القناصل والأجانب وتضعيف المسيحيين لأن هذا الروح انتشر في كل المملكة عموماً وفي ولاية سوريا خصوصاً وذلك لأن صبحي باشا كان كما اشتهر عنهُ قد طالع مقدمة تاريخ ابن خلدون وتعلم منها التشبث بالعصبية فجعل يعزل المستخدمين المسيحيين من وظائفهم وعمل على ضرر النصارى عموماً وسلب ثروتهم وأملاكهم وانتشر هذا المبدأ في كل الولاية ولا سيما في طرابلس واللاذقية نظراً لميل حقي بك المتصرف وصالح افندي القائم مقام إلى هذا المبدأ طبعاً فكانت كل دعوى تقع بين مسلم ومسيحي يُحكَم بها للمسلم على المسيحي ولئن كان

الحكم جائراً وبات القانون والنظام وقتئذٍ في حيز العدم فكانت ارادة القائم مقام والمتصرف هي القانون وقد تغلبا على المجالس فكانت تحكم وتجري المضابط حسب أهوائهما وأما الأعضاء المسيحيون في المجالس فكانوا بلا صوت ولم يكن يعبأ بهم سواءً صادقوا على الحكم واعترضوا عليه بل كان يجري انفاذه بمجرد قرار الأعضاء المسلمين وهكذا كل جرنالات ومضابط الدعاوي التي كان يحال الحكم بها من اللاذقية إلى طرابلس ومن طرابلس إلى الشام فكان يُحكَم بها في المتصرفية والولاية ضد صالح النصارى ولئن كانت الأخصام نصيرية فضلاً عن كونهم مسلمين فازدحم إذ ذاك المسلمون والنصيرية على تصدير دعاوي على المسيحين وكان كل مَن باع هو أو أبوهُ ملكاً لمسيحيي يصدر الدعوى بأن ذلك البيع كان بيع غبن مثلاً أو غير ذلك من الادعاءات الواهنة فتُقبَل دعواه ولو كان قد مضى على البيع عشرون سنة ويبتدي القائم مقام والنائب والأعضاء المسلمون يفتشون على مسند شرعي مهما كان ضعيفاً ولو بمغالطة المسيحي ليحكموا للمسلم بدون اعتبار جوهر وحقانية الدعوى حتى أن الحجج الشرعية الجارية في المحكمة التي كان يبرزها النصارى بالأملاك المدعى عليهم بها لم يكن يُنظَر إليها بنظر الاعتبار بل كانوا يُطلَب منهم أن يأتوا بالشهود المحررة أسماؤهم فيها ليشهدوا مجدداً أمام المجلس لفحواها وبما أن شهود الحجج هم من المسلمين فبعضهم كان يعرض عن أداء الشهادة والبعض يتعذَّر بأنه قد شردت من فكرةِ تلك المسألة لطول المدة وهكذا بهذه الواسطة قدا نتزعت بعض الأملاك من أيدي بعض المسيحيين في اللاذقية وسُلَمت للمدّعين المسلمين والنصيرية وفي تلك الأثناء سار محمود بك مدير بيت الشلف ومعهُ الكاتب علي آغا شومان إلى قرية المزيرعة طالبين من مسيحييها مايتين غرش بقايا اعانة وكان المسيحيون المذكورون يعلمون أن ليس عليهم بقايا فاجتهدوا في اقناعهما بمقتضى الوصولات التي بيدهم فلم يقبلا لهم مقالاً وأمر المدير الفرسان الذين معهُ بضرب بعض المسيحيين وحبسهم فسمع الخوري اسكندر خوري القرية الصراخ فخرج من بيتهِ وإذ فهم الواقع اعترض المدير فضربه المدير بحجر واطلق عليه الطبنجا فلم تنطلق فجاء الخوري ومسيحيو القرية وقدموا شكواهم للقائم مقام فتعصب القائم مقام

للمدير وتفرَّض في اجراء الاستنطاق واجرى مضبطة نفى فيها الذنب عن المدير وخطَّأ الخوري والمسيحيين فلم يؤخذ بيدهم في هذه الدعوى.

وفي 22 آذار سنة 72 في الساعة الحادية من النهار حدثت زلزلة قوية في اللاذقية أخافت الأهالي ولا سيما إذ ورد الخبر بالتلغراف أن مدينة انطاكية قد خرب ثلثها بتلك الزلزلة وقُتل كثيرون فيها وكان المطران ملاتيوس لم يزل موجوداً فيها لكنهُ سلم من غوائل الزلزلة فخرج اهالي اللاذقية من بيوتهم وأقاموا في الفلاة نحو يومين ثم رجعوا إليها.

وفي أثناء ذلك قدم حقي بك متصرف طرابلس إلى اللاذقية واجل النظر في دعاوي قنصل فرنسا وقنصل المانيا على القائم مقام بحسب أمر الوالي ولدى وصوله خاطب القنصلين المومى إليهما طالباً منهما بيان شكاياتهما على القائم مقام فأجابهُ كل منهما بجواب يتضمن تفصيل المعاملات المهينة التي أجراها بحقهِ وحق حماياته وبعد أيام إذ لم يظهر من ذلك نتيجة بعث قنصل المانيا إليه بخطاب مضمونهُ انهُ إذا كان القائم مقام ينكر معاملاته معهُ فأنهُ مستعد لاثباتها عليهِ فأجابهُ حقي بك بأخذ المعلومات من كلٍ من الطرفين وعرضها للولاية ثم انهُ كتب إلى الولاية متعصباً للقائم مقام ونفى عنهُ صحة دعاوي القنصلين المومى إليهما عليه وبالعكس جعل القائم مقام هو المحق وجعلهما المخطئين ناسباً قيامهما ضدهُ لتأثرهما من مطالبتهِ اياهما بالديون التي عليهما للحكومة من مال ويركو الأملاك ولما وصل للولاية ما كتبه إليها المتصرف بعثت تحتج بهِ إلى جنرالَي فرانسا والمانيا كأنها مقتنعة بصدقهِ. وفيما كان المتصرف المومى إليه في اللاذقية اقتضى للخواجه مثيني فيجه قونسلوس أميركا ان يزور القائم مقام فبعث يُعلن لهُ ذلك فأجابهُ بالاستعداد لقبولهِ فذهب القونسل المومى إليه إلى دار الحكومة فلم يرَ القائم مقام في قاعة الاستقبال ولم يشاهد أحداً من المأمورين يستقبله فعاد إلى منزلهِ معتبراً ذلك اهانةً عليه وبعد نحو ثمانية أيامٍ بعث إلى القائم مقام بخطاب يخبره فيهِ عن أمر قنصله الجنرال أنهُ إذا بظرف 24 ساعة لم يأتِ إلى بيتهِ ويعتذر منهُ على ذلك القصور الذي أجراهُ بحقهِ يرفع العلَم الأميركاني ولا ينزله حتى تستَرد كرامته فلما اطلع المتصرف على هذا الخطاب أمر القائم مقام برفض ذلك

الطلـب فرُفـع فـي الغـد عَلَـم اميـركا وكتـب كلٌ مـن الطرفيـن إلـى ولـي أمـرهِ واسـتمر مرفوعـاً نهـاراً وليـلاً مـدة نحـو أربعيـن يومـاً وكان ممـا اشـتكى بـهِ المتصـرف علـى قنصـل اميـركا أنـهُ عنـد قدومـهِ إلـى اللاذقيـة لـم يقـدم لـه زيـارة السـلام حسـب العـادة فبعـد هـذه المـدة ورد الأمـر إلـى قائـم مقـام اللاذقيـة أن يذهـب ويقـدم اعتـذاره إلـى الخواجـه مثينـي كمـا ورد أمـر إلـى قنصـل اميـركا فـي طرابلـس أن يـزور المتصـرف (فأنـهُ كان قـد عـاد إلـى طرابلـس) ويعتـذر إليـه بالنيابـة عـن الخواجـة مثينـي عـن عـدم تقديمـهِ زيـارة السـلام لـهُ فـي اللاذقيـة فسـار صالـح افنـدي القائـم مقـام إلـى منـزل الخواجـه مثينـي واعتـذر منـه فجـرى حينئـذ تنزيـل العَلَـم الاميركانـي علامـةً لاسـترداد الكرامـة كمـا أن قنصـل طرابلـس قـدم الزيـارة للمتصـرف.

ثـم فـي ليلـة الاثنيـن ثانـي ليلـة الفصـح الشـرقي الواقـع فـي 16/4 نيسـان سـنة 1872 نحـو السـاعة 4 مـن الليـل حدثـت زلزلـة شـديدة فـي اللاذقيـة ارتعـش منهـا جميـع سـكان المدينـة لانهـا ايقظتهـم مـن رقادهـم فخرجـوا جميعـاً إلـى البـراري والبسـاتين فـي ذلـك الليـل الدامـس وجلِيـن مرتاعيـن ولمـا كانـت الأخبـار متواصلـة مـن انطاكيـه عـن تعاقـب حـدوث الـزلازل فيهـا اشـتد خـوف اهالـي اللاذقيـة مسـلمين ونصـارى ولئـن كان لـم يسـقط فيهـا بالزلزلتيـن المـار ذكرهمـا إلّا حائـط واحـد قديـم فهجـروا منازلهـم ونصبـوا الخيـام فـي الحدائـق والبسـاتين خـارج المدينـة وأقامـوا تحتهـا وكان كثيـرون منهـم يشـعرون بحـدوث زلازل خفيفـة فـي أكثـر الأيـام فلبثـوا تحـت الخيـام مـدة نحـو أربعيـن يومـاً حتـى سـكن روعهـم ورجعـوا إلـى بيوتهـم.

ثـم فـي تلـك الأثنـاء عُـزل اسـعد افنـدي قائـم مقـام جبلـه وعُيـنَ مديـر التحريـرات لـواء طرابلـس وخلفـه فـي قائـم مقاميـة جبلـه سـالم أفنـدي.

أمـا الدعـاوي علـى النصـارى فكانـت آخـذةً فـي الازديـاد ووقعـت علـى بعضهـم تعديـات واهانـات مـن طـرف بعـض المسـلمين وكانـت جميعهـا مقرونـةً بغـض الطـرف مـن القائـم مقـام فكتبـوا إلـى المطـران يسـتدعونهُ مـن انطاكيـه ليسـاعدهم فـي تلـك الظـروف الصعبـة التـي عجـزت عـن دفعهـا مداخـلات الأجانـب وسـطوة القناصـل وكان المطـران مشـتغلاً باسـعاف ومـداراة المصابيـن بالزلزلـة فـي انطاكيـة وقراهـا فلمـا مكّنتـهُ الفرصـة قـدم إلـى اللاذقيـة فاجتمعـت إليـه

طائفة الروم واخبروهُ بالتعديات الجارية عليهم والتمسوا منهُ أن يقدم تشكياته لأجلها حتى إلى الباب العالي فكتب المطران إلى المتصرف حقي بك يلتمس منهُ اتخاذ الأسباب لازالة هذه الشدة الواقعة على المسيحيين في اللاذقية ومعاملتهم بالانصاف فأجابهُ بجوابٍ ينفي بهِ حصول شدة على المسيحيين مستنداً أن الحوادث الواقعة إنما هي حوادث إفرادية لا أهمية لها في الهيئة العمومية وهي من الوقائع التي تحدث في كل محل ولم يلتفت إلى تشكياته فتكررت المراسلات بين المطران وبينهُ بلا فائدة وفي أثناء ذلك سار المطران إلى المرقب ليطوف على طائفتهِ فيها.

وفيها كثر اللغط في المدينة على الشيخ محمد ترك كاتب مجلس الإدارة ومحمد بك مدير المال باشتراكهما في ارتكاب الرشوة وابتلاع أموال كثيرة من الأهالي واجتمع السيد علي زريق أحد التجار المسلمين بالقائم مقام وبلَّغهُ ذلك فاغتاظ وأمر الشيخ محمد الترك فقدم استعفاه من كتابة المجلس وعين مكانهُ علي آغا شومان.

وفي شهر تشرين الثاني سنة 1872 والمطران في المرقب لُطخ باب كنيسة مار جاورجيوس في اللاذقية بالغائط كما جرى في أيام أحمد بك القائم مقام السابق إلّا أن صالح افندي قد غاير مسلك أحمد بك فإنهُ في صباح ليلة الحادثة المذكورة ذهب إليه مخائيل افندي سعاده وكيل المطران وعبداللّه افندي كومين عضو الروم في مجلس الدعاوي واخبراهُ بها فأظهر عدم الاكتراث وأجابهما أن هذا الفعل إنما هو فعل نصارى وبعد بعض ساعات إذ شوهد أنهُ لم يشرع بشيء من الإجراءات عادا إليه وأوضحا لهُ عظم كدر وتأثر طائفة الروم من عملٍ كهذا مهين لمعبدهم وأن مقابلة ذلك بالإهمال مما يشدد عزيمة أو بأس المسلمين على الامتداد والتوسع في اهانة المعابد والمذهب المسيحي فأجابهما قائلاً ماذا تريد طائفة الروم أن أجري لها هل تريد أن الحس الغائط عن باب الكنيسة بلساني أو لعلها تظن أن لهذه القضية كبير أهمية كلاً أنها ليست من الأمور المهمة وفاعلها ليس عليهِ كبير جزاء ثم بعد ذلك ذهب نحو نصف النهار وكشف على باب الكنيسة واستحضر بعض أهل المحلَّة ومجلس الدائرة من المسلمين فطلب منهم أن يبينوا أسماء من تقع عليهم الشبهة بهذا الأمر

فـي مـدة ثلاثـة أيـام وكـرر القـول أمامهـم أن هـذا الفعـل إنمـا هـو فعـل نصـارى فلمـا علمـت أفـكاره هـذه انصرفـت أفـكار مجلـس الدائـرة عـن التدقيـق وبيـان أصحـاب السـوابق إلـى القاء التهمـة علـى شـخصٍ مـا مـن المسـيحيين فاتهمـوا رجـلاً يُقـال لـهُ نصـر اللّـه طبـاع زعموا انـهُ وقعـت بينهُ وبيـن خوري الكنيسـة منازعـة قبـل يـوم فأُلقـي القبـض عليـهِ ووضـع فـي السـجن ثـم أن أنفـار الضابطيـة صادفـوا رجـلاً خوليـاً يُقـال لـهُ حنـا مهنـا بعـد الحادثـة بليلتيـن خارجـاً نحـو الفجـر ليتوجـه إلـى القريـة فقبضـوا عليـهِ ووضـع فـي السـجن تحـت التهمـة فـازداد بذلـك تأثـر المسـيحيين وشـبَّهوهُ بالوقايـع الاضطهاديـة التـي كانـت تحـدث علـى النصـارى فـي أيـام المظالـم قبـل دخـول الحكومـة المصريـة فكتبـوا إلـى المطـران يعلمونـهُ بالأمـر فعـاد مـن المرقـب وكتـب إلـى المتصـرف حقـي بـك يعلمـه بهـذه الحادثـة المهينـة وبسـلوك القائـم مقـام فيهـا ناسـباً وقوعهـا إلـى التراخـي وغـض الطـرف فـي الوقوعـات السـالفة بحـق المسـيحيين وواصفـاً خوفهـم مـن المحـذورات التـي تقـع عليهـم إذا دامـت الحـال بـدون تـلافٍ. وصـدف فـي ذلـك الحيـن أن محمـود نديـم باشـا عُـزل مـن مسـند الصـداره وتولـى مكانـهُ مدحـت باشـا وكان المتصـرف حقـي بـك مـن المنسـوبين إليـه فسـافر إلـى الآسـتانه واقيـم وكيـلاً لـهُ محمـد صالـح افنـدي قائـم مقـام اللاذقيـة نفسـه فتعـذر بذلـك ارسـال تحريـر المطـران للمتصرفيـة فأرسـل المطـران صورتـه إلـى الوالـي صبحـي باشـا والتمـس منـهُ اسـتدراك أزالـه هـذه الأحـوال فتغاضـى صبحـي باشـا عـن المجاوبـة مـدةً ولـم يظهـر مـن قِبلَـه اجـراء شـيء يسـتدلُّ منـهُ علـى أن لـهُ عنايـة بأمـر المسـيحيين وكان وقتئـذٍ السـيد ايروثيـوس البطريـرك الانطاكـي موجـوداً فـي الاسـتانه مُسـتدعىً مـع باقـي البطاركـة مـن قِبَـل البطريـرك القسـطنطيني لعقـد مجمـع فـي شـأن المسـألة البلغاريـة فكتـب المطـران عرضـاً إلى الصـدر الأعظـم يشـكو لـهُ فيـه صعوبـة الأحـوال الواقعـة علـى طائفتـه فـي اللاذقيـة ومخاطرهـا وارسـلهُ عنـد البطريـرك الانطاكـي فـي الاسـتانه فأحيـل مـن الصـدر الأعظـم إلـى صبحـي باشـا والـي سـورية لأجل إجـراء التحقيقـات واجـراء ايجـاب ازالـة أسـباب التشـكيات ولمـا كانـت هـذه التشـكيات هـي بالتالي ضد سياسـة صبحـي باشـا كان بالطبـع يجتهـد بتكذيبهـا وتخطيئـة المطـران فبعـث بالعـرض إلـى قائـم مقـام اللاذقيـة الخصـم نفسـه الـذي كان وكيـلاً للمتصـرف كمـا ذكُـر انفـاً والقائـم مقـام أرسـل إلـى اللاذقيـة

اسعد افندي مدير تحريرات طرابلس كوكيلٍ له ولدى بلوغهِ إليها طلب من مجلس الدعاوي مضبطة تتضمن تكذيب تشكيات المطران والشهادة بحسن سياسة القائم مقام صالح أفندي فحصل عليها وختم فيها عبداللّه افندي كومين عضو طائفة الروم في المجلس المرقوم اما لعدم انتِباهه إلى تأثيرها كما اعتذر هو أو لخوفهِ على وظيفتهِ وكان عضو الأرمن حنا الطحان مريضاً فأرسلت إليه واذ رأى فيها ختم عضو الروم ختم فيها هو أيضاً ولما تمت حسب المرغوب رجع بها أسعد افندي حالاً إلى طرابلس وسلمها إلى القائم مقام.

وفي تلك الأثناء أي في شهر تشرين ثاني سنة 1872 سافر الدكتور ميثني ڤيجه قونصل اميركا إلى بلادهِ موقتاً فولجت القنسلاتو الجنرالية بإدارة قونسلاتو اللاذقية مؤلف هذا التاريخ ترجمان القونسلاتو وفيه خرج الوالي صبحي باشا من الشام قاصداً الجولان في بعض مدن الولاية فسار إلى بعلبك وحمص وحماه وطرابلس ولما بلغ المطران ملاتيوس حصول المضبطه المار ذكرها أرسل إلى صبحي باشا عرضاً يُعلن لهُ فيه فسادها وخلوها من الصحة وانهُ من الواجب أن يصير إجراء فحص وتحقيق صحيح عادل على تشكياته بواسطة مأمورين خاليي الغرض وأنه إذا تمَّ ذلك فهو مستعد لإثبات جميع تشكياته بالبينة والبرهان فوصل العرض المرقوم إلى صبحي باشا في أثناء وجودهِ في طرابلس لكنهُ لم يلتفت إليه وفي اثناء ذلك عاد حقي بك المتصرف من الاستانه ملقباً بلقب باشا حيث ترقى إلى رتبة ميرميران وبوصوله إلى طرابلس استحصل من مجلسي الإدارة والدعاوي فيها مضبطه ضد مطران اللاذقية ومطران عكار الذي قد تشكى أيضاً للصدارة عن التعديات التي كانت حاصلة على مسيحيي ابرشيتهِ التابعة لواء طرابلس وقد قيل أن الأعضاء النصارى أبوا في بدآءة الأمر أن يختموا في المضبطة المرقومة لكنهم اخيراً ختموها بواسطة تهديدات حقي باشا لهم وههنا يجب القول أن أعضاء المجلس في وقتنا الحاضر سواء كانوا مسلمين أو نصارى يتخذون العضوية وسيلةً للانتفاع الذاتي فكثيراً ما يضحون الصوالح العمومية لأجل صوالحهم الخصوصية وفي كل الأحوال يلتزمون بمجاراة الحاكم إذا كان نافذ الكلمة عند أولياء الأمور ويخضعون لارادته وأوامره خوفاً من العزل ثم أن صبحي باشا استلم المضبطة المذكورة

وارسلها إلى الباب العالي وفي أثناء ذلك تحركت المسئلة البلغارية في سورية وبيان المسئلة المذكورة هو أن البلغار التابعين للكرسي القسطنطيني كانوا منذ عشر سنين يطلبون أن تسام عليهم أساقفة من جنسهم لا من اليونان فلم يجبهم الكرسي إلى ذلك فوقعت المنازعات بين الطرفين ونشأ عن ذلك توسع البلغار في الطلب حتى أنهم طلبوا أخيراً الاستقلال بواردات أديرتهم وكنائسهم ومداخيل مطارينهم وأن يُسام عليهم اكسارخوس يكون إليه مرجع أساقفتهم وأمورهم الروحية إلّا أنهُ يكون خاضعاً رسماً للبطريرك القسطنطيني وأصروا على هذا الطلب وصدر لهم فرمان سلطاني بذلك في أيام صدارة عالي باشا إلّا أن الصدر المشار إليه أوقف إجراء ايجابه لعلمه بالشقاق الذي يتولد عنهُ فلما مات عالي باشا وخلفه محمود نديم باشا انفذ مضمون الفرمان بواسطة مداخلة الجنرال اغناتييف سفير دولة روسيا التي كانت تميل إلى استقلال كنيسة البلغار تقويةً للعصبية السلاڤيه؟ية باقامة اكسرخوس فساموهُ رغماً عن ارادة البطريرك القسطنطيني فلما عُزل محمود نديم باشا عقد البطريرك المشار إليه مجمعاً في القسطنطينية استدعى إليه بطاركة الاسكندرية وانطاكيه وأورشليم ورئيس أساقفة قبرص واساقفة الكرسي القسطنطيني فابرزوا حكماً بانشقاق البلغار وحرموهم وصادق على ذلك كلٌ من البطاركة ما خلا كيرللس البطريرك الأورشليمي فأنهُ لما عرف نوايا المجمع سافر من الاستانه تخلُّصاً من الاشتراك في ابراز هذا الحكم راجعاً إلى القدس بوسيلة استقبال الغراندوق نقولا اخي قيصر روسيا الذي كان إذ ذاك آتياً لزيارة أورشليم ولما بلغ طائفة الروم في سورية صدور هذا الحكم المجمعي استعظموهُ واعتقدوا أنهُ مغاير لروح الكنيسة لأن البلغار لم يزلُّوا في شيء من قواعد الايمان الأورثوذكسي وأن منشأهُ العصبية اليونانية وطمع الكرسي القسطنطيني وأن هذه المسألة سياسية أكثر من كونها كنائسية فلا تقتضي مجمعاً كنائسياً بل اتفاقاً مدنياً وأن للبلغار حقاً في طلب تخلُّص كنيستهم من النير اليوناني لأن قوانين المذهب لا تستدعي سيادة اليونان على الكنيسة فتأثرت رعية البطريرك الانطاكي وبعض اساقفة من مصادقته على هذا الحكم ومن ذهابهِ إلى المجمع بدون مخابرة اساقفة كرسيه ولا سيما أنهُ بعد ذهابهِ كتب إليه ثمانية من اساقفتهِ رسالةً في حزيران سنة 1872

حرَّضوهُ فيها أن يكون وسيط الألفة والاتحاد وحذروهُ من الخلاف فلم يعبأ بها فلما عاد من الاستانه وقعت المخابره بين الشعب في مُدن الكرسي الانطاكي وكان رأس هذه المخابرات مدينة بيروت نظراً لمداخلات وتهييج قونسلوس جنرال روسيا وترجمانه الخواجه مخائيل شحاده للشعب ضد البطريرك ثم جرت المخابرة أيضاً بين الأساقفة وقر القرار على عقد مجمع في بيروت مؤلف من أساقفة الكرسي للنظر في ذلك فسار مطران اللاذقية إلى بيروت وكان عدد المطارنه المجتمعين فيها اربعة هم ملاثيوس مطران اللاذقية وصفرونيوس مطران طرابلس وغبرئيل مطران بيروت ومتوزيوس مطران زحله وجميعهم وطنيون وقد كان الاجتماع في أواخر شهر تشرين الثاني سنة 1872 فجعلوا ينتظرون باقي المطارنة إلّا أن بعضهم لم يرد الاشتراك بهذا المجمع لكونهم يونان الجنس كمطران حمص ومطران عكار وغيرهما والبعض الآخر من الوطنيين كمطران حماه ومطران صور وصيدا وغيرهما ارسلو للمطارنة الأربعة وكالةً من قِبَلهم فشرع المطارنة الأربعة في المفاوضات بهذه المسئلة وكان بعض شعب بيروت ولا سيما الحزب الروسي يهيجهم على الحكم بعزل البطريرك ومال إلى ذلك صفرونيوس مطران طرابلس طمعاً في الارتقاء إلى منصب البطريركية أما ملاتيوس مطران اللاذقية فقاوم هذا الرأي وارتأى انهُ من الواجب أولاً مخاطبة البطريرك ليحتج عن نفسهِ ثم يُنظَر فيما يستدعيه احتجاجه وبعد جلسات متعددة انقادوا إلى هذا الرأي وكتبوا رسالةً إلى البطريرك مضمونها الاستفهام عن المسوّغات الناموسية التي سوَّغت لهُ أن يذهب إلى المجمع القسطنطيني بدون مخابرة أساقفة كرسيه وأن لا يفعل بموجب رسالتهم المنفذة إليه إلى الاستانة في شهر حزيران سنة 1872 وأن يساهم على إفراز البلغار حال كونهم لم يخلُّوا في شيء من قواعد الايمان المستقيم الراي وأرسلوها إليه وبعد ارسالها ورد خبر عزل كيرلاس البطريرك الأورشليمي وذلك أنهُ بعد رجوعهِ إلى اورشليم هاج عليهِ اساقفة ورهبان الكرسي الاورشليمي الذين جميعهم من اليونان لأجل عدم انحيازه إلى العصبية اليونانية في الحكم بافراز البلغار وطلبوا منهُ أن يكتب إلى المجمع معلناً مصادقته على الحكم المذكور فأبى فنادوا بعزلهِ واعلنوا ذلك للحكومة المحلية وأرسلو بهِ رسائل تلغرافية

إلى البطريرك القسطنطيني والباب العالي فانتصر لهُ شعب كرسيه وقدموا محاضر للحكومة المحلية ورسائل تلغرافية إلى الباب العالي يعلنون فيها ممنونيتهم من تصرف بطريركهم ويوضحون تعدي مجمعه عليه ويلتمسون قصاص اصحاب الفتنة من الاساقفة والرهبان لتطاولهم على البطريرك وكان الباب العالي إذ ذاك قد عدل عن سياسة محمود نديم باشا ومال إلى العصبية اليونانية في الحكم بافراز البلغار فلم يتلفت لالتماس الشعب بل أصدر أمرهُ لحكومة القدس بعزل البطريرك اجابةً لطلب الرهبان وارسالهِ تحت محافظة العساكر إلى يافا حيثما ستأتي بارجة مخصوصة لتسير بهِ إلى الآستانة فلما انتشر هذا الخبر قويت عزيمة البطريرك الانطاكي فأرسل تحريراً إلى المطارنة المجتمعين في بيروت يلومهم فيهِ على اجتماعهم بدون إذنه ويؤمر كلاً منهم بالرجوع إلى ابرشيتهِ وكانت المطارنة قد انحلت عزائمهم من خبر عزل كيرلُّس البطريرك الأورشليمي فعادوا إلى ابرشياتهم وعاد في جملتهم المطران ملاثيوس إلى اللاذقية.

أما ما كان بعد رجوع المتصرف حقي باشا إلى طرابلس فهو أن المومى إليه أتى إلى اللاذقية مرافقاً بالقائم مقام صالح افندي في أول كانون أول قاصداً إجراء المصالحة بين القائم مقام المذكور وبين المطران وقنصلي المانيا وفرانسا وكان المطران قد سبق فسافر إلى بيروت كما تقدم القول فلم يتوفق اجتماعهما معهُ فصالحهُ مع القنصلين وعاد إلى طرابلس وفي أثناء ذلك عُزل سليم افندي نائب اللاذقية وخلفه محمد سعيد افندي وهو عبد اسود اشتراهُ في صغره رجل من أكابر جزيرة قبرص، وأعتقهُ واعتنى بتربيتهِ وتعليمه وكان ذا استعداد وذكاء فترشح بواسطة ما أكتسبهُ من العلم للمناصب واتصل إلى خدمة الحكومة فاستخدمتهُ في بعض المأموريات ثم قلَّدتهُ مناصب النيابة. وفي تلك الأثناء أيضاً عُزل سالم افندي قائم مقام جبله وخلفه رفعت بك وكان في بداءة قدومهِ شديداً على النصارى الاَّ أنهُ عدل عن هذا المسلك أخيراً.

ثم عُزل صبحي باشا والي سورية وخلفه حالت باشا فابتدأ قائم مقام اللاذقية صالح افندي أن يحسّن سلوكهُ مع القناصل ومال لاصلاح ذات البين مع المطران الذي كان قد

رجع من بيروت فتوسط بينهما البعض فتصالحا في بيت الياس افندي صوايا حيث دعاهما إلى العشاء وفي أثناء ذلك ترجى القائم مقام الياس افندي صوايا أن يقبل كتابة مجلس الإدارة موقتاً إلى أن تلايم الفرص لاعادته إلى مديرية المال فأجابهُ إلى ذلك.

وفي 18 شباط سنة 1873 وردت رسالة تلغرافية من البطريرك الانطاكي إلى المطران ملاتيوس يخبرهُ فيها بأنهُ ورد أمر من نظارة الخارجية بعزلهِ وعزل صفرونيوس مطران طرابلس عن ابرشيتيهما ويؤمره بتسليم موجودات المطرانخانة إلى وكلاء والاستعداد لمبارحة اللاذقية لكنهُ لم يوضح فيها سبب عزلهما وبقي ذلك مكتوماً فلم يُعلَم هل نشأ عزلهما عن مضبطة حكومة طرابلس أو عن غيظ البطريرك الانطاكي بسبب سفرهما إلى بيروت لأجل المسئلة البلغارية والأرجح أن عزلهما نشأ عن اتحاد السببين المذكورين لأنهُ لو كان عن تأثير مضبطة طرابلس وحدها لوجب عزل مطران عكار لا مطران طرابلوس أو لو كان عن تأثير المسألة البلغارية وحدها لوجب عزل مطران زحله الذي كان أشدَّ على البطريرك من مطران اللاذقية والظاهر أنهُ لما اجتمع السببان اتفق البطريرك وصبحي باشا وبالتالي الباب العالي والبطريرك القسطنطيني على عزل هذين المطرانين قاصداً كلٌّ من الفريقين التأثير لغايتهِ فلما وردت الرسالة التلغرافية المار ذكرها أصاب طائفة الروم في اللاذقية كدر لا مزيد عليه وصممت على عدم التسليم بعزل مطرانها ملاتيوس وعدم قبول غيرهِ مطلقاً وأقامت عمدة مؤلفة من أعضاء جمعية المطرانخانة مع اضافة بعض الذوات إليها ووكلتهم بموجب خطاب ممضي من العموم وكالةً مطلقة من قِبلَها باجراء تمام السعي باعادة المطران المومى إليه وعدم قبول سواهُ لا بالاصالة ولا بالوكالة. أما المطران فانهُ سلَّم الموجودات إلى اعضاء الجمعية أنفسهم وكتب إلى البطريرك رسالةً تلغرافية يخبرهُ بانفاذ أمرهِ فورد لهُ الجواب أن يذهب إلى دير ماري جاورجيوس الحميراء، وكان المطران منحرف الصحة لا يحتمل مشاق سفر البر فضلاً عن كون اقامتهِ في الدير تكون كنايةً عن نفيٍ لهُ فاستأذن من البطريرك بالسفر إلى الشام ووسط لديهِ أناساً فأتاه الجواب بالإيجاب وسافر إلى الشام في شهر أدار المرقوم وأصحبتهُ الطائفة برسائل إلى البطريرك مضمونها

شدة التأثر والحزن من عزلهِ واجماعها على عدم قبول غيرهِ بنوعٍ من الأنواع والالتماس بأن يصير السعي بسرعة اعادته ولما بلغ إلى الشام استقبلهُ البطريرك استقبالاً حسناً واظهر لهُ تأسفه وكدره من جراء عزلهِ متجاهلاً عن معرفة سببه كما أن الوالي حالت باشا اكرمهُ عند مقابلتهِ إياه واظهر لهُ الأسف أيضاً والميل لمساعدته لأنهُ كان يعرفهُ من ذي قبل واجتمع معهُ بمرورهِ في الوابور على اللاذقية حينما كان قادماً للولاية واظهر لهُ حباً وميلاً. أما حقي باشا متصرف طرابلوس فسُرَّ بعزل المطرانين كقائم مقام اللاذقية ولأجل تمكين تعكير الخواطر من جهتهما ارسل صورةً ثانية من مضبطة طرابلس إلى الوالي حالت باشا الذي كان يجهلها لأنها تقدمت في أيام صبحي باشا ولأجل فتح ميدان واسع للأفكار للحكم على المعاملة التي جرت مع المطران ملاتيوس لا بأس من وضع صورة المضبطة المرقومة هنا وهي هذه بحروفها.

لجانب معالي ولاية سورية الجليلة



مجلس إدارة لوا

طرابلس شام

لقد تشرف مجلس العجزة بقراءة الأمرنامةً السامي الصادر من جانب عالي الصدارة العظمى المؤرخ في 6 رمضان سنة 1289 و 22 تشرين الثاني 1288 والمزين بنومروماية وأربعة وأربعين المحال من طرف دولتكم المتضمن فحواه المنيف بارسال المحضرين المتقدمين بادعاء وقوع أمور منافية للحقانية بحق الخرستيان من أهالي قضاوات اللاذقية وعكار وصافيتا وذلك من اجراء مساحة الأراضي مع المظالم والتعديات التي شاهدوها من مأمورين الحكومة المحلية والمعاملة الغير مرضية الجارية بحقهم من نصيرية قضاء صافيتا وصدر الأمر السامي بأنهُ حيث أن مندرجاتها تجلب نظر الدقة والأحوال المشتكى بها إذا كانت صحيحة لا يمكن تجويزها فمن اللازم اجراء التحقيقات المدققة واجراء ايجاب الحال وعرض وانهاء الكيفية وجميع ما صدر به الأمر السامي وأمر دولتكم صار قرين الاذعان وقد تقابل بالإطاعة والامتثال ولدى مطالعة القطعتين أوراق المذكورة فوجدت

احداهما من مطران طائفة الروم في عكار وصافيتا والثانية من مطران الملة المذكورة في اللاذقية، ووجد زبدة مال معروض مطران عكار المومى إليه بأن بكاوات واغاوات عكار ينهبون اموال الخرستيان ويسخرون حيواناتهم وأنهُ بهذه السنة بواسطة تحويل أراضي الشمسية لثمن المثل حصلت زيادة دونمات بالمساحة عليهم من طرف مأموريـن المساحة، وأنهُ لما تواجه أحد الخوارنة مع الأهالي للتشكي من ذلك أمر متصرف اللواء بحبسهِ وبقي يومين في الحبس وأن نصيرية صافيتا يقتلون الخرستيان بالسيوف والأحجار حتى أنهم في ظرف خمس سنوات للآن صاروا قاتلين ثلاثة وعشرين نفراً ويخطفون بناتهم وأنهُ ما عاد لملَّة الخرستيان قدره على السكن والاقامة بالقضاوات المذكورة وأن الحكومة المحلية تغض العين عن هذه الأفعال. والعرضال الثاني المتقدم من مطران اللاذقية وجد يتضمن بأن قائم مقام اللاذقية صالح افندي مظهر الكراهة إلى الخرستيان ويعاملهم معاملة تحقيرية وأن مدير ناحية بيت الشلف قوص خوري ناحية المزيرعة بالطابنجه وأنهُ لما كان المطران المومى إليه غائباً في انطاكيه قدم الخوري المومى إليه الشكاية للقائم مقام المومى إليه فصار يجتهد بتبرئة المدير وتكاثر الشتم والسب على الديانة النصرانية وأن الخوارنه عندما تتوجه إلى الكنايس صارت عرضة للاهانة وانهُ إذا انطلب أحد من الخرستيان للحكومة لأجل عشرين غرش من الاعانه العسكرية أو لأجل سخره تتراكض لجلبة جملة ضبطية ويجرُّونه بالعنف والاهانة واذا أحد منهم تجاسر على الشكاية يتبدل الحق ويصير محكوماً عليه بالحبس والجزاء النقدي وإن بعض أعضاء المجلس يميلون للمبادىء الذي نشرها القائم مقام مع كونه متغلب على المجلس لأنهُ يفتخر بالقول أن كلامه لا يُراجَع وأنهُ لما تهدد الاعضاء المسيحية عندما يبدون فكراً مخالفاً لارادته وأنهُ صار فتح أبواب دعاوي قديمة على المسيحيين وسلب أملاكهم بواسطة دعاوي مصطنعه وباطله وأن مجلس اللاذقية لا يلتفت إلى كتاب البيوع المرسول من طرف الدولة العلية وانهُ إذا أحد قدم الشكايه للقائم مقام بعرضحال يمزق عرضحاله وأنهُ تدرج الحال إلى تدنيس المعابد وظهرت نجاسة ملطوخه على باب كنيسة مار جاورجيوس، وأنهُ لما صار بيان الكيفية إلى القائم مقام جاوب على

الفور بأن هذه عمل نصارى وأظهر عدم الاكتراث ومسك بعض المسيحيين لأجل هذه القضية ووضعهم في الحبس. هذا ملخص مآل ما درجه مطران اللاذقية في عرضحالهِ، وبما أن عرض وانهاء حقيقة الحال كما هو الواقع منه واجبات الذمة وفي هذا الزمان العادل جميع الأحوال والتصرفات مكشوفة لنظر العموم ودائماً الحكومة السنية تمد أنظار الدقة بمعرفة المجلس الملحية لاكتشاف حال ومسرى المأمورين الموجودين بالمعية وحكومة مركز اللواء لا تفتر عن التحقيقات والتدقيقات الخفية والجلية عن حال قائم مقامية القضاوات وسلوكهم وعما يتوقع في كل قضاء كما أن جميع الأهالي حتى رعاة الأغنام الذين يوجد أكثرهم لم يدخلوا للمدن والأمصار صاروا عارفين النسبة الخيرية الملوكية بحق عموم التبعية الشاهانية بلا استثناء لأن الغزيتات والجرائد الموضحة والكاشفة لجميع الأمور دائماً تتوزع على جميع القرايا بكل جمعه ليتكشف عنهم الغطا، ويعرفون حقوق النِعَم الجليله فلا يوجد ميدان ولا مجال لأحدٍ على أن يدعي بأنهُ انظلم ولم يقتدر على عرض ظلامتهِ لأنهُ بهذا العصر العادل بظل السطوة الملوكية ما عاد موجود واحد يقدر على ظلم أحد أو غدره وإلّا ينال الجزاء الذي يترتب عليه على حسب درجة مجاسرته وهذا الحال لا يستطيع أحد على انكاره أما بكاوات وأغاوات عكار ما انسمع عنهم بكل هذه المدة حصول تعدي بنهب أو سلب أموال أو أملاك أحد من الخرستيان، ولا من خلافهم ولا تسخيرهم بشيء كما أنهُ غير مقتدرين على ذلك، واذا بالفرض حصل تعدي من شخص على آخر تكون من الأمور العادية التي لا يخلو الكون من هكذا وقوعات، وبالحال يجري استنطاق من المتجاسر ومحاكمته واجراء ما يحكم عليه القانون بهِ فهذه النسبة عارية عن الأساس وخالية من الصحة والذي يظهر أن ذكرها ليس هو إلّا لقصد تشويش أفكار الحكومة بلا سبب للتوصل إلى الغايات الذاتية لأن الحال الحاضر والمشاهد بنظر العموم يُظهر ويوكد نوال الجميع الراحة والاطمانية والأمنية التامة واتساع أمور زراعتهم وغرس الأشجار والعمار للأملاك وعند حدوث دعوى بين شخصين من أي ملةٍ كانا، ولو كان المدعى عليهِ رفيعاً والمدعي وضيعاً فأنهُ مشاهد حضور المدعي للحكومة وتقديم الشكاية ونواله بحقانيه ولم يحصل تشكي

على أحد إلّا وصار جلبه واجراء محاكمته وقد سبق أن بعض البكاوات والاغوات من المسيحيين أم خلافهم كانوا يدعون عليهم فبالحال يصير جلبهم واجراء محاكمتهم ونوال الحق حقهُ بظل الشوكة القاهرة الملوكية. وأما قضية البحث عن مادة ثمن مثل الأراضي وحضور الخوري للحكومة. فإن الأراضي الشمسية التي هي ملك همايون وتُعطَى بالالتزام بكل سنة للطالبين وأكثرها بيد الإسلام قد صار اجراء مساحتها لأجل ادخالها تحت نظام الطابو وحصلت المساعدة للزارع بتفويضها لهم بثمن المثل مقسَّطاً بمعرفة قومسيون مخصوص مشكل من جانب الولاية الجليله وقد صار تخمين الأراضي بمعرفة مخمنين من ذوي الخبرة من سائر الملل من أهالي تلك المحلات وخلافهم الخالين الغرض والجميع بالفيئة المعتدلة وباشروا بدفع القسط ما عدا بعض زراع قرية السمونية من الخرستيان، فأنهُ حركهم الخوري المذكور للشكايه بزيادة الفيئة والادعاء بأنهُ حصلت زيادة عليهم بالمساحة فصار تفهيمهم بأن الفيئة معتدلة وأنهُ من اللازم دفع القسط وأن دعواهم بزيادة المساحة فأنهُ يُنظَر بايجابها الحقاني فلم يقنعوا فعندها صار توقيف بعض الأهالي المتعنتين عن دفع القسط لأن ادعاهم واهي وأكبر دليل على ارتكابهم الغرور والطمع وأنهم محركين على الشكايه وأن الفيئة معتدلة لأنهُ موجود طالب لأراضي القرية بزيادة مايتين الف غرش عن ثمن المثل الذي تخمَّن عليهم حالة كونها مقدرة على جميع الأهالي بمايتين وستين ألف غرش فلما شاهد ذلك الخوري أراد يدخل القضية للمغالطة وصار يتكلم كلاماً غير لائق بالحدة، ورفع الصوت وقال ما دام صار توقيف هؤلاء فإني أحبس نفسي معهم وتوجه للحبس معهم فمنعهُ الضبطية من الدخول للحبس حسب تنبيه المتصرف وقعد على باب اليرمق ومراراً صار تكليفه بالتوجه بواسطة الأعضاء من أبناء ملتهِ وغيرهم فلم يقبل حتى أن مطران افندي الروم بطرابلس لما سمع القضية أرسل له خبر بالحضور لطرفه فلم يقبل وبقي مصراً ولم يخرج من قوناق الحكومة حتى حضر مطران عكار الذي الآن قدم الشكوى. وأرسل لهُ خبراً فتوجه لعنده وقد تحررت بذلك مضبطه مفصله إذ ذاك وتقدمت لجانب الولاية الجليلة في 7 رجب سنة 289 و 21 اغسطوس سنة 288 وأما الادعاء الحاصل بقتل

الثلاثة وعشرين نفراً من الخرستيان في صافيتا فمن مراجعة القيود يظهر عدم صحتها، وأنهُ لربما هذا الادعاء هو عن وقوعات قديمة من سنين عديدة، ولكن بما أن القضاوات جسيمة ومتسعة وفي كل محل لا يخلو من وجود الصالح والطالح كما أن الوقوعات الكونية لا يخلو محل منها ولا تخلو مملكة من الممالك من حدوث هكذا أحوال لأنهُ إذا صودف وجود اشقياء في جبال النصيرية الذين هم ملة غير متمدنة ودخلوا إلى بيت أحدٍ من سكان القرايا والجبال للسرقة وخرج عليهم صاحب البيت فقوصوهُ ومات متأثراً وصادف مرور أحدٍ منفرداً في الطريق، ووجدهُ أحد من الاشقياء وأراد غصب ماله وقوصه ومات فإن الحكومة المحلية لا تتسامح ذرة واحدة من تعاطي أسباب رمي القبض على المتجاسر وإجراء محاكمته ومجازاته الشرعية والقانونية ومن تتبع قيودات المجلس من سنين للآن تظهر جميع الاجراءات التي حصلت بحق كل قضية وقعت من الأمور الجنائية لأن هكذا وقوعات ليست مخصوصة بحق ملةٍ دون ملَّة بل الكون لا يخلو منها بحق جميع الملل كما أنهُ يوجد قتَلَه من كل مله كذلك ينوجد اشقياء متجاسرين على القتل من كل ملة أيضاً ولحد الآن كم وكم ارتسل إلى قلعة عكا أشخاص مرتكبين الجنايات بحق الخرستيان وخلافهم ولربما صار مقتول من النصيرية في سنجاق طرابلس، بالإصلاحات التي حصلت في جبال النصيرية في مدة الثلاث وثلاثين سنة المذكورة وغيرها عن كل نفر مقتول من الخرستيان، اكثر من خمسماية نفر وانتفى منهم في أوقات مختلفة جمع غفير بحسب حال كل قضية والآن ينوجد في حبس طرابلس أكثر من ثلاثين نفراً من النصيرية لأجل هكذا دعاوي صار لهم أكثر من ستة أشهر بناء على ادعاء خرستيان صافيتا عليهم وكلما صار طلب المرقومين للمحاكمة، لا يحضروا بل يرغبون المجازاة من دون مرافعة حتى أنهُ بهذه المرة تأكد بارسال المدعين من الخرستيان المرقومين فورد الجواب من مجلس صافيتا بمضبطه بأن المدعين من الخرستيان امتنعوا عن الحضور للمرافعة مع المحبوسين. وادعوا انهم لا يقدرون على الاثبات عليهم واذا صار ربط المدعى عليهم بكفالة واطلاقهم يتشكوا ويقولوا ضاع حقنا والحاصل ما سبق حصول قضية رديه نظير قتل النفوس أو سلب الأموال أو خلافها، وصار السكوت عنها من

طرف الحكومة، ولو صار البيان عن اسامي الذي صار الادعاء بقتلهم كان يصير مراجعة القيد، وبيان الاجراءات التي حصلت بوقت وقوع القضية وعندها يظهر إن كان حصل تسامح أم لا. وأما عند اجراء المرافعة بتقديم الشكايات ونقل الأمور من طور إلى طور آخر وذكر الدعاوي القديمة التي جرى ايجابها بوقتها بصورة الاجمال، والنسبة بأنهُ صار مقتول كذا من دون بيان اجراءات الحكومة بأوقات وقوع القضية يكون ذلك مبني لقصد اعظام الأمور ودخالها لصورة المغالطة والحال أنهُ في هذا العصر المحصور بمزيد المراحم الملوكية له الحمد سطوة الحكومة السنية باسطة وشوكة اقتدار الدولة العلية قوية على كل متعند ومتجاسر ولا يحق لأحد على أن ينسب للحكومة السنية أدنى ذرة من القصور بالاجراءات وبقضية الضبط والربط واستكمال الراحة والأمنية لأن هذا الوقت يُعدُّ غرَّة في جبين الدهر حيث أن مأمورين الحكومة الكبار والصغار دائماً متيقظون ومجتهدون بكل ما فيهِ راحة الأهالي وأمنيتهم وخصوصاً في سنجاق طرابلوس الشام فأنهُ يُعدُّ السنجاق الأول في قطعة سورية بالراحة والأمنية وائتلاف قلوب الأهالي مع بعضهم والمحبة الوطنية بين جميع الملل، وأما ما ذكرهُ مطران افندي اللاذقية بعرضحاله بحق قائم مقام اللاذقية صالح افندي والمواد التي عددها حرفياً فأنهُ من مراجعة مضبطة مجلس اللاذقية المختومة من جميع اعضاء الخرستيان أيضاً المؤرخة في 28 شعبان سنة 289 وفي 18 تشرين الأول سنة 288، بناء على الاشعارات المؤكدة الصادرة من مركز المتصرفية المبنية على تشكي المطران المومى إليه ظهر أن الدعوى التي تصدرت على مدير ناحية بيت الشلف من خوري المزيرعة صار رؤيتها في مجلس اللاذقية وانمسك بها زورا ودُرج به الاستنطاق ولم يتبين صحة ما ادعاه الخوري بل ظهر أنه محقوق وصار الاستئذان من جانب الولاية الجليلة بجلبه للمحاكمة والآن صدر أمر دولتكم المؤرخ في 7 شوال سنة 89 ذيلاً على الأمر السامي الصادر من جانب مقام الصدارة العظمى باستحضار الخوري المذكور واجراء محاكمته لأن الخوري المذكور لهُ سوابق بالتحريك حتى أن حضرة والي الولاية السابق دولتلو راشد باشا تحقق لديهِ حاله حين شرف إلى جبال النصيرية للاصلاحات صدر أمره إلى مطران الملة بحبسه

تأديباً لـهُ، وأمـا نسـبة كراهـة القائـم مقـام المومـى إليـه للخرسـتيان لـم يوجـد لهـا سـبب ولا مسـتند لانـهُ غريـب الديـار وليـس لـهُ غـرض مـع أحـد ومجـرب الأطـوار بالخدامـات فـي جملـة محـلات وعـارف الأصـول والنظامـات السـنية، ومـن ذوي الوقـوف والدرايـة والمعرفـة بحـال ونزاكـة الوقـت فلـم يبـدو منـهُ هكـذا حـالات منافيـة مخالفـة للديانـة والإنسـانية ولواجبـات المأموريـة وإنمـا لتمسـكه بالحقانيـة وعـدم اصغـاه للتكاليـف الغيـر المحقـة والمخالفـة للنظامـات السـنية يفتعلـوا منـهُ ويشـيعوا عليـهِ هكـذا أخبـار لكـي أمـا يطاوعهـم علـى مقاصدهـم الذاتيـة وإذا انعـزل يتوقـى خلفـه مخالفتهـم وأمـا قضيـة تلويـث بـاب الكنيسـة فمـا حصـل تسـامح مـن الحكومـة عنـد وقوعهـا ومـن جملـة الاجـراءات الدائـرة الشـمالية المأمـورة بالتحـري علـى هـذه القضيـة أيضـاً أوقعـت الشـبهة علـى شـخص مسـيحي، ومـن الجملـة صـار اسـتحضاره واسـتنطاقه حيـث كانـت وقعـت مشـاجرة بينـهُ وبيـن خـوري الكنيسـة وبالاسـتنطاق لـم تقـع الشـبهة القويـة عليـهِ ولـم يـزل صائـر البحـث والتحـري علـى المتجاسـرين، وأمـا قضيـة تراكـض الضبطيـة لجلـب أحـد المسـيحيين عنـد لـزوم جلبـه لدفـع الاعانـة العسـكرية بالاهانـة والشـتم فأنـهُ لـم ينسـمع وقـوع ذلـك وأنـهُ كان مـن الواجـب عنـد وقـوع هكـذا قضيـة مـن أحـد الضبطيـة بالحـال يعـرض مَـن عومـل بذلـك دعـواهُ للحكومـة السـنية فـاذا مـا نـال الحقانيـة يعـرض لمحـلٍ أعلـى لأن بـاب الحكومـة السـنية مفتـوح لـكل قاصـد وأن مـا درج مـن فتـح الدعـاوي القديمـة علـى الخرسـتيان وسـلب أملاكهـم والحـال أنـهُ لربمـا المقصـود مـن هـذه الدعـاوي هـي دعـوى حسـن حوريـه مـن أهالـي اللاذقيـة علـى عبداللّـه اسـبريدون مـن الخرسـتيان بقضيـة طاحـون وكان صـار اعطـاء القـرار بهـا بموجـب مضبطـه ولمـا تقدمـت المضبطـة لمركـز اللـواء وطلـب المدعـى عليـهِ اسـتئناف الدعـوى صـار طلـب الفريقيـن لمركـز اللـواء، وللآن مـا حضـر المدعـي لكـون المدعـى عليه كان مشـغولاً بتعليـم الرديـف وأنـهُ قريبـاً يصيـر ارسـاله لمركـز اللـواء مـع خصمـه وأن مـادة تمزيـق العرضحـالات لـم يصـرِ معلوميـة للمجلـس بهـا ولا أحـد ادعـى بذلـك، وأن الدعـوى الثانيـة التـي صـار الأعـراض بهـا مـن المطـران المومـى إليـه بالادعـاء أنهـا مـن عشـرين سـنة فأنهـا دعـوى علـى مبيـع دار هـي الآن بيـد أرملة الخواجـه موسـى ابراهيـم، ولـم يمضـي علـى بلـوغ المدعـى المتصـدره منـهُ الدعـوى المـدة المانعـة

من سماعها ومع ذلك يصير استئنافها في مركز اللواء ويظهر الحق وأن المطران المومى إليه ذكر بأن ذلك سبب فتح المطامع على المسيحيين والحال أن مثل هكذا دعوى حقوقية دائماً تقع من الإسلام مع بعضهم ومن الأخ على أخيهِ ومن مسلم على مسيحي وبالعكس، ولا يكون ذلك سبباً لفتح باب من أبواب المحاذير وإنما بعد المرافعة يظهر المحق من المحقوق ويجري الايجاب الشرعي بالأمور الشرعية والمسوغ النظامي بالأمور النظامية وبالحقيقة أن دعاوي الحقوق إن كانت قديمة أو حادثة لها حكم لأن الشرع الشريف والقانون المنيف لم يتركا شيئاً بلا نصٍ صريح واذا كانت كلما تصدرت دعوى حقوقية من مسلم على خرستيان أو من خرستيان على مسلم يصير نقلها لهيئة العموم والتشبث بالقول بأن هذه الدعوى تفتح أبواب مطامع على أبناء ملَّة المدعي عليه حينئذٍ ينفتح باب لاضاعة كامل الحقوق، وهذه هي التي تكون محركة لمطامع وغرور ذوي المطامع وقد أُدرج بالمضبطة المذكورة أنهُ بظل السطوة الملوكية راحة جميع الأهالي بلا استثناء في محورها اللائق وأنهُ بحولهِ تعالى لا يوجد ميدان لطائفة على سلب راحة طائفة أخرى ولا يوجد سبيل على سلب راحة وأمنية أحد هذا مآل المضبطة المذكورة مع كونها وردت من مجلس دعاوي اللاذقية حالة كون القائم مقام المومى إليه لم يكن في اللاذقية بل كان في طرابلس، وهذا مما يؤكد عدم صحة ما نُسب من كون القائم مقام المومى إليه متغلب على المجالس، وأنهُ يتهدد مَن يبدي منهم فكراً مخالفاً لارادته وبالتأمل الدقيق يظهر أن الدولة العليه الأبدية الدوام أسَّست المجالس من وجوه البلاد من إسلام وخرستيان وبقية الملل بانتخاب الأهالي وصار تقسيم المجلس وعينت لكل مجلس وظائف مخصوصه بموجب نظامات ومأمورين الحكومة لم تعين لهم مأمورية بسماع الدعاوي بل هم مأمورون بالاجراء بعد المرافعة والمحاكمة وصدور الحكم وورود المضبطة فلذلك لا سبيل للاعتراض على الحكومة المحلية بقضية دعاوي الحقوق ولا عذر للمجلس بذلك وانما إذا حصل تسامح بالإجراء حينئذٍ يحق نسبة ذلك إلى مأمورين الحكومة الاجرائية ومصرح بالنظامات أن أعضاء المجلس بأجمعهم من دون استثناء مأذونون ببيان آرائهم بلا تحاشي وعند عدم الاتفاق يشرحون تحت امضاهم وجعلت رأس

اللـواء مركـزاً لاسـتئناف دعـاوي القضـاء ومركـز الولايـة محـلاً لاسـتئناف الدعـاوي التـي تُـرى فـي مركـز اللـواء فلذلـك لا يوجـد سـبب لأحـد علـى الاعتـراض بشـيء لكـن كمـا يظهـر مـن الدلائـل الثابتـة بالوقايع المماثلـة أن البعـض عندمـا تحصـل قضيـة غيـر موافقـة لهـم يريـدون أخـذ الأمـور بالمغالطـة ونقلهـا مـن طـور إلـى طـور ظنـاً بأنهـم يتوصلـون لمقاصدهـم والحـال أن فـي هـذا العصـر المحصـور بمزيـد المراحـم زالـت هـذه الأمـور أيضـاً وكل شـيء تركـز فـي مركـزه وارتبـط بنظامـه وكل مأمـور لـهُ وظائـف مخصوصـة وكل مـادة انوضـع لهـا نظـام محكـم وانسـدت أبـواب التدليـس واشـتهرت للجميـع حقائـق النسـبة الخيريـة بحـق عمـوم التبعـة الملوكيـة بـلا اسـتثناء والجميـع تفتحـت آذانهـم وتنـورت بصائرهـم فلذلـك طـرق التدليـس والشـكايات الغيـر المحقـة صـارت مسـدوده لأن التحقيـق المحـق يظهـر الحقائـق وبمـا أن الدولـة العليـة أسسـت مجالـس بـكل ناحيـة وقضـاء ولـواء مشـكلة مـن جميـع الملـل بانتخـاب الأهالـي وجميـع الدعـاوي تـرى فـي المجلـس بحسـب درجـات نظامهـا فـلا سـبيل لمداخلـة الرؤسـاء الروحيـة بأمـور الحكومـة ودعـاوي الأهالـي مـع بعضهـم لأن ذلـك ليـس هـو مـن متعلقـات الأمـور المذهبيـة فعـدم اعطاهـم ميـدان للمداخلـة الموجبـة للبشـلله أوجـب تعديهـم لهكـذا شـكايات وتجسـيم الأمـور وتصديـع أفـكار الحكومـة السـنية لكـي يتوصلـوا إلـى مقاصدهـم الذاتيـة وبينمـا كان مـع اقتضـاء الوظائـف المذهبيـة المترتبـة علـى الرؤسـاء الروحيـة نصيحـة الأهالـي برفـع النـزاع واتبـاع الحقانيـة وامتثـال أوامـر الحكومـة السـنية فـالآن تصديهـم للعكـس بالحقيقـة أنـهُ يوجـب التأسـف وحيـث هـذا حقيقـة الحـال وللّـه الحمـد والمنـه بظـل الموفقيـة الملوكيـة وأنظـار دولتكـم الصفيـة كافـة الأهالـي مـن جميـع الملـل رايعيـن فـي بحبوحـة الراحـة والأمنيـة بـلا اسـتثناء فلأجـل أن يحيـط العلـوم الشـريفة تفصيـل الكيفيـة حصـل التجاسـر بتقديـم هـذه المضبطـة مـن مجلسـي إدارة وتمييـز لـواء طرابلـس شـام وبـكل الوجـوه الأمـر والفرمـان لحضـرة مَـن لـهُ الأمـر احتـرام فـي 9 شـوال سـنة 289 و 26 تشـرين الثانـي سـنة 288

مجلس تمييز الدعاوى		مجلس الإدارة		
	الداعي	الداعي	الداعي	متصرف لوا
مميز	رئيس	مفتي	نائب	طرابلس
(السيد أحمد	(عبد الحليم)	(السيد مصطفى)	(عبد الحليم)	(اسماعيل
سلطاني)	لمعي	لطفي	لمعي	حقي
مميز محمد رشيد زيلعي	مميز عبدالله السيد أحمد	اعضاء	محاسبة جي آوقاف	اعضاء
(مخايل آرناؤوط)	(ابراهيم انطانيوس	(السيد احمد	(الحاج عثمان)	السيد
	زريق	تدمري		عبدالله
مميز	اعضا			اعضا
	(الياس الخوري) بطرس		(رفول الداية)	(حنا صراف)

انتهت بحروفها

فلما وصلت صورة المضبطة المرقومه إلى الوالي حالت باشا ارسل نسختها إلى البطريرك فسلمها البطريرك إلى المطران اللاذقية فأجاب عنها المطران بعرضٍ قدمهُ إلى الوالي وهذه صورته.

لقد اطلعت بواسطة غبطة بطريرك افندي على صورة المضبطه المتقدمة من متصرفية لواء طرابلس شام الساميه لجانب الولاية الجليلة بمدة حضرة صاحب الدولة صبحي باشا رقم 9 شوال سنة 89 و9 تشرين الثاني سنة 880 والمتكرر تقديم صورتها مؤخراً من جانب المتصرفية المومى إليها لاعتابكم الكريمة وتفضلتم بارسالها لغبطة البطريرك المومى إليه ولدى مطالعتها وجدت مضمونها عبارةً عن ثلاثة موضوعات الموضوع الأول الرد على تشكياتي المتقدمة لأعتاب الصدارة العظمى عن الوقوعات والتعديات التي كانت جارية على الطائفة الارثوذكسية في اللاذقية وعلى كنيستها وعلى خوري قرية المزيرعة بعد تعيين رفعتلوا صالح افندي قائم مقاماً. والموضوع الثاني تهمة هذا الداعي بالنفاق وتصديع افكار الحكومة السنية وتعليم الشعب محبة النزاع واتباع الباطل والتمرد على الحكومة السنية. والموضوع الثالث اظهار حكومة طرابلس ما هي عليه من الانتباه والدقة لاجراء المعدلة

والقوانين السنية، واستراحة الأهالي، ومراقبة أعمال القائم مقامية الذين هم ضمن اللواء، حيث كان الحال يستدعي بالمجبورين بيان الحقيقة استرحم الاذن من لدن دولتكم لاعرض ما يستدعيه ايجاب الحال الآن لاحاطة علومكم السامية، فأولاً من جهة الموضوع الأول، أعني الرد على تشكياتي أقول أنهُ لو كانت حكومة طرابلس أجرت مقتضيات القوانين السنية من ارسال اعضاء إسلام ومسيحيين لاجل تحقيق هذه القضايا في محلها، بالنظر لجهتي بصورة المدعي ولجهة المأمورين المحليين بصورة المدعى عليهم لكان ظهر الحق لي أو عليَّ وكان حينئذٍ يسوغ أن يقال أن مضبطة مجلس طرابلس هي مضبطة مستوفية النظام، ولكن بما أن الحال بخلاف ذلك وقد جعلت الخصم ذاته محققاً وحكَماً واعتبرت قوله هو المعوَّل عليه وسندتهُ بتلك المضبطة، وجميع ذلك بدون سؤال مني أصلاً فالمعدلة السنية تمكني أن أقول، أنني امسيت ضحية للغرض حتى أن حضرة سلف دولتكم لعلمهِ عدم موافقة هذه المضبطة للنظام من جهةٍ، وأنني مستعد لاثبات تشكياتي كما عرضت لدولته عندما بلغني حصول هذه المضبطة من جهةٍ أخرى أصدر تحريرات لغبطة البطريرك يمكن الاستنتاج منها أن المقصود صرف النظر عن هذه المسائل، وإيقافها عند هذا الحد ثم أنهُ ولئن يكن الآن معدلة دولتكم تساعد على إجراء التحقيقات النظامية لاثبات تشكياتي إلّا أنهُ يمنعني عن التجرد لذلك جملة موانع وهي أولاً أن ما يلجئني لاظهار صحة معروضاتي لأجل حفظ مركزي بنظر الحكومة السنية قد زال لأنني عزلت من سياسة ابرشيتي الروحية بلا محاكمة ولا تحقيق نظامي أو ثبوت جنحة عليَّ لا سياسية ولا روحية ثانياً أن المعدلة لا تقتضي بأنهُ عندما استدعيت اجراء المحاكمة لاثبات تشكياتي بأوقاتها وأنا في مركزي لا يصير الاصغاء لاستدعائي هذا الحقاني وأن أتكلف لذلك الآن بعد أن عُزلت. ثالثاً أن تشكياتي قد كانت لأجل وقوعات مصدرها سوء إدارة بعض المأمورين وقتئذٍ ولكونهِ بعد انفصال حضرة صاحب الدولة صبحي باشا وتشريف دولتكم قد تغيرت الإدارة وتحسنت المعاملة، فلا يوجد لزوم لتجديد تشكيات قد مضى أمرها رابعاً بما أن قائم مقام افندي اللاذقية بعد انفصال حضرة سلفكم قد عاهدني بحضور ذوات من وكلاء قناصل ووجوه تبعة وتجردي لإثبات تشكياتي ضده الآن يجعلني ناكثاً للعهد فلا أريد أن أكون منعوتاً بهذا النعت، وبناء على كل

ما ذُكر اجتنب الآن البحث في اثبات صحة هذه التشكيات ثانياً من جهة الموضوع الثاني الذي بهِ تتهمني مضبطة طرابلس، تُهماً مختلفة اجيب أنني لا أعلم على أي سندٍ حقاني وأي ذمة عادلة وأي رخصة سنية جاز لمجلس طرابلوس أن يتهمني بهكذا تهُمَ حال كون حب المداخلة والنفاق الذي يُقصَد، التوصل للأغراض الذاتية هو لأناسٍ معلومين ومشهوري الاسم والأعمال شرهين للاغتناء وجمع الثروة من أموال العباد وكسب الشهرة والنفوذ المتغلبين على الحق وليس هو لشخصٍ مثل هذا الحقير من جماعة الرهبان مع أنني لو كنت كما تتهمني تلك المضبطة لكنت اختار الدخول في مجلس الإدارة المحلي منذ التشكيلات للآن بصف الأعضاء الطبيعيين حيثما كان يتيسَّر لي المداخلة لنوال المقاصد التي تشير عنها المضبطة بخلاف أن ابقى خارج المجلس حال كوني تكلفت لذلك مراراً وأبيت القبول حباً في عدم المداخلة وأما تشكياتي فليست إلّا ابلاغ حقيقة الأحوال لمسامع ولية نعمتنا الدولة العلية وعرض وبيان عدم مجرى الأمور طبق مرضاتها وقوانينها قياماً بفروض عبوديتي لها وايفاءً لما تقتضيه واجبات الذمة لنحو المعابد والخوارنة الذين هم ضمن إدارتي ولنحو الشعب المنوطة بي رياسته الروحية لكي يدوم متمتعاً بنعم المعدله الملوكانية الأمر الذي بحمدهِ تعالى وبظل العناية الشهانية كنا حاصلين عليه بواسطة اعتناء حضرة ولاة الأمور العظام المجبولين بالمرحمه نظير دولتكم والمأمورين المحليين الذين سلفوا لحين حصول تلك الوقوعات المشكي عنها، فلعل هذا الاجتناب بعدم مداخلتي في المجلس لم يوجد كافياً في نظر حضرة أصحاب المضبطة لأن يقيني من تهمة حب المداخلات والمقاصد حال كونه لي مدة ثماني سنين مطراناً في اللاذقية ولم يظهر لي ولا مقصد ذاتي أوجب تصديع أفكار الحكومة السنية. ولم يوجد أحد قط من أبناء طائفتي ارتكب شيئاً مغايراً لرضاها حتى يجوز أن أنسَب لهكذا منكرات على أنني للّه الحمد بسياسة ولية نعمتنا الدولة العلية قد حزت بهذه الثماني سنين ما يجب الافتخار من التفات حضرة ولاة الأمور لنحوي لما تحققوهُ من صدق العبودية والحب والخلوص القلبي الذي بي لصوالح ولية نعمتنا الدولة العلية وأهل العرض عموماً وإذا كان مجلس طرابلس ينكر عليَّ ذلك فحكومة الولاية التي استحصلت لي نيشان المجيديه العالي تعرفه وبالحقيقة لو كان واقعاً فساد من طائفة الروم باللاذقية أو

كان موجوداً منها عاصٍ أو قاطع طريق أو متمرد أو أحد مشكوٌّ عليه بشيء يغاير الرضى العالي لكنت اسلم أنهُ يجوز لمجلس طرابلس أن يتهمني بتعاليم مغايرة على أنني في زمن ولاية حضرة سلف دولتكم كنت أغلب تلك المدة غائباً في انطاكيا فما هي المقاصد التي كانت لي وأنا غائب ولأجل عدم رواجها تصديت هذا التصدي أو ليس أن تهمتي كل هذه التُهم التي لا أثر لها في الواقع أجازت لكثيرين أن يفتكروا أن ذلك مقصود بهِ تشويش أفكار حضرة أولياء الأمور من جهتي لتكون تشكياتي غير مثمرة، فلا يعود أحد فيما بعد يجسر على التشكي من أحد المأمورين إذا خرج عن النظام، توهماً أن ذلك يرجع لحكم المأمور نفسهِ وعوضاً عن أن يكون المشتكي مظهراً للانصاف يصير عرضةً للانتقام وأما استناد مضبطة اللواء على مضبطة دعاوي اللاذقية وكونها مختومة من الأعضاء المسيحيين فهذا أمر اشتهر كيف جرى، وبأي صورةٍ حصل ولكن حيث مضى وقته وانتهى امره فلا موجب للبحث فيه. ثالثاً من جهة الموضوع الثالث الذي هو عبارة عن شهادة حكومة مركز اللواء لنفسها بالانتباه والدقة لإجراء المعدلة والقوانين السنية إلى آخره فأنني أتمنى لها كل الموفقيه في هذه النوايا الخيرية لأنها مدار الخير العمومي لكن يحق لي أن أقول عن نفسي مع الأسف أن الظاهر أن سوء حظي جعل عدم اجراء التحقيقات القانونية من طرفها على تشكياتي حاصلاً بنوع مستثنى، ولم يوهلني أن أكون مشتركاً في اقتطاف ثمرات هذه النوايا، والغاية بما أن عناية ولية نعمتنا الدولة العلية الأبدية الدوام ستستوضح حقائق الأمور بحكمة مَن كان نظير دولتكم من وزرائها العظام وتظهر لديها صداقة المخلصين العبودية لها حقيقةً ولكون هذا الداعي على كل حال من جملة عبيدها المواظبين على تقديم الادعية الخيرية بتأبيد وتأييد شوكة واقتدار السلطنة السنية اتجاسر بتقديم عرضحالي هذا ببيان الحال وبكل الوجوه الأمر والفرمان لحضرة مَن لهُ الأمر والإحسان افندم.

(انتهى)

فلما اطلع الوالي على هذا الرد قال أن مطران اللاذقية لم يُعامَل بالانصاف ووعدهُ بالمساعدة وكان يتلطف بهِ في كل مقابلاتهِ معهُ ويكرم مثواه.

وفي هذا الأثناء جرى الانتخاب على نصف اعضاء مجلس اللاذقية حسب العادة فأنتُخب اسكندر افندي شدياق عوضاً عن يوسف شرود وعلي آغا هرون عوضاً عن ولده اسعد آغا في مجلس الإدارة ومحمود آغاهرون عوضاً عن محمد افندي ازهري، وعبداللّه افندي فهده عوضاً عن عبداللّه افندي كومين، ويعقوف افندي ميلكون عوضاً عن حنا الطحان في مجلس الدعاوي.

وفيها جرى انشاء صندوق المنافع فضربت الحكومة على كل صمد مبلغاً معلوماً ثم جمعتهُ ليكون رأس مال للصندوق لأجل دين مَن يحتاج من الزراعين بفائدة 12 في المائة سنوياً.

وفي شهر نيسان طرح قائم مقام اللاذقية أعشار قرى ونواحي القضاء في المزايدة، ولما كان الملتزمون في السنة السالفة قد تكبدوا خسائر باهظة، وكانت أيضاً حواصل السنة الحاضرة غير مقبلة لم يتجرأوا على ايصال بدلها إلى البدل السابق، وكانت الأوامر الوارده للقائم مقام تتضمن فيما قيل عدم تجويز تقرير التزام الأعشار ببدل انقص من بدلها السابق كأنما الأراضي مجبورة على الدوام أن تعطي حواصل لا يتسبب معها نقص واردات الأعشار السنوية فلما رأى القائم مقام عدم رغبة الملتزمين في المدينة سار إلى القرى وجعل يلزم أهالي كل قرية بأعشار قريتهم ببدلها السابق والذين كانوا يتمنعون منهم عن القبول كان يُحبَسون ويُضرَبون حتى يقبلوا ويكتبوا على انفسهم سندات ببدل الالتزام وعلى هذه الصورة قرر التزام أكثر القرى وأصاب الأهالي من ذلك غدر جسيم ولا سيما أهالي جبل الأكراد فقدموا عرضاً إلى مجلس إدارة اللاذقية مضمونه أن القائم مقام أكرههم على التزام أعشار قراهم بقيمة باهظة وأنهم يلتمسون رفع الالتزام عنهم فطُرح عرضهم هذا في زاوية الإهمال وأرسل عضوان من قِبَل المجلس إلى الجبل المذكور ليتمما إجبار الأهالي على الالتزام ويختما منهم الصكوك فانقادوا إليهما صاغرين لعدم وجود مَن يأخذ بيدهم ولما هو

معلوم مـن أنهـم إذا تشـكو إلـى مركـزٍ أعلـى يُحـال عرضهـم إلـى القائـم مقـام نفسـه حسـب العـادة فيهـون عليـه اسـتحصال مضبطـه مـن المجلـس تتضمـن تكذيبهـم وأنهـم التزمـوا برضاهـم إلّا أنهـم بعـد أن التزمـوا قصـدوا العـدول وتشـهد لـه بحسـن المعاملـة والسـلوك وقـد قـال القائـم مقـام نفسـه أمامـي فـي مجلـسٍ دار فيـه ذكـر هـذه المسـئلة «أننـي أميـن مـن جهتهـا لأن الأهالـي إذا قصـدوا المحاكمـة معـي ينفقـون مـن المـال قبـل الوصـول إلـى اثبـات دعواهـم أكثـر مـن قيمـة الاعشـار التـي يطلبـون التخلـص منهـا، وبمـا أنهـم يعرفـون ذلـك فـلا خـوف مـن أنهـم يتصـدون للدعـوى».

ثـم فـي أول شـهر أيـار حـلَّ القائـم مقـام المذكـور فـي قريـة البهلوليـة بوسـيلة الالتـزام وكان فيهـا مدرسـة مـن قِبَـل المُرسـلين الأميـركان لتعليـم أولاد أهالـي القريـة الذيـن هـم مـن طائفـة النصيريـة فلما علـم بهـا اسـتدعى أهالـي القريـة وشـتمهم موبخـاً لهـم بسـبب وضعهـم أولادهـم فـي تلـك المدرسـة، وبواسـطة التهديـدات حصـل منهـم علـى عـرض مضمونـهُ التمـاس ابطـال المدرسـة، وترحيـل المعلـم مـن قريتهـم تحـت جنحـة أنهـم لا يريـدون أن يعلمـوا أولادهـم المبـاديء المسـيحية حـال كونهـم فرقـةً مـن الفـرق الإسـلامية ثـم اسـتدعى معلـم المدرسـة وأمـره أن يبـارح القريـة فأجابـه أنـهُ لا يمكنـهُ ذلـك بـدون اذن مـن رؤسـاء المُرسـلَين الأميـركان فـي اللاذقيـة فأرسـل القائـم مقـام خطابـاً للمؤلـف متولـج قونسـلاتو اميـركا يطلـب فيـهِ ابطـال المدرسـة ورفـع المعلـم مـن القريـة، وكانـت نيـة وسـعي القائـم مقـام متجهيـن لتعطيـل جميـع مـدارس المُرسَـلين المفتوحـة لتعليـم أولاد النصيريـة ليزيـل أسـباب دخولهـم فـي النصرانيـة وكان يجتهـد فـي أن يقنـع العمـوم أن النصيريـه هـم مسـلمون، وكان فـي قريـة كيميـن مدرسـة أيضـاً فأرسـل أمـراً إلـى أهاليهـا ينهاهـم فيـه عـن وضـع أولادهـم فيهـا كمـا أنـهُ كان يحـذّر جميع النصيريـة الذيـن تحـت حكمـهِ مـن تعليـم أولادهـم فـي مـدارس المرسـلين ويتهددهـم بالقصـاص إذا سـلكوا بالخـلاف، ولمـا كان فـي تلـك الأثنـاء قـد سـافر مـن بيـروت مسـتر بلدوين هـاي قونسـلوس جنرال دولـة اميـركا فـي سـورية قاصـداً زيـارة طرابلـس واللاذقيـة توقـف المؤلـف عـن مجاوبـة القائـم مقـام حتـى يحضـر الجنـرال للأَذقيـة ويعـرض المسـئلة لـهُ وفـي 22 أيـار وصـل الجنـرال ومعـهُ زوجتـه وتجرمانه اسـبر افنـدي شـقير وكان قبـل وصولـهِ بثلاثـة أيـام قـد أعلـن المؤلـف خبر قدومـه إلـى القائم مقـام الذي

كان لـم يـزل فـي الخـارج فـورد منـهُ جـواب يعتـذر فيـه عـن عـدم امـكان حضـورهِ لملاقـاة الجنـرال، وأرسـل ابراهيـم افنـدي حكيـم مديـر التحريـرات ليسـتقبله مـن طرفـه وانفـذ امـراً إلـى علـي آغـا هـرون وكيلـه فـي القائـم مقاميـة أن يرسـل إلـى المينـا أنفـار الضبطيـة وفرسـان الحكومـة لاجـراء اسـتقبال احتفالـي لـهُ أمـا الجنـرال فبعـد وصولـه إلـى اللاذقيـة لـم يقبـل اعتـذار القائـم مقـام لأنـهُ كان يريـد أن يجتمـع بـهِ لأجـل فـض مسـائل تختـص بالأميـركان وهـي كسـر قفـل بـاب المقبـرة الأميركانيـة، وسـرقة حجـر ذي قيمـةٍ عـن أحـد قبورهـا ووقـوع تعـدّ مـن قِبَـل يوزباشـي الضابطيـن علـى قـواس القونصلاتـو ومسـئلة مدرسـة البهلوليـة التـي كانـت عرضـت لـهُ فبعـث برسـالةٍ تلغرافيـة إلـى الوالـي يطلـب منـهُ فيها أن يصـدر أمـراً تلغرافيـاً إلـى القائـم مقـام أن ينـزل مـن الجبـل لمقابلتـهِ فـورد لـهُ الجـواب بالايجـاب ولما نـزل القائـم مقـام اجتمعـا وتفاوضـا مـن جهـة المسـائل الواقعـة فلـم يحصـل بينهمـا اتفـاق إلّا علـى مسـئلة القـواس، بـأن قـدَّم اليوزباشـي اعتـذاراً للمؤلـف متولـج القونسـلاتو بحضـور الجنـرال والقائـم مقـام وجـرت مصالحـة مـع القـواس وأمـا مسـئلة المقبـرة والمدرسـة فقـر القـرار علـى مراجعـة الوالـي فيهمـا، علـى أنهمـا قـد اتفقـا مـن جهـة المدرسـة علـى إبقـاء كل شـيء علـى مـا كان عليـه ليكـون العمـل بحسـب القـرار النهائـي الـذي يحصـل بخصوصهـا فيمـا بيـن الوالـي والجنـرال لكـن القائـم مقـام بعـد سـفر الجنـرال الـذي كان فـي27 أيـار مـن اللاذقيـة عائـداً إلـى بيـروت لـم يثبـت عنـد هـذا الاتفـاق بـل اسـتمر يسـعى فـي تعطيـل المـدارس.

ولنرجـع إلـى ذكـر مـا جـرى مـن جهـة المطـران فنقـول أن البطريـرك والوالـي اتفقـا علـى اجـراء مبادلـة بيـن المطرانيـن بنقـل مطـران اللاذقيـة لطرابلـس ومطـران طرابلـس للاذقيـة وتقدمـت الانهـاء مـن الولايـة، بذلـك إلـى البـاب العالـي أمـا قنصلاتـو جنراليـة روسـيا فـي بيـروت فأشـاعت أنـهُ صـدر الأمـر مـن الصـدارة العُظمـى بإعـادة كلٍ مـن المطرانيـن إلـى ابرشـيته وأنـهُ لذلـك ينبغـي أن كلاً مـن شـعب الابرشـيتين يقـدم عرضـاً إلـى الصـدارة العظمـى يتضمـن الشـكر مـع التمـاس عـدم إنفـاذ القـرار الـذي جـرى فـي الولايـة بالمبادلـة فأرسـلت جمعيـة مطرانخانـة اللاذقيـة إلـى الصـدارة العظمـى وكان يتولاهـا حينئـذٍ شـرواني زاده محمـد رشـدي باشـا عرضـاً تلغرافيـاً بتاريـخ 15 نيسـان باللغـة التركيـة وهـذه ترجمتـه.

لقد صار مسموع العبيد شر فصدور ارادة فخامتكم السامية باعادة مطراننا ملاتيوس افندي لمأموريته وبناء عليهِ نتجاسر بالاشتراك مع سائر ملة الروم الموجودين تحت إدارة المطران المومى إليه الروحية بعرض وابراز شعائر عبوديتنا الحقيقية، وتشكراتنا غير المتناهية لعتبة السلطنة السنية العالية ولذات فخامتكم. على أنهُ قد رُوي أنهُ حاصل الآن التصور في الشام باجراء المبادلة في المأمورية بين المطران المومى إليه ومطران طرابلس صفرونيوس أفندي، ولما كان ذلك مغايراً تماماً لعقائدنا الدينية وقوانيننا المذهبية ولا سيما أن انفصال ملاتيوس افندي عن اللاذقية لم يكن مبنياً على جنحة سياسية أو روحية تبينت وتحققت عليه عقيب محاكمة عادلة بل انما نشأ عن نفسانيات وأغراض متحققة وكان في هذا الزمان الموسوم بالمعدلة عزل هكذا مطران غير متبين عليه جنحة ومشهود لهُ بصدق العبودية للدولة العلية وتعيين غيرهِ بمحلهِ كما أنهُ مغاير للمعدلة السنية هو مخالف لاحوالنا المذهبية أيضاً فنسترحم ونستدعي من مراحم فخامتكم المساعدة بسرعة اعادة ملاتيوس افندي إلى اللاذقية مركز مأموريته الروحية لأجل عدم وقوع خلل في رسومنا وطقوسنا المذهبية، وبكل حال الأمر لفخامتكم (انتهى).

وفي أوائل أيار ورد خبر توجيه نظارة الخارجية على راشد باشا والي ولاية سورية الأسبق فسرَّت طائفة الروم في اللاذقية بذلك لأنهُ كان محباً للمطران، فقدم لهُ المطران من الشام رسائل تهنئة كما أن جمعية مطرانخانة اللاذقية قدمت عرضين تلغرافيين لهُ باللغة التركية أحدهما يتضمن تهنئتهُ والآخر يتضمن التماس اعادة المطران، وهذه ترجمة الأول.

لقد صار مسموع العبيد توجيه نظارة الخارجية الجليلة بهذه المرة من العواطف الملوكانية السنية لعالي عهدة حضرة خديويتكم المعظمة فمع التجاسر بتقديم التهنية والتبريك بهذا المنصب العالي نبادر لبيان كوننا في كل آنٍ وزمان قائمين بايفاء الدعوات الخيرية بازدياد عمر واقبال فخامتكم وبكل حال الأمر لمَن له الأمر افندي (انتهى).

وأما الثاني فهذه ترجمتهُ

لقد وقع قبلاً انفصال داعيكم مطراننا ملاتيوس افندي وبما أن ذلك لم يكن مبنياً على

جنحة روحية أو سياسة تبينت عليه عقيب محاكمة عادلة، بل إنما نشأ عن أغراض متحققة ففضلاً عن أنهُ أوجب انكسار هؤلاء العبيد، قد وُجد من كل الوجوه مخالفاً لقوانينا المذهبية ولما كان صدق عبودية وخلوص محبة المطران المومى إليه لولية نعمتنا بالامتنان الدولة العلية متحققين لدى فخامتكم وكان انفصاله على هذه الصورة مغايراً أيضاً للمعدلة والقوانين السنية نسترحم ونستدعي اعادته لمركز مأموريته الروحية وبكل الوجود الأمر لدولتكم.

(انتهى)

وفي تلك الاثناء ارسل الوالي في الشام نقولا افندي نقاش عضو الموارنة في مجلس تمييز الولاية إلى البطريرك يطلب منهُ أن يستدعي من نظارة الخارجية تلغرافياً اعادة كلٍ من المطرانين لابرشيتهِ (ولعل ذلك بإشارة من النظارة) وبعد مفاوضات طويلة حصل منهُ على الاستدعاء المذكور، وفي أثناء ذلك خرج من الاستانة أمر من الصدارة لوالي سورية مضمونهُ اجراء المبادلة بين المطرانين بناء على الانهاء الذي تقدم إليها إلّا أنهُ بعد وصوله إلى الولاية بيومين ورد أمر تلغرافي لها من راشد باشا ناظر الخارجية مضمونهُ أن تتوقف عن انفاذ إجراء الأمر المار ذكرهُ حتى يصلها أمر آخر يتضمن اعادة كلٍ منهما إلى ابرشيتهِ بناء على قرار الباب العالي وبعد أيام ورد الأمر المرقوم، وجرى اعلانه للمطرانين بواسطة البطريرك فسافر مطران اللاذقية من دمشق وجاء إلى بيروت في 21 تموز سنة 873 فكانت مدة انفصاله خمسة أشهر وفيما هو في بيروت أتاه تحرير من البطريرك مآله أن يرافق إلى مرسين المطران جرمانوس الذي سيم حديثاً مطراناً لتلك الأبرشية وأن يجتهد باسترضاء الشعب فيها لأنهُ كان يرفض قبوله لكون البطريرك سامهُ بدون انتخابه فسافر المطرانان في أوائل شهر آب من بيروت، وقدما إلى اللاذقية، وأقاما فيها مدة عشرة أيام أرسل في اثنائها مطران اللاذقية تحارير إلى وجوه الطائفة في مرسين وترسوس يخبرهم بعزمهِ على الإتيان إليهم مرافقاً لمطرانهم الجديد امتثالاً لأمر البطريرك ويحرضهم على قبول مطرانهم معلناً لهم أمله بأن يصادف منهم الاستقبال الباشّ، وعدم الخيبة فوردت الأجوبة من بعضهم تتضمن اظهار الترحُّب بقدومهِ فسار هو والمطران جرمانوس، ولما وصلا إلى مرسين سعى

المطـران ملاتيـوس بالقـاء السـلامه والوفـاق وتسـكين الخواطـر الهائجـة وحصـل علـى رسـائل مـن جميعهـم للبطريـرك تعلـن قبولهـم للمطـران جرمانـوس ثـم عـاد إلـى اللاذقيـة.

وفـي تلـك الأثنـاء فُصـل ابرهيـم افنـدي قالـوش مـن كتابـة الطابـو ومحمـد بـك اليكـن مـن مديرية المـال وعُيّـن كاتبـاً للطابـو وأعيـد اليـاس افنـدي صوايـا إلـى مديريـة المـال والشـيخ محمـد تـرك إلـى كتابـة مجلـس الدعـاوي. ولنلتفـت الآن إلـى ذكـر مـا يتعلـق بالراحـة العموميـة، فنقـول أنـهُ لمـا تولـى صبحـي باشـا ولايـة سـورية وعُيّـن حقـي باشـا متصرفـاً لطرابلـس، وصالـح افنـدي قائـم مقامـاً للأذقيـة وألغيـت التعليمـات التـي كانـت قـد أعطيـت مـن راشـد باشـا الوالـي الأسـبق للعمـل بموجبهـا فـي قضائـي اللاذقيـة وجبلـه واستنشـق سـكان الجبـال النصيريـة، رائحـة تغييـر السياسـة انتفضـوا مـن غبـار التمـاوت الـذي نشـرتهُ عليهـم اجـراءات راشـد باشـا وابتـدأوا باجـراء بعـض تعديـات وسـرقات متفرقـة لسـير الأحـوال فـرأوا أن ليـس فـي طريقهـم مانـع، ولا عائـق فامتـدوا فـي السـرقة والقتـل والنهـب وقطع الطـرق، ومداهمـة قـرى السـاحل ليـلاً وسـلب مـا يقـع بأيديهـم منهـا وكانـت حكومـة اللاذقيـة لا تكتـرث بكلمـا يقـع مـن هـذا القبيـل ليـس فـي الخـارج فقـط بـل فـي نفـس اللاذقيـة أيضـاً وممـا وقـع فـي نفس اللاذقيـة أن رجـلاً جـاء إليهـا مـن مرسـين بحـراً ومعـهُ امـرأة وبعـد خروجهمـا مـن السـفينة إلـى البـر وقع نـزاع بيـن الرجـل والمـرأة لا تُعلَـم أسـبابه فضربهـا بجارحـةٍ كانـت فـي يـدهِ فقتلهـا وفـرَّ هاربـاً ومـع كون المحـل الـذي قتلهـا فيـه لا يبعـد سـوى بعـض خطـوات عـن مركـز الضابطة لـم يتبعهُ أحـد مـن الضابطين ويُلـقِ عليـهِ القبـض فنجـا بنفسـهِ مـن دون أن يصـادف مشـقة وطُمـس خبـر هـذه الحادثـة فـي الحكومة كأنهـا لـم تكـن شـيئاً مذكـوراً هـذا والمتصـرف والقائمقـام كانـا يكابـران ويقـولان أن الراحـة منتشـرة فـي اطـراف وأكنـاف اللاذقيـة. ويقترحـان علـى المجالـس اجـراء مضابـط شـهادة بصحـة مدعاهمـا، والوالـي صبحـي باشـا يؤيـد هـذه المدعـاءات إلـى البـاب العالـي لكـي لا يُنسَـب هـذا الاختـلال لسـوء سياسـةِ وسياسـة المأموريـن الذيـن اسـتخدمهم حتـى أنـهُ لمـا زار طرابلـس فـي أواخـر شـهر تشـرين الثانـي سـنة 1872 كمـا ذكُـر آنفـاً، وكان أهـل اللاذقيـة قـد عيـل صبرهـم مـن انسـلاب الأمنيـة اغتنمـوا فرصـة غيـاب القائـم مقـام فـي طرابلـس، وقدمـوا عرضـاً لوكالـة القائـم مقاميـة تشـكوا فيـه مـن تمـادي اختـلال

الحال والتمسوا عرض ذلك للوالي املاً بأنهُ قد اتى طرابلس مركز اللواء فلا بد أن ينظر في مقتضيات اللواء المذكور، ووكيل القائم مقام عرض ذلك تلغرافياً للمتصرفية إلّا أن عرضهُ لم يُلتفَت إليه، وذهب على غير طائل واستمر الخلل يتضاعف والفساد ينمو وجعلت الفُتَن تنتشب بين عشائر النصيرية فجرت بينهم عدة مخابرات، وعقدوا جمعيات وأغار بعضهم على بعض وقُتل في وقايع متعددة جمهورية وافرادية خمسة وعشرون نفساً، وكان اللصوص وقطاع الطرق يزدادون يوماً فيوماً، ويمتدون في سلب القرى وأبناء السبيل حتى أنهم في شهر تموز سنة 873 دهموا جماعةً ذاهبين إلى حلب بالقرب من قرية سفوبين التي تبعد نحو ساعةٍ عن اللاذقية وسلبوا منهم ما قيمته خمسة عشر ألف غرش فيما قيل، ولم يكتفوا بذلك بل صاروا يتهددون أطراف المدينة حتى أن القائم مقام صالح افندي مع كل عناده ومكابرته التزم ذات ليلةٍ من الأسبوع نفسه أن يضع في خارج البلدة ضابطين وفرسان لأجل المحافظة وفي أوائل شهر آب دهم اللصوص ليلاً قرية جناتا وقرية ستخيرس وسلبوا منهما ما ظفروا بهِ من الدواب، وأشهر أهالي القرية من ناحية عمامره بيت الشلف السلاح على مدير الناحية ويوزباشي الفرسان اللذين توجها لتلك القرية لأجل جمع المال ومنعوهما من دخول القرية، وكذلك أهالي قرية البلاط والليسونية من الناحية المذكورة، عاملوا الفرسان المُرسلَين من قِبَل المدير واليوزباشي المذكورين نفس تلك المعاملة وصرحوا لهم بأنهم لا يدفعون شيئاً من الويركو ثم أن أهالي جبل العماره المذكور انقسموا إلى حزبين أحدهما رؤساؤه المقدم سعيد جديد، والمقدم محمد خليل والآخر مؤلف من أهالي قرية ليفين ومن ينتمي إليهم وانحاز إلى المقدم سعيد جديد وجماعتهِ أهالي جبل القرداحة والنواصره وعين الكروم كما انحاز إلى اهالي قرية ليفين وجماعتهم أهالي دباش والجوبه من ناحية المهالبه وبيت محمد من المزيرعة ورصد كلٌ من الفريقين الآخر للقتال، فلما رأى القائم مقام صالح افندي أن الخرق قد اتسع اتساعاً لا يمكن اخفاؤهُ سافر إلى طرابلس لمخابرة المتصرف في مداواة ما انتهى إليه الحال، فلم يريا بدًّا من مكاشفة الولاية بحقيقة الحوادث فقر قرار الولاية على سوق عساكر لضرب النصيرية وفي 30/18 آب وصلت إلى جبله الباخرة العثمانية اركاديا

حاملةً المتصرف حقي باشا وطابور عساكر نظاميه مشاة تحت قيادة أمير الالاي فريدريك وكان قبل يوم ذهب إليها من اللاذقية القائم مقام صالح افندي فجرى تأليف عمدة دعيت باسم قومسيون الإصلاحات اعضاؤها علي آغاهرون وابرهيم افندي حكيم واسكندر افندي شدياق من مجلس اللاذقية، ويَسين افندي علي ديب ويوسف افندي عرنوق من مجلس جبله وعُيّن صالح افندي قائم مقام اللاذقية مأموراً للاصلاحات ثم كُتبت أوامر إلى وجوه ومختاري جبال النصيرية تتضمن طلبهم إلى المعسكر فجاء إليه مقدموا ناحية المهالبة وبعض مقدمي القرداحة ومختارين من ساحلي بني علي والسمت قبله، وبعد أربعة أيام عاد المتصرف إلى طرابلس بالباخرة، وقبل عودتهِ عزل رفعت بك من قائم مقامية جبله وأقام نائبها وكيلاً إلى حين تعيين قائم مقام جديد ثم انتقل قومسيون الإصلاحات مع المعسكر إلى قرية مرج معيربات في ناحية القرداحة، وقد سبق الذكر أن قائم مقام اللاذقية صالح افندي كان من مباديهِ تعطيل مدارس الأميركان ففي أواخر شهر آب استدعى المعلمين الوطنيين الموجودين في مدرسة بحمرا الذين كانوا من أولاد النصيرية وتنصروا فجاء منهم إليه سليم خليفة وحسن مخلوف، ويقال لهُ داود سليمان أيضاً ويوسف جديد وهؤلاء الثلاثة كان قد مرَّ على تنصرهم أكثر من عشر سنين وبعضهم تنصَّر في عهد القس لايد الإنكليزي وجاء معهم تلميذ من تلاميذ المدرسة يدعى حازماً لم يكن متنصراً فلما قابلوا القائم مقام طلب من المعلمين الثلاثة أن يرتدوا عن النصرانية فأبوا فزجرهم وشتمهم وتهددهم فلم يُجدِهِ ذلك نفعاً فأمر بحبسهم أما التلميذ حازم فإذ به قرر بأنهُ ليس مسيحياً أطلقه في حال سبيلهِ وبعد يومين ارسل المعلمين إلى جبله ومنها أرسلوا إلى دمشق حيثما أدخلوا في السلك العسكري فتداخل قنصل جنرال انكليترا وقنصل جنرال اميركا مع الوالي لأجل اطلاقهم على أنهم مسيحيون ويجب أن يُعامَلوا معاملة المسيحيين فلم يفعل واجابهما أن تنصرهم لا يعفيهم من الخدمة العسكرية المفروضة عليهم لكونهم لم يُولَدوا مسيحيين.

وفي تلك الأثناء قُبض على المقدم ابرهيم جديد من بيت الشلف إذ أتى إلى المعسكر ووضع في السجن أما أهالي النواصرة فأخلوا بيوتهم وهدموا سقوفها واختبأوا في الأحراش

والوديان ورؤوس الجبال، ولما كان مقدموا القرداحة يترددون على المعسكر طلب منهم القائم مقام أن يكتبوا على أنفسهم سنداً يتعهدون فيهِ بالقاء القبض على أشقياء ولصوص ناحيتهم واحضارهم للمعسكر في مدةٍ معيَّنة، فأبوا إلّا أنهُ بواسطة التهديد والتشديد عليهم اكرههم على اعطاء السند المرقوم وفي أواخر شهر ايلول إذ لم يقوموا باجراء مضمون السند القى القبض عليهم في المعسكر وسُجنوا وهم حسن الشندي وابنهُ واسمعيل جبور وحمود ابن اسمعيل عثمان وحسن جركس وأبو علي رحال وصافي ابرهيم الذئب، وفي أوايل تشرين الأول تعيَّن عبداللطيف افندي سلكه، قائم مقاماً لجبله، وجاء إلى مركز مأموريته وفيهِ سارت فرقة من المعسكر لحرق بعض القرى، وفي أثناء مسيرها أطلقت بارودة من بعض الأحراش علامة لسكان القرى لكي يهربوا فأطلقت الفرقة الرصاص على الحرش فأصيبت فتاة برصاصةٍ في معصمها ثم داومت الفرقة مسيرها، وحرقت قريتي نينة ونينته في جبل بني علي، وقريتي القرامه، ودير حنا في ساحل القرداحه، وفيهِ القى المقدم محمد خير بك من المهالبة القبض على عيسى سعد وعلي السوسي، وكانا في قرية مرداش في ملزق حماه، وأتى بهما إلى المعسكر فسُجنا وكلاهما من قطاع الطرق والأول منهما اصلهُ من قرية سقوبين كان قبل سنةٍ من اهالي السكينة مقيماً في قريتهِ فهوى احدى الفتيات وكانت مخطوبة بالاكراه إلى ابن عمٍ لها، فاتفق معها وهرب بها إلى طرابلس حيثما اسلما وأزوجهما النائب زواجاً شرعياً، بعد أن حُكم بعدم سواغية اكراهها على الاقتران بابن عمها، ثم رجعا إلى القرية ومعهما أمر إلى حكومة اللاذقية بأن لا تدع أحداً يتعرض لهما وكان الوصول إلى هذه النتيجة قد كلف الرجل عيسى سعد مبلغاً من الدراهم استدانها من طرابلس أما حكومة اللاذقية فبواسطة المداخلات غيرت أفكار حكومة طرابلس من جهتهِ وعملت على تخليص المرأة منهُ وتحصيل الدين الذي عليه في طرابلس، إذ كان صاحبه يستدعي تحصيله فلما رأى عيسى سعد هذا التعصب الجاري عليه فرَّ إلى الجبل وانخرط في سلك اللصوص، وأما الثاني أي علي السوسي فهو مسلم من نفس اللاذقية خرج قبل هذا العهد بثماني سنين، واشترك مع قطاع الطرق، ثم ألقي القبض في اللاذقية على كنجو يوسف من

مقدمـي المزيرعـة وأشـقيائها كان قـد أتـى إلـى اللاذقيـة، وانتظـم فـي سـلك عسـكر الرديـف إذ طُلـب إليـه، وهـذا كل مـا كان يحفظـهُ مـن قواعـد الانقيـاد امـلاً بأنـهُ لا يُمسَـك، وهـو لابـس لبـاس الرديـف فأخـرج مـن طابـور الرديـف ووُضـع فـي السـجن وفـي أثنـاء ذلـك قامـت فريقـة العسـاكر قاصـدة النواصـره، وأتـى لمعاونـة العسـاكر رجـال المهالبـة وعمامرتهـا وسـاحل بنـي علـي الذيـن هـم اعـداء النواصـره ومظهـرون الانقيـاد للحكومـة فوصـل رجـال المهالبـة قبـل غيرهـم فقابلوهـم أهـل النواصـره بالسـلاح، والتحـم القتـال بيـن الفريقيـن فقُتِـل مـن رجـال المهالبـة بعـض أنفـار أمـا فرقـة العسـاكر ففيمـا كانـت سـائرة صادفـت ثلاثـة رجـال فـي الطريـق فقبضـت عليهـم فادعـوا انهـم مـن سـاحل بنـي علـي فوُعـدوا بالإطـلاق إذا تحقـق مدعاهـم ثـم سيقوا مـع المعسـكر وفـي أثنـاء الطريـق قالـوا للقائـم مقـام ورؤسـاء العسـاكر أن هنـا طريقـاً أقـرب إلـى النواصـره مـن هـذه الطريـق إذا شـئتم نكـون لكـم ادلأء فيهـا فصدقوهـم واتخذوهـم ادلاء وقلّلـوا مـن التحفـظ عليهـم ظنـاً بأنهـم حقيقـةً مـن سـاحل بنـي علـي فلمـا قطعـوا مسـافةً دخلـوا فـي مسـالك ضيقـة وعسـره ورأوا هنـا واديـاً عميقـاً أمـا الأدلاء الثلاثـة فلمـا وصلـوا إلـى هنـاك القـوا بأنفسـهم فـي طريـق الـوادي طالبيـن الفـرار فتبعهـم انفـار مـن العسـاكر واطلقـوا عليهـم الرصـاص ومـا زالـوا يركضـون فـي أثرهـم حتـى بلغـوا أسـفل الـوادي، فـرأوا عـدداً كثيـراً مـن الماشـية والـدواب والأمتعـة مخبـأة فيـه فتبعهـم بقيـة العسـاكر وأخـذوا تلـك الموجـودات غنيمـةً، واطلقـوا الرصـاص علـى مَـن وجـدوهُ هنـاك ثـم لازمـوا مسـيرهم حتـى انتهـوا إلـى النواصـره حيثمـا كانـت المعركـة منتشـية بيـن أهلهـا ورجـال المهالبـة كمـا مـر فلمـا وصلـت العسـاكر النظاميـة هربـت أهالـي النواصـره، فأحرقـت بقايـا قراهـم وأغتنـم مـا وُجـد فيهـا ثـم أحرقـت العسـاكر قريـة بشـلاما فـي القرداحـة واغتنمـت اسـلابها وبعـد رجـوع الفرقـة إلـى مركـز المعسـكر اطلـق القائـم مقـام حمـود بـن اسـمعيل عثمـان احـد مقدمـي القرداحـة، وبعـد أيـام اطلـق أيضـاً صافـي ابرهيـم الذئـب وفـي 30/18 تشـرين اول سـنة 1873 عـاد القائـم مقـام مـع المأموريـن الذيـن معـهُ وفرقـة العسـاكر إلـى اللاذقيـة ومعهـم المقبـوض عليهـم المـار ذكرهـم فحُبسـوا فـي اللاذقيـة وانحلـت مأموريـة الإصلاحـات وكان تأثيرهـا فـي الجبـال قليـلاً وكان جملـة مَـن قُتـل فـي هـذه الاجـراءات مـن النصيريـة نحـو ثلاثيـن نفسـاً فـي المعـارك وغيرهـا.

وفيها تعين الخواجه شارل بجوسوزكي وكيلاً لقونصلاتو دولة اسبانيا خلفاً للخواجه مرسي ابرهيم الذي توفي سنة 1872 الماضية.

وفيها في 20/8 كانون الأول توفي كنج آغاهرون بداء السكتة وقد ذكرنا بعضاً من اخبارهِ قبل الحكومة المصرية وبعدها.

وفي 24/12 الشهر المذكور عاد من اميركا الدكتور داود مثيني وقد سيم فيها قسيساً فبعد رجوعهِ إلى اللاذقية استمر متقلداً وظيفة القنصلية أيضاً.

وفي هذه السنة وضعت الحكومة المصرية رسماً على التبغ الذي يدخل إلى القطر المصري، عشرين غرشاً على الأقة وعينت يوماً معلوماً لبداءة أخذ هذا الرسم فاجتهد تجار اللاذقية وشحنوا كل التبغ الذي كان عندهم بظرف أيام قليلة فبلغ إلى القطر المصري قبل اليوم المعيَّن لأخذ الرسم وأملوا فيه بأرباح وافرة على أنهم ضعف أملهم بإمكان المتاجرة بالصنف المذكور في المستقبل. ثم دخلت سنة 1874 وكان الشتاء قاسياً والأمطار غزيرة فسدَّت الطرق وقلَّ وارد الحبوب من جهة ولاية حلب، وارتفعت أسعارها فبلغت كيلة الحنطة إلى 53 غرشاً والشعير إلى 35 غرشاً ولقلة الاشغال تكاثر عدد المحتاجين والفقراء في المدينة واشتدت الفاقة في الجبال فكان أكثر أهاليها يقتاتون بالنبات ولما أتلفهُ سقوط الثلج نزل كثيرون منهم إلى السواحل ليرعوا في السهول وكثيرون نزحوا إلى جهاتٍ اخرى ومن أسباب ارتفاع أسعار الغلال إلى هذه الدرجة في اللاذقية طمع بعض أهاليها الذين افضى بهم أخيراً إلى الندم فإن الأهالي اشعروا منذ شهر أيلول سلفاً بما سيحل في المدينة من الاحتياج إذا دام شحن الغلال منها فأقلقهم ذلك فمنعت الحكومة المحلية الشحن ولو دام هذا المنع لبقي في اللاذقية كفاءتها ولدامت الأسعار بدرجة معتدلة لكن بعض أصحاب الغلال تداخلوا في الحكومة وأعادوا الرخصة بالشحن، وبظرف مدةٍ قصيرة فرغت المدينة من الغلال وأصبحت مفتقرة لورود القمح إليها من ولاية حلب على أن الذين اجتهدوا بشحن الحبوب التي كانت عندهم لو أبقوها وباعوها أخيراً في نفس اللاذقية لحصلوا منها على أضعاف الفائدة التي حصلوا عليها بواسطة شحنها. هذا وقد كثر موت المواشي

في الجبال لقلة المرعى وشدة البرد ووحوش البرية وطيور السماء لم تنتفع بجيفها لأن الفلاحين من رجال ونساء وأولاد كانوا يطردون النسور عنها والغربان ليغتذوا بلحمها وقد كثر بيع النصيرية أولادهم في هذه المدة وكثيرون منهم كانوا يسوقون أولادهم كقطيع الغنم إلى اسواق جبله (لعدم تمكنهم من أن يبيعوهم في اللاذقية) ويعرضونهم للبيع فكانت الفتاة تُباع بمايتي غرش فنازلاً ولأجل التخلص من مسئولية الحكومة كان البيع يتم بموجب حجة شرعية مضمونها أن أب الفتاة أو عمها أو أحد قومها آجرها مدة ثلاثين سنة بمبلغ كذا وكذا. أما المزروعات فقد تلف منها كثير بالأمطار والثلوج.

وفيها قُتل يوسف العشي ترجمان قونسلاتو ايتاليا وذلك انهُ كان في قرية حريصون التابعة لقضاء جبله حيثما لهُ حصة ملك ففي ذات ليلةٍ عند ختام السهرة خرج من البيت الذي ينام فيه ليقضي حاجةً وفيما هو في الباب أطلق عليه الرصاص من الخارج فأصيب بثلاث رصاصاتٍ وقُتل لساعتهِ فورد امر من الوالي بالتلغراف إلى صالح افندي قائم مقام اللاذقية بأن يذهب إلى القرية ويجري البحث والتحقيق عن القاتل وكانت الشبهة متجهة على عرب الملك الذين هم في جوار القرية المذكورة لعداوةٍ كانت بينهم وبينهُ سببها أن دوابهم كانت في احدى السنين السالفة أطلقت على مزروعات قرية حريصون ورعت منها جانباً ففتح عليهم يوسف عشي الدعوى وحصل على أوامر بتحصيل نحو خمسين ألف غرش تعويضاً عما أتلفتهُ ورعتهُ الدواب وحصلها منهم فترجح في الأفكار أنهم هم الذين قتلوه انتقاماً ولما كان العرب المذكورون من المسلمين تعصب لهم صالح افندي قائم مقام اللاذقية وقصد تبرئتهم مجتهداً بالقاء التهمة على بعض النصيرية والنصارى لا بل على بطرس العشي عم المقتول وكان يضرب ليلاً بعض المحبوسين تحت الشبهة من النصيرية لكي يشهدوا زوراً بأن عمه المذكور عقد روابط مع البعض على قتله وكان الخواجه يعقوب شدياق ترجمان فرنسا موجوداً في القرية معتمداً من قِبَل قونسلاتو ايتاليا في التحقيق فلما رأى تعصب القائم مقام وسمع بما كان يجريه في الليل بقصد القاء التهمة على عم المقتول عاد إلى اللاذقية وأقام الحجة على أعمال القائم مقام فعرض الخواجه ادولف جفروا وكيل قنصل

ايتاليا إلى القونصل الجنرال واقعة الحال، فصدر أمر الولاية بفصل صالح افندي قائم مقام اللاذقية من مأمورية التحقيق وجرى تعيين قومسيون مخصوص مؤلَّف من خليل افندي الغر احد اعضاء مجلس بيروت، واسكندر افندي دحداح كاتب محكمة تجارتها السابق من قِبَل الولاية، وانطون افندي خلاط قنصل ايتاليا في صيدا من قِبَل القونسلاتو الجنرالية فقدموا إلى جبله واستأنفوا رؤية وفحص المسئلة ابتدائياً صارفين النظر عن الاستنطاقات التي أجراها صالح افندي فوقعت الشبهة على عرب الملك وقُبض على عشرة أسخاص منهم وهم الذين ظهرت الجناية عليهم في درجة الثبوت وسُجنوا في جبله ثم أرسلوا إلى طرابلس ووُضعوا في سجنها.

وفي هذه الاثناء عُزل حقي باشا عن متصرفية طرابلس وكان مذموم السياسة متغلباً فسُرَّ الأهلون بعزلهِ وخلفه مصطفى ضيا افندي.

وفي شهر نيسان صدر أمر الدولة بحصر التبغ فجرى حصره في اللاذقية بأن عُيّن محل واحد لهرمهِ تحت مناظرة إدارة الرسومات وحُصرت فيهِ مهارم البلدة، وفُرض على كل إنسان اشترى تبغاً من الزرَّاع أن يدفع على كل اقةٍ منهُ خمسة غروش حين ادخالهِ للبلدة واذا اراد هرمه يدفع على كل اقة ثلاثة غروش عدا اجرة الهرم فيُصَرُّ بعد هرمهِ بأوراقٍ مخصوصة ويختم عليها ولهُ حينئذٍ أن يبيع الأقة منهُ بسعر 25 غرشاً فنازلاً وكل مَن يبيع أو يشرب تبغاً غير مصرورٍ بالورق المخصوص يؤخذ منهُ جزاء نقدي وأما الذي يريد أن يرسله لمدينةٍ أخرى من البلاد العثمانية بدون هرم برسم التجاره، فليس عليه أن يدفع سوى خمسة غروش على الأقة ويتعهد بموجب صكٍ أنهُ يدفع الثلاثة غروش رسم الهرم في المدينة المرسل إليها، ويستحضر اعلاماً من إدارة رسومات تلك المدينة بذلك ثم أرسل مأمورون من قِبَل إدارة الرسومات ليخمنوا التبغ الموجود في القرى والجبال، ويقيدوهُ في دفاتر مخصوصه موضحين فيها اسم كل إنسان من الزرَّاع عندهُ تبغ ومقدار ما عندهُ فيخمنونهُ وهو مزروع ثم يخمنونهُ بعد قطفهِ اخضر وبعد يبسهِ أيضاً وكل ما بيع شيء منهُ للتجار، وجب على بائعهِ أن يقرر عنهُ لإدارة الرسومات لكي تطرحهُ مما هو مقيَّد على اسمهِ حتى إذا انتهى بيع ما عندهُ

فإن زاد أو نقص عما هو مخمَّن عليهِ عومل معاملة مهرّب لما زاد أو نقص، فازداد بذلك ضعف رغبة الفلاحين في زرعهِ وبعضهم قلع ما كان قد زرعه.

وفيها صدر أمر اللدولة بأن يُضاف ربع عشر أيضاً إلى العشر الذي يؤخذ من حواصل البلاد، فطاف صالح افندي القائم مقام النواحي والقرى وألزم أهاليها كرهاً بالتزام العشر وربع العشر على معدل البدلات السابقة كما فعل في السنة السالفة، فكان ذلك ضربةً ثانية للأهالي تابعةً لضربة وجوع وضيق الشتاء الماضي.

وفيها أخلي سبيل المحبوسين من النصيرية في اللاذقية الذين قبض عليهم وقت الاجراءات كما ذُكر في أخبار السنة الماضية.

وفيها حوَّلت حكومة سورية تحصيل البقايا إلى مأموري العسكرية فضيَّق ضباط العساكر في اللاذقية على الأهالي بطلبها وحصَّلوا منهم جانباً من بقايا الأموال القديمة العهد.

وفيها في شهر آب عُزل محمد سعيد افندي نائب اللاذقية وخلفه علي رضى افندي من الأتراك، وفي شهر أيلول عُزل محمد صالح افندي قائم مقام اللاذقية فسُرَّ الأهلون بعزلهِ لأنهُ كان مُبغَضاً من جميع الطوائف حتى من المسلمين نفسهم مع كل تعصبهِ ضد النصارى لأنهُ كان ذميم الخلق متكبراً مع أنهُ وضيع النسب وكانت ايام حكومته أياماً ثقيلة على الأهالي ولا سيما الفلاحين، لأنهُ سبَّب لهم أضرار وخسائر وافرة بواسطة اجبارهِ اياهم على التزام أعشار قراهم كما مَرَّ والخلاصة انهُ لم يتعيَّن على اللاذقية مذ عهد الحكومة المصرية حاكم اضرّ الاهالي اضراراً عامة أدبية ومادية فأصبح مُبغَضاً منهم نظيره فأنهُ أوصل اللاذقية وملحقاتها إلى حافة الخراب بسوء سياستهِ ثم خلفه في قائم مقامية اللاذقية ناجم افندي ولدى استلامه زمام الأحكام فيها سلك مسلكاً مغايراً المسلك صالح افندي فاستبشر الأهلون بسياسةٍ حسنة في أيامهِ.

وفيها في شهر تشرين الأول هرب من معسكر دمشق يوسف جبور وسليم خليفه تلميذا الأميركان المتنصران وعادا إلى القرداحة وأما رفيقهما سليمان داود فأنهُ أُرسل إلى معسكر الاستانة. فأرسلت الحكومة فرقةً من العساكر إلى جهة القرداحة فدخلت دار مدرسة

بحمراء وقبضت على يوسف جبور وسليم خليفة ثانيةً مع ثلاثة تلاميذ غيرهما وأدخلتهم في العسكرية وادعى يعقوب جريديني معلم تلك المدرسة أن العساكر نهبوا من المدرسة بعض أمتعة فقدم اميركان اللاذقية الشكاية إلى سفارة دولتهم في الاستانة فأرسلت السفارة ترجمانها إلى اللاذقية للتحقيق وكذلك حكومة الولاية أرسلت من قِبَلها أحد البكباشية مأموراً للتحقيق وكان كلٌ من المأمورين منفرداً عن الآخر وذلك أنهما لم يُرسلا معاً ليجريا التحقيق بالاشتراك بل كان كلٌ منهما مأموراً من قِبَل متبوعهِ ليجري التحقيق على حدته فتوجه ترجمان السفارة ومعه الخواجه داود مثيني قنسلوس اميركا في اللاذقية إلى قرية بحمراء وأخذ استنطاق معلم المدرسة وأجرى بعض تحقيقات، وبعد عودتهِ توجه البكباشي واستنطق المعلم وقيل أنه وقع تناقض في استنطاق المعلم فأنهُ فهم من جهة الاميركان أنه قرر إلى ترجمان السفارة أن العساكر دخلوا جبراً إلى دار المدرسة وأهانوا امرأته وكسروا بعض الأبواب حتى قبضوا على الأشخاص وسلبوا بعض أمتعة وفهم من طرف البكباشي أن المعلم قرر لهُ أن العساكر لم يدخلوا إلّا بأذنهِ ولم يجروا تعدياً ولا سلباً ثم سافر كلٌ من الترجمان والبكباشي من اللاذقية عائداً إلى مركزهِ.

ثم دخلت سنة 1875 وفيها في شهرادار قدم إلى اللاذقية مصطفى ضيا افندي متصرف اللواء وأقام بعض أيام وفي اثناء اقامته عزل محمد صالح افندي صوفي من كتابة مجلس الدعاوي وعيَّن مكانهُ علي افندي شومان ثم عاد إلى طرابلس، وفي أثناء ذلك عزَل عبداللطيف افندي سلكه من قائم مقامية جبله وخلفه أحمد نوري افندي.

وفيها كثرت تعديات النصيرية أهالي قضاء جبله فانتشرت لصوصهم في الطرق وقتلوا عدة مسافرين منهم اثنان من أهالي نفس جبله قتلوهما في الطريق التي بين اللاذقية وجبله على بُعدٍ قليل من جبله واخذوا فرسيهما وامتعتهما وآخر وُجد مقتولاً على الطريق من جهة طرابلس في مكانٍ يبعد ساعتين عن جبله يدعى المنشحة بين قريتي حريصون وعرب الملك فسار من اللاذقية في شهر حزيران ثابت افندي بكباشي الطليعة الشاهانية ومعه ثلاثة بلوكات من العساكر إلى جبله، وبعد وصوله بيوم قدم إليها من طرابلس طابور اغاسي اللواء ومعه

فرسان وقدم منها أيضاً يوزباشي فرسان الدراغون ومعهُ أربعون فارساً وجرى القاء القبض على اسمعيل جبور وعثمان مخلوف وهما في جبله كما أن رستم آغا خزندار وكيل مدير القرداحه القى القبض على علي العده أحد الأشقياء وأتى بهِ إلى المعسكر وهو من سكان جبل النواصرة ومشهور بقطع الطرق وقتل النفوس وبالاستنطاق قرر عن قاتلي المقتولين اللذين وُجدا في طريق اللاذقية، وأنهم من أهالي ناحية القرداحة وأنهُ سمع ذلك من القاتلين أنفسهم مع أنهُ قد قرر أنهُ كان معهم وأن الفرسين اللذين أخذوهما من المقتولين مع باقي الأمتعة هي موجودة عند علي شله من أهالي عين الكروم الواقعة في جبال القرداحة من الجهة الشرقية التابعة لمتصرفية حماه، ثم صار تشكيل قومسيون في المعسكر وتوجه من اللاذقية علي آغاهرون لينتظم في سلك اعضائه واستمر المعسكر والقومسيون في جبله بقصد استحصال الراحة بواسطة التدابير السياسية إذ لم يكن مأذوناً للعساكر باستعمال السلاح وفي أثناء ذلك هرب المسجونون في اللاذقية من السجن بواسطة خرقهم أحد جدرانه وكان في جملتهم الذين قبض عليهم من النصيرية في العام السابق وجماعة من قاتلي النفوس وقطاع الطرق نصيريه وصهاونه فكان ذلك سبباً لتعطيل تدابير القومسيون لأن الذين كانوا يترددون إلى المعسكر من النصيرية انقطعوا عن التردد خوفاً من أن يُطلَب منهم تسليم الهاربين من السجن من جماعتهم.

وفي السنة المذكورة ظهر الهواء الأصفر في سورية وكانت بداية ظهوره في مدينة حماه في شهر أيار ثم امتد إلى دمشق وانطاكيه وانتشر في أكثر مدن سورية وأول ظهوره في قضاء اللاذقية كان في قرية الحفه من ناحية صهيون اتى بهِ إليها جماعة من أهلها كانوا في أذنه وعادوا عن طريق انطاكيه فنقلوا معهم الوباء منها إلى قريتهم ففتك فيها فتكاً ذريعاً وامتد إلى بعض القرى المجاورة لها ثم سرى إلى اللاذقية بواسطة امرأة صهيونية جاءت إليها مصابةً بهِ فماتت بأثر وصولها للمدينة وكان ذلك في 19 تموز ومن ثم أخذ ينتشر فيها على أن تأثيرهُ كان خفيفاً فإن المصابين بهِ يومياً كانوا من 5 إلى 10 انفس والمتوفين من ثلاثة إلى 5 أنفس وأياماً نادرة كان المتوفون 10 أنفس فصاعداً كما أنهُ في بعض الأيام لم يتوفَّ أحد ولدى

ظهورهِ فرَّ أكثر اعيان المسيحيين إلى القرى وتبعهم بالتدريج كل مَن كان منهم لهُ اقتدار على الفرار حتى بلغ مجموع الخارجين من المدينة نحو ماية وأربعين عائلة، وأما المسلمون فلم يبارح أحد منهم المدينة إلّا النادر. أما وسائط التحفظ فلم يصرِ التشبث بشيء منها من طرف أرباب حكومة من اللاذقية إلّا تكلفاً مع أن قومسيون الصحة في سورية ارسل طبيباً من الأروام إلى اللاذقية لأجل معالجة المصابين واعطائهم الأدوية مجاناً من طرف الحكومة إلّا أن هذا الطبيب وُجد عديم النفع لأنهُ لم يكن يذهب لمعاينة المصابين بل كان يصِف لهم العلاجات عن بُعدٍ وبعد اقامته في اللاذقية بعض أيام توجه إلى جبله لأجل معالجة المصابين فيها لأن الهواء الأصفر كان قد ظهر فيها بشدةٍ فكان المتوفون بهِ فيها من 15 نفساً إلى 25 يومياً، وهرب كثيرون من أهلها إلى اللاذقية فاضطر المعسكر والقومسيون المنعقد فيها إلى مبارحتها والعودة إلى اللاذقية فانحل بذلك مشروع الإصلاحات.

وفي السنة المذكورة حوَّلت الدولة الاعانة التي هي على الرؤوس إلى ويركو على الأملاك وعينت مأمورين في كل جهةٍ من بلادها دعتهم مأموري التحرير لأجل توزيع مال الإعانة على الأملاك والأراضي فجاء جماعة منهم إلى اللاذقية وشرعوا في إجراء مأموريتهم في قرى الساحل، والنواحي حتى انتهوا إلى قرية الجنجينية في جبل عمامرة بيت الشلف في شهر آب وبعد أن فرغوا من تحرير أراضيها وأملاكها تأهبوا للانتقال إلى غيرها فلم يجدوا في القرية دواب لأجل تحميل امتعتهم فحمَّلوها على ظهور الرجال والنساء، وكان بين الأمتعة صندوق ثقيل لم يقتدر حامله على حملهِ فوضعه من على ظهرهِ فجاء أحد مأموري التحرير وسبَّهُ فقابله الفلاح بالسب فضربه المأمور فقابله بالضرب أيضاً فعظم ذلك عند المأمورين وعادوا إلى اللاذقية وقدموا الشكوى على أهالي الجنجينية بأنهم صدُّوهم عن اجراء مأموريتهم وعاملوهم بالاهانة والضرب والطرد وبالغوا في تشكياتهم مبالغة تستدعي نسبة الاهالي إلى العصيان وخرق شأن الحكومة فسارت في أول شهر أيلول فرقة العساكر الموجودة في اللاذقية مع بيكباشيها ثابت أفندي، وقائمقام اللاذقية ناجم افندي إلى تلك الناحية ونصبوا خيام الاقامة في قرية المزيرعة، وقدم أيضاً نحو ماية فارس من الدراغون من طرابلس وانضموا إلى تلك الفرقة ثم جرى استدعاء المقدم محمد خليل وصقر عروس وابن

المقدم سعيد جديد وهم رؤساء أهالي عمامرة بيت الشلف، وارسل الشيخ سعيد قسمين أحد مشايخ الطائفة الكلازية إليهم فجاؤوا بواسطتهِ إلى المعسكر ولدى وصولهم وُضعت القيود في ارجلهم وحُبسوا ولما كان بنو محمد مقدموا المزيرعة اعداءً لأهالي العمامرة كانوا يترقبون الوسائل لزيادة الأضرار بهم فطلب ذات يومٍ فرسان الدراغون تبناً لعلف دوابهم فاغتنم بنو محمد الفرصة وسار منهم كنجو يوسف بثلاثة فرسان من الدراغون إلى قرية الجنجينية لجلب تبن منها وشرعوا يفتشون البيوت بطلبه وانفرد أحد الفوارس فلقى امرأة من نساء القرية على حدةٍ فأمسك بها قاصداً وطئها فصدتهُ عن نفسها، وصاحت تستغيث بأهل القرية فبادروا لاغاثتها ودفعوهُ عنها فأفضى الحال بينهُ وبينهم إلى المضاربة ثم علم بالخبر الفارسان الآخران وكنجو يوسف فتراكضوا وانتصروا لذلك الفارس ثم عادوا جميعاً إلى المعسكر وتشكوا أن أهالي تلك القرية صدوهم عن أخذ التبن وطردوهم بالاهانة والضرب واشهار السلاح وكتموا قضية تصدي الفارس للمرأة فنهضت شرذمة من العساكر المشاة وفرسان الدراغون واتجهوا مع القائم مقام إلى قرية الجنجينية، ومعهم بنو محمد مقدموا المزيرعة فأطلقوا عليها الرصاص فقابلهم أهلها بالمثل معتذرين أنهم يرومون الانتقام من بني محمد لا مقاومة العساكر فهجم العساكر والفرسان عليهم وشتتوا شملهم وأحرقوا تلك القرية وقريةً أخرى مجاورة لها تُدعى امبرانو فخرجت نساء القريتين بأولادهنَّ مذعوراتٍ وهارباتٍ من نيران الحريق وتراكضنَ تائهاتٍ في الجبال والأودية بحالةٍ يُرثى لها وقيل أن بعض النساء احترقنَ مع أولادهن ضمن البيوت ثم نهب العسكر موجودات القريتين وساقوا مواشيهما إلى المعسكر وعوضاً عن أن يصير بيع المنهوبات والمواشي وتوريد قيمتها إلى صندوق الحكومة تقاسمها القائم مقام والضباط والعساكر واشترك أهالي النواحي الأخرى بنهب ما سلم من أيدي العساكر في القريتين.

وفي هذه الأثناء عزل أحمد نوري افندي من قائم مقامية جبله وخلفه خليل بك الاسعد وهو من طائفة المتاوله من بلاد بشاره.

وفي أثناء ذلك مات نحو سبعة أشخاص في قرية المزيرعة بعارضٍ يشابه عارض الهواء الأصفر فانتقل المعسكر منها إلى قرية حبيت ثم عاد إلى اللاذقية وبقي القائم مقام ومعهُ

بعض المأمورين في قرية حبيت بقصد تحصيل المال أياماً.

وفـي أوائـل شـهر أيلـول انقطـع الهـواء الأصفـر مـن اللاذقيـة وجبلـه بعـد أن اسـتمر فيهمـا نحـو خمسـين يومـاً والذيـن ماتـوا بـهِ فيهمـا وفـي قـرى ناحيـة صهيـون والقـرى القليلـة التـي امتـد إليهـا فـي قضـاء جبلـه لا يـكادون يبلغـون الـف نفـس، وبعـد انقطاعـه بعشـرة أيـام شـرع الذيـن خرجـوا مـن اللاذقيـة فـي الرجـوع إليهـا بالتتابـع.

وفـي أواسـط شـهر تشـرين الأول ظهـر الهـواء الأصفـر فـي قريـة بسـنادا التـي تبعـد نحـو سـاعةٍ عـن اللاذقيـة. واسـتمر فيهـا بعـض أيـام مـات فـي أثنائهـا بضعـة أشـخاص فـي القريـة.

وفـي 27 مـن الشـهر المذكـور تلـي فـي دار حكومـة اللاذقيـة أمـرٌ سـامٍ وارد مـن مقـام الصـدارة العظمـى مبنـي علـى ارادة شـاهانيه بـأن يُعفَـى أهالـي المملكـة مـن دفـع كل البقايـا المجتمعـة لغايـة سـنة 289 هجريـة (سـنة 1872 مسـيحية) مـا خـلا الأغنيـاء فـلا يُعفَـون مـن دفعهـا، وبـأن يُرفـع عـن أهـل الزراعـة حـالاً ربـع العشـر الـذي أضيـف إلـى العشـر فـي السـنة الماضيـة وكان صـدور هـذا الأمـر بمـدة صـدارة محمـود نديـم باشـا الثانيـة فأنـهُ كان قـد أُعيـد إلـى هـذا المسـند منـذ نحـو شـهرين بأثـر ظهـور عصيـان علـى الدولـة فـي الهرسـك مـن ولايـة بوسـنه وسـلك مسـلكاً ممدوحـاً مغايـراً لسـلوكه بمـدة صدارتـه الأولـى، ثـم تُلـي أمـر آخـر وارد مـن ولايـة سـورية أبطلـت فيـه حكومـة الولايـة المذكـورة جـزءاً عظيمـاً مـن حكـم أمـر الصـدارة إذا استحسـنت أن السـماح بربـع العشـر ينبغـي أن يكـون فـي هـذه السـنة محصـوراً بالقـرى التـي مـا جـرت إحالتهـا إلـى ملتزميـن وبقيـت أمانـةً تحـت إدارة الحكومـة وأمـا القـرى التـي جـرت احالتهـا إلـى ملتزميـن فلكـي لا يحصـل تشـويش فـي القيـود ينبغـي أن لا يشـملها هـذا الإعفـاء فـكان هـذا القـرار الجـاري فـي الولايـة مضـراً بنـوعٍ خصوصـي لأصحـاب الزراعـة فـي قضـاء اللاذقيـة لأن أكثـر القـرى التـي جـرت أحالتهـا إلـى ملتزميـن أحيلـت إلـى أهاليهـا ببـدلٍ هـو نحـو ضعـف بدلاتهـا المعتدلـة، وذلـك بواسـطة الجبـر والاكـراه اللذيـن اقتفـى فيهمـا ناجـم افنـدي القائـم مقـام أثـر سـلفه صالـح افنـدي فتعاقُـب هـذا العمـل أربـع سـنوات متواليـة قـد تكبـد بـهِ الفلاحـون خسـائر باهظـة جعلتهـم تحـت ديـون ثقيلـه للحكومـة والتجـار، وطرحتهـم فـي حضيـض الفقـر والفاقـه وكثيـرون منهـم نزحـوا مـن قراهـم إلـى

قضاواتٍ أخـرى حتـى أن بعـض القـرى نـزح سـكانها أجمعـون لعـدم استطاعتهم علـى القيـام بهـذا العـبء الثقيـل عـلاوة علـى الأمـوال الأخـرى، وطمـع وجـور خيالـة الحكومـة ومأمـوري المسـاحة وتحريـر الأمـلاك وغيرهـم مـن مأمـوري الحكومـة تاركيـن أراضيهـم وبيوتهـم خاويـة خاليـة. علـى أن أهالـي المحـلات التـي بقيـت أعشـارها تحـت إدارة الحكومـة لـم يكونـوا أسـعد حـالاً مـن أولئـك لأن الحكومـة خمَّنـت عليهـم حاصـلات أراضيهـم تخمينـاً جائـراً وسـعرت عليهـم اعشـار تلـك الحاصـلات بزيـادة نحـو ثلـث قيمتهـا المعتدلـة بقصـد الاسـتيلاء علـى أثمانهـا عوضـاً عـن أن تسـتولي عليهـا عينـاً فربـع العشـر الـذي أعفتهـم مـن اعطائـه ظاهـراً قـد أخـذت منهـم خفيـاً أكثـر منـه بواسـطة الزيـادة فـي التخميـن والسـعر.

وفـي أوائـل شـهر تشـرين الثانـي عُـزل ناجـم افنـدي مـن قائـم مقاميـة اللاذقيـة وخلفـه مصطفـى أفنـدي، وهـو الـذي سـبقت لـهُ القائـم مقاميـة المذكـورة سـنة 1868، ووصـل إلـى المدينـة فـي 8 مـن الشـهر المرقـوم ومـع أنـهُ طاعـن فـي السـن وقليـل الاسـتعداد سـر الأهلـون بتعيينـهِ وعـزل ناجـم افنـدي الـذي بعـد أن اسـتقر فـي المأموريـه خـاب فيـه الأمـل، فأنـهُ حـول كل اهتمامـه إلـى تحصيـل منافعـه الخصوصيـة، وفتـح للرشـوه كيسـاً أوسـع مـن أن يقبـل الامتـلاء وتنافـر مـع أعضـاء المجالـس، وباقـي مأمـوري الحكومـة المحليـة وكانـت أكثـر اعمالـه مبنيـةً علـى الأغـراض ومـن مضـاره تهافتـه علـى احـراق قريتـي الجنجينيـة وامبرانـو بـدون داعٍ حقيقـي حبـاً بالسـلب والأغنـام.

وفـي 12 مـن الشـهر المذكـور قـدم إلـى اللاذقيـة بطريـق البـر ابرهيـم حقـي باشـا متصـرف اللـواء، وكان قـد خلـف منـذ أشـهر مصطفـى ضيـا افنـدي المتصـرف السـابق وأقـام فيهـا خمسـة أيـام قُـدّم لـهُ فـي اثنائهـا مضبطـة مـن مجلـس إدارة اللاذقيـة تتضمـن التمـاس عـزل الشـيخ محمـد التـرك كاتـب المجلـس بنـاءً علـى عـدم اسـتقامته وعـدم قيامـه بحـق مأموريتـه فأعطـى امـراً بعزلـه وتعييـن علـي افنـدي مفتـي الـذي كان رئيـس المجلـس البلـدي وهـو ابـن اخـي مصطفـى افنـدي مفتـي اللاذقيـة مكانـه وتعييـن محمـد صالـح صوفـي رئيسـاً للمجلـس البلـدي ثـم ارسـل قومسـيوناً مؤلفـاً مـن اسـمعيل افنـدي صالـح واسـكندر افنـدي شـدياق مـن اعضـاء مجلـس الإدارة ونـوري افنـدي مأمـور الأعشـار (وكان قـد قـدم حديثـاً مـن الاسـتانه لأجـل إدارة الاعشـار التـي بقيـت أمانـةً)

إلـى جبـل عمامـرة بيـت الشـلف لاجـراء التحقيـق عـن مسـئلة احـراق الجنجينيـة وامبرانـو وفـي 17 مـن الشـهر المرقـوم قـام مـن اللاذقيـة راجعـاً إلـى طرابلـس بطريـق البـر وثانـي يـوم سـفره عـاد أعضـاء القومسـيون المـار ذكـره مـن الجبـل وبعثـوا إليـه بمضبطـة إلـى جبلـه تتضمـن بيـان تحقيقاتهـم وتلخيصهـا أن ناجـم افنـدي أحـرق تينـك القريتيـن وألقـى اهاليهمـا فـي التعاسـة والشـقاء وأضـاع أموالهمـا الأميريـة لمجـرد تحصيـل النفـع لنفسـهِ مـن السـلب والاغتنـام.

وفـي هـذه الأثنـاء ظهـر الهـواء الأصفـر فـي قريـة كرسـانا واسـتمر فيهـا أيامـاً مـات بـهِ فيهـا بضعـة أشـخاص ثـم انقطـع مـن قضـاء اللاذقيـة.

ثـم خُتمـت سـنة 1875 وكانـت سـنةً شـديدةً فـي اللاذقيـة وجميـع لوائهـا الملغـى مـن جـراء كسـاد التجـارة وقلـة الأشـغال وزد علـى ذلـك اخطـار الوبـاء، ومـع أنـهُ كان كل شـيء فيهـا رخيصـاً كان الضيـق شـاملاً جميـع أهـل اللـواء لقلـة النقـود وتضييـق الحكومـة بطلـب الأمـوال الأميريـة وغدرهـا الـزراع بطلـب الأعشـار.

ثـم دخلـت سـنة 1876 وفيهـا فـي شـهر كانـون الثانـي قـدم إلـى اللاذقيـة اميـرالاي الضابطـة فـي ولايـة سـورية مرسـلاً مـن قِبـل الوالـي لأجـل تحقيـق دعـاوي أهالـي ناحيـة البوجـاق علـى أسـعد آغاهـرون وأحمـد آغاخضـر بنـي علـي آغاهـرون فأنهـم اشـتكوا عليهمـا إلـى البـاب العالـي بأنهمـا فـي كل سـنة يلتزمـان اعشـار ناحيتهمـا وبسـطوة أبيهمـا الموجـود عضـواً فـي مجلـس إدارة اللاذقيـة قـد جعـلا دأبهمـا ظلـم الأهالـي وضربهـم وربطهـم بالشـجر وتعذيبهـم بعذابـات مختلفـة حتـى لـم يبـق لهـم احتمـال ولا اقتـدار، وكانـوا قـد اشـتكوا فـي العـام الماضـي عليهمـا إلـى الولايـة، وقـدم عـارف آغـا ابـن محمـد آغـا شـريف آغـا مـن قريـة الأوردي وكيـلاً عنهـم وجـرت المرافعـة بيـن الفريقيـن فـي مجلـس دعـاوي اللاذقيـة إلّا أنـهُ فـي أثنـاء المرافعـة سـعى البعـض بمصالحتهمـا، واذ رأى عـارف آغـا أن سـطوة بنـي هـرون ونفوذهـم يصـدّان اظهـار الحـق قبـل بالمصالحـة علـى شـرط أن بنـي هـارون يكفـون عـن التـزام أعشـار البوجـاق غيـر أن هـذا الشـرط لـم يتـمّ لأنهـم التزمـوا فـي هـذه السـنة أيضـاً أعشـار الناحيـة المرقومـة وسـار أحمـد آغـا خضـر إليهـا وسـلك مـع الأهالـي حسـب عادتـه فجـاء ذات يـوم عـارف آغـا مـن قريـة الأوردي ومعـهُ رجـال مسـلحون إلـى القريـة

التي اتخذها أحمد آغا خضر مركزاً لهُ فلم يجدهُ فأحرق خيمته وضرب مَن وجده من اتباعه ثم رفع أهالي البوجاق تشكياتهم على أحمد آغا إلى الباب العالي كما مرَّ فصدر من الصدارة العظمى امر تلغرافي إلى قائم مقام الجسر أن يسير بنفسهِ إلى البوجاق ويؤذن للأهالي بنقل حواصلهم من البيادر بعد كيلها وقيد أعشارها في دفتر لتُعطَى إلى بني هارون على موجبه وكذلك صدر أمرها إلى ولاية سورية بارسال مأمور مخصوص لاجراء تحقيق دعاوي الأهالي فأرسلت الأميرالاي المار ذكره وأرسل معهُ من المتصرفية محمود افندي المغربي مفتي جبله وغب وصولهما إلى اللاذقية سارا إلى البوجاق ومعهما ابرهيم افندي حكيم كاتب تحريرات اللاذقية وبعد أن أقاموا فيها أياماً اكتسبوا فيها معلوماتٍ تؤيد دعوى الأهالي على بني هرون حسَّن محمد افندي المغربي للأميرالاي أن يعود إلى اللاذقية ويجري المحاكمة فيها وكان مقصوده مساعدة بني هرون فعادوا إليها وعقد الأميرالاي مجلس المحاكمة وشرع الأهالي يصدرون دعاويهم فظهر منها للأميرالاي تغلب بني هرون وايقن بظلمهم للأهالي فجدَّ في اجراء التدقيق والتحقيق باعتناءٍ تام لإظهار الحق وعدم إخفاء الحقائق واذ علم أن بني هرون، ساعون برد اصحاب الدعاوي بواسطة التهديد والتهويل وبالمداخلة مع الشهود وأصحاب المعلومات لمنعهم عن أداء الشهادة حنق جداً وندم على عدم جعله المحاكمة في نفس ناحية البوجاق لزيادة تأمين الأهالي وعدم ترك مجال لبني هرون لانفاذ مقاصدهم ثم سار إلى البوجاق ومعهُ علي رضى افندي نائب اللاذقية ومحمود افندي المغربي لتأكيد تحقيق بعض الدعاوي وأقام فيها يومين ثم عاد إلى اللاذقية وسافر منها فوراً لمقابلة الوالي قبل اكمال المحاكمة.

وفي الشهر المذكور أيضاً شوهد ذات صباح باب كنيسة ماري جاورجيوس ملطوخاً بالغائط وهي المرة الثالثة فأبلغ المطران ملاتيوس الخبر إلى الحكومة فأظهر القائم مقام أسفه وعقد مجلساً للبحث عن مرتكبي هذا الفعل إلّا أن المجلس تراخى بعد انفضاض تلك الجلسة، وفي اليوم التالي اصبحت هذه الحادثة عند الحكومة كأنها لم تكن شيئاً مذكوراً.

وفيه سار جمهور من قرية بابنا مسلحين إلى قرية الحفه وكلتا القريتين من ناحية

صهيـون وطفقـوا يضربـون بخناجرهـم رجـلاً يُدعـى محمـد رسـتم قاصديـن قتلـه فانـهُ كان قـد قتـل احـد أهالـي بابنـا وبعـد أن سُـجن بسـبب ذلـك فـي اللاذقيـة فـرَّ مـع الهاربيـن مـن السـجن فـي السـنة الماضيـة، ثـم اجتمـع أهالـي الحفـه ودفعوهـم عنـهُ بعـد أن أثخنـوهُ بالجـراح وتركـوهُ علـى آخـر فسـحة وجرحـوا امرأتـه أيضـاً إذ قصـدت المحامـاة عنـهُ واذ بلـغ ذلـك حكومـة اللاذقيـة طلبـت إلـى قائـم مقاميـة جبلـه ارسـال عشـرة أنفـار مـن الضابطـه لقلـة ضابطيتهـا ثـم أرسـلت مـع عشـرة أنفـار آخريـن مـن قائـم مقاميـة اللاذقيـة مصحوبيـن باسـمعيل افنـدي صالـح أحـد أعضـاء مجلـس الإدارة إلـى ناحيـة صهيـون لحسـم النـزاع. فلمـا وصـل العضـو المومـى إليـه ومعـهُ أنفـار الضابطـه اجتهـد باعـادة الهـدوء علـى قـدر الامـكان وكتـب سـنداتٍ بيـن الفريقيـن بكفـالات مضمونهـا التعهـد بعـدم وقـوع أمـور مغايـرة مـن أحـد الطرفيـن فـي الاسـتقبال.

ويـوم الخميـس فـي 5 شـباط تُلـي فـي القشـلة العسـكرية بحضـور جمهـور غفيـر فرمـان الإصـلاح وهـو فرمـان صـدر مؤخـراً بقصـد ترضيـة نصـارى الهرسـك الثائريـن يتضمـن تأكيـد مسـاواة المسـيحيين بالمسـلمين ويحتـوي علـى عـدة اصلاحـات مـن جملتهـا أن جميـع الدعـاوي التـي تتكـون بيـن الطوائـف المسـلمة وغيـر المسـلمة ينبغـي أن تُـرى فـي المجالـس النظاميـه فقـط وهـذا أحسـن مـا فـي الفرمـان المذكـور لجهـة المسـيحيين ومنهـا أن اعضـاء المجالـس يجـب أن يكـون انتخابهـم مـن طـرف الأهالـي مـن غيـر أن يكـون تحـت تأثيـر نفـوذ الحكومـة وذلـك بـأن تنتخـب الأهالـي بـدون مداخلـة الحكومـة مثلَـي العـدد المعيَّـن للعضويـة وتعلـن اسـماءهم للحكومـة فتختـار الحكومـة نصفهـم وتعينهـم اعضـاء مـع مراعـاة المسـاواة أي أن يكـون نصفهـم مسـلمين والنصـف الآخـر غيـر مسـلمين، ومنهـا اعفـاء مـن تجـاوز سـن الأربعيـن ومَـن لـم يبلـغ سـن العشـرين مـن العمـر مـن المسـيحيين وباقـي الطوائـف غيـر المسـلمة مـن مـال العسـكرية إلّا أن ذلـك مشـروط فيـهِ عـدم نقـص المـال المرتـب الأصلـي أي بـأن يتـوزع المـال جميعـه علـى الأشـخاص الذيـن بيـن سـن العشـرين والأربعيـن فقـط فهـذه المنحـة احزنـت المسـيحيين إذ اعتبروهـا مصيبـةً لا منحـه.

وثانـي يـوم تـلاوة الفرمـان وزعـت تعليمـات انتخـاب الأعضـاء علـى الأهالـي لينتخبـوا علـى موجبهـا.

وفـي الشـهر المذكـور ورد تلغـراف مـن المتصرفيـة عـن أمـر الولايـة مضمونـهُ أن يصيـر عـزل علـي آغاهـرون مـن مجلـس الإدارة وابـن اخيـهِ محمـود آغاهـرون مـن مجلـس الدعـاوي وكل مَـن فـي المجالـس مـن اقربائهـم والمنسـوبين إليهـم وبموجبـه جـرى عـزل المومـى إليهمـا وعـزل صهرهمـا اسـمعيل افنـدي صالـح مـن مجلـس الإدارة والحـاج محمـد آغـا هـرون مـن مجلـس المنافـع.

وفيـهِ عرفـت الحكومـة المحليـة الخواجـه جرجـي مرقـص وكيـلاً لقونسـلاتو دولـة روسـيا فـي اللاذقيـة عـن أمـر الصـدارة العظمـى.

وفـي 26 شـباط قـدم إلـى اللاذقيـة بطريـق البـر ابراهيـم باشـا متصـرف طرابلـس ومعـهُ درويـش افنـدي شـنبور احـد أعضـاء مجلـس إدارة اللـواء وفـي 28 منـهُ عـاد ألاي الضابطـة بطريـق البـر أيضـاً وكان قـدوم المتصـرف والأميـرالاي لأجـل اكمـال تحقيقـات دعـاوي أهالـي البوجاق علـى بنـي هـارون فتعصـب المتصـرف لبنـي هـرون بواسـطة درويـش افنـدي شـنبور ولـم يعتمـد علـى تحقيقـات الأميرالاي ولا أنتظـر قـدوم أصحـاب الدعـاوي وقيـام المحاكمـة بـل أجـرى مضبطـة ببـراءة بنـي هـرون وبطـلان دعـاوي البوجاقييـن عليهـم وسـافر مـن اللاذقيـة فـي 3 اذار راجعـاً إلـى طرابلـس بحـراً وتواتـر أن بنـي هـرون بذلـوا فـي سـبيل الوصـول إلـى هـذه النتيجـة اربعمايـة ليـرة، واللّـه سـبحانهُ وتعالـى اعلـم بالحقيقـة. وكذلـك فـي اليـوم ذاتـه، سـافر الأميـرالاي عائـداً إلـى مركـز الولايـة مغتاظـاً مـن اجـراءات المتصـرف.

وفـي 7 اذار قـدم مـن الاسـتانه بحـراً أميـر الأمـراء عبـد الحليـم باشـا متعينـاً قائـم مقامـاً عوضـاً عـن مصطفـى افنـدي ولبـث فـي المدينـة لتعبـه مـن السـفر نظـراً لشـيخوخته فانـهُ كان طاعنـاً فـي السـن أكثـر مـن سـلفه وأرسـل ابنـهُ إلـى الولايـة لأجـل تبديـل أمـر مأموريتـه كالعـادة.

وفيهـا فـي أواسـط شـهرادار أتهـم قبريـل افنـدي كركجيـان أميـن صنـدوق الرسـومات باللاذقيـة وهـو أرمنـي كاثوليكـي بغـدادي الأصـل بأنـهُ قـذف بنبـي الإسـلام وانـهُ سـمعهُ مـن بسـتان قريـب مـن بيتـه رجـلان مـن ديدبانيـة الرسـومات. ورجـلان آخـران جميعهـم مـن المسـلمين. وبالنظـر إلـى بُعـد المسـافة التـي بيـن المـكان الـذي كان هـؤلاء الرجـال جالسـين فيـهِ مـن البسـتان وبيـن البيـت يتعسـر

تصديق هذه التهمة لعدم امكان تمييز صوت المتكلم وكلامه من أحد المكانين إلى الآخر وبناء على ذلك وعلى ما بين قبريل افندي المذكور وبين عبد القادر نجا مدير الرسومات من البغضاء ترجح عند المسيحيين في اللاذقية أن المدير المذكور عمل لهُ هذه المكيدة وعلم الديدبانية ان يتهموهُ هذه التهمة ثم اشاعها فهاج بسببها المسلمون وعقدوا اجتماعات في بيوت بعض وجوههم وتجمع كثيرون منهم جماهير في السوق قاصدين قتل قبريل افندي وقدم بعضهم عرضاً إلى القائم مقام حليم باشا يطلبون فيهِ قصاص الرجل وعضد هذا الطلب بعض وجوه المشايخ الذين اجتمعوا بالقائم مقام، وكان القائم مقام رجلاً طاعناً في السن لا يدري كيف يتصرف في هذه المسئلة وصار بعض جهلة المسلمين يمرون جماهير في حارات النصارى ويتهددونهم بمذبحة عمومية فخاف النصارى من اتساع الخرق وخشوا غائلة هذا الهياج واختبأ قبريل افندي في بيته واعتراهُ خوف شديد طرحه في الفراش فأرسلت الحكومة بطلبه فاعتذر بالمرض خوفاً من أن يُقتَل في السوق واستدعى الخواجه ادولف جفروا قونسلوس فرنسا والخواجه نقولا ويتالي قونسلوس انكليترا طالباً حمايتهما ووقايته من القتل فذهبا إليه وسكّنا روعهُ وأرسل الخواجه جفروا رسلاً إلى الشيخ عبد القادر طويل أكبر مشايخ اللاذقية يطلب إليه اخماد هياج المسلمين المخطر على عموم مسيحيي البلدة وسار الخواجه ويتالي إلى ثابت افندي بكباشي العساكر وأخبره بالخطر الواقع وطلب مداخلته فأجابهُ إلى ذلك فوراً وسار إلى بيت مصطفى افندي المفتي حيثما كان جمهور من المشايخ مجتمعين يهيج بعضهم بعضاً وحذرهم من الإخلال بالراحة من إلحاق أدنى ضرر بالمسيحيين وأنذرهم بسوء العاقبة وهدّدهم بأنهُ يؤمر العساكر أن تفتك بهم إذا اضرُّوا بالمسيحيين ثم ارسلت الحكومة سليم آغا يوزباشي الضابطة مع عبدالله افندي فهده عضو الروم في مجلس الدعاوي مرافقين ببعض أنفار الضابطة إلى بيت قبريل افندي فأخذوهُ إلى دار الحكومة فوُضع في مكان منفرد تحت الحجز أما القناصل في اللاذقية فلما رأوا ذلك الهياج اجتمعوا جميعاً وبعث كلٌ منهم برسالةٍ تلغرافية إلى قنصله الجنرال في بيروت يخبرهُ بالواقع والجنراليه خابروا الوالي بذلك وجرت المخابره التلغرافية بين الولاية والمتصرفية

والقائم مقاميه بهذا الشأن فقر فيها القرار على ارسال قبريل افندي إلى طرابلس تحت الحفظ بعد أخذ استنطاقه فأخذ استنطاقه ليلاً واستنطاق الشهود الذين وُجدت في شهادتهم مباينه كافية لظهور بطلان الدعوى، وبعد يومين أرسل بالوابور المسكوبي إلى طرابلس وبعد أن سافر الوابور، وقطع مسافة قصيرة عن مرسى اللاذقية انتهت حيوة قبريل افندي المذكور بالغرق قيل أن احد نفري الضابطه اللذين كانا يرافقانهِ دفعهُ من عن جانب الوابور إلى البحر على حين غفلةٍ منهُ وقيل لا بل هو طرح نفسهُ وترجح القول الثاني من أخبار قبطان الوابور وبعض ركابه وفي مساء اليوم الثالث ظهرت جثته على الشاطىء بجانب مصب النهر الكبير فنزع بعض المسلمين الثياب عنها وتركوا الجثة عريانة فأرسلت الحكومة رجالاً من الضابطة وجاءوا بها إلى المدينة وفتيان المسلمين يزفونها بالشتايم واللعنات واهانة النصرانية إلى قرب المدينة ثم ادخل رجال الضابطة الجثة إلى المدينة ودفعوها إلى بادري اللاتين فدفنت في مقبرتهم. وبعد ذلك بيومين قدم ابرهيم حقي باشا متصرف اللواء من طرابلس إلى اللاذقية ببارجة عثمانية تُدعى بيروت بناء على طلب القناصل الجنرالية إلى الوالي أن يصلح الحال في اللاذقية ويجري تأديب مسببي هذه الحركة من المسلمين لازالة خوف النصارى من مكايد كهذه فأقام المتصرف في اللاذقية نحو اسبوعين جمع في أثنائها وجوه المسلمين ثلاث مراتٍ سراً قيل وكدرهم وطلب منهم رؤساء المهيجين فأنكروا حصول هياج ثم استدعى وجوه النصارى فذهب إليه منهم جبرائيل افندي عطاالله وعبدالله افندي كومين وميخائيل افندي سعاده، ومؤلف هذا التاريخ وطيب خواطرهم وطلب إليهم بأن يسكنوا روع باقي المسيحيين ويعدوهم من قِبَله بأنهُ سيجري في هذه المسئلة ما يتكفل بوقايتهم في المستقبل غير أن اجراءاته انحصرت جميعها بالقول، ولم يبرز شيء منها إلى الفعل وكانت مقرونةً بالتكلف والتظاهر بأنهُ لم يقع شيء موجب لحدوث ما حدث من الخوف عند المسيحيين واستمر مدة عشرة أيام على هذه الحالة وفي آخر الأمر استحضر الحج ابرهيم الصوفي الذي كان رأس المهيجين واستنطقه واكتفى بانكاره أنهُ بريء أما والي الولاية حمدي باشا فإذ لم يقف على نتيجة من أعمال المتصرف ارسل إلى اللاذقية أحمد شكري افندي قائم مقام

البقاع مأموراً مخصوماً مصحوباً ببيورلدي منهُ فوض إليه فيه إجراء كل ما يراه ضرورياً للإصلاح ولما وصل أحمد شكري افندي اجتمع بالمتصرف وقر رأيهما على تبديل مدير الرسومات عبدالقادر افندي نجا وحليم باشا قائم مقام اللاذقية ونقل الشهود الذين شهدوا على قبريل افندي إلى طرابلس وعرضا ذلك للوالي فورد الأمر الجوابي بالايجاب وبتعيين أحمد شكري افندي نفسه قائم مقاماً للأذقية. وفي أثناء ذلك تم انتخاب أعضاء المجالس للأذقية توفيقاً للتعليمات الجديدة فعيُن في مجلس الإدارة محمود آغا خزنه دار ومحمود آغاهرون من المسلمين وانطانيوس افندي سعاده كومين من الروم واسكندر افندي شدياق من الموارنه وفي مجلس الدعاوي الشيخ عبدالرحمن افندي طويل من الإسلام ومؤلف هذا التاريخ من الروم ويعقوب افندي ميلكون من الأرمن والشيخ سليمان حاتم من النصيريه وكان من فرقة الحيدرية المعروفة بالشمالية وكانت فرقة الكلازية تطلب تعيين عضوٍ منها في مجلس الإدارة فلم يستحسن المتصرف ذلك لكنهُ أمر النائب علي رضا افندي فأخبر الشيخ سعيد قسمين المنتخب من الفرقة الكلازيه أنهُ عين عضواً اضافياً في مجلس الدعاوي على أن معاش الشيخ سليمان حاتم يُقسَم بينهما مناصفة لكنهُ لم يُعطَ بيورلدي من المتصرف بتعيينه كالعادة غير أن النائب اعطاهُ ورقة بامضائهِ وختمهِ بما قالهُ لهُ عن أمر المتصرف.

وفي 28 نيسان سافر من اللاذقية إلى طرابلس من أعضاء مجلسي الإدارة والدعاوي الشيخ عبدالرحمن الطويل واسكند افندي شدياق والشيخ سليمان حاتم بالاصالة عن أنفسهم وبالنيابة عن باقي الاعضاء لأجل انتخاب اعضاء مجلس اللواء حسب التعليمات الجديدة وسافر أيضاً مدير المال لأجل المحاسبة السنوية وكان في أوائل شهر نيسان قد سافر المتصرف بحراً في زورق عائداً إلى طرابلس، وأخذ معهُ مدير الرسومات عبدالقادر افندي نجا والشهود الذين شهدوا على الطرف وفي هذه الاثناء ورد أمر تلغرافي من المتصرف إلى القائم مقام بأن يعترف الشيخ سعيد قسمين عضواً اضافياً في مجلس الدعاوي وأن يخصَم معاشه من معاش باقي الأعضاء فاعترض العضوان المسيحيان على ذلك واخبرا القائم مقام بأنه إذا اصر المتصرف على هذا الأمر ترفع الطوائف المسيحية القضية إلى المقامات

الأعلى وتلتمس مراعاة المساواة في عدد الأعضاء أي بأن لا يزيد عدد المسلمين منهم على المسيحيين (فأن النصيرية معتبرون رسمياً من المسلمين) تطبيقاً للتعليمات فاستدعى القائم مقام الياس افندي صوايا إلى مركز التلغراف، وخابرهُ في ذلك وطلب إليه أن يراجع المتصرف ويفهمه تشكي العضوين المسيحيين ففعل فشعر المتصرف بغلطه وعدل عن رأيه بذلك.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر شهر ايار الساعة من النهار مرَّ أمر تلغرافي من الصداره العظمى إلى الولاية الجليلة مضمونهُ أنهُ في صبح ذلك اليوم جرى خلع السلطان عبدالعزيز بالاتفاق العمومي وجلوس السلطان مراد ابن السلطان عبد المجيد وفي الساعة 10 من النهار المذكور ورد الأمر الرسمي بذلك من الولاية الجليلة إلى حكومة اللاذقية وفي اليوم التالي الساعة 1 من النهار تُليت في القشاله العسكرية صورة الأمر التلغرافي المذكور بحضور أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية وثابت افندي بكباشي العساكر، وكامل افندي بكباشي الرديف وسائر المأمورين والعلماء والرؤساء الروحيين والأعيان وجمهور غفير من الأهلين وبعد تلاوته تُليت خطب وأدعية للسلطان مراد وهتفت العساكر بالدعاء لهُ ثلاثاً حسب العادة واطلق 21 مدفعاً وعند المساء اقيمت زينة في القشلة ودار الحكومة وباقي المدينة واجتمع في القشلة القائم مقام والضباط العسكرية والمأمورون والأعيان وبعض قناصل الدُوَل وصرفوا فيها السهرة على نغمات الألحان وجرى في أثنائها الشنّك (اي اطلاق البارود بهيئة متواصلة) من طرف طابور العساكر الذي كانت بلوكاته مصطفة على سطوح القشله الفسيحه واطلقت السهام والألعاب النارية ثم استمرت الزينة ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ وكانت المدافع تطلق كل يوم في الأوقات الخمسة كل مرة واحداً وعشرين مدفعاً وقد سرَّ هذا التغيير جمهور المأمورين الملكية والضباط العسكرية والأهلين. وفي 8 حزيران سار أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية مصحوباً بنحو اربعماية عسكري تحت قيادة ثابت افندي البكباشي ومع الياس افندي صوايا مدير المال ومحمود آغا خزندار من أعضاء مجلس الإدارة وحلُّوا في قرية حبيت من ناحية بيت الشلف لأجل التحصيلات والإصلاحات نظراً لوقوع الاختلال

في الجبال وانتشار اللصوص ولا سيما الصهاونه واضرارهم بابناء السبيل وقرى الساحل وتماديهم في السرقة والسلب وأقيم كامل افندي بكباشي الرديف وكيلاً للقائم مقام في المدينة.

وفي أواخر حزيران وردت أوامر الدوله بجمع عساكر الرديف نظراً لهجوم عساكر السرب والجبل الأسود على المملكه فجُمع من قضاء اللاذقية طابور ومن قضاء جبله طابور وسافر طابور اللاذقية في 25 تموز مع كامل افندي البكباشي ومَن كان معه من الضباط على البارجة المسماة مدار توفيق ذاهبين إلى ساحة القتال وكان فيهم نحو 200 نفساً من نفس اللاذقية عدا الذين دفعوا البدل النقدي وقدره خمسين ليرة عثمانية والذين قدموا بدلاً شخصياً وأما طابور جبله فسافر في 8 آب.

ومن أوايل تموز رقي ثابت افندي بكباشي طابور العساكر إلى رتبة قائم مقام عسكرية وتحول مركزه إلى اليمن وعين مكانه في بكباشية الطابور عثمان افندي وهو من الجركس، وقدم إلى اللاذقية في 7 تموز وسار إلى المعسكر في قرية حبيت. وفي الشهر المذكور قدم إلى اللاذقية بكباشي يُدعى أحمد افندي مع ضباط للرديف عوض الضباط الذين كانوا فيها، وذهبوا مع الطابور الذي جُمع منها وفيه انتهت مدة علي رضا افندي نائب اللاذقية وعُيّن مكانه محمد صلاح افندي من أهالي نابلس فبعث بعباس افندي الحسيني النابلسي وكيلاً عنهُ فقدم إلى اللاذقية في 20 تموز.

وفي 23 تموز قامت العساكر من قرية حبيت فجاء منهم ثلاثة بلوكات مع البكباشي عثمان افندي إلى اللاذقية وذهب بلوكان إلى جبله وكانت اقامتهم في حبيت مقصورة على شيء زهيد من الأموال الأميرية ولم ينجم عنها شيء من الإصلاح.

وفي 12 آب قدم إلى اللاذقية نائبها محمد صلاح افندي واستلم زمام مأمورية وفي 19 منهُ ورد إليها الخبر رسمياً بخلع السلطان مراد الخامس بسبب اختلال طرأ على عقلهِ وجلوس أخيه السلطان عبدالحميد الثاني ابن السلطان عبدالحميد فزينت دار الحكومة والعسكرية ثلاث ليالٍ ومن الغريب أنهُ لم يكن سرور الناس في جلوسهِ كسرورهم في جلوس أخيه السلطان مراد مع أنهُ ليس من سبب ظاهر لذلك.

وفيه سافر أحمد شكري افندي القائم مقام إلى دمشق بالرخصة وأقام وكيلاً عنهُ بمدة غيابهِ محمود آغا خزندار وبعد غيابِ عشرين يوماً عاد إلى اللاذقية. وفي شهر أيلول هجم أهالي قريتي نينه ونيته على ناحية المهالبه ونهبوا منها دواب ومواشي واختلت أحوال الجبال وكثر انتشار اللصوص والسرقات وتخلف سكان الجبال عن أداء الأموال الأميرية مع شدة مضايقة الحكومة واحتياجها للمال فسار طابور العساكر الموجود في اللاذقية وجبله إلى ناحية بني علي وأقام في قرية طرجه وحضر إليه قائم مقام العساكر من طرابلس وانضم إليه أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية وخليل بك الاسعد قائم مقام جبله فتألف منهم ومن عثمان افندي بكباشي العساكر قومسيون اصلاحات ولما كان اهالي كلماخو قد اعترضوا أهالي نيته ونينة اثناء رجوعهم وأخذوا منهم الدواب والمواشي فأعاد القومسيون تلك المسلوبات إلى أصحابها وكان أهالي القرداحة قد سلبوا بعض مزروعات لأهالي جبله فأعادها إلى اربابها أيضاً ثم انقطع عن الإصلاحات إلى تحصيل الأموال الأميرية على أنهُ لم يتمكن من تحصيل ما يستحق الذكر لأن أهل الجبال أصبحوا لا يهابون مجرد حلول العساكر في قرية من قراهم ولم تنقطع التعديات والسرقات من النواحي الأخرى، وبعد أن قامت العساكر نحو شهر عادت إلى مراكزها في جبله واللاذقية.

وفي شهر تشرين الأول سافر أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية بالرخصة إلى دمشق قاصداً الذهاب إلى الاستانه فجاء من طرابلس وكيلاً عنهُ ممتاز أفندي، وهو من حاشية المتصرف شاكر بك واستمر في الوكالة نحو شهر ونصف مهتماً بتحصيل الأموال الأميرية وكان قد ورد أمر بجمع الصنف الثاني والثالث من الرديف فصار الشروع بذلك وتجمع عدد وافر منهُ في المدينة وجاء من طرابلس نحو ماية نفر من الجندرمه بقصد تهديد الجبال لتكاثر الاختلال فيها وتمنع أهليها عن أداء الأموال وتقديم انفار الرديف فكان اجتماع هذه العساكر القليلة الضبط والانتظام سبباً لتحذر النصارى من وقوع تعديات منها عليهم وخصوصاً نظراً لعدم التفات ممتاز افندي وكيل القائم مقام لأمور المحافظة فكتب بعض القناصل إلى الجنرالات في بيروت، والظاهر أن بعض الجنرالات اخطر ناشد باشا والي الولاية، وكان إذ ذاك في عكا فأصدر أمراً تلغرافياً إلى أحمد شكري افف، وكان في

بيروت مضمونه أن يصرف النظر عن السفر إلى الاستانه ويعود إلى اللاذقية فعاد إليها واعتنى بحفظ الراحة وفي أثناء ذلك عادت العساكر الجندرمه إلى طرابلس مع أن طلوع معسكر إلى الجبال كان في غاية اللزوم.

وفي هذه الاثناء عُزل خليل بك الأسعد من قائم مقامية جبله وعُين مكانه نجاتي افندي من الأتراك.

أما حال تجارة المدينة في سنة 1876 فكانت في غاية التأخر ولا سيما تجارة التبغ فإن الجانب الأكبر منهُ أرسل إلى ليڤربول بانكليتره والجانب الأقل إلى القطر المصري وكلاهما لم يثمرا ربحاً وكذلك أرباب الزراعة فيها لم يكونوا أحسن حظاً من أرباب التجارة فإن أسعار المحصولات كانت رخيصة جداً ومع رخصها كان الناس في شدةٍ زائدة وذلك بسبب قلة النقود وعدم وجود أسباب للمعاش وزد على ذلك المضايقة التي أجرتها الحكومة على الأهلين بتحصيل الأموال الأميرية والضرائب غير الاعتيادية التي وضعتها اعانةً للخزينة ولعساكر الرديف بسبب ارتباك الدولة في عصيان البوسنة والهرسك ومحاربة السرب والجبل الاسود وضيقها المالي وغاية ما يقال أن السنة المرقومة كانت سنة شدةٍ على أهل اللاذقية.

ثم دخلت سنة 1877 وكانت أحوال الجبال قد ازدادت اختلالاً وانتشرت اللصوص في كل جهة من الطرق وكثر عوثهم في قرى الساحل وتعديهم على ابناء السبيل حتى كاد الأمن يفقد تماماً وامتنع أهل الجبال عن أداء الأموال الأميرية والأنفار المطلوبة منهم من عساكر الرديف فسيق في أواخر شهر شباط نحو أربعماية عسكري من طابور الطليعة المقيم في اللاذقية ومايتي نفر من عسكر رديف جبله وانضم إليهم بلوك جندرمه قدم من طرابلس وتوجهوا إلى ناحية بيت الشلف تحت رياسة أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية وقيادة علي بك قائم مقام العسكرية وقومندان موقع طرابلس وحلُوا في قرية ديفه وأقيم محمود آغا خزندار وكيلاً للقائم مقام بمدة غيابه.

وفي مساء 29 أيار قدم من الاستانة الفرقاطه العثمانية خداوندكار لنقل طابور الصنف الثاني من الرديف وسافرت في 30 منهُ بالطابور المرقوم قاصدةً عكا ويافا لنقل من فيهما من

عساكر الرديف.

وفي هذه الأثناء طُلب نجاتي افندي قائم مقام جبله إلى الشام وقدم إلى جبله مصطفى آغا كركوتلي من أهالي الشام وكيلاً للقائم مقامية بمدة غيابه وأقام نحو شهر ثم عاد نجاتي افندي ورجع مصطفى آغا إلى طرابلس وفي 13 نيسان ورد الخبر باشهار الحرب من طرف الدولة الروسية على الدولة العثمانية وثاني يوم ورود الخبر قامت العساكر من قرية ديفه وعاد قسم منها إلى اللاذقية وقسم إلى جبله ولم يجرِ بمدة اقامتها في الجبل شيء من الإصلاحات سوى تحصيل مقدار قليل من الأموال الأميرية من قرى ساحل بيت الشلف على أن هذه لا يُعدُّ من الإصلاحات فأخبار الحرب ونزول العساكر من الجبل بدون اجراءات قد زاد غرور أهل الجبال ولم تمضِ أيام قليلة حتى تضاعف شرهم وفسادهم وصار المسلمون في البر يتعدون على النصارى الذين بينهم فنهبوا في جهة المرقب بعض قرى المسيحيين وقتلوا منهم في قرية الدوير شخصين وجرحوا ثمانية اشخاص فذهب قائم مقام جبله إلى ناحية المرقب مصحوباً بنحوماية نفر من العساكر وأقام نحو اسبوع فكفَّ المتعدون عن تعديهم فاكتفى القائم مقام بذلك ولم يعتنِ بالبحث عن التحديات السابقة وبمسك أهلها ومجازاتهم بل تحامل على المسيحيين وعاد إلى جبله بدون أن يجري شيئاً لراحتهم وكانت سياسة الحكومة متجهة إلى أن تنسب هذا التعدي إلى النصيرية لا إلى المسلمين مع أن النصيرية في قضاءي جبله واللاذقية لم يكونوا يتعدون على المسيحيين وكان مسيحيو قرى المزيرعة ودباس وحبيت القاطنون بين النصيريه حاصلين في هذه المدة على تمام الراحة بخلاف مسيحيي المرقب وصهيون وكنسبا في جبل الأكراد القاطنين بين المسلمين فأنهم كانوا في ذلٍ واضطهاد ولم يكونوا آمنين على أموالهم وموجوداتهم، أما في المدينة فابتدأ الخوف بعد إشهار الحرب يلمُّ بالمسيحيين من تعصب المسلمين على أنهُ لم يبدُ من المسلمين تعدّ ظاهر عليهم والحكومة كانت معتنية بحفظ الراحة تبعاً للأوامر التي كانت ترد إليها من الاستانة غير أن الأهلين عموماً في قضاءي اللاذقية وجبله كانوا في ضيق مالي شديد من جراء محل المواسم وانتشار الجراد وأكله أكثر المزروعات الصيفية ثم استفحل امر اشقياء النواصره والقرداحة فصاروا يغيرون جماهير على قرى الساحل ويسلبون ما وقع بيدهم منها

وأغاروا مرةً على قرية ستمرخو التي تبعد نحو ساعتين ونصف عن اللاذقية وسلبوا ماشيتها وأبقارها وأكثر ما في بيوت أهلها فعظم هذا الحال عند أهل اللاذقية وصاروا في خوفٍ على ماشيتهم وأبقارهم التي في قرى الساحل حتى جعل بعضهم يحضر كل ليلةٍ ما له من ذلك في القرى إلى المدنية ويبيتهُ فيها ثم عرضوا هذه الحالة تلغرافياً إلى المتصرفية في طرابلس كما أن مجلس إدارة اللاذقية عرض لها الأمر بمضبطه تلغرافية فجاء الوعد بسوق العساكر لاصلاح الحال وبأثر ذلك جرى عزل قائم مقام اللاذقية أحمد شكري افندي وعين مكانه مصطفى آغا كركوتلي ثم ورد أمر إلى بكباشي طابور الرديف الثالث في اللاذقية بأن يذهب بما جمع عندهُ من افراد الطابور إلى طرابلس فسافروا بباخرة فرنسوية وكانوا نحو ثلثماية نفر حيث لم تتمكن الحكومة من جمع بقية الطابور نظراً لعصيان الجبال وفي 27 أيار وصل مصطفى آغا كركوتلي إلى اللاذقية واستلم إدارة القائم مقامية وقام من طرابلس إلى جبله بلوكان من عساكر الطليعة تتمة الطابور الموجود في اللاذقية وجبله فقدما جبله مع نحو خمسين سواري دراغون بقصد ضرب الجبال لكن لم يكادوا يصلون إلى جبله حتى ورد امر تلغرافي من مشيرية الأوردي في دمشق إلى عثمان افندي بكباشي الطابور المرقوم بأن يتجهز للسفر إلى طرابلس لينتقل إلى الاستانه على البارجه التي ستقدم إليها لنقله فكتبت حكومة اللاذقية إلى المتصرفية تلتمس ابقاء الطابور وإلّا فيفسد حال القضاء تماماً فلم يُقبَل هذه الالتماس وانما أعيد إلى اللاذقية وجبله طابور رديف الصنف الثالث ليقوم مقام العساكر الطليعه وسافر طابور الطليعه إلى طرابلس براً في آخر أيار وفي أول حزيران وصل إلى اللاذقية طابور الصنف الثالث من الرديف وشاكر بك متصرف اللواء وقدم من جانب الولايه رفعت بك قائم مقام البقاع مأموراً لتحقيق أحوال جبال النصيريه وهو الذي سبقت لهُ القائم مقاميه في جبله وفي 4 منهُ سافر شاكر بك ورفعت بك إلى جبله بعد أن أخذ رفعت بك استنطاق أهل ستمرخو واستقصى منهم عن منهوباتهم وفي أثناء ذلك عزل نجاتي افندي من قائم مقامية جبله وعين مكانه رفعت بك المذكور وبعد أن أقام شاكر بك اربعة أيام في جبله جاءتهُ أخبار اختلاف وقع في قضاء صافيتا بتعدي النصيرية فيه على المسيحيين ونهبهم قريتين لهم فعاد إلى اللاذقية وسافر منها راجعاً إلى طرابلس. وفيه وردت أوامر الدولة بطلب

ثلاثين ألف فارس من ولايات آسيا يجهزون على نفقة الأهلين إلى حين وصولهم إلى دار الحرب في أرضروم حيثما يعطون بنادق من طرف الحكومة وأنهُ خص ولاية سورية من ذلك ثلاثة آلاف فارس وجرى توزيعها على ألوية وأقضية الولاية فخص قضاء اللاذقية ماية وثمانين فارساً وقضاء جبله أقل من هذا العدد، ومما خص قضاء اللاذقية أصاب نفس المدينة خمسة وأربعون فارساً منها ستة وثلاثون عل المسلمين وتسعة على المسيحيين وأن الأهلين مخيرون أما أن يقدموا ذلك اشخاصاً مجهزة بالخيل والعدة ما عدا البنادق أو يدفعوا بدلاً نقدياً عن كل فارس الفين وخمسماية غرش قوائم نقدية (وهي أوراق طبعتها الدولة في هذه السنة لتتداول بمقام النقود) فكان ما قيمته ماية غرش منها يساوي ما بين الستين والخمسة والسبعين ثم تنازلت أسعارها بعد ذلك إلى قيمة دنيئة جداً حتى كانت قيمة الماية غرشاً منها لا تكاد تساوي اثني عشر غرشاً من النقود) وكذلك وردت أوراق إعانه حربية الزامية ثلثاها بقيمة عشرة غروش الورقة والثلث بقيمة عشرين غرشاً لتوخذ من كل شخص من ابن خمس عشرة سنة إلى ابن ثمانين، ولما كان العدد الذي أُرسل من هذه الأوراق أكثر من عدد النفوس المكلفه لذلك أعلنت الأوامر المرافقة لها أن الزيادة تُطرَح على الأغنياء وأصحاب الثروة فثقل ذلك جملاً على أهل اللاذقية بالنظر إلى مضايقتهم المالية واحتياج أكثرهم إلى القوت الضروري.

وفيه أغارت اشقياء القرداحة والنواصرة وفي رأسهم صافي ابرهيم الدين احد مقدمي القرداحة على قريتي ستخيرس واليغنصه من الساحل وسلبوا ماشيتهما وامتعة سكانهما فاتخذ رفعت بك قائم مقام جبله التدابير السلمية مع المقدمين وارجع أكثر المسلوبات بالحسنى لعدم وجود قوة عنده ثم أن أهل المهالبة الذين هم شماليه على مذهب نصيرية الساحل تهددوا أهل القرداحة بمعارضتهم إذا عادوا إلى نهب قرى الساحل فعاهدوهم على الانكفاف. وفي شهر تموز قتل مسلمو قرية منجيلا التابعة ناحية صهيون ابن ابرهيم عجيب من نصيرية قرية ديفه التابعة ناحية بيت الشلف بينما كان مع رفقاء لهُ في أراضي تلك القرية قيل لأجل السلب ثم خاف أهل منجيلا العاقبة وهربوا منها بعد أن نقلوا امتعتهم وموجوداتهم فجاءت عشيرة القتيل واحرقوا بعض بيوتها فخاف جميع أهل ناحية صهيون من اغارة

نصيرية بيت الشلف عليهم لأجل دم القتيل فاستنفروا أهل الإسلام من نواحي جبل الأكراد والبائر والبوجاق وقضاء جسر الشغور فنصروهم وتجمع منهم في صهيون جمع غفير وتحزب أيضاً للصهاونه نصيرية المهالبة والعمامره الذين هم شماليه أضداد أهل بيت الشلف الكلازيه وتحزب لأهل بيت الشلف نصيرية القرداحة والنواصره وبعض نصيرية دريوس الذين هم على مذهبهم وكان كل فريق للآخر بالمرصاد فأرسلت الحكومة فرقة من طابور الرديف ونحو سبعين فارساً من الدراغون وكانوا قد أرسلوا من طرابلس فأقاموا في قرية تفيل بناحية صهيون وسار إليها أيضاً بكباشي طابور الرديف فعثر في طريقه على بعض اشخاص من أهل بيت الشلف فجاء بهم إلى اللاذقية وفي 14 تموز عزل مصطفى آغا كركوتلي من قائم مقامية اللاذقية وأعيد إليها أحمد شكري افندي فسار في 17 منهُ إلى ناحية صهيون عن أمر الولاية لتسكين الأحوال وسار معهُ محمود آغا خزندار ومصطفى بك قائم مقام العساكر الذي تعين قومنداناً لموقع طرابلس ولاقاهم في جبله رفعت بك قائم مقامها وغب استقرارهم بمركز الأوردي في تفيل استدعوا مقدمي بيت الشلف والقرداحة فلبَّاهم بعضهم واصلحوا بينهم وبين أهل صهيون بأن ينتخبوا محكمين من الطرفين ليحكموا بدية المقتولين من بيت الشلف على الطريقة العشائرية المألوفة بينهم وان اختلف المحكمون يرفعوا الأمر إلى الحكومة فيرتضوا بحكمها في الخلاف وكتبوا على ذلك تعهدات ختمها الفريقان ثم عاد أحمد شكري افندي إلى اللاذقية بعد أن فرَّق عشائر النصيرية والمجتمعين في صهيون على أن يصير فيما بعد اجراء مضمون التعهدات المار ذكرها، وبعد أربعة أيام جاءهُ الخبر بأن أهل القرداحة ومقدمي المزيرعة تجمعوا باغراء صافي ابرهيم الديب الذي لم يكن حاضراً في جمعية الصلح المار ذكرها وانضم إليهم بنو محمد مقدموا المزيرعة وأغاروا على العمامره وأحرقوا بعض قراها وقتلوا بعض أشخاص من أهليها، وقيل بل أن أهل العمامره هم الذين بادأوا أهل المزيرعة بالشر وهجموا على قريتهم وأحرقوا بعض بيوتها فبلغ أهل القرداحة الخبر فتجمعوا وجرى ما جرى وقتل في هذه الوقعة من أهل القرداحة صافي ابرهيم الديب المار ذكره ثم هجم أهل صهيون بمعاونة الدراغون على ناحية بيت الشلف واحرقوا بعض بيوت قرية جيت وخيف من تعاظم الفتنة فسار القائم مقام أحمد

شكري افندي ثانيةً إلى تفيل مرافقاً ببعض السواريه والضبطية وبوصوله إلى مقر الأوردي في تفيل اصدر أوامر تتضمن التحذيرات إلى مقدمي القرداحة وبيت الشلف فبعثوا إليه بمعاريض تؤذن بالطاعة والانقياد ولكن في صباح اليوم الثاني من ارسالهم المعاريض كبست فئة منهم المعسكر قاصدين الفتك بهِ فابتدرتهم سوارية الدراغون والضبطية وأهل صهيون بالقتال فكسروهم شر كسرةٍ وكان الفضل في ذلك للبنادق العسكرية واكملوا حريق قرية حبيت ما عدا بيوت المسيحيين الذين فيها وذلك بواسطة حماية مسيحيي صهيون الذين كانوا مرافقين لمسلميها في الوقعة فارتد أهل بيت الشلف والقرداحة على أعقابهم إلى قرية كيمين بعد أن قُتل منهم خمسة عشر نفساً وقتل من أهل صهيون نفس واحد وأحرقت عدة قرى من ناحية بيت الشلف وفيما كانوا في هذه الحالة من الفشل كان حلفاؤهم أهل النواصره ودريوس ظافرين في ناحية العمامرة حيثما أحرقوا معظم قراها وبعد هذه المعركة تفرقت العشائر وقدموا معاريض إلى قائم مقام اللاذقية بمركز الاوردي يطلبون الأمان، ثم عاد القائم مقام إلى اللاذقية وفي أوائل شهر آب قدم إلى جبله شاكر بك متصرف طرابلس وعاكف باشا أمير اللواء قومندان موقع بيروت ومن أركان معسكر سورية ومعهم نحوماية نفر من العساكر المفرزة وهي التي تركب البغال وتوجه لملاقاتهما أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية ثم ساروا جميعاً بالعساكر المذكوره واستقروا في قرية مرج معيربات بناحية القرداحة وانضم إليهم العساكر التي كانت في قرية تفيل وجاءهم أيضاً غيرهم من العساكر المشاة والفرسان من بيروت فاجتمع في المعسكر نحو خمسماية فارس ومثلها مشاة خلا الرديف ثم استدعوا أهل القرداحة وبيت الشلف إلى الطاعة والانقياد والحضور إلى المعسكر وأداء الأموال الأميرية فكانت أجوبتهم تفيد الطاعة إلّا أنهم لم يكونوا يؤتمنون أن يحضروا إلى المعسكر خشية القبض عليهم وفي أثناء ذلك ورد أمر الدولة بتهيئة عساكر رديف اللاذقية وجبله ومتطوعة لواء طرابلس للسفر إلى الاستانه فقدم المتصرف شاكر بك إلى اللاذقية وسافر منها إلى طرابلس لأجل تجهيز الخيالة المتطوعة المجتمعة هناك وفي تلك الأثناء سار أمير اللواء عاكف باشا بالعساكر من مرج معيربات وكبس قرية جبرو بقرب المزيرعة وقبض على الشيخ محمود ابن الشيخ سعيد شيخ الكلازيه وولدين لهُ وثلاثة غيره من المشايخ واثنين من

العامة وذبحت العساكر ولدين صغيرين في فراشهما ثم ضرب قرية دباش والمزيرعة ولاقاهُ إلى دباس حسن ناصر من مقدمي المهالبه والى المزيرعة محمد علي خليل مقدم العمامره برجالهما وعاونوا العساكر بإحراق بيوت النصيرية في القريتين وقصد حسن ناصر ومحمد خليل احراق بيوت النصارى ونهبها فلم يتمكن حسن ناصر من انفاذ مأربه بنصارى دباش لأن عاكف باشا كان قريباً منها فأمر العساكر بوقاية النصارى غير أنهُ جرح رجل مسيحي يُدعى ابرهيم عوض بالرصاص على أن جرحه لم يكن ذا خطر وأما محمد خليل فقد فاز بمقصوده إذ اوهم فرقة العساكر التي كانت تضرب المزيرعة أن كل أهلها نصيرية فأطلقوا الرصاص على النصارى وأصابوا رجلاً منهم يُدعَى ابراهيم مسيكة فمات متأثراً من ذلك ثم هجم محمد خليل برجاله على بيوت المسيحيين ونهبها ونهب كنيسة القرية أيضاً فعرض مسيحيو المزيرعه إلى السيد ملاتيوس مطران اللاذقية واقعة الحال فخاطب المتصرف والقائم مقام فيها فوعدا بإجراء المقتضي واعادة المنهوبات ثم بعد أن رجع المعسكر إلى مركزه في مرج معيربات جرى قتل الشيخ محمود ابن الشيخ ابرهيم سعيد وولديه ورفقائه باطلاق الرصاص وفي 20 آب قدُم عاكف باشا وأحمد شكري افندي القائم مقام إلى اللاذقية ومعهما عسكر الرديف لأجل ارساله إلى الاستانه بعد أن صار نقل مركز المعسكر إلى قرية طبرجه في ناحية بني علي وفي 22 آب وعاكف باشا لم يزل في اللاذقية سارت بأمرِهِ فرقة من المعسكر تحت قيادة القائم مقام العسكري مصطفى بك واحرقت قرية زاما من ناحية سمت قبله وغنمت مواشيها وقتلت عدة أشخاص أكثرهم نساء وأطفال وفي ظهيرة اليوم نفسه سار عاكف باشا وقائم مقام اللاذقية إلى قرية بابنا بناحية صهيون ولاقاهم إليها فرقة من العساكر وفي 24 منهُ توجها بالعساكر إلى ناحية دريوس واحرقوا منها بعض قرى وغنموا مواشيها وكان مع العساكر جماعة من مسلمي صهيون وجبل الأكراد فتوغلوا في دريوس بينما كانت العساكر متأخرة فلاقاهم بنو بدُّور مقدمو دريوس وجماعتهم واشتبك القتال بين الفريقين فكانت الدائرة على المسلمين وقُتل منهم سبعة أشخاص ورجعوا منهزمين ثم عادت العساكر وانتقل المعسكر إلى عين الشرقية في سمت قبله وتوجه أيضاً إليها من اللاذقية عاكف باشا وفي أوائل أيلول قدمت بارجة عثمانية تدعى بابل فنقلت الصنف الثالث من رديف اللاذقية

وجبلـه إلـى الاسـتانه وفـي 14 أيلـول قـدم عاكـف باشـا إلـى اللاذقيـة وسـافر منهـا إلـى بيـروت بباخـرة الميسـاجيري الفرنسـاوية بعـد أن أظهـر بأعمالـهِ فـي جبـل النصيريـة أهليتـهُ للاحـراق والتخريـب أكثـر منهـا للاصـلاح وبقيـت العسـاكر فـي مركزهـا تحـت قائـم مقامهـا مصطفـى بـك، أمـا قائـم مقـام اللاذقيـة أحمـد شـكري افنـدي فبقـي فـي الجبـل لمقصـد تحصيـل الأمـوال الأميريـة وأمـر عبداللّـه آغـا طريفـي مديـر بيـت الشـلف والمهالبـة بتحصيـل مسـلوبات مسـيحيي المزيرعـة وكنيسـتها مـن أهـل العمامـره فاسـترد مـا وجـد منهـا عينـاً ومـا لـم يوجـد جـرى تقويمـه وأخـذ بثمنـهِ صـك لأجـلٍ مسـمًّى وفـي أواخـر أيلـول عـاد أحمـد شـكري افنـدي إلـى اللاذقيـة فـكان مـا حصَّلـهُ مـن الأمـوال مـن نواحـي صهيـون وجبـل الأكـراد وبيـت الشـلف والعمامـره والمهالبـه لا يـكاد يبلـغ مايـة الـف غـرش وقبـل عودتـه أخـذ صكـوكاً مـن أهـل بيـت الشـلف تتضمـن التعهـد بعـدم الاخـلال بالراحـة وان كانـت صكـوك كهـذه عديمـة الفائـدة وفـي 5 تشـرين الأول عـاد عاكـف باشـا مـن بيـروت إلـى اللاذقيـة وسـافر منهـا إلـى جبلـه ثـم انتقـل إلـى المعسـكر فـي عيـن الشـرقية وأقـام هنـاك بقصـد تحصيـل الأمـوال وجمـع بقايـا عسـاكر الرديـف والمسـتحفظ مـن الجبـل وفـي 25 منـهُ قـدم الباشـا المشـار إليـه إلـى اللاذقيـة وفـي اليـوم التالي سـافر إلـى بيـروت بباخـرة الميسـاجيري الفرنسـاويه قاصـداً حـوران حيثمـا جـرى تعيينـه متصرفـاً وبقـي المعسـكر تحـت قيـادة مصطفـى بـك قائـم مقـام العسـكر وسـافر أيضـاً بالباخـرة المذكـورة أحمد شـكري افنـدي قائـم مقـام اللاذقيـة إلـى طرابلـس للسـلام علـى عزيـز باشـا الـذي قـدم متصرفـاً للـواء مـكان شـاكر بـك وعـاد بعـد أسـبوع إلـى اللاذقيـة وجـرى الشـروع بجمـع مـا يمكـن جمعـه مـن الرديـف مـن جبـل النصيريـه وكان ذلـك واسـطة لظلـم كثيريـن ووسـيلةً لانتفـاع المديريـن وضبـاط العسـكرية الذيـن كانـوا مولجيـن بذلـك فأنهـم كانـوا يطلبـون عـدداً معلومـاً مـن مقدمـي النواحـي فيأتـون لهـم بأشـخاصٍ غيـر المطلوبيـن بعـد أن يرتشـوا مـن الأشـخاص المطلوبيـن ويشـركوا المديريـن والضبـاط بالرشـوة لأجـل أن يقبلـوا الأشـخاص المأتـي بهـم ولا يدققـوا فـي حقيقـة الحـال وكانـت الحكومـة تغـض الطـرف عـن ذلـك لأنهـا لـم تكـن قـادرة علـى اجـراء المعاملـة الحقـة وفـي شـهر تشـرين الثانـي قدمـت بارجـة مـن الاسـتانة ونقلـت إلـى دار الحـرب أنفـار الرديـف التـي كانـت قـد تجمعـت فـي قضـاءي اللاذقيـة وجبلـه وقدرهـا نحـو خمسـماية نفـر وفـي أثنـاء ذلـك قـدم مـن الاسـتانه قائـم مقـام للاذقيـة يُدعـى احسـان

بك لكنهُ كان قد فقد أمر تعيينه في أزمير حيثما سقطت منهُ في البحر المحفظة التي كان ضمنها الأمر وأوراق آخر فلبث في اللاذقية ينتظر أمراً آخر بعد أن استدعى بهِ تلغرافياً فشرع أحمد شكري افندي يتخذ الوسائل لبقائه فصدر الأمر لهُ بذلك وبتعيين احسان بك قائم مقاماً لحيفا وفي أواخر كانون الأول صار الشروع باجراء القرعة العسكرية في قضاء اللاذقية وجمع بها نحو ثلثماية نفر من القضا وسيقوا حالاً هم وبقايا الرديف والمستحفظ مع بلوكين من طابور العساكر النظامية المقيم باللاذقية إلى بيروت براً بقصد الارسال إلى الاستانه.

أما حالة اللاذقية المالية في سنة 1877 فكانت في تأخر أكثر من السنة التي قبلها وازدادت فيها التجارة اضمحلالاً وكانت المزروعات في غاية الإمحال حتى أن أكثر أرباب الزراعة لم يستغلّوا بذارهم منها فاشتد الغلا وبيعت كيلة الحنطة في شهر كانون الأول سعر 45 غرشاً مع قلة النقود وفقد الأمنية المالية، وبالجملة فأنها كانت أشد واسوأ حالاً من السنة التي قبلها من كل وجه وأما معاملة المسلمين للمسيحيين في اثنائها فكانت تختلف باختلاف الوقوعات الحربية فأنهُ عند ورود اخبار انتصارات للدولة كان المسلمون يظهرون الجفا للمسيحيين وبالعكس عند ورود أخبار انتصارات للروسية فانهم كانوا يظهرون لهم اللين ومع أن المسيحيين كانوا في بداءة الحرب في خوف من حدوث اضطهاد وتعديات عليهم اطمأنوا اخيراً ولم يقع ما يخلُّ براحتهم العمومية وخصوصاً أن المسلمين اخيراً لم يعد تأخر الدولة يؤثر بهم ومع أن الروس كانوا في تقدم زائد يزحفون نحو الاستانة في أوروبا ويحاصرون أرزروم بعد فتح القرص في آسيا فالمسلمون باللاذقية لم يبالوا بذلك كراهة في الترك نشأت بينهم حديثاً ليتقيهم كراهة الترك للعرب وإن كانوا مسلمين مثلهم.

ثم دخلت سنة 1878 وفيها في شهر كانون الثاني شُرع باجراء القرعة العسكرية في قضاء اللاذقية عن سنة 1294 مالية وقد ورد الأمر أن يجنَّد بها ثلث الأنفار الداخلين في الاسنان العسكرية وفي 17 شباط قدم إلى مينا اللاذقية باخرة نمساوية من سلانيك حاملة جركساً مهاجرين من بلاد البلغار وهؤلاء الجركس كانوا قد هاجروا أولاً من بلادهم لما تم لدولة الروسية التغلب عليها، وأسر اميرهم الشيخ شامل المشهور بأثر حرب القرم ودخلوا المملكة العثمانية فوطَّنت الدولة منهم ألوفا في املاكها بأوروبا ولما ظهرت

الحركة البلغارية كانوا هم القائمين بأكثر الفظائع والتعديات على البلغاريين التي كانت أحد الأسباب التي أعلنت الروسية الحرب لأجلها على الدولة واذ ظفرت أخيراً عساكر الروس بعساكر الدولة ظفراً تاماً ووطئت ولاية الطونه وولاية ادرنه ووصلت إلى أبواب الاستانه لم يسع الجراكسة إلّا الهرب من تلك البلاد خوفاً من القصاص والانتقام فأرسلت الدولة الوفاً منهم إلى سورية وكان في جملتهم هؤلاء القادمون إلى اللاذقية فساء أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية قدومهم كما أخاف مسيحيي اللاذقية نظراً لما اشتهر عن هذه الأمة من الجفاء وشراسة الأخلاق فخابر القائم مقام المذكور المتصرفية والولاية في شأنهم تلغرافياً وطلب ارسالهم إلى جهةٍ أخرى حيث لا يوجد في قضاء اللاذقية أماكن معدة لسكنهم فأجيب بأن يُرسلوا بالوابور نفسه إلى جبله فإن رفعت بك قائم مقامها كان قد طلب جانباً منهم إلى قضائه فاجتهد أحمد شكري افندي بارسالهم بالوابور نفسه لكنهُ لم يتمكن من إقناعهم لأنهم أصروا على النزول إلى اللاذقية طالبين أن يكون سفرهم إلى جبله براً فاضطر إلى اجابتهم إلى ذلك حذراً من فسادهم فأنزلوا في الجوامع والمساجد وقُدمت لهم المأكولات من الأهلين حسب أوامر الحكومة، وكان المسلمون فرحين بهم في أول الأمر لكنهم أخيراً ملُّوا منهم وشعروا بالخوف من عاقبة مجيئهم إلى هذه الديار، واقتصروا عن تقديم المأكولات لهم فعينت لهم الحكومة خبزاً يُعطَى لهم يومياً، أما أهل جبله فحذروا أيضاً من اسكانهم في قضائهم فقدموا تلغرافات للولاية التمسوا فيها اعفاء ذلك القضاء منهم فوردت الأوامر بتقسيم الذين قدموا إلى اللاذقية مناصفةً بين اللاذقية وجبله غير أن قائم مقام اللاذقية كان يجتهد في أن لا يبقي أحداً منهم في قضائه احتساباً من العاقبة بخلاف قائم مقام جبله فانهُ كان يجتهد بأن ينقل الجميع إلى قضائه ولعلَّ ما حملهُ على ذلك ظنه أن وجودهم يكبح جماح النصيرية، ولما طالت اقامة الجراكسة المذكورين في اللاذقية ابتدأت أن تقع بينهم وبين مسلمي البلده مشاجرات ومنازعات أوجبت كراهية كلٍ من الفيئتين للأخرى وأما بينهم وبين النصارى فلم يحدث شيء من ذلك لأن كلاً من الفريقين كان يجتنب الفريق الآخر فالتمس المسلمون ترحيلهم إلى جهة أخرى، وتقدمت مضبطة من الحكومة تتضمن الالتماس المذكور إلى المتصرفيه غير أن حكومة طرابلس لم تجب إلى ذلك وأرسلت مأموراً

لأجل سكانهم في محلات مناسبة لهم في القرى والجبال على أن المأمور بعد تجوله في القضاء اقتنع انهُ ليس فيه أراضٍ ومحلات غير مأهولة تناسبهم للسكن فصدق على ما عرضهُ المجلس فورد الأمر بأن يصير ترحيلهم إلى حلب واذنه وقونيه وعكا على حسب اختيار كل عشيرة منهم بشرط أن الأهلين يدفعون نفقة سفرهم فشُرع في جمع النفقة المرقومة من أهل البلدة والقرى وترحيلهم شيئاً فشيئاً، وفي تلك الاثناء عزل شاكر بك الذي كان قد عاد إلى متصرفية طرابلس خلفاً لعزيز باشا الذي لم تطل مدته وقدم من الاستانه محمد خالص افندي خلفاً لهُ وفي شهر ايار عزل رفعت بك قائم مقام جبله وعين مكانه ناجم افندي الذي كان قائم مقاماً في اللاذقية سنة 1874. وفيه ظهر الجراد وانتشر طيَّاراً في قضاءي اللاذقية وجبله ثم ألقى بزرهُ وفقس وزحف على المزروعات فأتلفها ولم تحصل من طرف الحكومة العناية اللازمة لاتلافه ومنع أضراره وفي شهر حزيران انتهت مدة محمد صلاح افندي نائب اللاذقية وخلفه يحيى رمزي افندي من الأتراك فقدم إلى المدينة في 22 الشهر وكانت قد تقدمت جملة تشكيات على محمد صلاح افندي من بعض مسلمي البلدة مدعين عليه بديون في الظاهر على أنها في الحقيقة دفعوها لهُ على سبيل الرشوة لقضاء بعض مصالحهم فوردت الأوامر من المشيخة والولاية بتوقيفه عن السفر ومحاكمته مع المدعين فمنُع من السفر مدة خمسة عشر يوماً وجرت محاكمته مع بعض المدعين وثبت عليهِ بعض تلك الدعاوي غير أنهُ ترامى وتوسط بعض من يعتمد عليهم عند القائم مقام لأجل غض الطرف عن اتمام محاكمته والرخصة لهُ بالسفر فأجيب إلى ذلك بعد جهد جهيد وذلك لأن القائم مقام واكثر مأموري الحكومة كانوا يكرهونهُ نظراً لاستبدادهِ وتصلبهِ وكان أكثر الناس كراهيةٍ لهُ امين الفتوى عبد القادر افندي مفتي الذي كان ينوب عن عمهِ مصطفى افندي المفتي بسبب مرضهِ وشيخوخته وأسباب هذه الكراهية أنهُ لم يكن يعتدُّ بفتاويهِ ولا يستفتي منهُ عن شيء ولا يعدُّهُ من العلماء فانقطع بذلك رزقه فحقد عليهِ واجتهد في تحريك الشكايات والدعاوي عليهِ وكان النائب المذكور محباً للرشوة يأخذها علناً بدون خجل ويدنيّ نفسه على الشيء القليل ولذلك كان لا يخلو من الضلع مع أحد الخصمين فيما يُقام لديهِ من الدعاوي وكان على جانب من التظاهر بالتعصب ضد النصارى لكي يستر بذلك مساويهِ عند المسلمين وفي

شـهر تمـوز وقـع خصـام فـي جبلـه بيـن أهلهـا والجركـس وآل الأمـر بينهمـا إلـى الطـراد فاجتمـع أهـل جبلـه واخرجـوا الجركـس بالقـوة إلـى خـارج القصبـه واغلقـوا أبوابهـا فحاصرهـا الجركـس فقـدم محمـد خالـص افنـدي متصـرف طرابلـس فـي 26 تمـوز بالوابـور الفرنسـاوي إلـى اللاذقيـة وفـي 27 منـه سـافر إلـى جبلـه وسـكَّن هيـاج الطرفيـن ثـم عـاد إلـى اللاذقيـة ومنهـا إلـى طرابلـس ومنـذ شـهر آب إلـى ختـام السـنة لـم يحـدث مـا يسـتحق الذكـر سـوى فصـل محمـد خالـص افنـدي المتصـرف واعـادة شـاكر بـك خلفـاً لـهُ وفصـل ناجـم افنـدي قائـم مقـام جبلـه وتعييـن كامـل افنـدي خلفـاً لـهُ ومـوت مصطفـى افنـدي مفتـي اللاذقيـة وانتخـاب عبدالقـادر افنـدي ابـن أخيـه خلفـاً لـهُ وانتخـاب المجلـس البلـدي مـن طـرف الأهليـن مـع مقتضـى التعليمـات الجديـدة فتعيـن رئيسـاً لـهُ حسـن آغاهـرون واعضـا الحـاج محمـد آغاهـرون ومحمـد افنـدي رويحـه وجرجـس افنـدي اليـاس وعبداللّـه افنـدي فهـده وصالـح آغـا راعـي. أمـا حالـة التجـارة فـي هـذه السـنة فكانـت علـى حالهـا مـن التأخـر غيـر أن محصـولات الزراعـة كانـت أجـود مـن العـام السـابق وخاصـةً محصـول الزيـت فأنـهُ كان فـي اقبـال فكانـت حالـة النـاس فـي هـذه السـنة ايسـر منهـا التـي قبلهـا.

ثـم دخلـت سـنة 1879 وكان قـد تعيـن واليـاً علـى سـورية مدحـت باشـا الـذي امتـاز بيـن وزراء الدولـة بالحـزم والاقـدام واشـتهر بوضـع القانـون الأساسـي حيـن كان صـدراً أعظـم فوعـد باجـراء الإصلاحـات الفعليـة فـي الولايـة وفـي شـهر شـباط قـدم إلـى طرابلـس فسـار لمقابلتـهِ فيهـا أحمـد شـكري افنـدي قائـم مقـام اللاذقيـة وكانـت الاختـلالات قـد تفاقمـت فـي جبـل النصيريـة وكثـر التعـدي علـى قـرى السـاحل والسـلب والنهـب وقطـع الطـرق وتشـكى أربـاب الزراعـة فـي اللاذقيـة مـن جـراء فقـد الأمـن بعريضـة تلغرافيـة للوالـي المشـار إليـه فاغتنـم بعـض أهـل اللاذقيـة الفرصـة لتحويـل مدينتهـم مركـز متصرفيـة بولايـة المشـار إليـه نظـراً لمـا عُلـم عنـهُ مـن حـب الإصـلاح الحقيقـي. وكان حيـن تقلـده الولايـة وقدومـه إلـى دمشـق ذهـب إليـه موسـيو شـارل بجوزوسـكي وكيـل قنسـلوس دولـة اسـبانيا فـي اللاذقيـة فأنـهُ كان قـد اكتسـب محبتـه فـي ولايـة الطونـه وولايـة بغـداد فاجتمـع اليـاس افنـدي صوايـا وابرهيـم افنـدي حكيـم ومؤلـف هـذا التاريـخ بموسـيو شـارل قبـل سـفره وحرضـوهُ علـى تبليـغ مدحـت باشـا احـوال قضـاءي اللاذقيـة وجبلـه وايضـاح الأسـباب الموجبـه لجعـل اللاذقيـة متصرفيـة ففعـل ولمـا قـدم المشـار إليـه إلـى طرابلـس ووقـف علـى أحـوال

ذلك اللواء المتسع اقتنع بوجوب فصل اللاذقية عنهُ وتحويلها متصرفية واعلن نيَّتهُ هذه في طرابلس بحيث لم يدع مجالاً لرجال حكومة طرابلوس وأعيانها لأن يجسروا على مضادة أفكاره ثم صمم على القدوم إلى اللاذقية فكتب المؤلف لائحة لتقدَّم إليه من أهل البلدة بعد قدومه إليها وهذه صورتها.

أن عبيد فخامتكم هؤلا يهنئُون انفسهم وربوعهم إذ قد تشرفت بحلول ركاب ابهتكم العالية معتبرين الأيام البهجة المستنيرة باشراق كوكب ذات فخامتكم السامية السمات في مدينتهم هذه من أعظم الأيام التي تفتخر بها في تاريخها، ولما كانت الآمال متوطدة باجراء الإصلاحات الفعلية بيد خديوانيتكم المقتدرة وكان لهذه المدينة احتياجات مخصوصة فضلاً عن الاحتياجات العامة التي تشترك فيها مع سائر مدن الولاية تتجاسر أن تعرض ذلك لمسامع فخامتكم الشريفة معتقدين أن عناية ابهتكم السامية تبتدرها بالعلاج النافع لنشل أهليها من وهدة التعاسة واضمحلال الحال التي سقطوا فيه اللأسباب الآتية وهي:

أولاً: فقد تجارة التبغ بالعوارض التي طرأت عليها كرسم الدخولية الذي وُضع عليه في القطر المصري بعد أن كانت تلك التجارة زاهرة زاهية ومورداً لثروة أهل اللاذقية وجبال النصيرية عموماً.

ثانياً: لما كانت باقي المحصولات في اللاذقية وجبالها قليلة أصبحت الأشغال التجارية عموماً كالعدم فذلك مع محل المواسم منذ بضع سنين قد نشأ عنهُ فقد ثروة الأهلين ووقوع أكثرهم في الفقر المدقع والضيق الشديد حتى أن كثيرين منهم نزحوا إلى أماكن مختلفة طلباً للمعاش.

ثالثاً: أنهُ قد كان من الممكن تجديد وسايط للاكتساب وتعويض تجارة التبغ بتجارة الزيت والحرير بواسطة انشاء أغراس من التوت والزيتون في جبال النصيرية الصالحة لذلك غير أن هناك مانعاً عظيماً وهو الاختلالات الدائمة الموجودة فيها بسبب خشونة أهليها وتمردهم وعدم وجود نفوذ للحكومة عندهم حتى أنه إذا نشأ احد منهم أغراساً لا يأمن عليها من القطع والاستئصال فضلاً عن ان انشاء الأغراس لا يتم إلّا بتشويقات الحكومة واعتنائها نظراً لجهل السكان وعدم تمدنهم.

رابعاً: انهُ لم ينحصر فقد الأمن في الجبال فقط بل هو ممتداً إلى قرى الساحل حتى المجاورة منها نفس المدينة أيضاً فأنها في أكثر الأحيان عرضة للنهب والسلب وجميع أنواع التعديات من طرف أشقياء الجبال.

ولا يؤمل ازالة هذه الاختلالات من هذه الجهات ما دامت الإدارة مشكلة بحسب الحالة الراهنة وبيان ذلك.

أولاً أن قضاءي اللاذقية وجبله الحاليين الممتدة فيهما سلسلة جبال النصيرية كانا منذ القديم إلى سنة 1281 هجرية لواءً مستقلاً مركزه اللاذقية وكان ينقسم إلى أربعة عشر قضاء أو مقاطعة عدا الساحل وعدد قراه نحو ألف قرية ونفوسه تزيد على مية وعشرين ألف نسمة وكان كلٌ من الأربع عشرة مقاطعة مديرية وفي اللواء نحو خمسماية خيال للمحافظة فكان للحكومة فيه من النفوذ أضعاف ما لها الآن ومع ذلك لم يكن يخلو من الاختلال فكان من الايجاب أن تزيد الحكومة نفوذها فيه ولكن لسوء الحظ قد أضعفته عوضاً عن تقويته لا بل استأصلته بواسطة تقسيم ذلك اللواء بتشكيلات سنة 1281 والحاقه بلواء طرابلس.

ثانياً أن هذا التقسيم هو في نفسهِ مختل النظام وأنهُ قد أُلحقت فيه بعض القرى بقضاء جبله حالة كونها تبعد ساعات كثيرة عن مركز القضاء المذكور مع وقوعها بين قرى اللاذقية وقربها كثيراً من المدينة ولأنهُ قد جُعلت فيه مدينة طرابلس مركزاً لهذا اللواء الذي يتألف من لوائين فسيحين حالة تكون المدينة المذكورة متطرفة جداً فأنها في آخر نقطةٍ من هذا اللواء الكبير جنوباً وتبعد عن النقطة الشمالية مسيرة ستة أيام كاملة حالة كون القاعدة لحسن الانتظام أن يكون المركز في نقطة متوسطة.

ثالثاً قد صار بهذا التشكيل تقليل عدد المديريات فجُعل لكل مقاطعتين أو ثلاث مقاطعات مدير واحد فصار الأمر فيها في حكم الفوضى إذ لا ريب أن قولنا أن مقاطعتي بيت الشلف والمهالبة اللتين عدد قراهما ماية وستون قرية ونفوسهما نحو اثني عشر ألف نسمة من العتاة المتمردين عليهما مدير واحد تحت أمره خمسة أو ستة خيالة فقط هو بمعنى قولنا أن الأمر فيهما في حكم الفوضى.

رابعاً قد تُركت عدة مقاطعات كالبائر والبوجاق والبهلولية بلا مديرين فأصبح الأمر فيها فوضى فعلاً.

فنتج مما مرَّ بيانه أن ذلك التقسيم كان علة زيادة الاختلالات والتشويش في تلك الجبال وجاء على مراد أهليها إذ جُعلت فيه مدينة طرابلس البعيدة عنهم حيثما لا تعرف أحوالهم وأعمالهم مركزاً للواء عوضاً عن اللاذقية القريبة منهم التي تعرف فيها احوال وأطوار كل من العشائر ونسبة كلٍ منها إلى الأخرى فصار نصيرية كل من قضائي اللاذقية وجبله وخاصةً نصيرية قضاء جبله الذين يفوقون الآخرين عتواً وتمرداً يتعدون في القضاء الآخر وهم آمنون لعدم تسلط حكومة عليهم فتتعلق المسألة بالمخابرة بين القضاءين حالة كون حكومة اللواء لا تتوصل إلى الاطلاع على الأحوال بالسهولة لبعدها من أن أسباب الاختلال والعشائر حتى الأفراد القائمين بهِ مع احوال وحركات كلٍ منهم تكون معروفة في اللاذقية حق المعرفة نظراً لتوسطها ولكن لا سلطة لحكومتها على اتخاذ الاحتياطات والاجراءات المقتضية فينقضي وقت طويل حتى تُفهَم بعض الحقائق في مركز اللواء حق الفهم فتجرد عليهم العساكر مرّة أو مرتين في السنة وتضربهم وتحرق بعض قراهم السهل تجديدها فيستكنون ويظهرون الهدوء إلى حين إذا رجعت القوة عنهم رجعوا إلى ما كانوا عليهِ من التعدي والفساد فأنهُ قد ضُرب بهم المثل بأن عقولهم في عيونهم فإن رأوا عقلوا واعتبروا ويزول اعتبارهم بحالما تزول المؤثرات من أمام أبصارهم وهكذا سيكون الحال إلى الأبد ما لم تتغير الإدارة.

أولاً: بإعادة لواء اللاذقية إلى اصلهِ.

ثانياً: بتشكيل تلك المقاطعات ثلاث أو أربع قائم مقاميات يجعل لكلٍ منها مركز في موقع مناسب لقيام القوة العدلية والاجرائية والعسكرية في وسط أولئك العتاة.

ثالثاً: بإعادة اللاذقية مركزاً للواء لتوسط موقعها ولكونها ذات أهمية أولى في هذا الخط ووقار عند أهليه بمألوف العادة والقدمية مع الجدارة بالقيام بإدارة ذلك اللواء كما عُهد ذلك بها منذ عهد قديم.

وبهذه الوسائط يألف أهل الجبال شيئاً فشيئاً بالاجراءات الدائمة التي تكون في وسطهم الطاعة والانقياد إذ يرون بينهم حكومة تكبح المتمرد القوي وتدرأ عنه العاجز الضعيف والى

جانبهـم مركـز لـواء مقتـدر لـهُ بأحوالهـم الخبـرة التامـة فـلا تخفـى عليـهِ أعمالهـم ولا يحتجـب عـن معرفتـه شـقي مـن اشـقيائهم فيتوطـد بذلـك الأمـن والسـلام وتتمكـن الحكومـة مـن اشـغال الأهالـي بانشـاء الأغـراس والاعتنـاء بأمـر الزراعـة عوضـاً عـن الاشـتغال بالنهـب والسـلب وقطـع الطـرق فتتجـدد مـوارد الثـروة ومـواد التجـارة وتتحسـن أحـوال الأهليـن سـاحلاً وجبـلاً ويـزداد دخـل الحكومـة أضعافـاً مضاعفـة فمـا تخسـرهُ مـن المصارفـات بواسـطة تشـكيل اللـواء علـى الصـورة المذكـورة تتعـوض أضعافـاً مـن زيـادة الـوارات بوجـود الأمـن والدليـل الواضـح علـى ذلـك أن جبـل بيـت الشـلف لـم يُتوصَّـل إلـى تلزيـم اعشـاره بازيـد مـن أربعيـن ليـرة فـي السـنة الماضيـة مـع أن عـدد قـراهُ أكثـر مـن خمسـن قريـة.

ثـم فضـلاً عـن جميـع مـا ذُكـر أن لـواء اللاذقيـة المُلغَـى هـو مـن حيـث السـعة وعـدد القـرى والنفـوس يسـتدعي أن يتشـكل متصرفيـة بقطـع النظـر عمـا لجبالـه مـن الأهميـة التـي تسـتلزم زيـادة القـوة والنفـوذ فأنـهُ اجسـم مـن كثيـر مـن الالويـة فـي الممالـك المحروسـة كلـواء أورفـا ولـواء بيازيـد ولـواء أرزنجـان وغيرهـا كمـا أن بعـض المديريـات المشـكلة فيـهِ الآن هـي أكبـر مـن قائـم مقاميـة فـي بعـض الولايـات فـإن مديريـة صهيـون وجبـل الأكـراد اجسـم مـن قائـم مقاميـة اركلـي مـن ولايـة فونيـه ومديريـة بيـت الشـلف والمهالبـة اجسـم مـن قائـم مقاميـة آنيـوز فـي لـواء اكليبولـي.

هـذا وقـد طالمـا صـار عـرض التشـكيات وبيـان هـذه الأحـوال إلـى حضـرات الـولاة السـالفين فكانـوا يقتصـرون مـن التحقيقـات علـى مراجعـة مركـز متصرفيـة طرابلـس فـكان المركـز يعاكـس هـذا الأمـر ذلـك أمـر بديهـي لأن المركـز لا يرتضـي بتضييـق دائـرة ملحقاتـه.

وقـد ظُـنَّ ايضـاً أن مجـرَّد انشـاء مراكـز للعسـاكر فـي بعـض مواقـع الجبـال يتكفـل بقطـع دابـر الفسـاد والاختـلال والحـال أن ذلـك لا يأتـي بالمقصـود مـا لـم تنتظـم هنـاك الإدارة الملكيـة بتشـكيل قائـم مقاميـات واقامـة القـوة العدليـة والاجرائيـة فـي وسـط أولئـك العتـاة مـع توسـط المرجـع فتؤثـر الإجـراءات الدائمـة فـي الجزئيـات تأثيـراً يقيسـون عليـهِ الكليـات وإلّا فمجـرد اقامـة العسـاكر فـي المواقـع لا يجـدي نفعـاً.

ثـم ممـا يسـتحق الالتفـات العالـي والإصـلاح المخصـوص تعديـل الويركـو فـإن مأمـوري

المساحة لم يعدلوا في مأموريتهم فأوجبوا على أكثر الأهالي أموالاً تجاوزت حدود احتمالهم.

كما أنهُ من الأمور النافعة جداً فتح طريق من اللاذقية إلى حماه وهذه الطريق كان قد شرع بها دولة المرحوم راشد باشا الوالي الاسبق فلما خلفه دولة صبحي باشا وكان قد تم نحو ثلثها اصدر امرهُ بابطال فتحها مع أنها تقصر المسافة بين حماه والبحر مسيرة يوم كامل فيشمل نفعها كلاً من حماه واللاذقية وهي من المشروعات المفيده للأمن والموافقة لحسن الإدارة لأنها ستمتد في وسط جبال النصيرية فسيكون الوصول بها إلى ملزق حماه ملجأ الأشقياء سهلاً قريب المنال من مراكز الحكومة فتنشطر بذلك قوتهم وتقلُّ امكنة امتناعهم وتحصنهم. ومنها أيضاً اصلاح طريق حلب من اللاذقية إلى جسر الشغور.

فهذه هي الاحتياجات المخصوصة التي لا ريب أن أفكار فخامتكم السامية تراها واجبةً للاصلاح الفعلي في هذه الجهات دفعاً للخراب الذي يتهدد هذه المدينة وملحقاتها وقد تجاسرنا بعرضها وبيانها للأعتاب العلية معتقدين أن عناية ابهتكم السامية تتفضل باجراء جميع الوسائل التي تتكفل بالعمران والراحة والأمن وتوطيدها على أساساتٍ راسخة فتضيفون اثراً جديداً إلى الآثار الجليلة الجمة التي لأيادي فخامتكم الغراء في كل قطر وتطوقون عبيدكم أهل هذه الديار بأطواق المنة التي لا تُمحى فيضجون بالأدعية الخيرية لذات فخامتكم السامية ويضاعفون الابتهالات والتضرعات بتأييد وتأبيد ولية نعمتنا الدولة العلية الأبدية الدوام وبكل حال وزمان الأمر والفرمان لحضرة مَن لهُ الأمر والاحسان. (انتهت اللائحة)

غير أن مدحت باشا عدل عن القدوم إلى اللاذقية في ذلك الوقت وسافر إلى بيروت واعداً بالقدوم إلى اللاذقية في وقت آخر وكان الموسيو شارل بجوزوسكي الذي عاد قبل ذلك من الشام عازماً على الذهاب إلى بيروت لمقابلة مدحت باشا فدُفعت اللائحة لهُ ضمن عرضمحضر عمومي مختصر فرفعهما إلى المشار إليه وعُلم بعد ذلك انهُ أنهى إلى الباب العالي بوجوب تحويل اللاذقية متصرفية ولما شاع الخبر اجفل منهُ يسين افندي وطه افندي وغيرهم من بيت علي اديب في جبله لأنهُ كانوا ينتفعون بالحالة الراهنة إذ كان الجوُّ خالياً

لهم في قضاء جبله وقد جمعوا بذلك ثروة عظيمة فقدموا عرائض تحريرية وتلغرافية إلى الولاية والى الصدارة العظمى مضادة لهذا المشروع ولما عُلم ذلك في اللاذقية أرسلت عريضة تلغرافية ممضاة من مفتي اللاذقية ورؤساء باقي الطوائف الروحيين إلى مدحت باشا مضمونها «أن التشكيات المتقدمة من جبله مصدرها ثلاثة أو أربعة أشخاص ليس إلّا ينتفعون بالحالة الراهنة وببعد مركز اللواء عنهم».

وفي أوائل شهر حزيران ورد الأمر السامي من الصدارة العظمى إلى مدحت باشا يعلن صدور الارادة السنية السلطانية بقبول انهائه بتحويل اللاذقية متصرفية فجاء الخبر إلى اللاذقية وسرَّ أهلوها بهِ جداً وانتظروا بفروغ صبر تعيين متصرف للوائهم الجديد، وكان أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية يتخذ الأسباب والوسائل ليكون هو المتصرف فاستحصل تلغرافات إلى الوالي ومتصرف المركز من المفتي والرؤساء الروحيين تتضمن التماس تعيينه إلّا أن الناس لم تكن في الباطن تريد تعيينه لأنهُ لم يكن مستقيم الأطوار وقد ملَّ منهُ السواد الأعظم عل أن الوالي كان قد أنهى بالمتصرفية لأحمد افندي الصلح الصيداوي الأصل فقدم اللاذقية على الوابور الفرنساوي ووصل إليها صباح الخميس في 26 تموز فهرع مأمورو الحكومة وأعيان البلدة وفرقة الضبطية والموسيقى العسكرية والناس أفواجاً لاستقبالهِ إلى المينا فسار ال دار الحكومة بموكب حافل وفي مساء ذلك اليوم نورت المدينة احتفالاً بانضمام اللواء وانعتاقه من تابعية لواء طرابلس بعد أن استمر متفرقاً ممزقاً نحو خمسة عشر عاماً وجاء مع المتصرف رجل من الترك يُدعَى مصطفى بك تعين من جانب الولاية مديراً لتحريرات اللواء وكان المتصرف ينتظر قدوم الوالي لكي يصير تشكيل القائم مقاميات وتأخذ الأمور مجراها.

وفي صباح الخميس تاسع شهر آب قدم على الوابور الفرنساوي مدحت باشا المشار إليه وكان المتصرف ومأمور الحكومة والأعيان وجم غفير من الأهلين والموسيقى العسكرية مع العساكر النظامية الموجودة قد نزلوا إلى المينا لاستقباله فنزل أكثرهم في الزوارق المزينة بالسناجق العثمانية وخرجت بهم خارج البوغاز فانحدر الوالي من الوابور في زورقٍ أعدَّ لركوبهِ وأطلقت من البر المدافع التي كان قد هيأها خارج المينا بكباشي العساكر ثم مرَّ زورق الوالي في وسط الزوارق الخارجة لاستقباله التي كانت قد اصطفت يميناً وشمالاً

لاقتبال سلامهِ ثم تبعتهُ الزوارق إلى البر فصعد الوالي إلى محل إدارة الرسومات حيثما استراح قليلاً، ومن ثَمَّ سار بموكب حافل إلى البلدة ونزل في دار ميخائيل افندي سعاده فظهرت البلدة بحلل الزينة ذلك اليوم نهاراً وليلاً. وكان بمعية الوالي واصف افندي كاتبه الخصوصي الذي كان قد عينهُ مديراً للبوليتكه في سورية وأحمد افندي المهدي الايوبي احد الكتبة في قلم مكتوبية الولاية ومراد بك آلاي بك الضابطه ولما استقر في القاعة دخل عليه للسلام المأمورون والأعيان فرأوهُ مع مالهُ من الشهرة وسمو القدر لطيفاً أنيساً فسألهم عن الطوائف التي تتألف منها سكان المدينة وعن المدارس والمكاتب وفي اليوم التالي صلى صلاة الجمعة في جامع الشيخ المغربي ونزل من هناك إلى دار الحكومة وجمع إليه مقدمي ورؤساء الجبال نصيرية ومسلمين وكانوا قد وفدوا لمقابلته والقى عليهم النصايح ومما قالهُ لهم «أن راشد باشا الوالي الأسبق أتى إلى دياركم بشدةٍ وبأس وقد رأيتموهُ وعلمتموهُ شديداً فأعلموا أنني أنا أشد منهُ بأساً وذلك مشهور عني في الآفاق بيد أني اعتبركم كرجل مريض وقد أعددت لكم الآن دواءً لطيفاً نافعاً فإن استعملتموهُ استعمالاً حسناً ونجع فيكم سلمتم وحسنت أحوالكم وإلّا فإن أسأتم استعماله واستمررتم على ما أنتم عليه نزعت إلى علاجٍ منه طرازٍ آخر وحينئذٍ تندمون وتأسفون على ما في أيديكم مما سيكون غنيمةً باردة لغيركم من الأملاك والأراضي وغابات الزيتون الموجودة في أحراشكم مليوناتٍ قد تركتها لكم اجدادكم فأهملت في أيامكم ثم حضهم على الائتلاف والاتحاد والعيشة في السلم والمواخاة وترك الضغائن وعدم جعل الاختلافات المذهبية علة للتفرق والشقاق. ونهض من هناك وجال في أسواق البلدة وازقتها داخلاً في حارات المسلمين إلى أن انتهى إلى الكنيسة المعلقة متفرجاً على ذلك الأثر القديم وفي مساء ذلك اليوم. وفدت إليه اعيان ووجوه المسلمين للسلام فوبخهم على ما رآهُ في حاراتهم من الأقذار وعدم الانتظام وحثهم على الاقتداء بالنصارى في تحسين الهيئة وفي اليوم التالي يوم السبت صباحاً سار راكباً إلى النهر الكبير للنظر في أمر جلب مائه إلى اللاذقية فذهب إلى أن ماءَهُ غير كافٍ للمشروع ورأى الجسر الذي عليهِ قد تخللهُ العطب ولما عاد إلى المدينة جمع مجلس الإدارة واستدعى رئيس المجلس البلدي وحثهم على اصلاح جسر النهر قبل أن يزداد عطبه

فيسقط أو يحتاج إلى نفقة عظيمة ثم تذاكر مع هيئة مجلس الإدارة في كيفية تقسيم اقضية اللواء وفي يوم الأحد جمع رؤساء النصيرية أيضاً وكرر النصيحة لهم ودُعي في مساء ذلك اليوم للعشاء عند السيد ملاتيوس مطران اللاذقية ويوم الاثنين قرر تقسيم الأقضية وخصَّص المعاشات والمصارفات المقننة لكل قضاء وأعطى الأوامر اللازمة للعمل بموجب ذلك ودُعي من طرف المجلس البلدي للسهرة ليلة الثلاثاء في دار السيد عبدالحميد عجان فأتى إليها نحو الساعة الثالثة من الليل وكانت حارة النصارى التي منها طريقه قد زُيّنت بالأنوار وكذلك كانت الدار متقنة الزينة والترتيب وقد دعيت إليها الموسيقى العسكرية ووجوه البلدة فتُليت فيها الخطب المعلنة بالشكر لهُ والحض على الاتحاد والاتفاق وكانت الموسيقى بين كل خطبة وأخرى تصدح بألحانها المطربة وفي نحو الساعة السادسة دُعي إلى قاعة الطعام التي كانت قد أعدَّت فيها أنواع الحلوى المختلفة فاعتذر عن الأكل وخطب في الجمهور يحثهم على الاتحاد في سبيل خدمة الوطن والسعي بتقدمهِ ونجاحهِ ثم انصرف من السهرة مسروراً وفي يوم الثلاثاء رابع عشر شهر آب نحو الساعة الثالثة من النهار بارح اللاذقية قاصداً طرابلس على بارجة عثمانية اسمها عسير قدمت لحمل عساكر القرعة التي كانت قد أجريت في نفس المدينة قبل قدومه وكان عدد الذين أصابتهم ثلاثة وخمسين نفساً وكان في أثناء وجودهِ قد عيَّن محمود آغا خزندار قائم مقاماً لصهيون والياس افندي صوايا محاسبة جي للمتصرفية وابرهيم افندي حكيم معاون مدعي عمومي وأمر المتصرف بتعيين باقي المأمورين والعرض عنهم ووعد بتعيين قائم مقام للمرقب وآخر لجبله عوض كامل افندي الذي امر بفصله لعدم اقتداره وكفاءته وأما المتصرفية فقد جرى تشكيلها من ثلاثة أقضية أحدها قضاء صهيون وجرى تأليفه من نواحي صهيون وجبل الأكراد وبيت الشلف والمهالبة وجُعل مركزه قرية بابنا والثاني قضاء جبله وجرى تأليفه من نواحي القرداحة وبني علي وسمت قبله وقرى الأوقاف والشمسيات وساحل جبله وجُعل مركزه نفس قصبة جبله والثالث قضاء المرقب وجرى تأليفه من نواحي المرقب وزمرين وجرد العليقة والقدموس والضهر الغربي والخوابي وجعل مركزه قلعة المرقب على أن القدموس استمرت مديرية تابعة لقضاء المرقب وجُعلت البائر والبوجاق مديرية مرجعها مركز المتصرفية وأما ناحية

البهلولية وقرى الساحل فألحقت بمركز المتصرفية رأساً وفي 20 آب قدم اللاذقية برًّا من طرابلس عزت بك معيَّناً من قبل الوالي قائم مقاماً لجبله وهو ابن وامق باشا الذي كان والياً على ايالة صيدا الملغاة وبعد مقابلة المتصرف واستبداله أمر مأموريته ذهب إلى جبله وفي 24 منهُ قدم على الوابور الفرنساوي نعمت افندي من الأكراد المستخدمين من ولاية سورية وقد تعين رئيساً في دائرة الجزاء وذلك أن مجلس الدعاوي والتمييز كان قد تبدل اسمها باسم المحاكم الابتدائية على أن هذه المحاكم تُقسم في مراكز المتصرفية إلى دائرتين احداهما لرؤية الدعاوي الحقوقية ورئيسها النائب والثانية لرؤية الدعاوي الجزائية ورئيسها مأمور غير النائب ووضعت نفقات عدلية جديدة للعمل بموجبها فعين نعمت افندي المذكور رئيساً لدائرة الجزاء في اللاذقية وفي 26 آب قام المتصرف أحمد افندي ورفقته الياس افندي صوايا المحاسبة جي متوجهين إلى المرقب لأجل تشكيل قائم مقاميتها وغب وصولهما إلى قلعة المرقب رتبا الأمور موقتاً إلى حين تعيين قائم مقام ثم عاد إلى اللاذقية وفي شهر أيلول قسمت المحكمة الابتدائية إلى دائرتين فأختير لدائرة الحقوق من الأعضاء محمد افندي ترك من المسلمين ويعقوب افندي ميلكون من الأرمن ولدائرة الجزاء مؤلف هذا التاريخ من الروم والشيخ سليمان حاتم من النصيريه وعُين قاسم افندي شواف عضواً في مجلس الإدارة مكان محمود آغا خزندار الذي نصب قائم مقاماً لصهيون وفي شهر تشرين الأول عُيّن لطف اللّه افندي نوفل الطرابلسي من طائفة الروم قائم مقاماً لقضاء المرقب وهو أول قائم مقام مسيحي جرى تعيينه في ولاية سورية فقدم اللاذقية وبعد اخذه البيورلدي توجه إلى مركز قائم مقاميته وجرى تعيين المأمورين اللازمين وتأليف المجلس والمحاكم في القضائين الجديدين وفي شهر تشرين الثاني عُزل عزت بك قائم مقام جبله لأنهُ سلك مسلك الاستبداد ولم يحسن السيرة مع الأهلين، ولم يكن يمتثل أوامر المتصرفيه وعُين مكانه علي بك حمادي من مشايخ جبل لبنان الدروز فقدم اللاذقية في 23 تشرين الثاني وبعد أخذ البيورلدي ذهب إلى مركز قائم مقاميتهِ وفي هذه الأثناء جرت القرعة العسكرية السنوية في اللاذقية وفيها عاد من الاستانه بقايا العسكر الرديف الذين سلموا بعد الحرب من الذين أُخذوا من اللاذقية وهم بقايا الصنف المقدم والصنف التالي والصنف الثالث.

أما حالة اللاذقية الزراعية والتجارية في سنة 1879 فكانت جيدة فإن المواسم كانت مقبلة واسعار الغلال مرتفعة والتجارة بها رائجة وصدر من اللاذقية نحو مايتي الف كيله إسلامبوليه من الحنطه والشعير بحراً فيسرت حال الأهلين بالنسبة لما سبق من السنين.

ثم دخلت سنة 1880 وفيها شرع أحمد افندي الصلح متصرف اللاذقية وابناه منح افندي ورضا افندي بتأليف جمعية إسلامية دُعيت الجمعية الخيرية فتألفت من اعضاء من وجوه المسلمين وعُين منح افندي رئيساً لها وصائب افندي شيخ المولوية نائب رئيس فأنشأت مدرسة لصبيان المسلمين فرضت نفقتها على الوجوه وذوي الثروة منهم بواسطة اكتتاب كلٍ منهم بقدر معلوم على حسب استطاعته يدفعهُ شهرياً لصندوق الجمعية ثم سعت الجمعية بتحويل وارادت بعض الأوقاف المضبوطة إلى صندوقها فاسعفتها الحكومة بذلك بعناية مدحت باشا وتألفت جمعية ثانية منهم أيضاً دُعيت الجمعية الأدبية عُين رضا افندي رئيساً لها فكانت غاية الجمعيتين بحسب الظاهر نشر المعارف والتعليم بين أبناء المسلمين إلّا أنهُ كان يلمح أن غايتهما الحقيقية احياء العصابة الجنسية العربية ضد الترك والعصابة الدينية الإسلامية ضد المسيحيين وترشيح تلامذة منهم لمأموريات الحكومة واستقلالهم بها وكان مدحت باشا يسعف هذا المبدأ فانتشر في أيامهِ هذا الروح في سائر أنحاء سورية وانشئت في أكثر مدنها جمعيات كهاتين الجمعيتين ولهج الخطباء والكتاب المسلمون بالتمدح في الأصل العربي وتحريك الحاسيات الجنسية العربية حتى أوجست الدولة اخيراً أن مدحت باشا عاملٌ على انشاء مملكة وامارة مستقلة عربية فعزلتهُ وحولت الولاية لعهدة أحمد حمدي باشا الصدر الأعظم الأسبق الذي كان والياً على سورية أيضاً سنة 1875.

وفيها (أي في سنة 1880) شرع المتصرف أحمد افندي الصلح بناء على تشويقات مدحت باشا بتأليف جمعية لإصلاح الطريق بين اللاذقية وحلب وتنظيف المرفأ فجمع اعيان ووجوه البلدة من الملل المختلفة ووكلاء القناصل فانتخبوا عشرة أعضاء وهم اسماعيل افندي صالح ومحمد افندي رويحه وعلي افندي شريتح من المسلمين ومخائيل افندي سعاده ومؤلف هذا التاريخ من الروم والخواجه بطرس يازجي من الموارنة والخواجه الفونس جفروا قنسلوس روسيا والمجر من الفرنساويين والخواجه باسيلي ويتالي من التبعة

اليونانية من الأجانب والشيخ سليمان حاتم والشيخ سعيد قسمين من النصيريه ليكونوا قومسيوناً تحت رياسة منح افندي نجل المتصرف مأذوناً من طرف الأهلين بوضع ضرائب ورسوم معتدلة على البضائع الصادرة والواردة وعلى اللحم بتصديق مجلس الإدارة مقابلةً لمصروف اصلاح الطريق والمرفأ وارسل مدحت باشا مهندساً فرنسوياً يُدعى كوستو لأجل تخطيط الطريق ورتب القومسيون رسوماً على بعض الأصناف وعين مأمورين لجبايتها على أن الحركة كانت بطيئة والهمة فاترة ولم يكن القومسيون يجتمع إلّا نادراً فكان الأمل بالنجاح بعيداً.

وفيها استعفى لطف اللّه افندي نوفل من قائم مقامية المرقب وخلفه كامل افندي الحمصي أحد تلامذة المدرسة الملكية في الاستانه ولم تطُل مدته فنُقل إلى صور وخلفه في قائم مقامية المرقب ميشيل افندي ادّي البيروتي الماروني وكان قبل ذلك ترجماناً لولاية سورية وعُزل علي بك حمادي من قائم مقامية جبله وخلفه محمود افندي ابازه الصيداوي. وفيها توفي علي آغاهرون من أعيان إسلام البلده. وفيها جرى انتخاب المجلس فتجدد انتخاب اعضائها الأقدمين إلّا الشيخ محمد افندي الترك فأنهُ استُبدل بعلي افندي مفتي في عضوية المحكمة الابتدائية. وفيها توفي مصطفى افندي مفتي اللاذقية وخلفه ابن اخيه عبد القادر أفندي، وعُزل يحيى رمزي افندي النائب قبل انقضاء مدته بواسطة تشكي مدحت باشا منهُ وخلفه حلمي افندي من أتراك الأناضول وكان رمزي افندي سيء السيرة دني النفس تجرُّهُ الرشوة اليسيرة إلى العدول عن محجة العدل وفيها عُزل مصطفى بك من مديرية التحريرات وخلفه طلعت بك من الأتراك وفيها أنشئت مديرية للأعشار في قضاء اللاذقية وعُين مديراً لها محمود افندي ركاب من أهل الشام.

أما حالة الزراعة والتجارة في اللاذقية بهذه السنة فقد كانت في نجاح واقبال إلّا أنها لم تعادل السنة التي سبقتها في النجاح وفي هذه السنة عُرفت في اللاذقية التجارة بعرق السوس فصار صنفاً تجارياً من جملة صادرات المدينة.

ثم دخلت سنة 1881 وفيها في شهر شباط سافر نعمت افندي رئيس محكمة الجزاء إلى دمشق بالرخصة ولما عُلم هناك عدم كفاءته للمأمورية أنهي من طرف قومسيون عدلية

الولايـة المؤلـف مـن مفتـش العدليـة والمدعـي العمومـي ورئيـس محكمـة الاستئناف إلـى نظـارة العدليـة فـي الاسـتانة بعزلـهِ وفيهـا جـرى تبديـل هيئـة المجلـس البلـدي فصـار رئيسـه الحـاج محمـد آغاهـرون واعضـاؤه أحمـد آغـا دنـوره ومحمـد افنـدي عبدالرحيـم مـن المسـلمين وقسـطنطين افنـدي يوسـف مـن الـروم ويوسـف افنـدي بولـس مـن الموارنـة وقـد جـرى ذلـك باستحسـان منـح افنـدي ورضـى افنـدي ابنـي المتصـرف بـدون انتخـاب قانونـي.

وفيهـا فـي شـهر تمـوز قـدم إلـى اللاذقيـة أحمـد حمـدي باشـا والـي الولايـة واعجبـه موقعهـا الجغرافـي ورأى قابليتهـا للعمـران إذا اسـعفت بالوسـائل النافعـة فاسـتدعى وجـوه الأهليـن وخطـب فيهـم خطبـةً ابـان فيهـا الوسـائط التـي تتكفـل بعمـران مدينتهـم ونجاحهـا وأن علـى كلٍ مـن الحكومـة والأهليـن واجبـات معلومـة لا يتـم النجـاح إلّا بالقيـام بهـا مـن الطرفيـن فواجبـات الحكومـة هـي اقامـة العـدل وتعميـم الأمـن ومسـاعدة الأهليـن فـي الأمـور النافعـة وواجبـات الأهليـن هـي الاتحـاد والتعاضـد علـى انشـاء المشـروعات المفيـدة كاصـلاح الطـرق والمرافـىء وتحسـين الزراعـة ثـم وعـد بالقيـام بمـا علـى الحكومـة مـن الواجبـات وحثهـم علـى القيـام بواجباتهـم بـأن يكونـوا يـداً واحـدة لاتمـام المشـروعات النافعـة وبعـد أن اقـام فـي اللاذقيـة سـتة أيـام عـاد إلـى مركـز الولايـة.

وفيهـا فُصـل ميشـيل افنـدي اده مـن قائـم مقاميـة المرقـب وخلفـه فيهـا مصطفـى افنـدي التحفجـي مـن أهـل دمشـق وعُـزل ابرهيـم افنـدي حليـم مـن معاونيـة المدعـي العمومـي فـي اللاذقيـة وخلفـه محمـد علـي افنـدي الايوبـي مـن أهـل دمشـق أيضـاً.

وفـي شـهر أيلـول عُـزل أحمـد افنـدي الصلـح مـن متصرفيـة اللاذقيـة وخلفـه فيهـا أحمـد افنـدي ابـازه مـن أهـل صيـدا وسـافر مُنـح افنـدي مـع ابيـه فخلفـه فـي رياسـة قومسـيون الطريـق محمـود آغاهـرون.

وقـد كان حـكام اللاذقيـة إلـى هـذه العهـد يسـكنون مـع حريمهـم مجانـاً فـي دائـرة مـن دار الحكومـة تُدعَـى دائـرة الحريـم فلمـا جـاء أحمـد افنـدي ابـازه اسـتأجر داراً مسـتقلةً وتـرك دائـرة الحريـم للحكومـة فجُعلـت دائـرة للعدليـة.



المحتويات